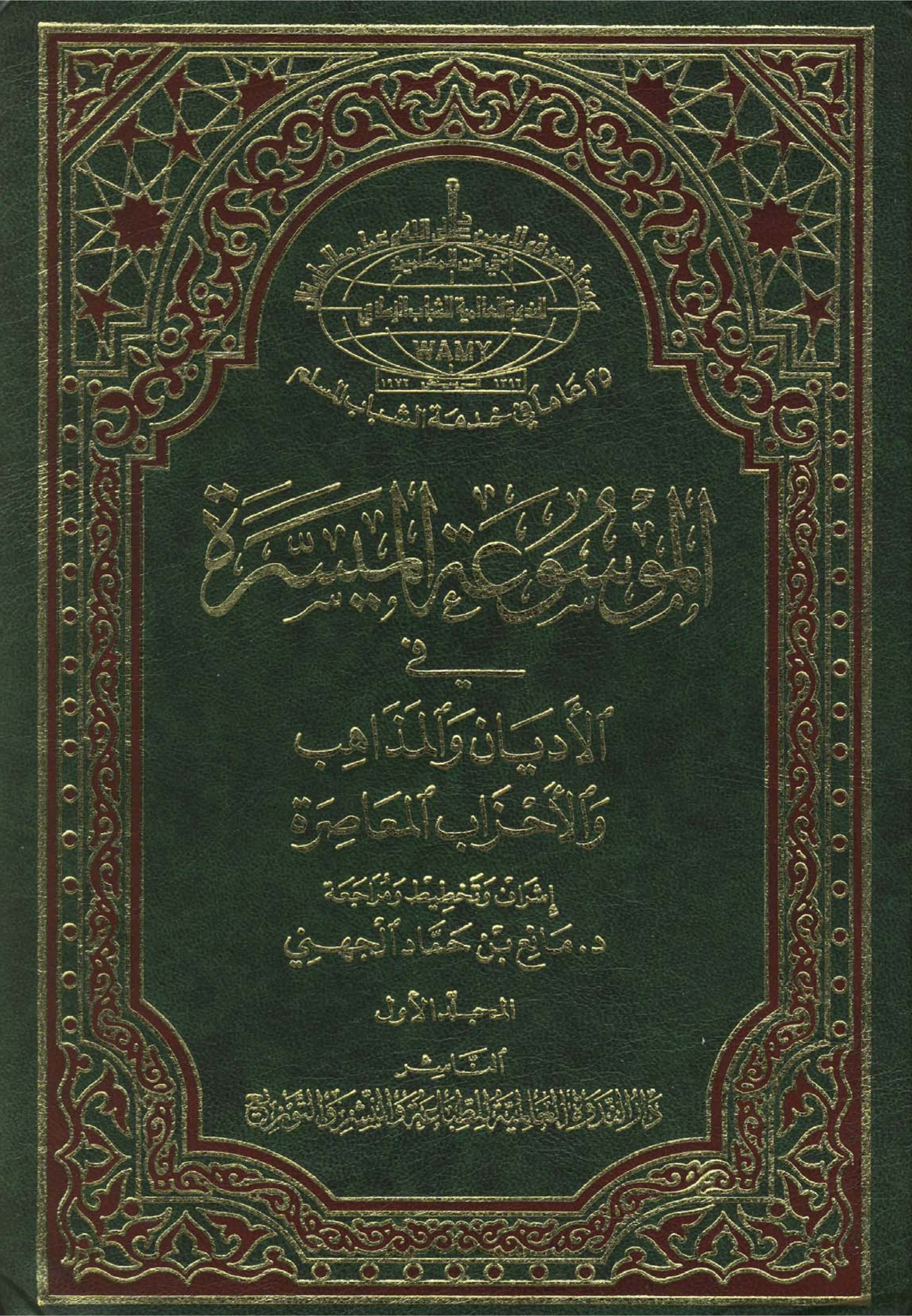

الندوة العالمية للشباب الإسلامي
WAMY
٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم
الموسوعة الميسرة
في
الأديان والمذاهب
والأحزاب المعاصرة
إشراف وتخطيط ومراجعة
د. مانع بن حماد الجهني
المجلد الأول
الناشر
دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

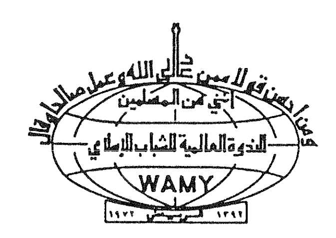
الندوة العالمية للشباب الإسلامي
٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

الطبعـة الرابعـة ١٤٢٠هـ



الناشر

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب : ١٠٨٤٥ الرياض : ١١٤٤٣

ت : ٤٦٤١٦٦٩(٠١) فاكس: ٤٦٤١٧١٠

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـ ط ٣ - الرياض .

.... ص سم .

ردمك : ٧ـ٣ـ٠٣ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٥ـ٠٤ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (ج ٢)

١- الديانات ـ موسوعات ٢- المذاهب - موسوعات ١- العنــوان

ديوي ٢٠٠٠٣ ١٨/٠١٩٠

رقم الإيداع : ١٨/٠١٩٠

ردمك : ٧ـ٣ـ٠٣ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٥ـ٠٤ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (ج ٢)

الموسوعة الميسرة

في

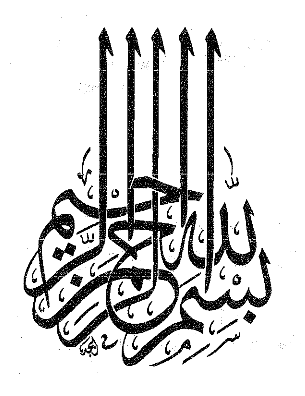
الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

إشراف وتخطيط ومراجعة
د. مانع بن حماد الجهني

المجلد الأول

الطبعة الرابعة
منقحة وموسعة

الناشر
دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

من الأمور المسلم بها، أن الأعمال الموسوعية وشبه الموسوعية، لا تكون إلا أعمالاً جماعية، وذاك كان شأن هذه الموسوعة، فقد كانت ثمرة جهد وفكر إسلامي جماعي مؤتلف ومتعاون من أجل إعلاء كلمة الله وإعطاء الثقة للمسلم أنه على دين اليقين الذي لا ينبغي أن يتطرق إليه شك، والحق الذي لا يمكن أن يداخله باطل، وعمل هذا شأنه لا يمكن الحديث فيه عن جهد فردي، لذلك فلابد من ذكر أسماء بعض من أسهم في إخراج هذه الموسوعة بصفة عامة وهذه الطبعة بصفة خاصة. لذا فإنني أشكر الإخوان الأعزاء الذين بذلوا جهوداً غير عادية، أرجو الله أن يكتبها لهم في ميزان حسناتهم، ومنهم: الدكتور إبراهيم بن حمد القعيد، والدكتور توفيق بن أحمد القصير، والدكتور محمد سعد أبو شتا، والأستاذ حمدي عبيد وجميع منسوبي الندوة وكل من أسهم بشكل أو بآخر في إنجاز هذا العمل.

كما يسرنا أن نعبر عن شكرنا وتقديرنا لكل من قرأ هذه الموسوعة ووجد فيها ضالته، خصوصاً من كتبوا إلينا مصححين وناصحين ليسهموا في تحسين هذا العمل الجماعي ليحقق الكمال المنشود. وقد كتب إلينا الكثير، ولكن نكتفي بمن كان لتعليقاتهم أطيب الأثر في تجويد هذا العمل، منهم فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد، والأستاذ محمد جابر اليماني، والشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد العبداللطيف، والأستاذ عمر باذيب، والأستاذ محمد عبد الحكيم، والدكتور شريف الخطيب.

والله أسأل أن يجعل ما قاموا به من جهد في هذا السبيل في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يكون من العلم النافع الذي يستفاد منه ليكون جزءاً من الصدقة الجارية التي أخبر عنها الرسول ﷺ.

د. مانع بن حماد الجهني

الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين.. وبعد:

يطيب لنا أن نضع بين أيدي القراء الكرام هذا الكتاب الموسوعي الذي نرجو أن يكون إضافة جديدة في بابه، تقدم جملة من الحقائق الموضوعية عن مجموعة من التيارات الفكرية والسياسية والأحزاب والأديان والمذاهب والفرق.

لقد شهد هذا العصر ثورة في الاتصال والعلاقات، وقفزة لم تشهدها البشرية من قبل في نقل الأفكار والمعلومات واختصار الزمان والمكان بحيث أصبح العالم وكأنه (قرية صغيرة)، كما شهد ما يمكن تسميته (بانفجار المعلومات) التي صارت تنمو وتتكاثر وتتراكم بطريقة هائلة.

وقد أدى هذا إلى عدد من النتائج والمشكلات التي لم تكن تواجه الأجيال السابقة، منها أن (العزلة) أصبحت أمراً لا يقدر عليه أحد، لا الأفراد ولا الدول، ومنها أن (إنسان العصر) صار يجد نفسه أمام طوفان من المعلومات المشوشة المتناقضة، حول أحزاب وتيارات فكرية وسياسية وفرق وأديان وفلسفات، لا يكاد يبصر فيها وجه الحقيقة الموضوعية.

من هنا بدا لنا أن ننهض بإعداد موسوعة علمية مركزة تتناول ذلك كله، بحيث نستطيع أن نقدم للقارىء دراسة جادة نزيهة تضع الحقائق في إطار موضوعي دقيق مركز، تتحاشى الإسهاب، وتتجنب السطحية، وتلتزم الصدق والأمانة، وتبتعد عن التهجم والتجريح، وتعتمد على المصادر المتوافرة. وبذلك نرجو أن نكون قد قدمنا الحقيقة العلمية للقارىء الكريم، أو ما استطعنا أن نصل إليه منها.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن ننوه بأننا قد توخينا تتبع الحركات والمذاهب الحية التي لها وجود واقعي ملموس في عالم اليوم متجنبين تلك الحركات والتيارات التي اندثرت وعفى عليها الزمن وتجاوزتها ذاكرة التاريخ.

وإننا لم نغفل الحركات التاريخية المندثرة تقليلاً من شأنها، ولم نعرض المذاهب المعاصرة إعلاء من قيمتها، بل فعلنا ذلك لرغبتنا في تقديم زاد فكري ثقافي موثوق لأبناء الجيل المعاصر حتى يعرفوا توجهات هذا العصر، وليكونوا على بينة من ذلك كله فيكون بوسعهم اتخاذ الموقف المناسب منها رفضاً أو قبولاً.

وقد رتبنا مواد هذه الموسوعة بطريقة معجمية؛ لأن ذلك يحقق لنا فائدتين أساسيتين:

الأولى: سهولة استعمالها، **والثانية**: سهولة إضافة أية مادة جديدة في المستقبل في طبعة قادمة، إذ تقع موقعها المقرر من الترتب المعجمي.

أما المنهج الذي سارت عليه الدراسة عن كل فرقة أو حزب أو دين أو تيار فهو على النحو التالي :

١ ـ **التعريف** : وهو مقدمة للدراسة ومدخل لها، وهو عبارة عن تعريف وجيز مركز يكاد يلخص الموضوع كله .

٢ ـ **التأسيس وأبرز الشخصيات** : وهنا يأتي الحديث عن البدايات الأولى التي شهدت مولد الفكرة وتفكير قادتها وظروف نشأتها ، كما يتم التعريف بالزعماء البارزين الذين تركوا آثاراً واضحة على الحركة ، وكان لهم دور مهم في مسيرتها .

٣ ـ **الأفكار والمعتقدات** : وهنا يكون الحديث عن العقائد والأفكار وأهم الخصائص التي تتصف بها الحركة ، وعقلية وسلوك أبنائها ، وتبيان طريقتهم ومنهجهم في التفكير ، وفيه ذكر لمبادئهم ولكل ما يتعلق بهم ، وهو أهم وأوسع مادة في كل حركة أو مذهب .

٤ ـ **الجذور الفكرية والعقائدية** : وفيه عرض للمنابع التي استقت منها هذه الحركة أو تلك مبادئها ومعتقداتها .

٥ ـ **الانتشار ومواقع النفوذ** : وتحت هذا العنوان يجري الحديث عن المناطق التي سادت فيها أفكار الحركة ومبادئها ، وبيان مقدار نفوذها ومصادر دعمها وقوتها .

٦ ـ **مراجع للتوسع** : إذ يتم ذكر أهم المراجع المتوافرة لإتاحة الفرصة لمن أراد التوسع في البحث والمزيد من الاطلاع .

وبعد : فإنه من المناسب أن نقدم بين يدي الكتاب اعتذاراً للقارىء الكريم عما قد يجده فيه من نقص أو ضعف ؛ ذلك أن صعوبة الموضوع وتنوع أبحاثه وتشعب مذاهبه فضلاً عن الغموض وقلة المراجع لبعض الحركات ، كل ذلك كان يشكل عقبات حقيقية تحول دون بلوغ ما نصبو إليه ، لكن عزاءنا في هذا العمل أنه يؤدي الهدف المرجو منه في إعطاء مجموعة من المعلومات الموثقة المركزة وبشكل متسلسل .

إننا نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا العمل الموسوعي ، وأصبنا فيه حظًّا من النجاح ، كما نرجو أن نوفق في المستقبل إلى المزيد من خدمة هذا الكتاب ، بإضافة مواد جديدة إليه ، ومراجعة المواد السابقة ، ومن هنا فنحن بحاجة إلى آراء وملاحظات الإخوة القراء ، وخاصة منهم من يعمل في البحث العلمي ، ويعنى بجانب أو أكثر من الجوانب التي عرضت لها الموسوعة . وسوف تكون الآراء والملاحظات الواردة محل العناية التامة بإذن الله .

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

وحدة الدراسات والبحوث

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين. وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية من الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، وقد نفدت الطبعة الأولى خلال أيام معدودة، ولم نستطع أن نستجيب للطلبات المتلاحقة التي وصلت إلينا في الندوة العالمية للشباب الإسلامي يطلب فيها أصحابها أن نزودهم بالموسوعة، ورأينا من الأفضل ألا ننتظر طويلاً لمراجعة المعلومات الواردة فيها مراجعة متأنية وإضافة ما نريد إضافته من مذاهب واتجاهات أخرى وعمل فهارس واسعة تسهل الوصول إلى المعلومة المطلوبة بأيسر طريق.

ونعتذر إلى القارىء الذي سيجد أن الموسوعة بقيت كما كانت في طبعتها الأولى، إذ اكتفينا بتصحيح بعض المعلومات عن الشخصيات البارزة التي تغيرت مواقعها، وقمنا بتصحيح الأخطاء المطبعية التي وردت في الطبعة الأولى، ومع هذا فما زلنا على وعدنا وعزمنا على إضافة معلومات أخرى توافرت لدينا عن مذاهب ومنظمات لها وجودها في الساحة، ومن المفيد أن تتضمنها الطبعات القادمة.

وفي هذه المناسبة نعبّر عن شكرنا وتقديرنا للذين قرؤوا الموسوعة ووجدوا فيها ضالتهم، وأعربوا عن شكرهم للندوة في إتاحة هذه المعلومات بسهولة ويسر. كما نشكر الذين وافونا بملاحظاتهم وأفكارهم تعقيباً وتعليقاً أو نقداً، ونعد إن شاء الله أن تكون موضع الاهتمام، ولهم منا خالص التقدير والدعاء بالمثوبة والأجر من الله.

والله من وراء القصد. وهو الهادي إلى سواء السبيل

الأمين العام

للندوة العالمية للشباب الإسلامي

د. مانع بن حماد الجهني

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فهذه هي الطبعة الثالثة، من «**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**»[١]، وهي الموسوعة التي وصفها الباحثون والدارسون، بأنها كانت خطوة بناءة، في مجال التأصيل العلمي المحايد، للدراسات الإسلامية المقارنة، وضرورة علمية لبلورة كثير من الحقائق الموضوعية، بشأن الأديان السماوية، والتصورات الوضعية، والمذاهب، والفرق، والحركات والتيارات الفكرية والسياسية، فسدَّت بذلك ثغرة كبيرة في المكتبة الإسلامية، ووضعت معالم موضوعية على طريق استلهام الهداية الإلهية. ولذا تلقتها العقول بالقبول، وعكفت على ترجمتها إلى عدد من اللغات الحية، جهات وجماعات علمية إسلامية.

ونحن إذ نصدرها في ثوبها الجديد ومحتواها المضاعف نأمل أن تُعمِّق أهدافها المرسومة وتتجاوز ما كان بها من تقصير، من خلال منهج ميسر، وعرض مبسط، ومناقشة تخلو من كل تزايد أو تعقيد.

ونود أن نشير في مقدمة هذه الطبعة إلى مجموعة من الحقائق المترابطة والمتكاملة التي واكبت هذا الإصدار وهي:

١- إن هذه الطبعة، هي في الحقيقة مراجعة شاملة ومتكاملة ومضاعفة للطبعة السابقة، إذ تمت مراجعة كل موادِّها مادة مادة، من النواحي الموضوعيَّة والشكلية واللغوية والمنهجية، وسيلمح القارىء ذلك في مجالات التعريف والتأسيس وأبرز الشخصيات والأفكار والمعتقدات والجذور الفكرية والعقائد والانتشار ومواقع النفوذ، وما شفعنا به كل ذلك من محصلة نهائية لتأصيل ما دار من عرض أو تحليل وتفصيل، تأكيداً لما احتاج إلى بيان، وتحديداً لما كان يستلزم الضبط، وتنبيها لما ينبغي أن يظل عالقاً بالأذهان من حقائق دون أن يؤثر ذلك على منهج العرض الموضوعي لها، وأتبعنا كل ذلك بالمراجع الثابتة والمستجدة.

٢- تحتوي هذه الطبعة على مذاهب ومداخل جديدة، رأينا إضافتها إليها، لتغني القارىء عن البحث عنها في مصادر أخرى، فقد كانت الطبعة السابقة تنطوي على ثمان وخمسين مادة، أما هذه الطبعة فتشتمل على مائة وعشرين مادة ونيفٍ، اتسمت بدورها بنزاهة العرض، وتحاشي الإسهاب والتزام الأمانة العلمية، والنأي عن أي تهجم أو تجريح، وبذا

---

(١) هذا عنوان الطبعات السابقة.

ستظل الموسوعة كُلاًّ متجانساً، بحيث يستطيع القارىء أن يلمس الحق بيسر وسهولة فيقترب منه بفطرته السليمة وروحه السوية المستقيمة.

٣- كما تحتوي هذه الطبعة ملحقاً بمعاني أبرز المفردات التي وردت بالمتن، مما قد يشكل على القارىء العادي فهمه، وقد أعد هذا المعجم خارج الموسوعة ليجنب القارىء مؤنة البحث عن معاني تلك المفردات. وقد روعي في إعداده الجمع بين بساطة المعنى ووضوحه وشموله دونما تبسيط ممل أو اختصار مخل بما يناسب نهج الموسوعة في التأصيل العلمي الموضوعي. وقد وضعنا تعميماً للفائدة علامة (*) بجانب مفردات المعجم عند ورودها في المتن. كما تم تبويب المعجم أبجديًّا تيسيراً على القارىء عند البحث.

ومما تحسن الإشارة إليه هنا: أن بعض مداخل الموسوعة، وكذلك المعجم، يغلب عليها الاختصار تارة، أو التفصيل النسبي تارة أخرى خلافاً لمنهج الموسوعة. والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين:

(أ) أهمية الموضوع المعالج وصلته بالعصر الحديث.

(ب) الأهمية التي توليها الندوة للموضوعات التي عولجت بتوسع، إما تشجيعاً أو تحذيراً.

٤- وتأكيداً على أن الإسلام هو الإطار الذي يحدد معالم هذه الموسوعة، والمنظار الذي ترى منه موادها كافة، فقد كان من الضروري إفراده بمادة مستقلة، لإعطاء نبذة سريعة وميسرة عن هذا الدين الكامل الذي شاء الله تعالى أن يكون ناسخاً لكل الأديان، وأن يتخذ صفة العالمية والدوام للناس حتى تقوم الساعة، أما باقي المواد المضافة فقد كانت في مجال المذاهب الأدبية والفقهية وبعض الأحزاب والحركات والتيارات السياسية. ويلاحظ في هذا الصدد أننا لم نضف كل ما كنا نود إضافته، ولكن الإلحاح في طلب الموسوعة من الجهات والبلدان والأصقاع كافة جعلنا نكتفي بما أعددناه، آملين أن نضيف إليها مستقبلاً بعض المواد الأخرى التي ما زالت قيد البحث والدراسة والتمحيص.

٥- أما من الناحية المنهجية، فإن مواد الموسوعة كانت قد رُتبت في الطبعات السابقة ترتيباً أبجديًّا، وكان لذلك محاسنه، من حيث اتفاقه مع منهج الموسوعات العلمية في العرض، وما يستتبع ذلك من سرعة الوصول إلى الموضوع المطلوب دون نظر إلى موقعه من بقية الموسوعة. وقد حافظنا على هذه الميزة فأضفنا فهرساً أبجديًّا يسهل الرجوع السريع إلى مداخل الموسوعة المتعددة. أما هذه الطبعة، فقد تم ترتيب موادها، ترتيباً أكثر عمقاً وأبلغ أثراً في نفس القارىء، وهو ترتيب يعتمد على الموضوعات وصلة بعض موادها ببعض.

* فبدأنا بالإسلام باعتباره دين عقيدة التوحيد الناسخ لما عداه من الأديان السماوية، والذي أوحى الله تعالى به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، وكلفه بتبليغه للناس كافة، ثم عرضنا

لبعض ما تفرع عنه ونشأ في كنفه من مذاهب فقهية وحركات سلفية وإصلاحية سنية، وفرق وجماعات منحرفة، أملاً في تأكيد ضرورة العودة الدائمة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، فهما وحدهما معيار الاتِّباع وسلامة العقيدة.

* ثم أتْبعنا ذلك باليهودية وما تفرع عنها من فرق ومذاهب وحركات.

* ثم عرضنا للنصرانية وما نشأ في كنفها من مذاهب وفرق وجماعات.

* ثم تناولنا الأديان الشرقية وما دار في فلكها من مذاهب وفلسفات.

* ثم أتبعنا ذلك كله بدراسة المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية ثم بعض النظريات والفلسفات السياسية والاقتصادية التي سيطرت على الفكر الإنساني مدة من الزمن ثم انطفأ بريقها وتهاوت أعلامها أو كادت.

وحتى تؤتي هذه الطريقة في العرض ثمرتها المرجوة فقد بدأنا كل موضوع من الموضوعات الرئيسة بمقدمة قصيرة تمهد له وتساعد على فهمه. وحاولنا جاهدين ألا يُخلَّ ذلك بالتسلسل العام لكل المواد، ولم نعط أي مقدمة رقماً في سجل مواد الموضوع على الرغم من أهمية ما ورد فيها من مادة علمية.

ولقد حرصنا كل الحرص على الإفادة من الآراء جميعاً، سواء أكانت مادحة أم قادحة، إيجابية أم سلبية. ومع ذلك فقد صعب علينا في بعض الأحيان، التوفيق بين هذه الآراء لتناقض بعضها مع البعض الآخر، فأتباع المذاهب والأحزاب يحرصون على إظهار الإيجابيات فقط، بل تضخيمها في أحيان كثيرة؛ بينما يود المخالفون إبراز السلبيات وإغفال الإيجابيات أو على الأقل تحجيمها. ولا شك أن الحق يقع بين الفريقين، وهذا ما جعلنا نتخذ الموقف الذي نعتقد أنه أقرب إلى الصواب. ومع ذلك فإننا لا ندّعي الكمال لهذا العمل، ولكنه غاية ما استطعنا الوصول إليه في هذه المرحلة، ولذا فإننا نقتبس بشأنه ما قاله العماد الأصفهاني تأكيداً على عدم خلو أيِّ عملٍ إنسانيٍّ من النقص، أو الهنات، ونقول إنه: «لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر». فاللهم ما كان من نقص في هذا العمل فاغفر لنا تقصيرنا فيه، وألهم من يكتب لنا عنه الصواب وألهمنا أن نستجيب له، باعتباره الحق، والحق أحق أن يتبع. واللهم ما كان من خير في هذا العمل، فاجعل لنا كفلاً منه ليشد من أزرنا، ويساعدنا على بذل أقصى طاقاتنا لخدمة الإسلام والمسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. مانع بن حماد الجهني

الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان. وأعطاه القلم ليسطر به المعلومات فتحفظ على مر الزمان والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فبالرغم من حداثة الطبعة الثالثة التي خرجت إلى الناس قبل أشهر معدودة فقد نفدت هذه الطبعة من **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** بأسرع مما توقعنا، وكان الإقبال عليها مشجعاً ودافعاً إلى المزيد من الجهد. وقد لاقت الموسوعة هذا القبول الحسن لأنها سهلة الاستعمال، موثقة المعلومات، تحقق رغبات الدارسين، وتلبي طلبات المراجعين بأيسر طريقة، وأسلس عبارة، وأصح معلومة وأدقها، مسترشدة بالمبادىء والقيم التي رضيها الله للناس، وكملها لهم وأتمها عليهم، متحلية بالنزاهة والتجرد في كل ما تعرضه من أديان ومذاهب وآراء، غير مشوهة لها ولا متحاملة عليها، ملتزمة في العدالة والإنصاف بقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

ومع شعورنا بالتقصير واعترافنا بالنقص فإننا نحرص في الموسوعة على الكمال ونسعى إليه، ونعمل بدأب واستمرار للاقتراب منه.

وها نحن نقدم للقراء هذه الموسوعة في طبعتها الرابعة، بعد أن غلبنا الإلحاح، وألحف علينا في الطلب، فاستجبنا، وقدمناها بشكلها العام الذي صدرت فيه في طبعتها الثالثة، مع إدخال بعض التعديلات الضرورية والتصحيحات الملحة والزيادات التي اقتضتها الدقة العلمية والمستجدات في الساحة العالمية، استجابة لمن كتب إلينا، أو أمدنا بمعلومات جديدة. وقد أعدنا كتابة فصل اليهودية ووسعنا النورسية وصححنا بعض الأمور عن الشيعة الاثني عشرية والزيدية وراجعنا الديوبندية وغيرها من المداخل.

وكنا نؤثر أن نتأنى في إصدار هذه الطبعة حتى تتوافر لدينا التنقيحات والزيادات التي نراها أو تصل إلينا، ولكن الطلب المتواصل لها بعد نفاد نسخها، دفعنا إلى التعجيل في هذه الطبعة، مزودة بما تيسر من زيادات وتقويمات. وما زلنا نتقدم بها إلى قرائنا الأعزاء آملين أن يجدوا فيها ما يصبون إليه ويبحثون عنه، وما هم بحاجة إليه، كما نطلب ممن يطلع منهم على نقص يستوجب زيادة، أو ثغرة جديرة بأن تسد، أو سهو يستدعي التنبيه إليه، أو فكرة تحتاج إلى إعادة نظر.. نطلب منهم ألاّ يبخلوا علينا بالكتابة، إلينا، فالصدر رحب، وفي الطبعات التالية متسع، والغاية دائماً هي الحق والصواب والأمانة.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل للإخوة الذين كتبوا إلينا ناقدين فقد استفدنا من ملاحظاتهم واستعنا بأفكارهم فجزاهم الله خيراً. ونسأل الله تعالى أن يمكننا من خدمة الحق، وأن يوفقنا إلى الصواب، وأن يتقبل هذا العمل ويجعله في ميزان حسناتنا، إنه سميع مجيب.

د. مانع بن حماد الجهني

الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

القسم الأول

الإسلام

الفرق العقائدية
والمذاهب الفقهية
والحركات التي نشأت في كنفه

- الفصل الأول: مقدمة عامة
- الفصل الثاني: الإسلام
- الفصل الثالث: الفرق العقائدية في التاريخ الإسلامي
- الفصل الرابع: من المذاهب الفقهية في الإسلام
- الفصل الخامس: الحركات الإصلاحية الحديثة
- الفصل السادس: الصوفية وما تفرع عنها وما تأثر بها
- الفصل السابع: من الجماعات الغالية
- الفصل الثامن: جماعات تدعو لإعادة الخلافة
- الفصل التاسع: جماعات عنصرية
- الفصل العاشر: الحركات الباطنية والمناوئة للإسلام
- الفصل الحادي عشر: من الأحزاب والحركات والاتجاهات المعاصرة

الفصل الأول

مقدمة عامة

الإسلام هو استسلام وطاعة. استسلام إراديٌّ للمنهج[*] الذي ارتضاه الله، وطاعة الرسول ﷺ في كل ما بلَّغ عن ربه في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ونقطة البداية في هذا الدين[*] أنه لا اجتهاد[*] في أصول الإسلام، فأداء الشهادتين هو المدخل إلى الإسلام، ومنهما ينطلق الإنسان في إتيان أركان الإسلام والإيمان والإحسان، دون أن يكون له حق تغيير طبيعة أيٍّ من هذه الأركان، فالإسلام يتنافى مع القول بوجود أكثر من إله[*]، ولا يقبل القول بتغيير طبيعة الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج، أو نفي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أما ما عدا الثوابت مما يعد من الفروع فالاجتهاد[*] فيها حق لكل مسلم توافرت له أدوات الاجتهاد في نطاق الكتاب والسُّنة.

وهذه المسألة هي المعيار الذي يستطيع من خلاله كل قارىء لهذه الموسوعة بوجه عام، ولموضوع الإسلام بوجه خاص، أن يفرق بين الحق والباطل.

ومن هذا المنطلق جاء تقسيمنا للموضوعات التي عرضنا لها في رحاب الإسلام. فقد عرضنا أولاً للإسلام، فأعطينا القارىء فكرة عامة عنه، تعريفاً وتبليغاً، وتكويناً للدولة الإسلامية وبياناً لمعالم الحضارة الإسلامية وغير ذلك من الأمور التي تثبت للمسلم أنه يعتنق الدين الحق، وتبين لغير المسلم طريق الهداية إن أراد الاستقامة والدخول في دين الله.

ثم تناولنا، موضوع المذاهب[*] الفكرية والعقائدية والفقهية، وبدأناها بمذهب أهل السنة والجماعة[*] فهو الميزان الضابط، والحكم العدل على ما عداه من فرق ومذاهب؛ لأنه يمثل الأصل فيما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته.

وإذا كانت عقيدة أهل السنة والجماعة تتمثل في الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، من غير تحريف[*] ولا تعطيل[*] ولا تكييف[*] ولا تمثيل[*]، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والإيمان بأن الله خلق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، والعبد فاعل حقيقي، وأنهم لا يكفِّرون أحداً من أهل القبلة بالذنوب ما لم يستحلها، ولا يحكمون بخلود أحد من أهل الإيمان في النار، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، هم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في

الخلافة(*)، وأن من قدَّم عليًا على عثمان فقد قال بغير علم وضل عن الحق في ذلك؛ فإن مذاهب أهل السنة الأربعة في الأصل تتمسك بهذه العقيدة.

وقد أَتْبَعْنَا ذلك بعرض المذاهب لغير أهل السنة، واقتصرنا منها في هذا الإصدار على مذاهب الإباضية والشيعة الإمامية والزيدية والمعتزلة، ثم أتبعنا ذلك بأشهر الفرق الكلامية والمنتسبة لأهل السنة والجماعة(*) بالمعنى العام: الأشاعرة والماتريدية حتى يقارن القارىء، ويقف على الحقيقة المجردة بنفسه، ويعلم أن الحق مع أهل السنة والجماعة، ومن خالفهم فقد خالف الحق.

ونشير إلى أن الإباضية يخالفون أهل السنة والجماعة في مسائل أساسية منها قولهم بأن القرآن مخلوق، وأن مرتكب الكبيرة كافر ـ كفر نعمة ـ وإنكارهم الرؤية، أما الزيدية فهم أقرب الفرق الشيعية إلى منهج(*) أهل السنة والجماعة ولكنهم على الرغم من إقرارهم بصحة خلافة عثمان، إلا أنهم يؤاخذونه على بعض الأمور. وعلى العكس من ذلك تماماً تتمسك الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بحق علي رضي الله عنه في الخلافة(*) دون أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وقالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم السرداب. ويقررون له الرجعة(*) وللأئمة العصمة ويبيحون التقية(*) والمتعة ويسبون كبار الصحابة ويغلون في شخص علي رضي الله عنه غلواً(*) كبيراً.

ثم عالجنا المدارس الفقهية الأربع المعروفة بمذاهب أهل السنة، وانتقينا من المذاهب الفقهية غير السنية مذهب(*) الجعفرية. وهذه المذاهب هي في حقيقتها مدارس فقهية، ولذا عرضنا لها ليستطيع القارىء صدَّ هجمات أعداء الإسلام التي تزعم زوراً وبهتاناً أن الإسلام منقسم إلى مذاهب تشبه المذاهب التي انقسمت إليها النصرانية، مثلاً؛ فالمدارس الفقهية في الإسلام هي اجتهادات خاصة في مسائل فرعية لا تتجاوزها بحالٍ إلى حقيقة التوحيد أو طبيعة أركان الإسلام والإيمان والإحسان، بعكس المذاهب التي انقسم إليها دين النصارى، مثلاً، وهي الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية، فهي مذاهب تختلف في جوهر الدين وفي تصور طبيعة المسيح عليه السلام، ولذا فإن القارىء عندما يستوعب حقيقة مدارس أهل السنة الأربع الباقية حتى الآن، وهي المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية، يعلم يقيناً أنها تتفق في أصول الإسلام، وما هي إلا مجرد اجتهادات في الفروع، لذا عالجنا هذه المذاهب الفقهية التي لم تغلق الباب أمام الاجتهاد(*)، بل قدمت آراءً فقهية يمكن الأخذ بها ويمكن الاجتهاد دونها، ثم أتبعنا ذلك ببيان دعوتين لهما دعاتهما وأثرهما في العالم الإسلامي، الأولى هي دعوة الاجتهاد لمن تتوافر له أدواته ونبذ التقليد(*) والتعصب المذهبي، والثانية على العكس

من ذلك إذ تدعو إلى غلق باب الاجتهاد(*) ووجوب التزام المذاهب، وتتميز بالتعصب لها. وقد سبق أن أتبعنا ذلك المذهب(*) الجعفري كما تقدم.

● وإزاء ما تطرق إلى عقيدة التوحيد من بدع وشركيات فقد ظهرت دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب السلفية في العصر الحديث امتداداً وتجديداً للدعوة السلفية(*). وقد تناولنا هذه الدعوة بشيء من التفصيل. ولا شك أنها حركة(*) سلفية إصلاحية، بل هي رائدة حركات الإصلاح في العصر الحديث؛ وذلك لأن الحركات الإصلاحية الأخرى كافة أفادت من هذه الحركة السلفية، وتأثرت بها بقدر متفاوت، ولقد اتسمت هذه الدعوة السلفية بسمات ثابتة أهمها: أنها حركة تدعو إلى العودة بالعقيدة الإسلامية، كليَّةً، إلى أصولها الصافية، فما كان في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو الحق المبين الذي لا يجوز تجاوزه قيد أنملة، كذلك تدعو هذه الحركة، بل تلحُّ، على تنقية مفهوم التوحيد مما علق به من أنواع الشرك، مع إحياء فريضة الجهاد(*) والقضاء على البدع(*) والخرافات، ونبذ التوسل المبتدع، والتصدي لشطحات الطرق الصوفية، ومنع بناء القبور وكسوتها وإسراجها، مع إيقاظ الأمة فكرياً لتبني حضارة الإسلام الحقيقية بعد أن ران عليها ركام التخلف والخمول والتقليد(*). وتمتاز هذه الدعوة بأن التوحيد كان صلب مؤلفات صاحبها ومؤسسها، وتلك خصائص لم تجتمع في واحدة من سائر الحركات.

- ثم عرضنا لبعض الحركات السلفية مثل: أهل الحديث في شبه القارة الهندية التي ظهرت تجديداً لدور أهل الحديث في شبه القارة الهندية، والذي ازدهر في الفترة من القرن الخامس الهجري إلى القرن العاشر الهجري وبخاصة في عهد السلطان محمود الغزنوي (ت٤٢١هـ).

وقد بدأت مسيرةَ الجهاد(*) ضد الاستعمار(*) الإنجليزي بقيادة الشاه محمد إسماعيل الدهلوي، كما اهتمت بالدعوة إلى الإسلام الصحيح وتنقية مفهوم التوحيد من أدران الشرك والوثنية، والقضاء على البدع(*) والخرافات ونبذ التعصب المذهبي. ولأهل الحديث آثار علمية مشهودة في مجالات خدمة الحديث والكتابة والتأليف وبناء المدارس والجامعات.

وجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والسودان وغيرهما، والتي قامت على أسس المنهج(*) السلفي(*) في العقيدة والاتباع، إذ دعت إلى التوحيد الخالص واتباع السنة الصحيحة، ونبذ البدع والخرافات، وتصدت لغلاة المتصوفة والحركات الباطنية والعلمانية والتغريب، مما كان لها الأثر الإيجابي في حسر تيار التصوف وبيان عواره وانتشار الدعوة إلى الكتاب والسنة على نهج السلف الصالح.

● ولما كان مصدرا العقيدة والشريعة الأساسيان هما الكتاب والسنة، وكانت غالب الدول الإسلامية التي سقطت في قبضة الاستعمار الفرنسي والإنجليزي قد خلعت رداء شرع الله، وطبقت الأنظمة والقوانين الوضعية(*)، وانحرفت عن هذين المصدرين الأساسيين، لذلك فقد قامت حركات إصلاحية تستهدف ـ أساساً ـ العمل بالشريعة الإسلامية(*) في شتى مناحي الحياة.

ومن هنا عالجنا تلك الحركات الإصلاحية الحديثة ممثلة في حركة(*) الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية بشبه القارة الهندية وحركة الاتجاه الإسلامي بتونس وحزب(*) السلامة الوطني بتركيا والحزب الإسلامي الكردستاني والجبهة(*) الإسلامية القومية بالسودان وحركة حماس أي (حركة المقاومة الإسلامية) في فلسطين والجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر.

ويلاحظ في هذا الصدد أمور منها:

ـ أن حركة(*) الإخوان المسلمين هي من الحركات الإسلامية المعاصرة التي تنادي بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسُّنة مع وجوب العمل بالشريعة الإسلامية(*) في واقع الحياة والتصدي للحركة العلمانية من خلال منهج متكامل.

ـ أن الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية والتي أسسها الشيخ أبو الأعلى المودودي، تأثرت تأثراً كبيراً بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وتأثرت كذلك ببعض مناهج(*) حركة الإخوان المسلمين، من حيث النظر إلى أن العمل بالشريعة الإسلامية(*) هو أول الأولويات بعد الإيمان، إلا أنها لم تركز كثيراً على العقيدة والتوحيد كما ركزت عليهما الدعوة السلفية(*).

ـ أن حركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة) بتونس تتبنى الكثير من المفاهيم الفكرية للإخوان المسلمين، بالإضافة إلى تأثرها الواضح بمنهج المدرسة العقلية في التاريخ الإسلامي.

ـ أن حزب السلامة (الرفاه) الوطني بتركيا حزب(*) إسلامي يهدف إلى إعادة بناء الحياة على أساس مبادىء الإسلام، إلا أنه يحول دون نشاطه الديني الحقيقي وقوف التيار العلماني أمامه؛ إذ إن أنظمة تركيا العلمانية لا تسمح بالترخيص لأي حزب(*) أو جماعة دينية، ولذا اختار هذا الحزب الطريق السياسي وسيلة لتحقيق أفكاره على أرض الواقع.

ـ كما أن الحزب الإسلامي الكردستاني تأثر بحركة الإخوان المسلمين، وله وجود خارج البلاد العربية.

ـ أن الجبهة(*) الإسلامية القومية في السودان تأسست جبهة واحدة ضد كل الأحزاب

الأخرى غير الإسلامية، وعلى الرغم من أنها منبثقة عن حركة الإخوان المسلمين إلا أنها استقلت عنها وقدمت اجتهادات كان بعضها محل انتقاد الإخوان المسلمين والسلفيين على حد سواء.

ـ كذلك فإن حركة حماس حركة جهادية فلسطينية خرجت من محاضن الإخوان المسلمين بفلسطين، ترفض الحلول السلمية للقضية الفلسطينية وتراها مضيعة للوقت، كما ترى أن أرض فلسطين وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التنازل عنها، أو التفريط بأي جزء منها.

ـ أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر نادت بالعودة إلى الإسلام باعتباره الحل الوحيد للإصلاح والقادر على إنقاذ الجزائر مما تعانيه من أزمات اجتماعية واقتصادية وغيرها. ومن هنا فإنها حركة(*) سلفية(*) في الجملة قد تأثرت بحركة الإخوان المسلمين في بعض تصورها.

ـ أن هذه الحركات لا تخلو من مآخذ منهجية ولكن ذلك لا يلغي ما لها من حسنات وإيجابيات.

● ولما كان يتبين مما تقدم أن الإسلام هو دين صفاء العقيدة وسمو الشريعة، وأنه في جوهره دين(*) بلا فرق ولا طرق، فإنه كان لا بد من تأكيد هذه الحقيقة وذلك بعرض موضوعات يتعين على المسلم أن يعي أبعادها. ولهذا فقد عرضنا للصوفية وبعض ما تفرع عنها من الطرق مثل: الشاذلية والتيجانية والسنوسية والختمية والبريلوية. والتصوف في بدايته كان دعوة لتربية النفس والسمو بها، وكان بذلك رد فعل للترف الحضاري، شأنه شأن الزهد، وإن كان الزهد أبسط وأيسر ولا علاقة له، من حيث الأصل، بالتصوف، الذي تطور بعد ذلك ونحا بالدين منحىً غير مقبول، إذ قسَّم الصوفيةُ الدين إلى شريعة وحقيقة، وقالوا إن الشريعة هي الظاهر من الدين، وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع، أما الحقيقة فهي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار، وغير ذلك من أمور يمكن الوقوف عليها من قراءة الموضوع.

ـ أما السنوسية فهي، وإن كانت قد تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، إلا أنها نحت نحو الصوفية شبه الصحيحة الخالية من البدع والخرافات كالتوسل بالأموات والصالحين، ولها في هذا الصدد منهج(*) متكامل، ولكن السنوسي أخذ من الصوفية أساليب البيعة(*) ودرجات التزكية الروحية مثل درجة المنتسب ثم درجة الإخوان ثم درجة الخواص، وهي بلاشك أساليب ووسائل مبتدعة.

ـ وأما الشاذلية فهي طريقة صوفية بحتة، وتشترك مع كل الطرق الصوفية في كثير من أفكارها ومعتقداتها، شأنها في ذلك شأن التيجانية، وإن كانت التيجانية تذهب إلى إمكان

مقابلة النبي(*) ﷺ مقابلة مادية في الحياة الدنيا. وكذلك شأن الختمية التي غلت في شخص الرسول(*) ﷺ غلوًّا كبيراً.

- أما البريلوية التي نشأت في شبه القارة الهندية إبان الاستعمار الإنجليزي، فقد زاد غلوهم في الأنبياء والأولياء، وبخاصة في شخص النبي محمد ﷺ.

- ثم عرضنا لبعض جماعات الدعوة المتأثرة بالصوفية كالديوبندية والمهدية في السودان وجماعة التبليغ في الهند والنورسية في تركيا بفكرتها المتقدمة.

● ثم عالجنا، من الجماعات الغالية: جماعة المسلمين كما تطلق على نفسها أو التكفير والهجرة حسب التسمية الإعلامية، وهي جماعة نشأت ردًّا على الاضطهاد والتعذيب داخل السجون المصرية، ثم كثر أتباعها في صعيد مصر وبين طلبة الجامعات. وهذه الجماعة تُكفِّر كل من ارتكب معصية وأصر عليها ولم يتب منها، كما تُكفِّر(*) الحكام؛ لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، وتُكفِّر المحكومين؛ لأنهم رضوا بهؤلاء الحكام، وتكفِّر علماء الدين؛ لأنهم لم يكفِّروا الحكام والمحكومين وهكذا.

● ثم تناولنا، بعض الجماعات التي تدعو لإحياء الخلافة(*) الإسلامية وهي الجماعة الإسلامية بمصر وحزب التحرير الإسلامي. فالجماعة الإسلامية نشأت في جمهورية مصر العربية لتدعو إلى الجهاد(*) إذ تعده الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين اليوم، وذلك من أجل إقامة الدولة الإسلامية ثم الخلافة الإسلامية.

كما يدعو حزب التحرير، أيضاً، إلى إقامة الخلافة الإسلامية، ولكن صدرت عن هذا الحزب الذي تأسس في فلسطين اجتهادات شرعية عديدة كانت محل انتقاد جمهور علماء المسلمين.

● ثم عرضنا أمة الإسلام في الغرب، كمثال للجماعات العنصرية، وهي حركة ظهرت بين السود في أمريكا وتبنت الإسلام بمفاهيم خاصة غلبت عليها الروح العنصرية، وقد بدأت هذه الحركة(*) تصحح من معتقداتها مؤخراً.

● ثم تناولنا، أهمَّ الحركات الباطنية(*) والمناوئة للإسلام: اليزيدية والقرامطة والإسماعلية والأنصار والبابية والبهائية والبريلْوية والحزب الجمهوري والحشاشين والدروز والقاديانية وأمل والنصيرية، والخمينية، وكلها تشترك في الكيد للإسلام الصحيح والرغبة في القضاء عليه.

● ثم تناولنا، بعض المذاهب(*) السياسية غير الدينية وهي أحزاب(*) موجودة في بلاد المسلمين، ويشفع لنا بوضعها ضمن هذا الباب أن غالبية المنتمين إليها مسلمون، وأن رياح

الصحوة بدأت تهب على بعض قطاعاتها خصوصاً بعد سقوط الشيوعية، وفيما يلي عرض لأهم هذه الأحزاب:

ـ القومية العربية: وهي حركة(*) سياسية متعصبة تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة موحدة لهم تقيم روابط الدم والقرابة واللغة والتاريخ مقام رابطة الدين(*).

ـ حزب الوفد المصري: وهو حزب شعبي مصري ليس له توجه ديني معين. وكان يمثل حزب الأغلبية قبل ثورة ١٩٥٢م وهو الآن حزب معارض يتخذ اسم الوفد الجديد، وقد كان مؤسسوه الأوائل، لا سيما سعد زغلول، علمانيِّي النزعة، ومن أنصار تحرير المرأة بالمعنى المعروف في الغرب، ولم يقدم الحزب أي تصورٍ عقديٍّ له.

ـ حركة تحرير المرأة: وهي حركة علمانية نشأت في مصر وانتشرت في كثير من البلاد الإسلامية داعية إلى تحرير المرأة من الآداب الإسلامية، وسفورها والتمرد على الأحكام الشرعية، ومن ثم المطالبة بتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات والمساواة في الميراث ومجاراة المرأة الغربية في كل شيء. ويشاء الله سبحانه وتعالى أن تفرض العقيدة الإسلامية نفسها، فتنمو الفضيلة من خلالها، وتعود المرأة في كل معاقل تلك الحركة إلى الإسلام، وتحدث المفاجأة وهي أن بعض الأقلام تتصدى لهذه العودة إلى الحق وتصفها بالرجعية، ويبقى للقارىء أن يحكم على تلك الأقلام بعد أن يطالع أبعاد هذه الحركة المنهارة.

ـ الحزب الديمقراطي الكردستاني: وهو على العكس من حزب السلامة الوطني التركي، يعد حزباً علمانياً اشتراكياً، ويهدف إلى تحقيق الحرية والحكم الذاتي للشعب الكرديِّ ضمن الدولة الإيرانية.

ـ الحزب القومي السوري: وهو حزب(*) يدعو إلى القومية السورية واعتبارها مستقلة عن القومية العربية، ويحارب رجالاتُ هذا الحزب الدين بكل قواهم.

ـ البانتشاسيلا: وهي مبادىء خمسة أعلنها الرئيس الإندونيسي السابق سوكارنو غداة الاستقلال سنة ١٩٤٥م ووضعت في دستور دولة إندونيسيا ليسير على هديها الشعب الإندونيسي المسلم بدلاً من العقيدة الإسلامية.

ـ حزب البعث العربي الاشتراكي: هو حزب قومي علماني يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجُّه الاشتراكي بمنأى عن كل فكر إسلامي.

ـ الناصرية: وهي حركة قومية عربية، نشأت في ظل حكم جمال عبد الناصر واشتقت اسمها من اسمه وتبنت أفكاره وهي الحرية(*) والاشتراكية والوحدة وهي نفس أفكار الأحزاب اليسارية العربية الأخرى.

الفصل الثاني

الإســـــلام

● الإســـــلام ● عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة

١- الإســـــلام

التعريف:

● الإسلام لغة هو الاستسلام والانقياد والخضوع.

● أما في الاصطلاح فهو الدين(*) السماوي الخاتم الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء، وبعث به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ لهداية الثقلين: الإنس والجن، وتوحيده سبحانه وتعالى توحيداً خالصاً في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإذعان لمشيئته عن رضا واختيار، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده، من خلال إخلاص العقيدة، والتمسك بمكارم الأخلاق(*)، ومراقبة الله في العبادات، وذلك إقامةً لأركان الإسلام الخمسة، وإعمالاً لأركان الإيمان الستة وتمسكاً بجوهر الإحسان.

أبرز الشخصيات:

أساسيات

- الإسلام هو الدين السماوي الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى رسله، ومن أجل عبادته سبحانه خلق الثقلين: الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [الذاريات: ٥٦].

ولبيان ذلك للناس أرسل الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

ولما ضل الناس وحرفوا كتبهم وغلوا في أنبيائهم، وأشركوا بالله، بعث الله محمداً ﷺ، بهذا الدين المتين، الذي ارتضاه الله تعالى لكل البشرية إلى يوم الدين، وجعله الدين الحق عنده ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾. [آل عمران: ١٩]. والناسخ لما سواه، فلا دين سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

المُبلِّغ:

ـ ومحمد بن عبد الله ﷺ: هو الذي بلغ بأمانةٍ، رسالة الإسلام في صورتها الخاتمة، ونشر عقيدة التوحيد، وطبق شريعة الإسلام، فنقل الناس من الظلمات إلى النور وأخرجهم من الضلالة إلى الهدى، وأنقذ البشرية من براثن الشرك والوثنية(*)، وطهَّر المجتمع من أدران التحلل والفساد، ونشر الأمن وقمع الفوضى والاضطراب.

ـ والإسلام بمعناه العام هو دين(*) أنبياء الله تعالى ورسله كافة، فقد دعوا الخلق إلى عبادة الله الواحد القهار، وبلغوا رسالات الله، وكان هدفهم هداية الناس إلى الصراط المستقيم، وذكروهم بالنشأة والمصير، وحوَّلوا اهتمامهم من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، حتى جاء محمد ﷺ بالمنهج(*) الشامل والكامل لهداية الناس إلى يوم القيامة.

ـ والمسلم لا يكون مسلماً حقاً إلا إذا آمن بجميع أنبياء الله وملائكته وكتبه ورسله، وبأن الأديان السماوية كلها دعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وأن الأنبياء جميعاً أول العابدين لله، فهذا كان هدفهم ومحور دعوتهم، من لدن نوح عليه السلام إلى خاتمهم نبينا محمد ﷺ ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾. [الشورى: ١٣]. وأتى محمد ﷺ ليكون نبراساً ينير للأمة طريقها، ومشعلاً ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [المائدة: ١٦]. وهو صراط الفلاح والصلاح والنجاة، ولذا فإن الإسلام يستلزم بناء سياستنا وأحكامنا وأخلاقنا وآدابنا على هدي الكتاب والسنة بلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾. [الأنعام: ١٥٣].

● نبذة عن بعض جوانب العظمة في شخصية النبي(*) محمد ﷺ

لا يتسع المجال هنا للحديث عن سيرة النبي محمد ﷺ، ولكنا نشير إلى بعض المعالم التي تلقي الضوء على بعض جوانب العظمة في حياته ﷺ.

ـ فقد وُلِد ﷺ عام ٥٧١م، والمشهور أن أبا الرسول(*) ﷺ تُوفِّي وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ في بطن أمه، وأن أمه توفيت ولم يناهز السادسة من عمره، وقد أرضعته حليمة بنت الحارث السعدية، وبذا فقد رعاه الله تعالى، وهيأه لأن يكون ـ على الرغم من أميته ـ من أفصح

الخلق، وأخرج من صدره العلقة السوداء، وهي حظ الشيطان منه ليكون عبداً رسولاً ربانيا خالصاً لله سبحانه.

ـ وقد كان ﷺ يرعى الغنم في طفولته في بادية بني سعد، وقد عصمه الله مما كان يعمله أهل الجاهلية من عبادة الأوثان وسماع الغناء وغيره. وقد حضر حرب الفجار وكان ينبل لأعمامه، وشهد حلف الفضول، وخرج للتجارة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها، فربحت تجارتها معه ضعف ما كانت تربح، وقضى بين قريش عندما اختلفوا في بناء الكعبة، فوضع الحجر الأسود في ثوب وطلب من كل قبيلة أن تأخذ بناحية منه ثم رفع الحجر الأسود بيده وبنى عليه.

ـ وظاهرة بشارة أهل الكتاب برسول الله ﷺ بلغت حد التواتر، ولذا فإن تحريف التوراة(*) والإنجيل(*) لإخفاء نبوته كان تأكيدا لرغبة أتباع هاتين الديانتين في عدم ظهور عقيدة التوحيد مرة أخرى، وكان انتصار الإسلام وعقيدة التوحيد تأكيدا لصدق رسالته ﷺ. ومع ذلك فإن القراءة المدققة تكشف عن جوانب من هذه البشارة في التوراة والإنجيل الموجودين اليوم.

ـ وتتمثل بعض جوانب العظمة في حياة النبي محمد ﷺ فيما يلي:

١ ـ حفظ الله تعالى له ﷺ منذ طفولته وعصمته إياه، إذ كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأكثرهم أمانة، وأبعدهم من الفحش؛ لذلك سُمِّي في قومه: «الأمين»، وهكذا لم يكن يُتْمُه مدعاةً لخروجه عن سواء السبيل، ولا شبابه دون أب يرعاه سبباً في انقياده لرغبة أو هوى أو شهوة، بل رعاه الله فتزوج في الخامسة والعشرين من سيدة فاضلة هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

٢ ـ محافظته بعد بعثته وهو في الأربعين من عمره على كل ما يلزم الاقتداء به فيه من حيث اعتقاداته وأفعاله وأقواله وأخلاقه. وعندما أُمر بتبليغ ما أنزل إليه بعد ثلاث سنوات من نبوته قام يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وعندما أُوذي صبر على الأذى حتى أذن الله له بالهجرة(*) إلى المدينة المنورة، فجعلها ـ بعد هجرته مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه ـ مركز دعوته، إذ بدأ نشر الإسلام في ربوع العالم.

٣ ـ إجراء الله على يديه ﷺ معجزات ذكرها القرآن وكتب الحديث والسيرة منها: معجزة(*) الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وتآكل صحيفة قريش، ورد عين قتادة، وغوص قوائم فرس سراقة بن مالك في الرمال، وتحطيم صخرة الخندق، وحديث الشاة

المسمومة، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى، والبعير الشاكي، وتكثير الطعام، والبلاغة والفصاحة المتناهية على الرغم من أميته. وأما معجزته الخالدة فهي القرآن الكريم الذي لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. وقد ضمن الله حفظه من كل تغيير أو تحريف حين قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾. [الحجر: ٩].

٤ ـ تربيته ﷺ أتباعه من المهاجرين والأنصار على الإخلاص لدين الله والتفاني في نصرته والجهاد في سبيله، فخاضوا معه غزوات أهمها: غزوة بدر وأُحُد وبني النضير وخيبر وبني المصطلق والأحزاب والخندق وفتح مكة.. الخ، وكلها كانت حروباً عادلة، فقد كانت إمَّا ردًّا على عدوان أو دعوة إلى التوحيد ولم يحدث فيها أيُّ اعتداء على كرامة أيِّ إنسان.

وقد توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ هـ وله من العمر ٦٣ عاماً.

وقد اعترف بعظمته ﷺ كثيرٌ من الباحثين من غير المسلمين والمستشرقين المنصفين وأدلوا بشهادات لا تحصى ولا تعد سجلها التاريخ، وكلها تؤكد أن الإنسانية لم تر له مثيلا. ولعل من أحدث ما كتب في هذا المضمار ما سجله عالِم الذرة الأمريكي مايكل هارث في كتابه «الخالدون مائة»، إذ وضع محمداً ﷺ في هذه المجموعة كأعظم رجل عرفته البشرية في تاريخها، قائداً دينياً ودنيوياً لا نظير له، إذ يقول: «فلا عيسى ولا ماركس وإنما هو محمد الذي تبوأ سيرة أعظم رجل في التاريخ الإنساني».

● الخلفاء الراشدون

ـ الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة والمؤسسون الأولون للدولة الإسلامية ومنفذو هدي رسول الله ﷺ وهم:

١ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (١١ ـ ١٣ هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٣٤م)

خلف رسول الله ﷺ بعد أن بايعه المسلمون في سقيفة بنى ساعدة. ومن أهم أعماله: محاربة المرتدين، وجمع القرآن الكريم، وإنفاذ حملة أسامة بن زيد وتوجيه الجيوش لفتح بلاد العراق وبلاد الشام، ولكن المنية عاجلته إذ لم يستمر في الخلافة(*) سوى سنتين وثلاثة أشهر.

٢ ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (١٣ ـ ٢٣ هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٤م)

أوصى أبو بكر الصديق له بالخلافة من بعده وتم في عهده: الانتصار على الفرس بقيادة سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية، وفتح فلسطين ومصر على يدي عمرو بن العاص.

وقد أنشأ عمر رضي الله عنه نظام الخراج ورتب الدواوين ووضع التاريخ الهجري وأنشأ المدن ونظَّم الولايات، وعين القضاة وأنشأ نظام الحسبة والبريد.

وقد طعنه أبو لؤلؤة المجوسي بخنجر في المسجد وهو يصلي بالناس صلاة الفجر. وكانت وفاته رضي الله عنه في ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ الموافق ٣ نوفمبر سنة ٦٤٤م.

٣ ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه: (٢٣ ـ ٣٥ هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦م)

تولى الخلافة(*) بعد عمر بن الخطاب وفي عهده تم القضاء على الثورات(*) المعادية للإسلام، واستمر التوسع في الفتوحات الإسلامية، إذ غزا عبد الله بن أبي السرح والي مصر شمال إفريقيا وتخطت جيوش المسلمين نهر جيحون ودخلت بلاد ما وراء النهر على يد عبد الله بن أبي عامر.

وفي عهده تأسس أسطولٌ إسلامي فتح به المسلمون قبرص ورودس وهزموا البيزنطيين في معركة ذات الصواري سنة ٣١هـ (٦٥٢م).

عهد إلى زيد بن ثابت بكتابة المصحف فجمع المسلمين على وجه واحد في قراءة القرآن الكريم.

قُتل على يد بعض الخارجين من البصرة والكوفة ومصر بتحريض من اليهودي عبد الله ابن سبأ في ذي الحجة سنة ٣٥هـ الموافق (يونيو ٦٥٦م).

٤ ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (٣٥ ـ ٤٠هـ/ ٦٥٦ ـ ٦٦١م).

تولى الخلافة بعد مقتل عثمان وبدأ بعزل الولاة الذين كانوا مثار الفتنة، كما رد القطائع والهبات إلى بيت المال، فعارضه معاوية بن أبي سفيان فحدثت فتنة وخرج عليه من يعرفون بالخوارج وجرت معارك أهمها موقعة صفين والنهروان، وقد قتله عبدالرحمن بن ملجم الخارجي في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ. بعد أن أمضى أربع سنوات وتسعة أشهر في الخلافة(*) ودفن بالكوفة.

بعض قادة الفتح الإسلامي

● ومن أشهر القادة المسلمين:

ـ خالد بن الوليد: الذي تجلت عبقريته في غزوة مؤتة ولقبه الرسول(*) ﷺ بسيف الله، وقد حارب المرتدين وانتصر عليهم، ثم وجهه أبو بكر للقتال في العراق فصالح أهل الحيرة وفتح السواد، ثم خلَّف على العراق المثَّنى بن حارثة. وسار إلى الشام وانتصر على البيزنطيين

في معركة اليرموك وتوفي في حمص.

- **أبو عبيدة بن الجراح**: أخضع دمشق وحمص وأنطاكية وحلب.
- **سعد بن أبي وقاص**: فتح فارس واختط مدينة الكوفة.
- **عقبة بن نافع الفهري**: بنى القيروان ووصلت فتوحاته للمحيط الأطلسي.
- **موسى بن نصير**: أتم فتح الشمال الأفريقي وأرسل طارق بن زياد لفتح الأندلس ولحق به، وقد بلغ جبال البرينيه.
- **قتيبة بن مسلم الباهلي**: وقد وصل في فتوحاته شرقاً إلى حدود الصين.
- **محمد بن القاسم الثقفي**: هدى الله على يديه بلاد السند.
- **صلاح الدين الأيوبي**: هزم الصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) وحرر بيت المقدس.
- **الظاهر بيبرس البندقداري**: قاد الحملة التي سيرها السلطان المملوكي قطز ضد التتار وانتصر عليهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م).
- **محمد الفاتح**: فتح القسطنطينية سنة ٨٥٨هـ - ١٤٥٣م.

من أهم الشخصيات الإسلامية

- الإسلام دين(*) علم وحضارة، ومن أهم الشخصيات ذات الدور البارز في هذا الصدد:

١ - **في الفقه**: الإمام أبو حنيفة، وتوفي سنة ١٥٠هـ، والإمام مالك، وتوفي سنة ١٧٩هـ، والإمام الشافعي، وتوفي سنة ٢٠٤هـ والإمام أحمد بن حنبل، وتوفي سنة ٢٤١هـ، وهم مؤسسو مذاهب(*) أهل السنة(*) الأربعة التي بقيت بعد اندثار عشرات من مذاهب أهل السنة الأخرى.

ومن الشخصيات الإسلامية الأخرى في هذا المجال ابن حزم، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتليمذه ابن القيم، وغيرهم. وقد أسهموا جميعاً في إثراء الفقه الإسلامي استنباطاً من الكتاب والسنة، وفقاً لمفاهيمهم وترجيحاتهم. ومن أهم فقهاء الحركات الإصلاحية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الذي عاد إلى الأصلَيْن الأساسيَّيْن وهما الكتاب والسنة في كل ما ذهب إليه من فكر لإصلاح شأن المسلمين، وقمع الشركيات وحارب البدع(*) وأعاد الدين إلى صفاء عقيدة التوحيد.

٢ - **في التفسير**: في صدر الإسلام علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن

عمر وعبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت، وفي عهد التابعين سعيد بن جبير بن هشام الكوفي وجابر بن يزيد الجعفي ومجاهد بن جبر المكي وعطاء بن أبي رباح وعكرمة وطاووس بن كيسان اليماني، ثم سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وإسحاق بن راهويه وغيرهم من رجال الحديث.

ومن أشهر التفاسير تفسير محمد بن جرير الطبري المعروف بـ (التفسير الكبير) ثم تفسير ابن ماجه وتفسير النيسابوري وتفسير القرآن العظيم لابن كثير وغير ذلك.

٣ ـ **في الحديث والسنن**: كان أكثر من روى عن رسول(*) الله ﷺ أحاديثه، أبو هريرة رضي الله عنه، والسيدة عائشة رضي الله عنها، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ثم أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ومن أشهر كتب الحديث **(الجامع الصحيح)** للإمام البخاري و**(صحيح الإمام مسلم) وموطأ الإمام مالك بن أنس ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه وسنن الترمذي** وغير ذلك.

٤ ـ **في اللغة العربية**: أبرز واضعي علم النحو أبو الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد وسيبويه.

وفي الأدب: يُعد حسان بن ثابت من أشهر شعراء المسلمين في عصر الرسول ﷺ، وفي العهد الأموي نبغ جرير والفرزدق والأخطل، وفي العصر العباسي نبغ أبو تمام والبحتري وأبو العلاء المعري وابن الرومي والمتنبي، وفي النثر نبغ كثيرون مثل: عبد الحميد بن يحيى وعبد الله بن المقفع والجاحظ.

٥ ـ **في العلوم الاجتماعية**: تناول محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٢٠هـ **سيرة الرسول**، وتناول البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ **فتوح البلدان**، وتناول الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ **تاريخ الأمم والملوك**، وكتب أبو الفداء المتوفى سنة ٣٢٠هـ كتابه **المختصر في تاريخ البشر**، وكتب المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ كتاب **مروج الذهب**، وكتب ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ كتابه **الكامل في التاريخ**، وكتب ابن خلدون **مقدمته** الشهيرة لكتابه **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**.

وألَّف في علم الجغرافيا ياقوت الحموي صاحب كتاب **معجم البلدان**، والإدريسي صاحب **نزهة المشتاق**، والخوارزمي صاحب كتاب **صورة الأرض**. ويعد المسلمون أول من وضعوا فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

٦ ـ **في العلوم الطبيعية**: نبغ جابر بن حيان في الكيمياء، وموسى بن شاكر والبيروني وعباس بن فرناس في علم الميكانيكا، والكندي والحسن بن الهيثم والبيروني في علم الفيزياء.

٧ ـ **في الرياضيات**: نبغ الخوارزمي في علم الجبر، والحسن بن الهيثم ومحمد البغدادي في الهندسة. ونصير الدين الطوسي في حساب المثلثات.

٨ ـ **في علم الفلك**: نبغ فيه محمد بن إبراهيم الفزاري وأبو الريحان البيروني وعمر الخيام.

٩ ـ **في علم الطب والصيدلة**: اشتهر مجموعة من العلماء على رأسهم: ابن سينا والرازي وغيرهما، كما برز علماء في فن العمارة والزخرفة وصناعة الخزف والقيشاني والزجاج والتطعيم بالصدف أو العاج.

ـ وهكذا نرى أن الحضارة الإسلامية أينعت وازدهرت وآتت أكلها على مر التاريخ، وكان للمسلمين إسهامهم البارز في تقدم الحضارة البشرية، وكان لمبادىء الحضارة الإسلامية أثر كبير في حركات الإصلاح الفكرية التي قامت في أوربا منذ القرن السابع حتى عصر النهضة(*) الحديثة، وفي تفتح أذهان الشعوب في الغرب على مبادىء الإسلام الخالدة. وكانت الجامعات الأوربية تعتمد على كتب العلماء المسلمين التي ترجمت إلى اللاتينية. وقام العلماء المسلمون بتدريس العلوم والفلسفة في مساجد إشبيلية وقرطبة وغرناطة. وغدت كتب العلماء المسلمين تدرس في جامعات أوربا. وهكذا الشأن بالنسبة لكثير من العلوم والآداب التي انتقلت للغرب عن طريق الأندلس، ولذا فإن الإسلام، وبحق، كان دين(*) الحضارة والمدنية العاقلة المستنيرة بنور الله.

أهم الأفكار والمعتقدات:

● الدين الإسلامي هو دين التوحيد الخالص، وحول عقيدة التوحيد تدور الأفكار والمعتقدات كافة وتتجلى أهم الأفكار والمعتقدات الإسلامية فيما يلي:

ـ أركان الإسلام وأصول الإيمان والإحسان:

١ ـ أركان الإسلام:

بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

(أ) **فالشهادتان**: تستهدفان توحيد الله بإخلاص العبادة له والبراءة من عبادة كل ما سواه والإقرار للنبي(*) محمد ﷺ بالرسالة. والنطق بالشهادتين هو المفتاح الذي يدخل به الإنسان في الإسلام وتجري عليه أحكامه، والشهادة بوحدانية الله تتضمن كمال العقيدة في الله من جهة الربوبية والألوهية، أو العبادة والأسماء والصفات.

(ب) **والصلاة**: عبادة بدنية فرضها الله تعالى على المسلم في اليوم والليلة خمس

مرات، وصلة بين العبد وربه لتهذيب النفس ووقايتها من الفحشاء والمنكر وتطهيرها من غرائز الشر، والنأي بها عن الغيِّ والضلال والخلود في النار. وفي الصلاة يخلص المؤمن من دنياه ويتفرغ لربه بالتكبير والمناجاة وطلب المعونة والهداية. والأصل في تطبيقها على الوجه الصحيح قوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**». والصلاة سبيل لتعارف المسلمين ووحدتهم، إذا امتثل المسلمون لأوامر الدين ولم يفرطوا في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين وغير ذلك.

(جـ) **والزكاة**: عبادة مالية، يمد فيها الغني يده للفقير، بما يسد حاجته. وهي فرض على الغني فيما زاد من ماله على حاجته وحاجة من ينفق عليهم إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول، وذلك من ماله النقدي ومواشيه وثماره وزروعه، وقيم أعيانه التجارية بنسب محددة تفي بحاجة الفقير ولا ترهق الغني. وزكاة النقود والتجارة تؤدى في كل عام مرة، بينما تؤدى زكاة الزرع في كل زرعة، وهذه الفريضة تقي الأغنياء شر الطغيان المالي المفسد وتشفي صدور الفقراء من كل حقد وحسد.

(د) **وصوم رمضان**: هو الركن الرابع من أركان الإسلام، له مظهر مادي هو حرمان الإنسان نفسه من الطعام والشراب والجماع، من الفجر وحتى غروب الشمس طيلة شهر رمضان طاعة لله عز وجل واتباعاً لرسوله(*) ﷺ. وله مظهر معنوي هو غرس خلق المراقبة في الذات وتثبيت الصبر في الصدور، فتصدق النية وتقوى العزيمة، ويزكو القلب وتصفو النفس وتتهذب الروح ويصبح الإنسان منبعاً فياضاً للخير.

(هـ) **وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً**: هو الركن الخامس من أركان الإسلام الذي ينتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله، ويقوم به المستطيع من المسلمين في زمن معلوم إلى أمكنة معلومة، امتثالا لأمر الله، وابتغاء مرضاته مع التجرد من الثياب المخيطة ومن صنوف الزينة والترف وغرائز البدن، وعدم التعدي بالأذى على الإنسان وحتى الحيوان والنبات. والأصل في القيام بأركانه وواجباته وغير ذلك قوله ﷺ: «**خذوا عني مناسككم**». والحج مؤتمر إسلامي كريم فيه يتشاور المسلمون ويتعارفون ويتعاونون.

٢ ـ الإيمان:

وهو درجة أعلى في سلم هذا الدين المتين يرقاها المسلم كلما تعمق الإسلام في قلبه، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء من شعب الإيمان، وللإيمان أصول محددة وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر(*) خيره وشره. وخير دليل على الإيمان هو ما يقوم به العبد من أعمال

صالحة ولهذا يجمع الله عز وجل في كثير من الآيات القرآنية بين الإيمان والعمل الصالح كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧].

٣ ـ والإحسان:

وهو أعلى المراتب في هذا الدين المتين إذ يراقب العبد تصرفاته وعبادته بنفسه كما لو كان يرى الله سبحانه وتعالى، فإن لم يكن الإنسان يستطيع أن يستشعر ذلك، فلا أقل من أن يدرك أن الله تعالى مطلع على كل أعماله وتصرفاته واعتقاده، فالإحسان هو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ـ العقيدة والشريعة(*):

وقد ضبط الإسلام الأحكام الاعتقادية ضبطاً يبلور عقيدة التوحيد، وأفسح مجالاً رحباً للأحكام الخلقية التي هي أساس صلاح نفوس العبيد، وصاغ الأحكام العملية صياغة تستجيب لها فطرة كل من كان له قلب واع مبصر، وكل ذلك في ظل استبعاد الشركيات بنور التوحيد وسد كل ذريعة أمامها، وتأكيد الوسطية، ونفي الوساطة وفتح الباب أمام الاتصال المباشر بالله، وتكريم الإنسان بالعقل، ودفعه إلى سبيل الجهاد(*) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعمال الشورى. وفي ظل أسس مهمة: كنفْي الحرج ويسر التكاليف والتدرج في الأحكام ومسايرة مصالح الأنام وتحقيق العدالة، وكل ذلك إنقاذاً للبشرية مما لحق الكتب السماوية السابقة من تحريف، والأديان(*) السابقة من الغلو(*) أو التفريط الذي فتح الباب أمام تيار زعم تعدد الآلهة(*)، وما ترتب على ذلك من تجاهل لقيمة العقل(*) والنقل والحكمة من خلق الجن والإنس.

ـ القرآن والسنة:

القرآن والسنة هما المصدران الرئيسان للتشريع لا يجوز الحيدة عنهما إلى القوانين الوضعية(*) بحال من الأحوال وكل شخص يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ.

ومن الثابت أنه لا يجوز مخالفة ما أجمع عليه علماء الأمة إذ لا تجتمع أمة محمد على ضلالة. كما أن الاجتهاد(*) في ظل الكتاب والسنة والإجماع(*) من أصول الحكم في الإسلام على ما يفيده حديث معاذ بن جبل الصحيح عندما أرسله ﷺ قاضياً إلى اليمن.

ـ من سمات الإسلام وأسسه:

١ ـ **ومن سمات الإسلام:** أنه دين(*) إلهي سماوي، يتسم بالشمولية والواقعية والإيجابية وتحقيق التوازن في كل شيء. وهو دين الاتصال المباشر بالله فلا كهنوت في الإسلام الصحيح ولا توسل، وهو دين تحقيق المصالح المتجددة، وتأكيد الأخوة الإنسانية،

والمساواة والنهي عن التواكل، وإرساء قواعد الحق والعدل والمساواة والإخاء والتعاون والشورى وتأمين حقوق الإنسان وتأكيد العمل والأمن لكل فرد. وهو دين احترام كرامة الإنسان والنهوض بآدمية المرأة والدعوة إلى مكارم الأخلاق والأمر بالوفاء بالعهود والعقود، واحترام حقوق غير المسلمين. وهو دين العلم ونبذ الخرافة والجهل ودعوة المسلمين إلى التمسك الأبدي بعقيدتهم وعدم نقضها بأي ناقضة من نواقض الإسلام.

٢ ـ ومن أسس التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة:

(أ) أن كُنه الذات الإلهية في الإسلام يحددها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] والله ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣] فلا يشاركه أحد في وجوده. والله هو الباقي فلا يشاركه أحد في بقائه، والله ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فلا يشاركه أحد في سلطانه، و﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢]. فلا يشاركه أحد في رزقه ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦]. فلا يشاركه أحد في علمه، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] فلا يماثله أحد في مقامه، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾؟ [الشورى: ٢١] فلا يشاركه أحد في التشريع للناس... وهكذا في كل خاصية من خصائص الألوهية.

(ب) والإنسان عبد الله مخلوق في هذا الوجود، مسير في بعض شؤونه ومخير في بعضها. عبد لا يشارك الله في حقيقة ولا خاصية.. وليس كما تقول الكنيسة(*) عن المسيح(*) ـ عليه السلام ـ أن له طبيعة لاهوتية(*) صافية، أو لاهوتية ناسوتية(*)، على اختلاف المذاهب(*) والتصورات.

(جـ) والحاكمية في المنهج الإسلامي لله... وليست لحزب(*) ولا لشعب وما لها إلا أن يكونا منفذين لمنهج الله.

(د) والمنهج الإسلامي منهج(*) شامل متكامل، بمعنى أن الإسلام ليس تصوراً عقديًّا فحسب ولا دينا روحيًّا وكفى... ولا نظاماً اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا فقط، ولكنه منهج حياة يشمل الاعتقاد في الضمير والتنظيم في الحياة ويمتد إلى كل جانب من جوانبها.

(هـ) ولقد جعل الإسلام الوجود الإنساني في الكون لهدف سام وغاية كريمة هي العبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾. [الذاريات: ٥٦].

(و) والناس جميعاً من أصل واحد مبدأ ومنتهى ومن ثم فهم ـ من هذه الناحية ـ متساوون، والقيمة الواحدة التي يتفاضلون بها هي التقوى والعمل الصالح ولا اعتبار لأية قيمة أخرى من نسب أو مال أو مركز أو طبقة أو جنس... أو غيرها من القيم الأرضية.

(ز) والإسلام يكرس الثوابت، ويعترف بالمتغيرات في حياة الإنسان: فالعقيدة والأخلاق(*) المنبثقة منها هي الثوابت التي لا يعتريها التغيير، أما المعاملات المالية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فقد تتغير تبعاً لتغير الزمان والمكان، وقد أوكل رسول الإسلام ﷺ حلها إلى الناس (أنتم أدرى بأمور دنياكم) ضمن إطار الشرع الحنيف ومقاصد الإسلام.

(ح) وتتمثل الواقعية الإسلامية في تقدير ظروف الإنسان وعدم تحديد شكل معين لنظام الحكم، والاكتفاء بالإلزام بالشورى وفتح باب الاجتهاد(*) في غير الأحكام القطعية.

(ط) كل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله ولم يسنه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع(*).

(ي) الدنيا دار ابتلاء وعمل، والآخرة دار جزاء، وأن مرد الأمور كلها إلى الله، والحياة في هذه الأرض مرحلة محدودة وما يقع للإنسان ليس نهاية المطاف وإنما هناك يوم آخر يجزى فيه على الحسنة وعلى السيئة.

(ك) طريق المسلم واضح محدد مستقيم، وهو أن ينهض بالتكاليف الواضحة ـ ما استطاع ـ وأن يجتنب النواهي المحددة كما نُهي، وأن يشتغل بمعرفة ما أمر الله به وما نهى الله عنه، ولا يبحث في شيء وراءهما من أمر الغيب المحجوب عن إدراكه المحدود. وبهذا يقطع الإسلام التعطيل(*) والإرجاء(*) والسلبية، أو الإحالة على مشيئة الله في المعصية.

(ل) والإنسان له تركيبه الخاص من لحم ودم وأعصاب وعقل ونفس وروح، ولديه نوازع ورغائب وضرورات، وهو عرضة للوقوع في المعصية وارتكاب الآثام والذنوب. ولكن باب التوبة مفتوح أمامه إلى أن يغرغر.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● شع نور الإسلام من غار حراء بمكة المكرمة في قلب الجزيرة العربية في ليلة من ليالي رمضان، ولم يمض سوى ربع قرن على بدء الرسالة العظيمة حتى تكونت الدولة الإسلامية الأولى على أيدي الصحابة الأبرار الذين لم يشهد التاريخ لهم مثيلاً في رسوخ العقيدة والحماس للدعوة والجهاد(*) في سبيلها والعمل على تبليغها للناس كافة.

● وبدأ الرسول(*) ﷺ، يفكر في فتح آفاق جديدة لنشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية، فأرسل رسلاً من قِبَله إلى هرقل إمبراطور الروم وكسرى الثاني ملك الفرس والنجاشي ملك الحبشة والحارث بن أبي شمر الغساني ملك الغساسنة وشرحبيل الغساني حاكم البلقاء . . . ودعاهم جميعاً إلى اعتناق الإسلام.

● وفي عهد الخلفاء الراشدين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بفتح العراق وبلاد فارس وخراسان وسجستان شرقاً، وبلاد الشام شمالاً، ومصر وليبيا وتونس ومراكش غرباً، وبلاد النوبة والسودان جنوباً.

● وفي عهد الدولة الأموية تم فتح الأندلس وجنوب فرنسا غرباً، وبلاد السند وما وراء النهر وأطراف الصين شرقاً.

● وفي عهد الدولة العباسية تم اختراق آسيا الصغرى والتوغل فيها واقتطاع أجزاء كبيرة من الدولة البيزنطية، وفتحت قبرص وواصل المسلمون الزحف حتى دخلوا البر الإيطالي والتقوا بالروم وانتصروا عليهم.

● وفي عهد العثمانيين تم فتح القسطنطينية وأجزاء من بلاد البلقان وألبانيا وجزيرتي رودس وكريت وبلاد المجر.

● وعن طريق الدعاة والتجار انتشر الإسلام في كثير من أصقاع الأرض.

وهكذا نرى أن الإسلام شق طريقه إلى معظم أقطار المعمورة حتى أصبح الدين الثاني بعد النصرانية(*) من حيث عدد معتنقيه، وبلغ تعداد المسلمين ١,٢ بليون نسمة وفقاً لإحصائيات الأمم المتحدة(*)، يعيش منهم نحو تسعمائة مليون في أكثر من ثمانين دولة، وقرابة الثلاثمائة مليون مسلم يتوزعون أقليات في مختلف دول العالم.

مراجع للتوسع:

- **الأموال**، أبو عبيد القاسم بن سلام.
- **الخراج**، لأبي يوسف محمد بن الحسن الشيباني.
- **الكامل في التاريخ**، علي بن محمد عز الدين بن الأثير الجزري.
- **مقدمة ابن خلدون**، ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون.
- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.
- **السياسة الشرعية بين الراعي والرعية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.
- **البداية والنهاية**، عماد الدين ابن كثير.
- **الأحكام السلطانية**، للماوردي.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي.
- **غياث الأمم في التياث الظلم**، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني.
- **الزهد**، للإمام أحمد بن حنبل.
- **الزهد**، للإمام عبد الله بن المبارك.

- **المدخل إلى علم الأفلاك**، ابن سينا.
- **الكليات في الطب**، ابن سينا.
- **تذكرة داود**، داود الأنطاكي.
- **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**، يوحنا الغرناطي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى.
- **مقالة في الجدري والحصبة**، فخر الدين الرازي.
- **وصف أفريقيا**، الحسن بن محمد الوزان الزياتي.
- **الإسلام وأثره في نهضة الشعوب**، محمود عبد الوهاب فايد.
- **الإسلام وأثره في الحضارة الإنسانية**، أبو الحسن الندوي.
- **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي.
- **كتاب التوحيد**، محمد بن عبد الوهاب.
- **مجموعة الرسائل النجدية**.
- **تعريف عام بدين الإسلام**، علي الطنطاوي.
- **محاسن الدين الإسلامي**، محمد الأمين الشنقيطي.
- **مقومات التصور الإسلامي**، سيد قطب.
- **أصول التشريع الإسلامي**، علي حسب الله.
- **من روائع حضارتنا**، د. مصطفى السباعي.
- **دعوة الإسلام**، سيد سابق.
- **هذا ديننا**، محمد الغزالي.
- **لماذا أنا مسلم؟**، د. عبد الرحمن العيسوي.
- **الخصائص العامة للإسلام**، د. يوسف القرضاوي.
- **شبهات حول الإسلام**، محمد قطب.
- **موسوعة التاريخ الإسلامي**، أحمد شبلي.
- **شمس العرب تسطع على الغرب**، زغريد هونكة.

٢ـ عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة

التعريف:

تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة(*) عقيدة أهل الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب له من التوحيد والطاعة، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أم عملية.

التأسيس:

الرسول ﷺ هو المؤسس لهذه العقيدة الناسخة لما سواها، وقد سميت هذه العقيدة بعقيدة أهل السنة لاستمساك أصحابها واتباعهم لسنة النبي(*) ﷺ، وسميت بعقيدة الجماعة؛ لأنها عقيدة جماعة الإسلام الذين اجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا في الدين، وتابعوا منهج(*) أئمة الحق ولم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور العقيدة وهم أهل الأثر أو أهل الحديث أو الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية.

أصول عقيدة أهل السنة والجماعة:

● هي أصول الإسلام الذي هو عقيدة بلا فِرَق ولا طرق، ولذلك فإن قواعد وأصول أهل السنة والجماعة في مجال التلقي والاستدلال تتمثل في الآتي:

ـ مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع(*) السلف الصالح.

ـ كل ما ورد في القرآن الكريم هو شرع للمسلمين، وكل ما صَحَّ من سنة رسول(*) الله ﷺ وجب قبوله وإن كان أحاديث آحاد(*).

ـ المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها، وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم.

ـ أصول الدين كلها قد بينها النبي، ﷺ، فليس لأحد تحت أي ستار، أن يحدث شيئاً في الدين(*) زاعماً أنه منه.

ـ التسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهراً وباطناً فلا يعارض شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا كشفٍ(*) مزعوم ولا قول شيخ موهوم ولا إمام ولا غير ذلك.

ـ العقل(*) الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيًّا بينهما وعند توهم

التعارض يقدم النقل على العقل.

ـ يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة وتجنب الألفاظ البدعية.

ـ العصمة ثابتة لرسول(*) الله ﷺ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، أما آحادها فلا عصمة لأحد منهم، والمرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطىء من مجتهدي الأمة.

ـ الرؤيا الصالحة حق وهي جزء من النبوة(*)، والفراسة الصادقة حق وهي كرامات(*) ومبشرات ـ بشرط موافقتها للشرع ـ غير أنها ليست مصدراً للعقيدة ولا للتشريع.

ـ المراء في الدين(*) مذموم والمجادلة بالحسنى مشروعة، ولا يجوز الخوض فيما صح النهي عن الخوض فيه.

ـ يجب الالتزام بمنهج(*) الوحي في الرد ولا ترد البدعة(*) ببدعة ولا يقابل الغلو(*) بالتفريط ولا العكس.

ـ كل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

● التوحيد العلمي الاعتقادي:

ـ الأصل في أسماء الله وصفاته: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من غير تمثيل(*)؛ ولا تكييف(*)؛ ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف(*) ولا تعطيل(*)، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص، وما دلّت عليه.

ـ الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً، وأما تفصيلاً، فبما صحّ به الدّليل، من أسمائهم وصفاتهم، وأعمالهم بحسب علم المكلف.

ـ الإيمان بالكتب المنزلة جميعها، وأن القرآن الكريم أفضلها، وناسخها، وأن ما قبله طرأ عليه التحريف، وأنه لذلك يجب اتباعه دون ما سبقه.

ـ الإيمان بأنبياء الله، ورسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر، ومن زعم غير ذلك فقد كفر(*).

ـ الإيمان بانقطاع الوحي(*) بعد محمد، ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن اعتقد خلاف ذلك كَفَر.

ـ الإيمان باليوم الآخر، وكل ما صحّ فيه من الأخبار، وبما يتقدمه من العلامات والأشراط.

ـ الإيمان بالقدر، خيره وشره من الله تعالى، وذلك: بالإيمان بأن الله تعالى علم ما

يكون قبل أن يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون إلا ما يشاء، والله تعالى على كل شيء قدير، وهو خالق كل شيء، فعال لما يريد.

ـ الإيمان بما صحّ الدليل عليه من الغيبيات، كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل(*) شيء من ذلك.

ـ الإيمان بشفاعة النبي(*)، ﷺ، وشفاعة الأنبياء والملائكة، والصالحين، وغيرهم يوم القيامة. كما جاء تفصيله وبالأدلة الصحيحة.

ـ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة وفي المحشر حقّ، ومن أنكرها أو أوَّلها فهو زائغ ضال، وهي لن تقع لأحد في الدنيا.

ـ كرامات(*) الأولياء(*) والصالحين حقّ، وليس كلّ أمر خارق للعادة كرامة، بل قد يكون استدراجاً. وقد يكون من تأثير الشياطين والمبطلين، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة، أو عدمها.

ـ المؤمنون كلّهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه.

● **التوحيد الإرادي الطلبي (توحيد الألوهية).**

ـ الله تعالى واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته وهو رب العالمين، المستحق وحده لجميع أنواع العبادة.

ـ صرف شيء من أنواع العبادة كالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف، والرجاء، والحبّ، ونحوها لغير الله تعالى شرك، أيًّا كان المقصود بذلك، ملكاً مُقرّباً، أو نبيًّا مرسلاً، أو عبداً صالحاً، أو غيرهم.

ـ من أصول العبادة أن الله تعالى يُعبد بالحبّ والخوف والرجاء جميعاً، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال.

ـ التسليم والرضا والطاعة المطلقة لله ولرسوله، ﷺ، والإيمان بالله تعالى حَكَماً، من الإيمان به ربًّا وإلهاً، فلا شريك له في حكمه وأمره، وتشريع ما لم يأذن به الله، والتحاكم إلى الطاغوت(*)، واتباع غير شريعة محمد، ﷺ، وتبديل شيء منها كفر(*)، ومن زعم أن أحداً يسعه الخروج عنها فقد كفر.

ـ الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر، وقد يكون كفراً دون كفر.

فالأول التزام شرع غير شرع الله، أو تجويز الحكم به.

والثاني العدول عن شرع الله، في واقعة معينة لهوى مع الالتزام بشرع الله.

ـ تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة، وفصل

السياسة أو غيرها عن الدين(*) باطل؛ بل كل ما خالف الشريعة(*) من حقيقة أو سياسة أو غيرها، فهو إما كفر(*)، وإما ضلال، بحسب درجته.

ـ لا يعلم الغيب إلا الله وحده، واعتقاد أنّ أحداً غير الله يعلم الغيب كُفر، مع الإيمان بأن الله يُطْلع بعض رسله على شيء من الغيب.

ـ اعتقاد صدق المنجمين(*) والكهان(*) كفر، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة(*).

ـ الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما يُقرّب إلى الله تعالى من الطاعات المشروعة.

ـ والتوسل ثلاثة أنواع:

١ ـ مشروع: وهو التوسل إلى الله تعالى، بأسمائه وصفاته، أو بعمل صالح من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح.

٢ ـ بدعي: وهو التوسل إلى الله تعالى بما لم يرد في الشرع، كالتوسل بذوات الأنبياء، والصالحين، أو جاههم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.

٣ ـ شركي: وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة، ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك.

ـ البركة من الله تعالى، يَخْتَصُّ بعض خلقه بما يشاء منها، فلا تثبت في شيء إلا بدليل. وهي تعني كثرة الخير وزيادته، أو ثبوته ولزومه.

والتبرك من الأمور التوقيفية، فلا يجوز التبرك إلا بما ورد به الدليل.

ـ أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاثة أنواع:

١ ـ مشروع: وهو زيارة القبور؛ لتذكّر الآخرة؛ وللسلام على أهلها، والدعاء لهم.

٢ ـ بدعي يُنافي كمال التوحيد، وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو قصد عبادة الله تعالى والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها، أو إهداء الثواب عندها، والبناء عليها، وتجصيصها وإسراجها، واتخاذها مساجد، وشدّ الرّحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، أو مما لا أصل له في الشرع.

٣ ـ شركيّ ينافي التوحيد، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر، كدعائه من دون الله، والاستعانة والاستغاثة به، والطواف، والذبح، والنذر له، ونحو ذلك.

ـ الوسائل لها حكم المقاصد، وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدّها، فإن كل محدثة في الدين بدعة(*)، وكل بدعة ضلالة.

● الإيمان:

- الإيمان قول، وعمل، يزيد، وينقص، فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره. وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة.

وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

- مرتكب الكبيرة(*) لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذِّب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

- لا يجوز القطع لمعيَّن من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

- الكفر(*) من الألفاظ الشرعية وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحياناً بالكفر العملي.

- التكفير(*) من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعيَّن إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع. والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.

● القرآن والكلام:

القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه)، مُنزل غير مخلوق؛ منه بدأ؛ وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به ﷺ. ومحفوظ إلى يوم القيامة.

● القدر:

من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر(*) خيره وشره، من الله تعالى، ويشمل:

- الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق)، وأنه تعالى لا رادّ لقضائه، ولا مُعقّب لحكمه.

- هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلاً، ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلاً.

- العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالقٌ لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.

- إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالى.

● الجماعة والإمامة:

ـ الجماعة هم أصحاب النبي (*) ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بآثارهم إلى يوم القيامة، وهم الفرقة الناجية.

ـ وكل من التزم بمنهجهم (*) فهو من الجماعة، وإن أخطأ في بعض الجزئيات.

ـ لا يجوز التفرّق في الدين (*)، ولا الفتنة بين المسلمين، ويجب ردّ ما اختلف فيه المسلمون إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح.

ـ من خرج عن الجماعة وجب نصحه، ودعوته، ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة الحجة عليه، فإن تاب وإلا عوقب بما يستحق شرعاً.

ـ إنما يجب حمل الناس على الجُمَل الثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع (*)، ولا يجوز امتحان عامة المسلمين بالأمور الدقيقة، والمعاني العميقة.

ـ الأصل في جميع المسلمين سلامة القصد والمعتقد، حتى يظهر خلاف ذلك، والأصل حمل كلامهم على المحمل الحسن، ومن ظهر عناده وسوء قصده فلا يجوز تكلّف التأويلات له.

ـ الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلّب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف، ومناصحته، وحرم الخروج عليه إلا إذا ظهر منه كفر (*) بواح فيه من الله برهان.

ـ الصلاة والحج والجهاد (*) واجبة مع أئمة المسلمين وإن جاروا.

ـ يحرم القتال بين المسلمين على الدنيا، أو الحمية الجاهلية (*)؛ وهو من أكبر الكبائر (*)، وإنما يجوز قتال أهل البدعة (*) والبغي، وأشباههم، إذا لم يمكن دفعهم بأقل من ذلك، وقد يجب بحسب المصلحة والحال.

ـ الصحابة الكرام كلهم عدول، وهم أفضل هذه الأمة، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ومحبّتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق، مع الكفّ عما شجر بينهم، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم.

وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون. وتثبت خلافة كل منهم حسب ترتيبهم.

ـ ومن الدين محبة آل بيت رسول (*) الله، ﷺ، وتولّيهم، وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين، ومعرفة فضلهن، ومحبة أئمة السلف، وعلماء السنة والتابعين لهم بإحسان ومجانبة أهل البدع والأهواء.

ـ الجهاد(*) في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى قيام الساعة.

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام، وأسباب حفظ جماعته، وهما يجبان بحسب الطاقة، والمصلحة معتبرة في ذلك.

أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة

● أهل السنة والجماعة(*) هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وكما أن لهم منهجاً(*) اعتقاديًّا فإن لهم، أيضاً، منهجهم وطريقهم الشامل الذي ينتظم فيه كل أمر يحتاجه كل مسلم؛ لأن منهجهم هو الإسلام الشامل الذي أنزله الله تعالى على النبي(*) ﷺ، وهم على تفاوت فيما بينهم، لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم منها:

ـ الاهتمام بكتاب الله: حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، والاهتمام بالحديث: معرفة وفهماً وتمييزاً لصحيحه من سقيمه، (لأنهما مصدرا التلقي)، مع إتباع العلم بالعمل.

ـ الدخول في الدّين(*) كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد، وبنصوص الإثبات، ونصوص التنزيه، ويجمعون بين الإيمان بقدر الله، وإثبات إرادة العبد، ومشيئته، وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القُوّة والرحمة، وبين العمل مع الأخذ بالأسباب وبين الزهد.

ـ الاتباع، وترك الابتداع، والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.

ـ الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، المقتدى بهم في العلم والعمل والدعوة من الصحابة ومن سار على نهجهم، ومجانبة من خالف سبيلهم.

ـ التوسط: فَهُمْ في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو(*) وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفرطين والمفرّطين.

ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحقّ وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم.

ـ ومن هنا لا يتميزون عن الأمة في أصول الدين باسمٍ سوى السنة والجماعة، ولا يوالون(*)، ولا يعادون، على رابطةٍ سوى الإسلام والسنة.

ـ يقومون بالدعوة إلى الله الشاملة لكل شيء في العقائد والعبادات وفي السلوك والأخلاق(*) وفي كل أمور الحياة وبيان ما يحتاجه كل مسلم، كما أنهم يحذرون من النظرة

التجزيئية للدين فينصرون الواجبات والسنن كما ينصرون أمور العقائد والأمور الفرعية ويعلمون أن وسائل الدعوة متجددة فيستفيدون من كل ما جد وظهر مادام مشروعاً. والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر بما يوجبه الشرع، والجهاد(*)، وإحياء السنة، والعمل لتجديد الدين(*)، وإقامة شرع الله وحكمه في كل صغيرة وكبيرة ويحذرون من التحاكم إلى الطاغوت(*) أو إلى غير ما أنزل الله.

ـ الإنصاف والعدل: فهم يراعون حق الله ـ تعالى ـ لا حقّ النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغلون في مُوالٍ، ولا يجورون على معاد، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيًّا كان، ومع ذلك فهم لا يقدسون الأئمة والرجال على أنهم معصومون وقاعدتهم في ذلك: كلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ، وأنه لا عصمة إلا للوحي(*) ثم إجماع(*)السلف.

ـ أنهم يقبلون فيما بينهم تعدد الاجتهادات في بعض المسائل التي نقل عن السلف الصالح النزاع فيها دون أن يُضلل المخالف في هذه المسائل، فهم عالمون بآداب الخلاف التي أرشدهم إليها ربهم جلّ وعلا ونبيهم ﷺ.

ـ أنهم يعتنون بالمصالح والمفاسد ويراعونها ويعلمون أن الشريعة(*) جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد وتقليلها، إذ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ـ أن لهم موقفاً من الفتن عامة: ففي الابتلاء يقومون بما أوجب الله تعالى تجاه هذا الابتلاء.

ـ وفي فتنة الكفر يحاربون الكفر(*) ووسائله الموصلة إليه بالحجة والبيان والسيف والسنان بحسب الحاجة والاستطاعة.

ـ وفي الفتنة يرون أن السلامة لا يعدلها شيء والقعود أسلم إلا إذا تبين لهم الحق وظهر بالأدلة الشرعية فإنهم ينصرونه ويعينونه بما استطاعوا.

ـ ويرون أن أصحاب البدع(*) متفاوتون قرباً وبعداً عن السنة، فيعامل كل بما يستحق. ومن هنا انقسمت البدع إلى: بدع لا خلاف في عدم تكفير أصحابها مثل المرجئة(*) والشيعة(*) المفضلة، وبدع هناك خلاف في تكفير أو عدم تكفير أصحابها مثل الخوارج(*) والروافض(*)، وبدع لا خلاف في تكفير أصحابها بإطلاق مثل الجهمية(*) المحضة.

ـ ويفرقون بين الحكم المطلق على أصحاب البدع عامة بالمعصية أو الفسق أو الكفر(*) وبين الحكم على المعين حتى يبين له مجانبة قوله للسنة، وذلك بإقامة الحجة وإزالة الشبهة.

ـ ولا يجوزون تكفير أو تفسيق أو حتى تأثيم علماء المسلمين لاجتهاد(*) خاطىء أو تأويل بعيد خاصة في المسائل المختلف فيها.

ـ ويفرقون في المعاملة بين المستتر ببدعته والمظهر لها والداعي إليها .

ـ ويفرقون بين المبتدعة من أهل القبلة مهما كان حجم بدعتهم وبين من عُلم كفره بالاضطرار من دين الإسلام كالمشركين وأهل الكتاب، وهذا في الحكم الظاهر على العموم مع علمهم أن كثيراً من أهل البدع منافقون وزنادقة(*) في الباطن .

ـ ويقومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم، والتحذير منهم وإظهار السنة، وتعريف المسلمين بها، وقمع البدع(*) بما يوجبه الشرع من ضوابط .

ـ ويصلون الجمع والجماعات والأعياد خلف الإمام مستور الحال ما لم يظهر منه بدعة(*) أو فجور فلا يردون بدعة ببدعة .

ـ ولا يُجوزون الصلاة خلف من يظهر البدعة أو الفجور مع إمكانها خلف غيره، وإن وقعت صحت، ويُؤَثِّمون فاعلها إلا إذا قُصد دفع مفسدة أعظم، فإن لم يوجد إلا مثله، أو شرّ منه جازت خلفه، ولا يجوز تركها. ومن حُكِمَ بكفره فلا تصح الصلاة خلفه .

ـ وفِرقُ أهل القبلة الخارجة عن السنة متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد، إلا من كان منهم كافراً في الباطن .

ـ والفرق الخارجة عن الإسلام كُفّار في الجملة، وحكمهم حكم المرتدين .

ـ ولا يمنعهم ذلك كله من الدعاء لأهل البدع بالهداية وطلب الرحمة والاستغفار ما لم يعلم نفاقهم وكفرهم باطناً .

● ولأهل السنة والجماعة(*) ، أيضاً، منهج(*) شامل في تزكية النفوس وتهذيبها، وإصلاح القلوب وتطهيرها ؛ لأن القلب عليه مدار إصلاح الجسد كله وذلك بأمور منها :

ـ إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن الشرك والبدعة مما ينقص الإيمان أو ينقضه من أصله .

ـ التعرف على الله جل وعلا بفهم أسمائه الحسنى وصفاته العلى ومدارستها وتفهم معانيها والعمل بمقتضياتها ؛ لأنها تورث النفس الحب والخضوع والتعظيم والخشية والإنابة والإجلال لله تعالى .

ـ طاعة الله ورسوله بأداء الفرائض والنوافل كاملة مع العناية بالذكر وتلاوة القرآن الكريم والصلاة على النبي ﷺ والصيام وإيتاء الزكاة وأداء الحج والعمرة وغير ذلك مما شرع الله تعالى .

ـ اجتناب المحرمات والشبهات مع البعد عن المكروهات .

ـ البعد عن رهبانية النصرانية والبعد عن تحريم الطيبات والبعد عن سماع المعازف

والغناء وغير ذلك .

ـ السير إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء وعبادته تعالى بالحب والخوف والرجاء .

● ومن أهم سماتهم : التوافق في الأفهام، والتشابه في المواقف، على الرغم من تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي .

ـ الإحسان والرّحمة وحسن الخُلق مع الناس كافةً، فهم يأتمون بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح في علاقاتهم مع بعضهم أو مع غيرهم .

ـ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ـ الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكفّ الأذى عنهم .

ـ موالاة المؤمن لإيمانه بقدر ما عنده من إيمان ومعاداة الكافر لكفره ولو كان أقرب قريب .

● لا يعد من اجتهد في بيان نوع من أصول أهل السنة مبتدعاً ولا مفرطاً مادام لا يخالف شيئاً من أصول أهل السنة والجماعة(*) .

● كل من يعتقد بأصول أهل السنة والجماعة ويعمل على هديها فهو من أهل السنة ولو وقع في بعض الأخطاء التي يُبدّع من خالف فيها .

مراجع للتوسع:

ـ **الإيمان** ـ لأبي عبيد القاسم بن سلاّم .

ـ **الإيمان** ـ لابن منده .

ـ **الإبانة** ـ لابن بطة .

ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** ـ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي .

ـ **عقيدة أصحاب الحديث** ـ الإمام أبو عثمان الصابوني .

ـ **الإبانة** ـ لأبي الحسن الأشعري .

ـ **التوحيد وصفات الرب** ـ لابن خزيمة .

ـ **شرح العقيدة الطحاوية** ـ لابن أبي العز الحنفي .

ـ **منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية** ـ ابن تيمية .

ـ **درء تعارض العقل والنقل** ـ ابن تيمية .

- **طريق الهجرتين** - ابن قيم الجوزية .
- **مجموع الفتاوى** - لابن تيمية .
- **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد** - محمد بن عبد الوهاب .
- **معارج القبول شرح سلم الوصول** - حافظ أحمد الحكمي .
- **مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة** - د . ناصر بن عبد الكريم العقل .
- **منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة** - عثمان علي حسن .
- **أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى** - محمد عبد الهادي المصري .
- **نواقض الإيمان القولية والعملية** - د . عبد العزيز العبد اللطيف .
- **منهج أهل السنة في تقويم الرجال** - أحمد الصويان .
- **مفهوم أهل السنة عند أهل السنة** - د . ناصر بن عبد الكريم العقل .
- **الأصول العلمية للدعوة السلفية** - عبد الرحمن عبد الخالق .
- **الزهاد الأوائل** - د . مصطفي حلمي .
- **معالم السلوك في تزكية النفوس عند أهل السنة والجماعة** - د . عبد العزيز العبد اللطيف .
- **قواعد المنهج السلفي** - د . مصطفي حلمي .
- **السلفية بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية** - د . مصطفي حلمي .

الفصل الثالث

من الفرق العقائدية في الإسلام

- مقدمة عامة ● الشيعة الإمامية
- الإباضية ● المعتزلة ● الزيدية
- الأشاعرة ● الماتريدية

مقدمة عامة

لقد كان ظهور الفرق العقدية والفكرية في الأمة الإسلامية خاضعاً لأسباب داخلية عاشها المسلمون في مراحل نشأة هذه الفرق.

ولعل أول أسباب ظهور هذه الفرق يتمثل فيما عاشه بعض المسلمين من انحراف عن المنهج (*) الإسلامي الصحيح والمحجة البيضاء، فلقد تضمن الكتاب والسنة كل ما يهدي المسلمين إلى طريق الحق، ولذا فهما معيار الاستقامة وعدم الانقسام على النفس، ولكن بعض المسلمين تركوا المنهج الواضح الذي رسمه الشارع الأعظم وحادوا عن منهج أهل السنة والجماعة(*) من سلف الأمة الصالح، وركنوا إلى بعض التصورات العقلية بمنأى عن الهداية العقدية الواردة فيهما فضلوا وأضلوا. وسنرى مثالاً لذلك بعض الفرق التي نشأت في أواخر عهد الخلفاء الراشدين والدولتين الأموية والعباسية.

وكذلك فإن من أسباب ظهور هذه الفرق إتاحة بعض المسلمين الفرصة للتأثير الأجنبي فيهم من خلال الثقافات الوافدة التي استطاعت أن تنفذ إلى بعض فئات المجتمع الإسلامي الهامة فتأثرت وأثرت. وساعد على ذلك دخول بعض الحاقدين ساحة التأثير في المنهج(*) الإسلامي، فبدأ نوع من الاستقطاب لقطاع من المسلمين فانحرفوا بعقيدتهم، وبدؤوا يضعون بعض المبادىء الهدامة التي واكبت مسيرتهم. لذا فقد كان لإعطاء الفرصة للتأثير الأجنبي من خلال الثقافات الوافدة أو من خلال الحاقدين أثر هام في تكون هذه الفرق.

وإذا كان العاملان السابقان قد أوجدا ـ مع غيرهما ـ مناخ التفرق وساعدا على وجوده وتغلغله في المجتمع إلا أن هناك عاملاً ثالثاً ساعد على استمرار هذا التفرق ويتمثل هذا العامل في ركون بعض المسلمين إلى السلبية وعدم قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لم يسعوا سعياً حثيثاً لرأب الصدع واستشعار المعنى العميق للوحدة الإيمانية

وما تستلزمه من محبة وأخوة.

ومع أن الأصل هو استفادة الأمة من دروس الماضي إلا أن العصر الحاضر يشهد بدوره ـ وبكل أسف ـ تفرقاً جديداً، وظهور فرق فكرية جديدة، ولعل مرجع ذلك هو عدم استفادة الأمة من دروس الماضي، ومن ثم عدم تجدد التزامها بالإسلام وعدم الوقوف صفًّا واحداً على كلمة واحدة هي منهج الله سبحانه، منهج أهل السنة والجماعة(*)، وتفويت الفرصة على أعداء الإسلام. وهكذا يعيد التاريخ نفسه، للأسف الشديد، بين كثير من قطاعات المسلمين.

وإذا عدنا أدراجنا إلى البدايات الأولى لظهور الفرق في الإسلام فإنه يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أواخر عصر الخلافة(*) الراشدة، فلقد نشأت الفرق الإسلامية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، وتبلورت أفكارها في العصور التالية، ثم تعمق وجود هذه الفوارق لأسباب لاحقة.

● أما في عهد الرسالة وبداية عهد الخلفاء الراشدين فقد كان المسلمون يشكلون وحدة حقيقية، عقيدة وفكراً وجماعة. وإذا ظهر خلاف ما في الرأي، فسرعان ما ينتهي إلى وفاق، بسبب الاحتكام المباشر إلى الكتاب والسنة.

● وبدأت الفتن والفرقة بين المسلمين في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه... حيث جأر البعض بالشكوى من ولاة عثمان، ثم بدأت الشكوى من عثمان ذاته بمقولة أنه يولي العمال من ذوي رحمه.

ـ ثم تحولت الشكوى إلى الطعن في دينه على يد بعض المارقين.

ـ ثم قتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً بيد فئة ظالمة غرر بها.. ففتح بذلك باب القتل والقتال بين المسلمين.

● وبعد تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، اتهمه البعض بأنه مالأ قتلة عثمان، ولم يقتص منهم.

ـ فوقع القتال بين علي وبين الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً.

ـ ثم وقع القتال بين علي ومعاوية.. وانتهى بواقعة التحكيم المعروفة.

ـ وبعد التحكيم كانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة بظهور الخوارج(*) والشيعة(*).

ـ وكانت الأولى الخوارج(*): قال شيخ الاسلام ابن تيمية «كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون».

ـ وقال: «وهم أول من كفَّر(*) أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك». وسموا بالناصبة أيضاً لمناصبة علي رضي الله عنه وآله

العداء، وصرّحوا ببغضهم. وظهروا في ١٠ من شهر شوال عام ٣٧هـ ببيعتهم «عبد الله بن وهب الراسبي»

ـ الثانية: الشيعة(*): أي من ادعوا أنهم شيعة عليّ وأبنائه، وقد افترقوا على فرق عدة أقلها غلّواً من قال منهم بأن عليًّا أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر مثل الزيدية.

ظهر بجانب مسألة التكفير مسألة القدر التي قال بها معبد الجهني في آخر القرن الأول، وكثر الكلام حولهما في آخر عهد علي بن أبي طالب.

● ثم ظهرت المرجئة(*) في آخر القرن الأول كذلك.

● ثم ظهر التعطيل(*) على يد الجعد بن درهم والجهم بن صفوان في أول القرن الثاني الهجري.

ـ ثم نادى جهم بن صفوان في أوائل القرن الثاني الهجري بالجبر(*) وهو الذي قال: لا إرادة للإنسان بجوار إرادة الله.

● وظهرت المعتزلة التي تنادي بالإرادة الإنسانية المطلقة، لأنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان حرًّاً مختاراً، وهذه الحرية هي أساس التكليف وعليها يترتب الحساب والعقاب.

ـ ثم أثيرت مسألة صفات الله وكلامه، ومسألة خلق القرآن، أهو مخلوق أم قديم؟ أثار ذلك الجهم بن صفوان والجعد بن درهم في العصر الأموي، ثم اشتد الأمر في العصر العباسي، فكان امتحان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

ـ وتعددت الفرق وتشعبت بتأثير كتب الفلسفة(*) اليونانية والهندية التي ترجمت إلى العربية. فأصبحت الفرق فرقاً متعددة، وهكذا انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة.. منها: الواصلية ورائدها واصل بن عطاء، والهذلية ورائدها أبو الهذيل العلاف.

وانقسمت الشيعة إلى فرق أقل غلواً وفرق غالية انحرفت كلياً عن طريق الإسلام مثل الإسماعلية والنصيرية والدروز وغيرهم.

ـ ثم ظهرت الأشاعرة والماتريدية للتصدي للفلاسفة والباطنية(*) والرافضة(*) ولكسر سورة المعتزلة الجهمية(*)، فكان لهم جهادهم المشكور إلا أنه كان لاستخدامهم مناهج(*) الفلاسفة والمتكلمين ومحاولة التوفيق بينهم وبين أهل السنة والجماعة(*) أثره البالغ في تأثرهم ببعض أفكارهم وعقائدهم على ما سيأتي بيانه.

ـ وإن اهتمامنا في هذه الموسوعة(*) بهذه الفرق ودراستها بشكل منهجي متقن، ليس لإحياء فكرها بعد أن مات بعضها واندثر، ولا من باب الترف الفكري، وإنما لأسباب نجملها فيما يلي:

١ ـ أن ذكر الفرق تاريخياً له أصوله في القرآن الكريم والسنة المطهرة. فقد توسع القرآن في ذكر قصص الأمم البائدة صالحها وسيئها، وذكر أقوال رؤسائهم وقادتهم، وما عملوه تجاه رسل الله، وكذلك قص علينا الرسول الكريم ﷺ من قصص الأمم السالفة والدروس المستفادة من ذلك. . .

٢ ـ أن تبيان أفكار هذه الفرق صحيحها وفاسدها، مستقيمها ومنحرفها ضرورة حتى يكون المسلم على بينة من عقائدها، وحتى لا يخدع بكلامهم وفعالهم إن ذكرت في كتب المتأثرين بهذه الفرق أو كتب أتباعها المعاصرين. .

٣ ـ كثير من أفكار هذه الفرق تتجدد وتلبس ثياباً أخرى غير التي كانت تلبسها سابقاً، أو تتسمى بأسماء براقة تغري الذي يشاهدها أو يسمع بها، والمسلم الحصيف هو الذي يعرف أوجه التشابه بين الأفكار القديمة والأفكار الحديثة.

٤ ـ والهدف من معالجة هذه الفرق هو أن يكون عند المسلم المثقف مرجع تاريخي مركز ومختصر يرجع إليه عندما يحتاج إلى الاطلاع على هذه الفرق وعقائدها وأفكارها وأماكن انتشارها. .

هذا مع العلم أن كثيراً من هذه الفرق لا زالت تعيش، وبعضها يتوسع على حساب الإسلام مثل فرقة الشيعة(*) والروافض(*) التي صار لها دولة تدعو إلى أفكارها بكل الوسائل العلمية والثقافية ـ وغزت بمدارسها ودعاتها قارة أفريقيا والشرق الأقصى. .

وبعد:

فهذه نقاط هامة لا بد من أن نذكرها في مقدمة سرد الفرق الإسلامية في هذه الموسوعة. . داعين المولى تعالى أن يوفق المسلمين إلى طريق الإسلام القويم، وإلى توحيد أفكارهم وعقائدهم على طريق الكتاب والسنة، حتى يعيدوا ماضيهم التليد الذي كانوا فيه أعزاء، أقوياء، في مركب الأمة الواحدة.

٣ ـ الشيعة الإمامية
(الاثنا عشرية)

التعريف:

الشيعة(*) الإمامية الاثنا عشرية هم تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليًّا هو الأحق في وراثة الخلافة(*) دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين. وقد أطلق عليهم الإمامية؛ لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالاثني عشرية؛ لأنهم قالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم. كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● الاثنا عشر إماماً الذين يتخذهم الشيعة الإمامية أئمة لهم يتسلسلون على النحو التالي:

ـ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الذي يلقبونه بالمرتضى ـ رابع الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله ﷺ، وقد مات غيلةً حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ.

ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما، ويلقبونه بالمجتبى (٣ ـ ٥٠هـ).

ـ الحسين بن علي رضي الله عنهما ويلقبونه بالشهيد (٤ ـ ٦١هـ).

ـ علي زين العابدين بن الحسين (٣٨ ـ ٩٥هـ) ويلقبونه بالسَّجَّاد.

ـ محمد الباقر بن علي زين العابدين (٥٧ ـ ١١٤هـ) ويلقبونه بالباقر.

ـ جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٣ ـ ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصادق.

ـ موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ ـ ١٨٣هـ) ويلقبونه بالكاظم.

ـ علي الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨ ـ ٢٠٣هـ) ويلقبونه بالرضى.

ـ محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥ ـ ٢٢٠هـ) ويلقبونه بالتقي.

ـ علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢ ـ ٢٥٤هـ) ويلقبونه بالنقي.
ـ الحسن العسكري بن علي الهادي (٢٣٢ ـ ٢٦٠هـ) ويلقبونه بالزكي.
ـ محمد المهدي بن الحسن العسكري (٢٥٦هـ ـ . . .) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر.

يزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سرداباً في دار أبيه بِسُرَّ مَنْ رأى ولم يعد، وقد اختلفوا في سِنّه وقت اختفائه فقيل أربع سنوات وقيل ثماني سنوات، غير أن معظم الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلاً وأنه من اختراعات الشيعة[*] ويطلقون عليه لقب (المعدوم أو الموهوم).

● من شخصياتهم البارزة تاريخيًّا عبد الله بن سبأ[1]، وهو يهودي من اليمن، أظهر الإسلام، ونقل ما وجده في الفكر اليهودي إلى التشيع كالقول بالرجعة[*]، وعدم الموت، وملك الأرض، والقدرة على أشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق، والعلم بما لا يعلمه أحد، وإثبات البداء[*] والنسيان على الله عزّ وجلّ ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً. وقد كان يقول في يهوديته بأن يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، فقال في الإسلام بأن عليًّا وصي محمد ﷺ. تنقل من المدينة إلى مصر والكوفة والفسطاط والبصرة وقال لعلي: «أنت أنت» أي أنت الله مما دفع عليًّا إلى أن يهم بقتله، لكن عبد الله بن عباس نصحه بألا يفعل، فنفاه إلى المدائن.

---

(١) ورد للندوة بعد صدور الطبعة الأولى من هذه الموسوعة عدد من الرسائل من القراء الشيعة الذين يستنكرون نسبة ابن سبأ إلى مؤسسي الشيعة.

ونحن عندما نذكر ابن سبأ هنا إنما نذكر ما أثبتته المصادر الإسلامية من سنية وشيعية التي تذكر أن ابن سبأ كان أول من نادى بالأفكار المنسوبة إليهم والتي يتفق كثير منها مع عقائد الشيعة، بل تنسب إليه فرقة من غلاة الشيعة اسمها السبئية ذكرها بالإضافة إلى علماء السنة الناشىء الأكبر من الشيعة في **مسائل الإمام** ص٢٢ وغيره.

أما عبد الله بن سبأ وغلوه وأفكاره فتكاد تكون متواترة وذكرها كثير من العلماء من السنة والشيعة فقد أورد بعض أخباره مثبتا لها من الشيعة القمي (٣٠١هـ) في **المقالات والفرق** ص٢٠ والنوبختي (٣١٠) في **فرق الشيعة** ص٢٣، كما أورد **الكشي الشيعي في رجاله** عدداً من الأخبار عن ابن سبأ (ص٩٨ ـ ١٠٠)، وغيرهم. أما التشكيك في وجود ابن سبأ والدور الذي قام به فهو حديث بدأه المستشرقون وتبعهم بعض كتاب الشيعة المعاصرون.

(لمزيد، من المعلومات حول هذا الموضوع ننصح بمراجعة كتاب الدكتور سليمان بن فهد العودة: **عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام**، وأصله رسالة جامعية أثبت فيها المؤلف صحة الأخبار الواردة في ابن سبأ وقد نوقشت الرسالة عام ١٤٠٢هـ).

● منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي المتوفي سنة ٥٨٨هـ صاحب كتاب **الاحتجاج** طبع في إيران سنة ١٣٠٢هـ.

● الكُلَيني صاحب كتاب **الكافي** المطبوع في إيران سنة ١٢٧٨هـ وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة(*) ويزعمون بأن فيه ١٦١٩٩ حديثاً.

● الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ والمدفون في المشهد المرتضوي بالنجف، وهو صاحب كتاب **فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رَبِّ الأرباب** يزعم فيه أن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. ومن ذلك ادعاؤهم في سورة الانشراح نقص عبارة **﴿وجعلنا علياً صهرك﴾**، معاذ الله أن يكون ادعاؤهم هذا صحيحاً. وقد طبع هذا الكتاب في إيران سنة ١٢٨٩هـ.

● آية الله المامقاني صاحب كتاب **تنقيح المقال في أحوال الرجال** وهو لديهم إمام الجرح والتعديل، وفيه يطلق على أبي بكر وعمر لقب الجبت والطاغوت، انظر ١/ ٢٠٧ ـ طبع ١٣٥٢هـ بالمطبعة المرتضوية بالنجف.

● أبو جعفر الطوسي صاحب كتاب **تهذيب الأحكام**، ومحمد بن مرتضى المدعو ملا محسن الكاشي صاحب كتاب **الوافي**، ومحمد بن الحسن الحر العاملي صاحب كتاب **وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة**، ومحمد باقر بن الشيخ محمد تقي المعروف بالمجلسي صاحب كتاب **بحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الأطهار**، وفتح الله الكاشاني صاحب كتاب **منهج الصادقين**، وابن أبي الحديد صاحب **شرح نهج البلاغة**.

● آية الله الخميني: من رجالات الشيعة(*) المعاصرين، قاد ثورة شيعية في إيران تسلمت زمام الحكم، وله كتاب **كشف الأسرار** وكتاب **الحكومة الإسلامية**، وقد قال بفكرة ولاية الفقيه. وبالرغم من أنه رفع شعارات إسلامية عامة في بداية الثورة(*)، إلا أنه ما لبث أن كشف عن نزعة شيعية متعصبة ضيقة ورغبة في تصدير ثورته إلى بقية العالم الإسلامي، فقد اتخذ إجراءات أدى بعضها مع أسباب أخرى إلى قيام حرب استمرت ثماني سنوات مع العراق.

الأفكار والمعتقدات:

● **الإمامة**: وتكون بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وأن الإمامة من الأمور المهمة التي لا يجوز أن يفارق النبي ﷺ الأمة ويتركها هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه والمعوَّل عليه.

ـ يستدلون على ذلك بأن النبي(*) ﷺ قد نص على إمامة علي من بعده نصًّا ظاهراً يوم غدير خم، وهي حادثة لا يثبتها محدثو أهل السنة(*) ولا مؤرخوهم.

ـ ويزعمون أن عليًّا قد نص على ولديه الحسن والحسين. . وهكذا. . فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه. ويسمونهم الأوصياء.

ـ **العصمة**: أئمة أهل البيت الاثنا عشر معصومون في زعمهم عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر.

● **العلم اللدني**: كل إمام من الأئمة أُودع العلم من لدن الرسول(*) ﷺ، بما يكمل الشريعة، وهو يملك علماً لدنيًّا، ولا يوجد بينه وبين النبي من فرق سوى أنه لا يوحى إليه، وقد استودعهم رسول الله ﷺ أسرار الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم.

● **خوارق العادات**: يجوز أن تجري هذه الخوارق على يد الإمام، ويسمون ذلك معجزة(*)، وإذا لم يكن هناك نص على إمام من الإمام السابق عليه وجب أن يكون إثبات الإمامة في هذه الحالة بالخارقة.

● **الغيبة**: يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه، كما زعموا، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى، وهذا من أساطيرهم.

● **الرجعة**(*): يعتقدون أن محمد بن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج، وكان بعضهم يقفون بعد صلاة المغرب بباب السرداب، وقد قدموا مركباً، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية. ويقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وسيقتص من خصوم الشيعة(*) على مدار التاريخ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات.

● **التقية**(*): وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية، كما يستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨] وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله: «**التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له**». وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد كبير.

● **المتعة**: يرون بأن متعة النساء خير العادات وأفضل القربات، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤]. وقد حرم الإسلام هذا الزواج الذي تشترط فيه مدة محدودة، بينما يشترط معظم أهل السنة وجوب استحضار نية التأبيد، ولزواج المتعة آثار سلبية كثيرة على المجتمع تبرر تحريمه.

● يعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة[١]: ويروي الكُليني في كتابه **الكافي** في صفحة ٥٧ طبعة ١٢٧٨هـ عن جعفر الصادق: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم».

● **البراءة**: إنهم يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات؛ لأنهم ـ كما يزعمون ـ اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها، كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

● **المغالاة**: بعضهم غالى في شخصية علي رضي الله عنه، والمغالون من الشيعة[*] رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية[*]، وبعضهم قالوا بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد ﷺ، بدلاً من أن ينزل على علي؛ لأن عليًّا يشبه النبي[*] كما يشبه الغرابُ الغرابَ ولذلك سموا بالغرابية.

● **عيد غدير خم**: وهو عيد لهم يصادف اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ويفضلونه على عيدي الأضحى والفطر ويسمونه بالعيد الأكبر، وصيام هذا اليوم عندهم سنة مؤكدة، وهو اليوم الذي يدَّعون فيه بأن النبي قد أوصى فيه بالخلافة[*] لعلي من بعده.

● يعظمون عيد النيروز وهو من أعياد الفرس، وبعضهم يقول: غُسل يوم النيروز سُنة.

● لهم عيد يقيمونه في اليوم التاسع من ربيع الأول، وهو عيد أبيهم (بابا شجاع الدين) وهو لقب لَقَّبوا به (أبا لؤلؤة المجوسي) الذي أقدم على قتل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

● يقيمون حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في العاشر من شهر المحرم معتقدين بأن ذلك قربة إلى الله تعالى، وأن ذلك يكفر سيئاتهم وذنوبهم، ومن يزرهم في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف وقم.. فسيرَى من ذلك العجب العجاب.

---

(١) ينكر بعض الشيعة المعاصرون مصحف فاطمة والبراءة من الخلفاء وبعض الأمور الأخرى التي وردت في هذا التعريف. لكن هذه موجودة في كتبهم ولم يتبرأ منها علماؤهم على رؤوس الأشهاد وبين الشيعة أنفسهم، مما يوحي أن هذا الإنكار هو من باب التقية التي يطبقونها مع الفرق الإسلامية الأخرى مثل التظاهر بأداء بعض العبادات علانية ومخالفتها سرًّا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● انعكست في التشيع معتقدات الفرس الذين يدينون لهم بالملك والوراثة، وقد ساهم الفرس فيه لينتقموا من الإسلام ـ الذي كسر شوكتهم ـ باسم الإسلام ذاته.

● اختلط الفكر الشيعي بالفكر الوافد من العقائد الآسيوية كالبوذية والمانوية(*) والبرهمية(*)، وقالوا بالتناسخ(*) وبالحلول(*).

● استمد التشيع أفكاره من اليهودية التي تحمل بصمات وثنية(*) آشورية وبابلية.

● أقوالهم في علي بن أبي طالب وفي الأئمة من آل البيت تلتقي مع أقوال النصارى في عيسى عليه السلام، ولقد شابهوهم في كثرة الأعياد وكثرة الصور واختلاق خوارق العادات وإسنادها إلى الأئمة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تنتشر فرقة **الاثني عشرية** من الإمامية الشيعية الآن في إيران وتتركز فيها، ومنهم عدد كبير في العراق، ويمتد وجودهم إلى الباكستان كما أن لهم طائفة في لبنان، أما في سوريا فهناك طائفة قليلة منهم لكنهم على صلة وثيقة بالنُّصيْرية الذين هم من غلاة الشيعة.

ويتضح مما سبق:

أن التشيع الأول بدأ كحزب(*) يرى أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة، ثم تطوَّر حتى أصبح فرقة عقائدية وسياسية انضوى تحت لوائها كل من أراد الكيد للإسلام والدولة المسلمة، حتى أن المتتبع للتاريخ الإسلامي لا يكاد يرى ثورة(*) أو انفصالاً عن الدولة الأم أو مشكلة عقائدية إلا وكان الشيعة بفرقها المتعددة وراءها، أو لهم ضلعٌ فيها. ولهذا اصطبغ التاريخ الإسلامي بكثير من الثورات والتمزق، ونظراً لوجود عناصر مندسَّةً بين المسلمين يهمها استمرار هذا الخلاف فإن المشكلة لم تنته، بل استمر الخلاف وكاد التشيع يكون ديناً(*) مختلفاً عن الإسلام تماما، وقد استغلت الدوائر الغربية والمستشرقون هذا الخلاف لتصوير المسلمين شيعاً وأحزاباً متناحرة. بل يقارنونه بالمسيحية(*) التي بلغت فرقها المئات.

مراجع للتوسع:

ـ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة.

ـ مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري ـ ط١ ـ ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٩م.

- **الشافعي**، محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - مصر .
- **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة**، د. عبد الله فياض - مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٧٠م .
- **دراسات في الفِرَق**، د. صابر طعيمة - مكتبة المعارف بالرياض - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
- **مختصر التحفة الاثنا عشرية**، تحقيق محب الدين الخطيب - القاهرة - المطبعة السلفية - ١٣٧٣هـ .
- **الملل والنحل**، أبو الفتح الشهرستاني - دار المعرفة - بيروت - ط٢ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
- **الشيعة والسنة**، إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - لاهور - الباكستان - ط٥ - ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .
- **الشيعة والتشيع**، **إحسان إلهي ظهير** - إدارة ترجمان السنة. لاهور - ط١ - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- **الشيعة وأهل البيت**، إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - ط٣ - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم - جدة - طبعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- **الخطوط العريضة**، محب الدين الخطيب - ط٥ - القاهرة - المطبعة السلفية - ١٣٨٨هـ .
- **الصراع بين الشيعة والتشيع**، العلاّمة الدكتور موسى الموسوي ١٤٠٨هـ .
- **عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في الإسلام**، د. سليمان بن فهد العودة - ط٢ - الرياض - دار طيبة .
- **التقريب بين السنة والشيعة**. د. ناصر بن عبد الله القفاري ط٤ - الرياض - دار طيبة ١٤١٦هـ .

٤ ـ الإباضية

التعريف:

الإباضية إحدى فرق الخوارج(*)، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة، مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات، والقول بخلق القرآن، وتجويز الخروج على أئمة الجور.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسسها الأول عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، يرجع نسبه إلى إباض، وهي قرية العارض باليمامة، وعبد الله عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبدالملك ابن مروان.

● يذكر الإباضية أن أبرز شخصياتهم جابر بن زيد (٢٢ ـ ٩٣هـ) الذي يعد من أوائل المشتغلين بتدوين الحديث آخذاً العلم عن عبد الله بن عباس وعائشة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة، مع أن جابراً قد تبرأ منهم: (انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨).

● أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة: من أشهر تلاميذ جابر بن زيد، وقد أصبح مرجع الإباضية بعده مشتهراً بلقب القفاف توفي في ولاية أبي جعفر المنصور ١٥٨هـ.

● الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة، وينسبون له مسنداً خاصاً به **مسند الربيع بن حبيب** وهو مطبوع ومتداول.

● من أئمتهم في الشمال الأفريقي أيام الدولة العباسية: الإمام الحارث بن تليد، ثم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم أبو حاتم يعقوب بن حبيب ثم حاتم الملزوزي.

● ومنهم الأئمة الذين تعاقبوا على الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب: عبد الرحمن، عبد الوهاب، أفلح، أبو بكر، أبو اليقظان، أبو حاتم.

● من علمائهم:

ـ سلمة بن سعد: قام بنشر مذهبهم في أفريقيا في أوائل القرن الثاني.

ـ ابن مقطير الجناوني: تلقى علومه في البصرة، وعاد إلى موطنه في جبل نفوسة بليبيا ليسهم في نشر المذهب(*) الإباضي.

ـ عبد الجبار بن قيس المرادي: كان قاضياً أيام إمامهم الحارث بن تليد.

ـ السمح أبو طالب: من علمائهم في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، كان وزيراً للإمام عبد الوهاب بن رستم ثم عاملاً له على جبل نفوسة ونواحيه بليبيا.

ـ أبو ذر أبان بن وسيم: من علمائهم في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، وكان عاملاً للإمام أفلح بن عبد الوهاب على حيز طرابلس.

الأفكار والمعتقدات:

● يظهر من خلال كتبهم تعطيل(*) الصفات الإلهية، وهم يلتقون إلى حد بعيد مع المعتزلة في تأويل(*) الصفات، ولكنهم يدعون أنهم ينطلقون في ذلك من منطلق عقدي، إذ يذهبون إلى تأويل الصفة تأويلاً مجازياً بما يفيد المعنى دون أن يؤدي ذلك إلى التشبيه(*)، ولكن كلمة الحق في هذا الصدد تبقى دائماً مع أهل السنة والجماعة(*) المتبعين للدليل، من حيث إثبات الأسماء والصفات العليا لله تعالى كما أثبتها لنفسه، بلا تعطيل ولا تكييف(*) ولا تحريف(*) ولا تمثيل(*).

● ينكرون رؤية الله تعالى في الآخرة.

● يؤولون بعض مسائل الآخرة تأويلاً مجازيًّا كالميزان والصراط.

● أفعال الإنسان خلق من الله، واكتساب من الإنسان، وهم بذلك يقفون موقفاً وسطاً بين القدريّة(*) والجبرية(*).

● صفات الله ليست زائدة على ذات الله، ولكنها هي عين ذاته.

● القرآن لديهم مخلوق، وقد وافقوا الخوارج(*) في ذلك، يقول الأشعري «والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن»، **مقالات الإسلاميين** ١/ ٢٠٣ ط٢ ـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

● مرتكب الكبيرة(*) ـ عندهم ـ كافر كفر نعمة أو كفر نفاق.

● الناس في نظرهم ثلاثة أصناف:

ـ مؤمنون أوفياء بإيمانهم.

ـ مشركون واضحون في شركهم.

ـ قوم أعلنوا كلمة التوحيد وأقروا بالإسلام لكنهم لم يلتزموا به سلوكاً وعبادة، فهم

ليسوا مشركين، لأنهم يقرون بالتوحيد، وهم كذلك ليسوا بمؤمنين، لأنهم لا يلتزمون بما يقتضيه الإيمان، فهم إذن مع المسلمين في أحكام الدنيا لإقرارهم بالتوحيد، وهم مع المشركين في أحكام الآخرة لعدم وفائهم بإيمانهم ولمخالفتهم ما يستلزمه التوحيد من عمل أو ترك.

● للدار وحكمها عند محدثي الإباضية صور متعددة، ولكن محدثيهم يتفقون مع القدامى في أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام هي دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي.

● يعتقدون بأن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والخيل، وكل ما فيه من قوة الحرب حلال وما سواه حرام!

● مرتكب الكبيرة كافر(*)، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها، فإن الله لا يغفر الكبائر(*) لمرتكبيها إلا إذا تابوا منها قبل الموت.

ـ الذي يرتكب كبيرة من الكبائر يطلقون عليه لفظة «كافر» زاعمين بأن هذا كفر نعمة أو كفر نفاق لا كفر ملة، بينما يطلق عليه أهل السنة والجماعة(*) كلمة العصيان أو الفسوق، ومن مات على ذلك ـ في نظر أهل السنة ـ فهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له بكرمه وإن شاء عذبه بعدله حتى يطهر من عصيانه ثم ينتقل إلى الجنة، أما الإباضية فيقولون بأن العاصي مخلد في النار، وهي بذلك تتفق مع بقية الخوارج(*) والمعتزلة في تخليد العصاة في جهنم.

● ينكرون الشفاعة لعصاة الموحدين؛ لأن العصاة ـ عندهم ـ مخلدون في النار فلا شفاعة لهم حتى يخرجوا من النار.

● ينفون شرط القرشية في الإمام إذ إن كل مسلم صالح لها، إذا ما توافرت فيه الشروط، والإمام الذي ينحرف ينبغي خلعه وتولية غيره.

● يتهجم بعضهم على أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم.

ـ الإمامة بالوصية باطلة في مذهبهم، ولا يكون اختيار الإمام إلا عن طريق البيعة(*)، كما يجوز تعدد الأئمة في أكثر من مكان.

ـ لا يوجبون الخروج على الإمام الجائر ولا يمنعونه، وإنما يجيزونه، فإذا كانت الظروف مواتية والمضار فيه قليلة فإن هذا الجواز يميل إلى الوجوب، وإذا كانت الظروف غير مواتية والمضار المتوقعة كثيرة والنتائج غير مؤكدة فإن هذا الجواز يميل إلى المنع. ومع كل هذا فإن الخروج لا يمنع في أي حال، والشراء(*) (أي الكتمان) مرغوب فيه على جميع الأحوال ما دام الحاكم ظالماً.

● يرون أن الجد للأب أولى بالحضانة من الجدة للأم خلافاً لأكثر المذاهب.

ـ يرون أن الجد يمنع الإخوة من الميراث، بينما ترى بعض المذاهب الأخرى أن يقتسموا معه.

● لا يجوز لديهم أن يدعو شخص لآخر بخير الجنة وما يتعلق بها إلا إذا كان مسلماً موفّياً بدينه مستحقًّا الولاية بسبب طاعته، أما الدعاء بخير الدنيا وبما يحول الإنسان من أهل الدنيا إلى أهل الآخرة فهو جائز لكل أحد من المسلمين تقاة وعصاة.

● لديهم نظام اسمه (حلقة العزابة)، وهي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً وتقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، كما تمثل مجلس الشورى في زمن الظهور والدفاع، أما في زمن الشراء والكتمان فإنها تقوم بعمل الإمام وتمثله في مهامه.

ـ لديهم منظمة اسمها (إيروان) تمثل المجلس الاستشاري المساعد للعزابة، وهي القوة الثانية في البلد بعدها.

ـ يشكلون من بينهم لجاناً تقوم على جمع الزكاة وتوزيعها على الفقراء، كما تمنع منعاً باتًّا طلب الزكاة أو الاستجداء وما إلى ذلك من صور انتظار العطاء.

ـ انشق عن الإباضية عدد من الفرق التي اندثرت وهي:

ـ الحفصية: أصحاب حفص بن أبي المقدام.

ـ الحارثية: أصحاب الحارث الإباضي.

ـ اليزيدية: أصحاب يزيد بن أنيسة. الذي زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، ومن ثم ترك شريعة محمد ﷺ.

وقد تبرأ سائر الإباضية من أفكارهم وكفروهم لشططهم وابتعادهم عن الخط الإباضي الأصلي، الذي لا يزال إلى يومنا هذا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الإباضيون يعتمدون على القرآن والسنة ـ **مسند الربيع بن حبيب** ـ والرأي والإجماع(*).

● ولقد تأثروا بمذهب أهل الظاهر، إذ إنهم يقفون عند بعض النصوص الدينية موقفاً حرفيًّا ويفسرونها تفسيراً ظاهريًّا.

● وتأثروا كذلك بالمعتزلة في قولهم بخلق القرآن.

● ولكن منهم من استند في كتاباته الفقهية إلى آراء الحنفية والمالكية والشافعية

والحنابلة دون تحامل.

● ويُعد كتاب **النيل وشفاء العليل** ـ الذي شرحه الشيخ محمد بن يوسف إطْفَيِّش المتوفى سنة ١٣٣٢هـ ـ من أشهر مراجعهم. جمع فيه فقه المذهب الإباضي وعقائده.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● كانت لهم صولة وجولة في جنوبي الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أما في الشمال الأفريقي فقد انتشر مذهبهم بين البربر وكانت لهم دولة عرفت باسم الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت.

● حكموا الشمال الأفريقي حكماً متصلا مستقلا زهاء مائة وثلاثين سنة حتى أزالهم الفاطميون (العبيديون).

● قامت للإباضية دولة مستقلة في عُمان وتعاقب على الحكم فيها إلى العصر الحديث أئمة إباضيون.

● من حواضرهم التاريخية جبل نفوسة بليبيا، إذ كان معقلاً لهم ينشرون منه المذهب الإباضي، ومنه يديرون شؤون الفرقة الإباضية.

● لا يزال لهم وجود إلى وقتنا الحاضر في كل من عمان بنسبة مرتفعة وليبيا وتونس والجزائر وفي واحات الصحراء الغربية وفي زنجبار التي ضمت إلى تانجانيقا تحت اسم تنزانيا.

ويتضح مما تقدم:

أن الإباضية إحدى فرق الخوارج(*)، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج، وينفون عنهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة، مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل(*) الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور.

مراجع للتوسع:

- **الإباضية في موكب التاريخ**، علي يحيى معمر (إباضي معاصر) ـ مكتبة وهبة ط١ ـ القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- **المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة ـ المطبعة النموذجية.
- **الفرق الإسلامية**، (ذيل كتاب شرح المواقف ـ للكرماني) تحقيق سليمة عبد الرسول ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٧٣م.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفي الشكعة ـ الدار المصرية للطباعة والنشر ـ بيروت.

- **الملل والنحل**، للشهرستاني ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت.
- **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، علي يحيى معمر (إباضي) ـ مكتبة وهبة ط١ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ـ القاهرة.
- **الفرق بين الفرق**، عبد القادر البغدادي.
- **مقالات الإسلاميين**، أبو الحسن الأشعري.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد بن حزم.
- **المذاهب والفرق والأديان المعاصرة**، عبد القادر شيبة الحمد.
- **الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي**، ألفرد بل ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي.
- **تاريخ فلسفة الإسلام**، د. يحيى هويدي.
- **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة**، عبد الله الأمين.
- **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، بكير بن سعيد أعوشت.
- **الإباضية: دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم**، علي يحيى معمر.
- **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية**، اللواء حسن صادق، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- **الإباضية**، صابر طعيمة.
- **الإباضية**، عبد العزيز العبد اللطيف.
- **دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين** د. أحمد محمد أحمد جلي ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض.
- **الخوارج في العصر الأموي** لنايف عواد معروف.
- **الخوارج في العصر الأموي** لسليمان السويكت، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣٩٩هـ ـ غير مطبوعة.
- **الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم** لناصر بن عبد الله السعدي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، العقيدة، ١٤٠٤هـ، غير مطبوعة.
- **الخوارج تاريخهم وآراؤهم**، لغالب العواجي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٣٩٩ هـ غير مطبوعة.
- **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري** لمحمود إسماعيل.
- **الإباضية عقيدة وفكراً** لعبد الرحمن المصلح، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٢هـ.
- **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام** ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض.

٥ ـ المعتزلة

التعريف:

المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية(*) والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● اختلفت رؤية العلماء في ظهور الاعتزال، واتجهت هذه الرؤية إلى وجهتين:

ـ الوجهة الأولى: أن الاعتزال حصل نتيجة النقاش في مسائل عقدية دينية كالحكم على مرتكب الكبيرة(*)، والحديث في القدر، بمعنى هل يقدر العبد على فعله أو لا يقدر، ومن رأي أصحاب هذا الاتجاه أن اسم المعتزلة أطلق عليهم لعدة أسباب:

١ ـ أنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

٢ ـ أنهم عرفوا بالمعتزلة بعد أن اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري وشكل جلقة خاصة به لقوله بالمنزلة بين المنزلتين فقال الحسن: «اعتزلنا واصل».

٣ ـ أو أنهم قالوا بوجوب اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته.

ـ والوجهة الثانية: أن الاعتزال نشأ بسبب سياسي، إذ إن المعتزلة من شيعة علي رضي الله عنه اعتزلوا الحسن عندما تنازل لمعاوية، أو أنهم وقفوا موقف الحياد بين شيعة علي ومعاوية فاعتزلوا الفريقين.

● أما القاضي عبد الجبار الهمذاني ـ مؤرخ المعتزلة ـ فيزعم أن الاعتزال ليس مذهباً جديداً أو فرقة طارئة أو طائفة جديدة أو أمراً مستحدثاً، وإنما هو استمرار لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته، وقد لحقهم هذا الاسم بسبب اعتزالهم الشر لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ [مريم: ٤٨] ولقول الرسول ﷺ: «**من اعتزل الشر سقط في الخير**».

● والواقع أن نشأة الاعتزال كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادىء فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية كما سنرى في فقرة (الجذور الفكرية والعقائدية).

● قبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء، كان هناك جدل(*) ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، وهذه المقولات نوجزها مع أصحابها فيما يلي:

- مقولة إن الإنسان حر مختار بشكل مطلق، وهو الذي يخلق أفعاله بنفسه قالها: معبد الجهني، الذي خرج على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحمن بن الأشعث.. وقد قتله الحجاج عام ٨٠هـ بعد فشل الحركة.

- وكذلك قالها غيلان الدمشقي في عهد عمر بن عبد العزيز وقتله هشام بن عبد الملك.

- ومقولة خلق القرآن ونفي الصفات، قالها الجهم بن صفوان، وقد قتله سالم بن أحوز في مرو عام ١٢٨هـ.

- وممن قال بنفي الصفات، أيضاً: الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة.

● ثم برزت المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الغزال (٨٠هـ - ١٣١هـ) الذي كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة(*) في منزلة بين المنزلتين (أي ليس مؤمناً ولا كافراً)، وأنه مخلد في النار إذا لم يتب قبل موته، وقد عاش في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، والفرقة المعتزلية التي تنسب إليه تسمى: **الواصلية**.

● ولاعتماد المعتزلة على العقل في فهم العقائد وتقصيهم لمسائل جزئية فقد انقسموا إلى طوائف مع اتفاقهم على المبادىء الرئيسية الخمسة - التي سنذكرها لاحقاً - وكل طائفة من هذه الطوائف جاءت ببدع جديدة تميزها عن الطائفة الأخرى.. وسمت نفسها باسم صاحبها الذي أخذت عنه.

● وفي العهد العباسي برز المعتزلة في عهد المأمون، إذ اعتنق الاعتزال عن طريق بشر المريسي وثمامة بن أشرس وأحمد بن أبي دؤاد، وهو أحد رؤوس بدعة الاعتزال في عصره، ورأس فتنة خلق القرآن، وكان قاضياً للقضاة في عهد المعتصم.

- في فتنة خلق القرآن امتحن الإمام أحمد بن حنبل الذي رفض الرضوخ لأوامر المأمون والإقرار بهذه البدعة، فسجن وعذب وضرب بالسياط في عهد المعتصم بعد وفاة المأمون وبقي في السجن لمدة عامين ونصف، ثم أعيد إلى منزله وبقي فيه طيلة خلافة المعتصم ثم ابنه الواثق.

- لما تولى المتوكل الخلافة عام ٢٣٢هـ انتصر لأهل السنة(*)، وأكرم الإمام أحمد،

وأنهى عهد سيطرة المعتزلة على الحكم ومحاولة فرض عقائدهم بالقوة خلال أربعة عشر عاماً.

● في عهد دولة بني بويه عام ٣٣٤هـ في بلاد فارس ـ وكانت دولة شيعية ـ توطدت العلاقة بين الشيعة(*) والمعتزلة، وارتفع شأن الاعتزال أكثر في ظل هذه الدولة، فعين القاضي عبد الجبار رأس المعتزلة في عصره قاضياً لقضاء الري عام ٣٦٠هـ بأمر من الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهي، وهو من الروافض(*) المعتزلة، يقول فيه الذهبي: «وكان شيعيًّا معتزليًّا مبتدعاً» ويقول المقريزي: «إن مذهب الاعتزال فشا تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخراسان وما وراء النهر». وممن برز في هذا العهد: الشريف المرتضى الذي قال عنه الذهبي: «وكان من الأذكياء والأولياء المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر لكنه إمامي جلد».

● بعد ذلك كاد الاعتزال ينتهي كفكر مستقل إلا ما تبنته منه بعض الفرق كالشيعة وغيرهم.

● عاد الفكر الاعتزالي من جديد في الوقت الحاضر، على يد بعض الكتاب والمفكرين، الذين يمثلون المدرسة العقلانية الجديدة، وهذا ما سنبسطه عند الحديث عن فكر الاعتزال الحديث.

● ومن أبرز مفكري المعتزلة منذ تأسيسها على يد واصل بن عطاء وحتى اندثارها وتحللها في المذاهب الأخرى كالشيعة والأشعرية والماتريدية الآتي ذكره:

ـ أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف (١٣٥ ـ ٢٢٦هـ) مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة والمناظر عنها. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، فقد تأثر بأرسطو وأنبادقليس من فلاسفة اليونان، وقال بأن «الله عالم بعلم وعلمه ذاته، وقادر بقدرة وقدرته ذاته...». انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٧٦. وتسمى طائفته الهذيلية.

ـ إبراهيم بن يسار بن هانىء النظام (توفي سنة ٢٣١هـ)، وكان في الأصل على دين البراهمة(*) وقد تأثر، أيضاً، بالفلسفة(*) اليونانية مثل بقية المعتزلة.. وقال بأن المتولدات من أفعال الله تعالى، وتسمى طائفته النظامية.

ـ بشر بن المعتمر (توفي سنة ٢٢٦هـ)، وهو من علماء المعتزلة، وهو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط فيه. فقال: إن كل المتولدات من فعل الإنسان فهو يصح أن يفعل الألوان والطعوم والرؤية والروائح وتسمى طائفته البشرية.

ـ معمر بن عباد السلمي (توفي سنة ٢٢٠هـ) وهو من أعظم القدرية(*) فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر(*) خيره وشره من الله تعالى، وتسمى طائفته: المعمرية.

ـ عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار (توفي سنة ٢٢٦هـ)، وكان يقال له: راهب المعتزلة، وقد عرف عنه التوسع في التكفير(*) حتى كفر الأمة بأسرها بما فيها المعتزلة، وتسمى طائفته المردارية.

ـ ثمامة بن أشرس النميري (توفي سنة ٢١٣هـ)، كان جامعاً بين قلة الدين وخلاعة النفس، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين، وكان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق. وقيل إنه هو الذي أغرى المأمون ودعاه إلى الاعتزال، وتسمى طائفته الثمامية.

ـ عمرو بن بحر: أبو عثمان الجاحظ (توفي سنة ٢٥٦هـ)، وهو من كبار كتاب المعتزلة، ومن المطلعين على كتب الفلاسفة، ونظراً لبلاغته في الكتابة الأدبية استطاع أن يدس أفكاره المعتزلية في كتاباته كما يدس السم في الدسم مثل، **البيان والتبيين**، وتسمى فرقته الجاحظية.

ـ أبو الحسين بن أبي عمر الخياط (توفي سنة ٣٠٠هـ)، من معتزلة بغداد، وبدعته التي تفرد بها قوله بأن المعدوم جسم، والشيء المعدوم قبل وجوده جسم، وهو تصريح بقدم العالم، وهو بهذا يخالف جميع المعتزلة وتسمى فرقته الخياطية.

ـ القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني (المتوفى سنة ٤١٤هـ)، فهو من متأخري المعتزلة، قاضي قضاة الري وأعمالها، وأعظم شيوخ المعتزلة في عصره، وقد أرخ للمعتزلة وقنن مبادئهم وأصولهم الفكرية والعقدية.

المبادىء والأفكار:

● جاءت المعتزلة في بدايتها بفكرتين مبتدعتين:

ـ الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه، ولذلك كان التكليف، ومن أبرز من قال ذلك غيلان الدمشقي، الذي أخذ يدعو إلى مقولته هذه في عهد عمر بن عبد العزيز. حتى عهد هشام بن عبد الملك، فكانت نهايته أن قتله هشام بسبب ذلك.

ـ الثانية: القول بأن مرتكب الكبيرة(*) ليس مؤمناً ولا كافراً، ولكنه فاسق. فهو بمنزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا. أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة؛ لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار، ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام، وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً.

● ثم حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول:

١ ـ التوحيد.

٢ ـ العدل.

٣ ـ الوعد والوعيد.

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين.

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ ـ **التوحيد**: وخلاصته في رأيهم، أن الله تعالى منزه عن الشبيه والمماثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولا ينازعه أحد في سلطانه ولا يجري عليه شيء مما يجري على الناس. وهذا حق، ولكنهم بنوا عليه نتائج باطلة منها: استحالة رؤية الله تعالى لاقتضاء ذلك نفي الصفات، وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات، وإلا تعدد القدماء في نظرهم، لذلك يعدون من نفاة الصفات، وبنوا على ذلك، أيضاً، أن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى لنفيهم عنه سبحانه صفة الكلام.

٢ ـ **العدل**: ومعناه في رأيهم أن الله لا يخلق أفعال العباد، ولا يحب الفساد، بل إن العباد يفعلون ما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم، وأنه لم يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره، وأنه ولي كل حسنة أمر بها، بريء من كل سيئة نهى عنها، لم يكلفهم ما لا يطيقون ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه. وذلك لخلطهم بين إرادة الله تعالى الكونية(*) وإرادته الشرعية(*).

٣ ـ **الوعد والوعيد**: ويعني أن يجازي الله المحسن إحساناً، ويجازي المسيء سوءاً، ولا يغفر لمرتكب الكبيرة(*) إلا أن يتوب.

٤ ـ **المنزلة بين المنزلتين**: وتعني أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر فليس بمؤمن ولا كافر. وقد قرر هذا واصل بن عطاء شيخ المعتزلة.

٥ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: فقد قرروا وجوب ذلك على المؤمنين نشراً لدعوة الإسلام وهداية للضالين وإرشاداً للغاوين كل بما يستطيع: فذو البيان ببيانه، والعالم بعلمه، وذو السيف بسيفه، وهكذا. ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق.

● ومن مبادىء المعتزلة الاعتماد على العقل(*) كليًا في الاستدلال لعقائدهم، وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً، فقالوا كما جاء في **الملل والنحل** للشهرستاني: «المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبح(*) صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح».

ـ ولاعتمادهم على العقل، أيضاً، أوّلوا الصفات بما يلائم عقولهم الكليلة، كصفات الاستواء واليد والعين، وكذلك صفات المحبة والرضى والغضب والسخط ومن المعلوم أن المعتزلة تنفي كل الصفات لا أكثرها.

ـ ولاعتمادهم على العقل، أيضاً، طعن كبراؤهم في أكابر الصحابة وشنعوا عليهم ورموهم بالكذب، فقد زعم واصل بن عطاء: أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، إما طائفة علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر والحسن والحسين وأبي أيوب الأنصاري وإما طائفة عائشة والزبير، وردوا شهادة هؤلاء الصحابة فقالوا: لا تقبل شهادتهم.

ـ وسبب اختلاف المعتزلة فيما بينهم وتعدد طوائفهم هو اعتمادهم على العقل فقط ـ كما نوهنا ـ وإعراضهم عن النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، ورفضهم الاتباع بدون بحث واستقصاء، وقاعدتهم التي يستندون إليها في ذلك:

«كل مكلف مطالب بما يؤديه إليه اجتهاده في أصول الدين»، فيكفي وفق مذهبهم أن يختلف التلميذ مع شيخه في مسألة ليكون هذا التلميذ صاحب فرقة قائمة، وما هذه الفرق التي عددناها آنفاً إلا نتيجة اختلاف تلاميذ مع شيوخهم، فأبو الهذيل العلاف له فرقة، خالفه تلميذه النظام فكانت له فرقة، فخالفه تلميذه الجاحظ فكانت له فرقة، والجبائي له فرقة، فخالفه ابنه أبو هاشم عبد السلام فكانت له فرقة، أيضاً، وهكذا.

ـ وهكذا نجد أن المعتزلة قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة(*) اليونانية عامة وبالمنطق(*) الصوري الأرسطي خاصة.

● وقد فند علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، فمنهم أبو الحسن الأشعري الذي كان منهم، ثم خرج من فرقتهم ورد عليهم متبعاً أسلوبهم في الجدال(*) والحوار.. ثم جاء الإمام أحمد بن حنبل الذي اكتوى بنار فتنتهم المتعلقة بخلق القرآن ووقف في وجه هذه الفتنة بحزم وشجاعة نادرتين.

ـ ومن الردود قوية الحجة، بارعة الأسلوب، رد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عليهم في كتابه القيم: **درء تعارض العقل والنقل** فقد تتبع آراءهم وأفكارهم واحدة واحدة ورد عليها ردًّا مفحماً.. وبين أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل.

● وقد ذكر في هذا البحث أكثر من مرة أن المعتزلة اعتمدوا **على العقل**(*) في تعاملهم مع نصوص الوحي(*)، وقد يتوهم أحد أن الإسلام ضد العقل ويسعى للحجر عليه، ولكن هذا الفهم يرده دعوة الإسلام إلى التفكر في خلق السماوات والأرض والتركيز على استعمال العقل في اكتشاف الخير والشر وغير ذلك مما هو معروف ومشهور، مما دعا العقاد ـ رحمه

الله ـ إلى أن يؤلف كتاباً بعنوان: «**التفكير فريضة إسلامية**، ولهذا فإن من انحرافات المعتزلة استعمالهم العقل في غير مجاله: في أمور غيبية تقع خارج الحس ولا يمكن محاكمتها محاكمة عقلية صحيحة، كما أنهم بنوا عدداً من القضايا على مقدمات معينة فكانت النتائج ليست صحيحة على إطلاقها، وهو أمر لا يسلّم به دائماً حتى لو اتبعت نفس الأساليب التي استعملوها في الاستنباط والنظر العقلي: مثل نفيهم الصفات عن الله اعتماداً على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وكان الصحيح ألا تنفى عنه الصفات التي أثبتها لنفسه سبحانه وتعالى، ولكن تفهم الآية على أن صفاته سبحانه وتعالى لا تماثل صفات المخلوقين.

وقد حدد العلماء مجال استعمال العقل بعدد من الضوابط منها:

ـ ألا يتعارض مع النصوص الصحيحة.

ـ ألا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية التي يعد الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.

ـ أن يقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها «وهي ما يعرف بالأمور التوقيفية».

ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة، خاصة أن العقول متغيرة وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور. ومن المعروف أن مصدر المعرفة في الفكر الإسلامي يتكون من:

١ ـ الحواس وما يقع في مجالها من الأمور الملموسة من الموجودات.

٢ ـ العقل(*) وما يستطيع أن يصل إليه من خلال ما تسعفه به الحواس والمعلومات التي يمكن مشاهدتها واختبارها وما يلحق ذلك من عمليات عقلية تعتمد في جملتها على ثقافة الفرد ومجتمعه وغير ذلك من المؤثرات.

٣ ـ الوحي(*) من كتاب وسنة، إذ هو المصدر الوحيد والصحيح للأمور الغيبية، وما لا تستطيع أن تدركه الحواس، وما أعده الله في الدار الآخرة، وما أرسل من الرسل إلخ. . .

وهكذا يظهر أنه لا بد من تكامل العقل والنقل في التعامل مع النصوص الشرعية كل فيما يخصه وبالشروط التي حددها العلماء.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي.

وقيل: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية ـ وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ(*) ـ قد أدت إلى تشكيكه في دينه وابتداعه لنفي الصفات.

● إن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تعد مورداً من موارد الفكر الاعتزالي، إذ إنه كان يقول بالأصلح ونفي الصفات الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية.

ـ ونفي القدر عند المعتزلة الذي ظهر على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، قيل إنهما أخذاه عن نصراني يدعى أبو يونس سنسويه، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني.

ـ تأثر المعتزلة بفلاسفة(*) اليونان في موضوع الذات والصفات، فمن ذلك قول أنبادقليس الفيلسوف اليوناني: «إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الإرادة المحضة وهو الجود والعزة، والقدرة والعدل والخير والحق، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو، وهو هذه كلها» انظر الملل والنحل ج٢/ ص٥٨.

وكذلك قول أرسطوطاليس في بعض كتبه: «إن الباري علم كله، قدرة كله، حياة كله، بصر كله».

فأخذ العلاف وهو من شيوخ المعتزلة هذه الأفكار وقال: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته.

ـ وأخذ النظام من ملاحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة، أي أن الجسم يمكن أن يكون في مكان (أ) ثم يصبح في مكان (ج) دون أن يمر في (ب).

وهذا من عجائبه حتى قيل: إن من عجائب الدنيا: «طفرة النظام وكسب الأشعري».

ـ وإن أحمد بن خابط والفضل الحدثي وهما من أصحاب النظام قد طالعا كتب الفلاسفة ومزجا الفكر الفلسفي مع الفكر النصراني مع الفكر الهندي وقالا بما يلي:

١ ـ إن المسيح(*) هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة.

٢ ـ إن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة.

٣ ـ القول بالتناسخ(*).

٤ ـ وحملا كل ما ورد في الخبر عن رؤية الله تعالى على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبتدع، وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات.

● يؤكد العلماء تأثير الفلسفة(*) اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم، فقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وتمذهب بمذهبهم ـ حتى إنه خلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعبارته البليغة.

ـ ومنهم من يرجع فكر المعتزلة إلى الجذور الفكرية والعقدية في العراق ـ حيث نشأ المعتزلة ـ الذي يسكنه عدة فرق تنتهي إلى طوائف مختلفة. فبعضهم ينتهي إلى الكلدان، وبعضهم إلى الفرس، وبعضهم نصارى، وبعضهم يهود، وبعضهم مجوس(*). وقد دخل هؤلاء في الإسلام. وبعضهم قد فهمه على ضوء معلوماته القديمة وخلفيته الثقافية والدينية.

الفكر الاعتزالي الحديث:

● يحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر إحياء فكر المعتزلة من جديد بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد.. فألبسوه ثوباً جديداً، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل... العقلانية أو التنوير أو التجديد(*) أو التحرر الفكري أو التطور أو المعاصرة أو التيار الديني المستنير أو اليسار الإسلامي..

ـ وقد قوّى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي، وحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل(*) الإنساني.. فلجؤوا إلى التأويل(*) كما لجأت المعتزلة من قبل ثم أخذوا يتلمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فأنكروا المعجزات(*) المادية.. وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل.. إلا من هذا القبيل.

● وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجدد هو ذاك الذي يزعم أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية، أي أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر.

● وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي.. محاولة تغيير الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة.. مثل عقوبة المرتد، وفرضية الجهاد(*)، والحدود، وغير ذلك.. فضلاً عن موضوع الحجاب وتعدد الزوجات، والطلاق والإرث.. إلخ.. وطلب أصحاب هذا الفكر إعادة النظر في ذلك كله.. وتحكيم العقل في هذه الموضوعات. ومن الواضح أن هذا العقل الذي يريدون تحكيمه هو عقل متأثر بما يقوله الفكر الغربي حول هذه القضايا في الوقت الحاضر.

● ومن دعاة الفكر الاعتزالي الحديث سعد زغلول الذي نادى بنزع الحجاب عن المرأة المصرية، وقاسم أمين مؤلف كتاب **تحرير المرأة** و **المرأة الجديدة**، ولطفي السيد الذي أطلقوا عليه: «أستاذ الجيل» وطه حسين الذي أسموه «عميد الأدب العربي» وهؤلاء كلهم أفضوا إلى ما قدموا. هذا في البلاد العربية.

أما في القارة الهندية فظهر السير أحمد خان، الذي منح لقب سير من قبل الاستعمار(*) البريطاني. وهو يرى أن القرآن الكريم لا السنة النبوية هو أساس التشريع، وأحلّ الربا البسيط في المعاملات التجارية، ورفض عقوبة الرجم والحرابة، ونفى شرعية الجهاد لنشر الدين(*)، وهذا الأخير قال به لإرضاء الإنجليز؛ لأنهم عانوا كثيراً من جهاد المسلمين الهنود لهم.

ـ وجاء تلميذه سيد أمير علي الذي أحلّ زواج المسلمة بالكتابي، وأحل الاختلاط بين الرجل والمرأة.

ـ ومن هؤلاء، أيضاً، مفكرون علمانيون، لم يعرف عنهم الالتزام بالإسلام.. مثل زكي نجيب محمود صاحب نظرية (الوضعية المنطقية) وهي فرع من الفلسفة(*) الوضعية الحديثة التي تنكر كل أمر غيبي.. فهو يزعم أن الاعتزال جزء من التراث، ويجب أن نحييه، وعلى أبناء العصر أن يقفوا موقف المعتزلة من المشكلات القائمة (انظر كتاب **تجديد الفكر العربي** ص١٢٣).

ـ ومن هؤلاء أحمد أمين صاحب المؤلفات التاريخية والأدبية مثل **فجر الإسلام** و **ضحى الإسلام** و **ظهر الإسلام**، فهو يتباكى على موت المعتزلة في التاريخ القديم وكأن من مصلحة الإسلام بقاءَهم، ويقول في كتابه: **ضحى الإسلام**: «في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة» (ج٣ ص٢٠٧).

ـ ومن المعاصرين الأحياء الذين يسيرون في ركب الدعوة الإسلامية من ينادي بالمنهج(*) العقلي الاعتزالي في تطوير العقيدة والشريعة مثل الدكتور محمد فتحي عثمان في كتابه **الفكر الإسلامي والتطور**.. والدكتور حسن الترابي في دعوته إلى تجديد أصول الفقه، إذ يقول: «إن إقامة أحكام الإسلام في عصرنا تحتاج إلى اجتهاد(*) عقلي كبير، وللعقل(*) سبيل إلى ذلك لا يسع عاقلاً إنكاره، والاجتهاد الذي نحتاج إليه ليس اجتهاداً في الفروع وحدها وإنما هو اجتهاد في الأصول، أيضاً». (انظر كتاب **المعتزلة بين القديم والحديث** ص١٣٨).

ـ وهناك كتاب كثيرون معاصرون، ومفكرون إسلاميون يسيرون على المنهج نفسه

ويدعون إلى أن يكون للعقل دور كبير في الاجتهاد(*) وتطويره، وتقويم الأحكام الشرعية، حتى الحوادث التاريخية.. ومن هؤلاء فهمي هويدي ومحمد عمارة ـ صاحب النصيب الأكبر في إحياء تراث المعتزلة والدفاع عنه ـ وخالد محمد خالد ومحمد سليم العوا، وغيرهم. ولا شك في أهمية الاجتهاد وتحكيم العقل في التعامل مع الشريعة الإسلامية(*) ولكن ينبغي أن يكون ذلك في إطار نصوصها الثابتة وبدوافع ذاتية وليس نتيجة ضغوط أجنبية وتأثيرات خارجية لا تقف عند حد، وإذا انجرف المسلمون في هذا الاتجاه ـ اتجاه ترويض الإسلام بمستجدات الحياة والتأثير الأجنبي بدلاً من ترويض كل ذلك لمنهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ فستصبح النتيجة ألا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من الشريعة إلا رسمها، ويحصل للإسلام ما حصل للرسالات السابقة التي حرفت بسبب اتباع الأهواء والآراء حتى أصبحت لا تمت إلى أصولها بأي صلة.

ويتضح مما سبق:

أن حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون. وكانت هذه الحركة نوعاً من ردة الفعل التي حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقولاته العقائدية والفكرية بالأفكار والمناهج الوافدة نفسها، وذلك دفاعاً عن الإسلام ضد ملاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه. ولكن هذا التوجه قاد إلى مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة كما فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية تنزيهاً لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين.

ومن الواضح، أيضاً، أن أتباع المعتزلة الجدد وقعوا فيما وقع فيه أسلافهم، وذلك أن ما يعرضونه الآن من اجتهادات إنما الهدف منه أن يظهر الإسلام بالمظهر المقبول عند أتباع الحضارة الغربية والدفاع عن نظامه العام قولاً بأنه إنْ لم يكن أحسن من معطيات الحضارة الغربية فهو ليس بأقل منها.

ولذا فلا بد أن يتعلم الخلف من أخطاء سلفهم، ويعلموا أن عزة الإسلام وظهوره على الدين كله هما في تميز منهجه وتفرد شريعته، واعتباره المرجع الذي تقاس عليه الفلسفات والحضارات في الإطار الذي يمثله الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح، في شمولهما وكمالهما.

مراجع للتوسع:

- الملل والنحل للشهرستاني.
- الفرق بين الفرق للبغدادي.

- **مقالات الإسلاميين** للأشعري .
- **القاضي عبد الجبار الهمداني** للدكتور عبد الكريم عثمان .
- **ابن تيمية** للشيخ محمد أبي زهرة .
- **درء تعارض العقل والنقل** لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- **البداية والنهاية** لابن كثير .
- **المعتزلة بين القديم والحديث** لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم .
- **ضحى الإسلام** لأحمد أمين .
- **تجديد الفكر العربي** لزكي نجيب محمود .
- **دراسات في الفرق والعقائد** لعرفات عبد الحميد .
- **الدعوة إلى التجديد في منهج النقد**، عصام البشير (بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير) .
- **عقائد السلف** لعلي سامي النشار .
- **محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة**. سليمان بن صالح الخراشي .
- **حوار هادىء مع الشيخ الغزالي**. سلمان بن فهد العودة .
- **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** ـ د. فهد الرومي .
- **العصريون معتزلة اليوم** ـ يوسف كمال .
- **العصرانية في حياتنا الاجتماعية**. د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي .
- **العصرانيون**. محمد حامد الناصر .
- **دراسات في السيرة**. محمد سرور زين العابدين .
- **تنبيه الأنام لمخالفة شلتوت الإسلام**. الشيخ عبد الله بن ياسين .
- **مفهوم تجديد الدين**. بسطامي محمد سعيد .
- **تجديد أصول الفقه**. د. حسن الترابي .
- **غزو من الداخل**. جمال سلطان .
- **مجلة كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**:
- «المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالقديمة» د. ناصر العقل. العدد الثالث سنة ١٤٠٠هـ .

٦ ـ الزيدية

التعريف:

إحدى فرق العدلية القدرية التي تقول بالعدل، إذ تنفي خلق الله تعالى لأفعال العباد بزعم نفي الجبر، كما تعطل نصوص الصفات الذاتية والفعلية لله تعالى تحت دعوى التوحيد.

تعد الزيدية (الهادوية) أقرب فرق الشيعة(*) إلى أهل السنة والجماعة(*)، إذ يتصف مذهبهم بالابتعاد عن غلو(*) الاثني عشرية وباقي فرق الشيعة، كما أن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين الذي صاغ نظرية شيعية متميزة في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة. ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، إلا أن فرق الزيدية انحرفت، ماعدا الهادوية، عن مبادىء زيد هذه ورفضوا خلافة الشيخين وتبرؤوا من عثمان وقالوا بالرجعة وعصمة الأئمة موافقة للرافضة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ترجع الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهما (٨٠ ـ ١٢٢هـ/ ٦٩٨ ـ ٧٤٠م)، قاد ثورة شيعية في العراق ضد الأمويين أيام هشام بن عبد الملك، فقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه سوى ٥٠٠ فارس، وأصيب بسهم في جبهته أدى إلى وفاته عام ١٢٢هـ.

ـ تنقل في البلاد الشامية والعراقية باحثاً عن العلم أولاً، وعن حق أهل البيت في الإمامة ثانياً، فقد كان تقيًّا ورعاً عالماً فاضلاً مخلصاً شجاعاً وسيماً مهيباً مُلمًّا بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ.

ـ تلقى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمد الباقر الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية.

ـ اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وتدارس معه العلوم، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي، وإن كان هناك من ينكر وقوع هذا التتلمذ، وهناك من يؤكد وقوع

ـ تتلمذ عليه أبو حنيفة النعمان، وأخذ عنه العلم.

ـ بصرف النظر عن رأي يشكِّك، فإن من مؤلفاته كتاب **المجموع في الحديث**، وكتاب **المجموع في الفقه**، وهما في كتاب واحد اسمه **المجموع الكبير**، رواهما عنه تلميذه أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي الهاشمي الذي مات في الربع الثالث من القرن الثاني للهجرة.

● أما ابنه يحيى بن زيد فقد خاض المعارك مع والده، لكنه تمكن من الفرار إلى خراسان، ولاحقته سيوف الأمويين فقتل هناك سنة ١٢٥هـ.

● فُوِّض الأمر بعد يحيى إلى محمد وإبراهيم.

ـ خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي (المعروف بالنفس الزكية) بالمدينة فقتله عاملها عيسى بن ماهان.

ـ وخرج من بعده أخوه إبراهيم بالبصرة فكان مقتله فيها بأمر من المنصور.

● أحمد بن عيسى بن زيد ـ حفيد مؤسس الزيدية ـ أقام بالعراق، وأخذ عن تلاميذ أبي حنيفة فكان ممن أثرى هذا المذهب(*) وعمل على تطويره.

● من علماء الزيدية القاسم الملقب بالرسي بن إبراهيم الملقب بطباطبا ابن إسماعيل الملقب بالديباج الأصفر ابن إبراهيم الملقب بالشبه ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (١٧٠ ـ ٢٤٢هـ) تشكلت له طائفة زيدية عرفت باسم **القاسمية**.

● جاء من بعده حفيده الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (٢٤٥ ـ ٢٩٨هـ) الذي عقدت له الإمامة باليمن فكان ممن حارب القرامطة فيها، كما تشكلت له فرقة زيدية عرفت باسم **الهادوية** منتشرة في اليمن والحجاز وما والاها.

● ظهر للزيدية في بلاد الديلم وجيلان إمام حسيني هو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي رضي الله عنهما والملقب بالناصر الكبير (٢٣٠ ـ ٣٠٤هـ)، وعرف باسم الأطروش، فقد هاجر هذا الإمام إلى هناك داعياً إلى الإسلام على مقتضى المذهب الزيدي، فدخل فيه خلق كثير صاروا زيديين ابتداء.

● ومنهم الداعي الآخر صاحب طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهما، والذي تكونت له دولة زيدية جنوب بحر الخزر سنة ٢٥٠هـ.

● وقد عرف من أئمتهم محمد بن إبراهيم بن طباطبا، الذي بعث بدعاته إلى الحجاز ومصر واليمن والبصرة. ومن شخصياتهم البارزة كذلك مقاتل بن سليمان، ومحمد بن نصر. ومنهم أبو الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وبعض أمراء بني بويه.

● استطاع الزيدية في اليمن استرداد السلطة من الأتراك، إذ قاد الإمام يحيى بن منصور بن حميد الدين ثورة ضد الأتراك عام ١٣٢٢هـ، وأسس دولة زيدية استمرت حتى سبتمبر عام ١٩٦٢م، إذ قامت الثورة اليمنية وانتهى بذلك حكم الزيود ولكن ما زال اليمن معقل الزيود ومركز ثقلهم.

● خرجت عن الزيدية أربع فرق رئيسة طعن بعضها في الشيخين، كما مال بعضها عن القول بإمامة المفضول، وهذه الفرق هي:

- **الجارودية**: أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد، وهي أشهر هذه الفرق.
- **السليمانية**: نسبة إلى سليمان بن جرير، وتسمى بالجريرية أيضاً.
- **البترية**: أصحاب كثير النوي الأبتر، وتدعى الصالحية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حي الهمداني.
- **اليعقوبية**: أصحاب يعقوب بن عدي.
- الفرقتان الصالحية والبترية متفقتان ومتماثلتان في الآراء.
- هذه الفرق بجملتها لم يعد لها مكانة بارزة عند الزيدية المعاصرة.

الأفكار والمعتقدات:

● يميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بذات الله، والاختيار في الأعمال. ومرتكب الكبيرة(*) يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة.

● يُجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين ـ رضي الله عنهما.

- الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة(*)، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها.

- يجوز لديهم وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين.

- تقول الزيدية بالإمام المفضول مع وجود الأفضل، إذ لا يُشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها.

● معظم الزيدية[1] المعاصرين يُقرُّون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل

---

(١) الذين بايعوا زيد بن علي كانوا ـ حسب رواية الفرق بين الفرق ـ خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة، فلما طلبوا من زيد بن علي أن يتبرأ من أبي بكر وعمر ولم يقبل خرجوا عليه وتفرقوا عنه، =

فرق الشيعة(*)، بل يترضون عنهما، ويقرون بصحة خلافة عثمان مع مؤاخذته على بعض الأمور.

● يرفضون التصوف رفضاً قاطعاً.

● يخالفون الشيعة في زواج المتعة ويستنكرونه.

● يتفقون مع الشيعة في زكاة الخمس وفي جواز التقية إذا لزم الأمر.

● هم متفقون مع أهل السنة بشكل كامل في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع مثل:

- قولهم «حي على خير العمل» في الأذان على الطريقة الشيعية.
- صلاة الجنازة لديهم خمس تكبيرات.
- يرسلون أيديهم في الصلاة.
- صلاة العيد تصح فرادى وجماعة.
- يعدون صلاة التراويح جماعة بدعة.
- يرفضون الصلاة خلف الفاجر.
- فروض الوضوء عشرة بدلاً من أربعة عند أهل السنة(*).

● باب الاجتهاد(*) مفتوح لكل من يريد الاجتهاد، ومن عجز عن ذلك قلد، وتقليد أهل البيت أولى من تقليد غيرهم.

● يقولون بوجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته.

● لا يقولون بعصمة الأئمة عن الخطأ، كما لا يغالون في رفع أئمتهم على غرار ما تفعله معظم فرق الشيعة(*) الأخرى.

- لكن بعض المنتسبين للزيدية قرروا العصمة لأربعة فقط من أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم جميعاً.

● لا يوجد عندهم مهدي منتظر.

● يستنكرون نظرية البداء(*) التي قال بها المختار الثقفي، إذ إن الزيدية تقرر أن علم الله أزلي قديم غير متغير، وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ.

● قالوا بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر(*) مع اعتبار الإنسان حرًّا مختاراً في طاعة الله أو عصيانه، ففصلوا بذلك بين الإرادة وبين المحبة أو الرضا، وهو رأي أهل البيت من الأئمة.

=وقالوا بقول الرافضة - تكفير أبي بكر وعمر - ولم يبق مع زيد من أتباعه إلا مائتا رجل. وفي كتاب **ضحى الإسلام** لأحمد أمين أن أتباع زيد كانوا أربعين ألفاً، تفرقوا عنه ولم يبق معه إلا ثلثمائة أو أقل.

● مصادر الاستدلال عندهم كتاب الله، ثم سنة رسول الله، ثم القياس(*) ومنه الاستحسان(*) والمصالح المرسلة(*)، ثم يجيء بعد ذلك العقل(*)، فما يقر العقل صحته وحسنه يكون مطلوباً وما يقر قبحه يكون منهياً عنه.

وقد ظهر من بينهم علماء فطاحل، أصبحوا من أهل السنة(*)، سلَفِيّي المنهج(*) والعقيدة أمثال: ابن الوزير وابن الأمير والشوكاني.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يتمسكون بالعديد من القضايا التي يتمسك بها الشيعة كأحقية أهل البيت في الخلافة(*) وتفضيل الأحاديث الواردة عنهم على غيرها، وتقليدهم، وزكاة الخمس، فالملامح الشيعية واضحة في مذهبهم على الرغم من اعتدالهم عن بقية فرق الشيعة.

● تأثر الزيدية بالمعتزلة فانعكست اعتزالية واصل بن عطاء عليهم، وظهر هذا جليًّا في تقديرهم للعقل(*) وإعطائه أهمية كبرى في الاستدلال، إذ يجعلون له نصيباً وافراً في فهم العقائد وفي تطبيق أحكام الشريعة وفي الحكم بحسن الأشياء وقبحها(*) فضلاً عن تحليلاتهم للجبر(*) والاختيار ومرتكب الكبيرة(*) والخلود في النار.

● أخذ أبو حنيفة عن زيد، كما أن حفيداً لزيد وهو أحمد بن عيسى بن زيد قد أخذ عن تلاميذ أبي حنيفة في العراق، وقد تلاقى المذهبان الحنفي السُّني والزيدي الشيعي في العراق أولاً، وفي بلاد ما وراء النهر ثانياً مما جعل التأثر والتأثير متبادلاً بين الطرفين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● قامت دولة للزيدية أسسها الحسن بن زيد سنة ٢٥٠هـ في أرض الديلم وطبرستان.

● كما أن الهادي إلى الحق أقام دولة ثانية لها في اليمن في القرن الثالث الهجري.

● انتشرت الزيدية في سواحل بلاد الخزر وبلاد الديلم وطبرستان وجيلان شرقاً، وامتدت إلى الحجاز ومصر غرباً، وتركزت في أرض اليمن.

ويتضح مما سبق:

أن الزيدية من أكثر فرق الشيعة(*) اعتدالاً بالنسبة لغيرهم من فرق الشيعة، ولصلاتهم القديمة بالمعتزلة تأثروا بكثير من أفكارهم ومعتقداتهم، إلا أن المذهب(*) الزيدي في الفروع لا يخرج عن إطار مدارس الفقه(*) الإسلامي ومذاهبه، ومواطن الاختلاف بين الزيدية والسنة في مسائل الفروع لا تكاد تذكر.

مراجع للتوسع:

(ا) مراجع المذاهب :

- **المعالم الدينية في العقائد الإلهية** - يحيى بن حمزة (الإمام المؤيد) - تحقيق سيد مختار أحمد حشاد - دار المعاصر .
- **توضيح المسائل العقلية والمذاهب الفقية في أصول العدلية ومسالك الزيدية** - يحيى بن محمد بن حميد . مخطوط .
- **رسائل العدل والتوحيد** - يحيى بن الحسين القاسم الرسي (الإمام الهادي) - تحقيق الدكتور محمد عمارة . منشورات دار الشروق .
- **أخبار الزيدية (طبقات الزيدية)، الجزء الرابع** - مسلم بن محمد اللحجي - مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .
- **سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين** - علي بن محمد العلوي - تحقيق د . سهيل زكار - دار الفكر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .
- **مقاتل الطالبين** - علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المعروف بالأصبهاني - المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٥٣هـ .
- **تاريخ الفرقة الزيدية بين القرن الثاني والثالث للهجرة عبد رب الأمير الشامي** - مطبعة الآداب - النجف ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .
- **طبقات المعتزلة** - أحمد بن يحيى المرتضى (الإمام المهدي) - تحقيق سوسنة ديلفدفلزر - بيروت ١٩٦١م .
- **نصرة مذاهب الزيدية** - إسماعيل بن عباد (الصاحب بن عباد) - تحقيق د . ناجي حسن - الدار المتحدة للنشر .

(ب) مراجع غير المذهب :

- **الفَرْق بين الفِرق**، عبدالقادر بن طاهر البغدادي .
- **الفصَل في الأهواء والملل والنحل**، ابن حزم .
- **الملل والنحل**، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني .
- **تلخيص الشافي**، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي .
- **الكامل في التاريخ**، عز الدين أبو الحسن الملقب بابن الأثير .
- **الإمام زيد**، محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة .
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة .

- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفي الشكعة - الدار المصرية للطباعة والنشر - بيروت.
- **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري**، د. أيمن فؤاد سيد - الدار المصرية اللبنانية - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الزيدية**، أحمد محمد صبحي - الزهراء للإعلام العربي القاهرة.
- **المذهب الزيدي**، د. أحمد محمد صبحي - منشأة المعارف - الإسكندرية.

٧ ـ الأشاعرة

التعريف:

الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين(*) والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **أبو الحسن الأشعري**: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد بالبصرة سنة ٢٧٠هـ ومرت حياته الفكرية بثلاث مراحل:

ـ **المرحلة الأولى**: عاش فيها في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته. ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة.

ـ **المرحلة الثانية**: ثار فيها على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزال وخط لنفسه منهجاً جديداً يلجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل(*)، وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل، وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

ـ **المرحلة الثالثة**: إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف(*) ولا تشبيه(*) ولا تعطيل(*) ولا تحريف(*) ولا تبديل ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب كتاب **الإبانة عن أصول الديانة** الذي عبّر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم، الذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل. ولم يقتصر على ذلك بل خلّف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدّر بثمانية وستين مؤلفاً، توفي سنة ٣٢٤هـ ودفن ببغداد ونودي على جنازته: «اليوم مات ناصر السنة».

● بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، وعلى يد أئمة المذهب(*) وواضعي أصوله

وأركانه، أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده، وما ذلك إلا لأن المذهب لم يبن في البداية على منهج مؤصل، واضحة أصوله الاعتقادية، ولا كيفية التعامل مع النصوص الشرعية، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة مذهب السلف والرد على المعتزلة واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة. ومن أبرز مظاهر ذلك التطور:

ـ القرب من أهل الكلام والاعتزال.

ـ الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.

ـ الدخول في الفلسفة(*) وجعلها جزءًا من المذهب.

● **من أبرز أئمة المذهب:**

ـ **القاضي أبو بكر الباقلاني:** (٣٢٨ ـ ٤٠٣هـ) (٩٥٠ ـ ١٠١٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذَّب بحوث الأشعري، وتكلَّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالىٰ فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤوّلة وذلك في كتابه: **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**. ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه: **إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية**.

ـ **أبو إسحاق الشيرازي** (٣٩٣ ـ ٤٧٦هـ) (١٠٠٣ ـ ١٠٨٣م). وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (٤١٥هـ). وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام(*)، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل(*) والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة النظامية على شاطىء دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.

عاش فقيراً صابراً، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً، مناظراً، ينظم الشعر، مات ببغداد وصلى عليه المقتدي العباسي.

من مصنفاته: **التنبيه، والمهذَّب** في الفقه، **والتبصرة** في أصول الشافعية، **وطبقات الفقهاء، واللمع** في أصول الفقه وشرحه، **والملخص، والمعونة** في الجدل.

● **أبو إسحاق الإسفراييني**: (٤١٨هـ) (١٠٢٧م) وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء. نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي. ألَّف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه **الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين**. قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني ـ يرحمه الله تعالى ـ في يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

● **إمام الحرمين أبو المعالي الجويني**: (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ) (١٠٢٨ ـ ١٠٨٥م). وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلدة جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرّس. ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف. وقد قال في رسالته **النظامية**: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة. . . ويعضد ذلك ما ذهب إليه في كتابه **غياث الأمم في التياث الظلم**، فبالرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي فقد قال فيه: «والذي أذكره الآن لائقاً بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين، قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات. . .».

ـ نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به». توفي رحمه الله بنيسابور وكان تلامذته يومئذٍ أربعمائة. ومن مصنفاته. **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، **البرهان في أصول الفقه**، و**نهاية المطلب في دراية المذهب** في فقه الشافعية، و**الشامل في أصول الدين**.

● **أبو حامد الغزالي**: (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) (١٠٥٨ ـ ١١١١م) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام. . . ولد في الطابران، قصبة طوس بخراسان وتُوفِّي فيها. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر ثم عاد إلى بلدته.

لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما

يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال، وذم علم الكلام وبيَّن أن أدلته لا تفيد اليقين كما في كتبه **المنقذ من الضلال**، وكتاب **التفرقة بين الإيمان والزندقة**(*)، وحرم الخوض فيه فقال: «لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام». اتجه نحو التصوف، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة.. وعاد في آخر حياته إلى السنة من خلال دراسة صحيح البخاري.

● **الإمام الفخر الرازي (٥٤٤هـ ـ ١١٥٠م) (٦٠٦هـ ـ ١٢١٠م)**: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي، قال عنه صاحب **وفيات الأعيان** «إنه فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام(*)، والمعقولات» اهـ. وهو المعبر عن المذهب(*) الأشعري في مرحلته الأخيرة، حيث خلط الكلام بالفلسفة(*)، بالإضافة إلى أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية. قال فيه الحافظ ابن حجر في **لسان الميزان**: (٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩): «كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شبه الخصوم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهن» إلا أنه أدرك عجز العقل(*) فأوصى وصية تدل على حسن اعتقاده، فقد نبه في أواخر عمره إلى ضرورة اتباع منهج(*) السلف، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طرق علم الكلام(*) فقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ثم قال في حسرة وندامة: «ومن جرب تجربتي عرف معرفتي» اهـ. (**الحموية الكبرى** لابن تيمية).

ومن أشهر كتبه في علم الكلام: **أساس التقديس في علم الكلام، شرح قسم للإلهيات من إشارات ابن سينا، واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال، كافية العقول**.

الأفكار والمعتقدات:

● مصدر التلقي عند الأشاعرة: الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام؛ ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في **أساس التقديس** والآمدي وابن فورك وغيرهم.

ـ عدم الأخذ بأحاديث الآحاد(*) في العقيدة لأنها لا تفيد العلم اليقيني ولا مانع من

الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي. والمتواتر(*) منها يجب تأويله، ولا يخفى مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ومن سار على نهجهم، إذ كان النبي ﷺ يرسل الرسل فرادى لتبليغ الإسلام، كما أرسل معاذاً إلى أهل اليمن، ولقوله ﷺ: «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها**...» الحديث، وحديث تحويل القبلة وغير ذلك من الأدلة.

ـ مذهب طائفة منهم، وهم صوفيتهم كالغزالي والجامي، في مصدر التلقي، تقديم الكشف(*) والذوق على النص، وتأويل النص ليوافقه. ويسمون هذا «العلم اللدني» جرياً على قاعدة الصوفية «حدثني قلبي عن ربي». وكما وضح ذلك في الرسالة اللدنية ١/ ١١٤ ـ ١١٨ من مجموعة **القصور العوالي**، **كبرى اليقينيات** لمحمد سعيد رمضان البوطي، الإهداء ـ ٣٢ ـ ٣٥. ولا يخفى ما في هذا من البطلان والمخالفة لمنهج(*) أهل السنة والجماعة(*)، وإلا فما الفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب؟

● يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام:

ـ قسم مصدره العقل(*) وحده وهو معظم الأبواب ومنه باب الصفات ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل «عقلية» وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف على الوحي(*) عندهم، أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل عليها الكتاب والسنة فإنهم يؤولونها.

ـ قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية ـ على خلاف بينهم فيها.

ـ قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان، وهو مما لا يحكم العقل باستحالته، فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكماً، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً، وفي الرؤية جعلوه مساوياً. أما في مذهب أهل السنة والجماعة فلا منافاة بين العقل والنقل أصلاً، ولا تقديم للعقل في جانب وإهماله في جانب آخر، وإنما يُبدأ بتقديم النقل على العقل.

● خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث، وعدم حلوله فيها، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسمٍ ولا في جهة ولا في مكان. وقد رتبوا على ذلك من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر مثل: إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء، بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة

السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

● التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة، أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة. وفي ذلك يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له. ولذلك فسروا الإله(*) بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين؛ لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم. وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة(*) من سلف الأمة ومن تبعهم، وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته وتأويل بعض صفاته.

وهكذا خالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة في معنى التوحيد، إذ يعتقد أهل السنة والجماعة أن التوحيد الذي هو أول واجب على العبيد إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على نحو ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تحريف(*) أو تعطيل(*) أو تكييف أو تمثيل.

ـ إن أول واجب عند الأشاعرة إذا بلغ الإنسان سن التكليف هو النظر أو القصد إلى النظر ثم الإيمان، ولا تكفي المعرفة الفطرية، ثم اختلفوا فيمن آمن بغير ذلك بين تعصيته وتكفيره.

بينما يعتقد أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلفين هو عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، وتوحيده توحيد الألوهية بدليل الكتاب والسنة والإجماع(*)، وأن معرفة الله تعالى أمر فطري مركوز في النفوس.

ـ يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين واليمين والقدم والأصابع، وكذلك صفتا العلو والاستواء. وقد ذهب المتأخرون منهم إلى تفويض معانيها إلى الله تعالى على أن ذلك واجب يقتضيه التنزيه، ولم يقتصروا على تأويل آيات الصفات بل توسعوا في باب التأويل(*)، فشمل أكثر نصوص الإيمان، خاصة فيما يتعلق بإثبات الزيادة والنقصان، وكذلك موضوع عصمة الأنبياء. أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل معنى النص - بمعنى تحريفه - أو تفويضه(*)، سواءً أكان في نصوص الصفات أم في غيرها.

● الأشاعرة في الإيمان بين: المرجئة(*) التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية(*) التي تقول يكفي التصديق القلبي. ورجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناجٍ عند الله وإن لم ينطق بالشهادتين، **(تبسيط**

العقائد الإسلامية ٢٩ ـ ٣٢). ومال إليه البوطي في (**كبرى اليقينيات** ١٩٦). وفي هذا مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومخالفة لنصوص القرآن الكريم الكثيرة، منها: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. وعليه يكون إبليس من الناجين من النار؛ لأنه من المصدقين بقلوبهم، وكذلك أبو طالب عم النبي ﷺ، ولم يكن هناك داع لحرص النبي ﷺ على قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله وغير ذلك كثير.

● الأشاعرة مضطربون في قضية التكفير(*). فتارة يقولون لا نكفر أحداً، وتارة يقولون لا نكفر إلا من كفرنا، وتارة يقولون بأمور توجب التفسيق والتبديع أو بأمور لا توجب التفسيق والتبديع، فمثلاً يكفرون من يثبت علو الله الذاتي أو من يأخذ بظواهر النصوص، إذ يقولون: إن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر.

أما أهل السنة والجماعة(*) فيرون أن التكفير حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعاً، ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بإثبات شروط وانتفاء موانع.

● قولهم بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ولكنه كلام الله النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة. يقول صاحب **الجوهرة**: «يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم» وذلك في محاولة لم يحالفها النجاح للتوفيق بين أهل السنة والجماعة(*) والمعتزلة. أما مذهب أهل السنة والجماعة فهو: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه جبريل وسمعه موسى ـ عليه السلام ـ ويسمعه الخلائق يوم القيامة. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

● والإيمان والطاعة بتوفيق الله، والكفر(*) والمعصية بخذلانه، والتوفيق عند الأشعري، خلق القدرة على الطاعة، والخذلان عنده خلق القدرة على المعصية، وعند بعض أصحاب الأشعري، تيسير أسباب الخير هو التوفيق وضده الخذلان.

● كل موجود يصح أن يرى، والله موجود يصح أن يُرى، وقد ورد في القرآن أن المؤمنين يرونه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. ولكن يرى الأشاعرة أنه لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع فإن كل ذلك مستحيل. وفي ذلك نفي لعلو الله تعالى والجهة، بل ونفي للرؤية نفسها. ويقترب الرازي كثيراً من قول المعتزلة في تفسيره للرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي.

● حصر الأشاعرة دلائل النبوة(*) بالمعجزات(*) التي هي الخوارق، موافقة للمعتزلة

وإن اختلفوا معهم في كيفية دلالتها على صدق النبي، بينما يرى جمهور أهل السنة أن دلائل ثبوت النبوة(*) للأنبياء كثيرة ومنها المعجزات.

● صاحب الكبيرة(*) إذا خرج من الدنيا بغير توبة حكمه إلى الله تعالى، إما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبي ﷺ(*)، موافقة لمذهب(*) أهل السنة والجماعة(*).

● يعتقد الأشاعرة أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها، ولا في صفة من صفاته، وأن الله تعالى أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته. ولقد عدَّ المحققون «الكسب» هذا من محالات الكلام وضربوا له المثل في الخفاء والغموض، فقالوا: «أخفى من كسب الأشعري»، وقد خرج إمام الحرمين وهو من تلاميذ الأشعري عن هذا الرأي، وقال بقول أهل السنة والجماعة بل الأشعري نفسه، في كتاب **الإبانة**، رجع عن هذا الرأي.

● قالوا بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله مطلقاً، ولكنهم قالوا إن الله يجعل لكل نبي معجزة لأجل إثبات صدق النبي، فتناقضوا في ذلك بين ما يسمونه نفي الحكمة والغرض وبين إثبات الله للرسول(*) المعجزة تفريقاً بينه وبين المتنبىء.

● وافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في الإيمان بأحوال البرزخ، وأمور الآخرة من: الحشر والنشر، والميزان، والصراط، والشفاعة والجنة والنار؛ لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق ﷺ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية.

● كما وافقوهم في القول في الصحابة على ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطأ وعن اجتهاد منهم، ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم؛ لأن الطعن فيهم إما كفر، أو بدعة، أو فسق، كما يرون الخلافة في قريش، وتجوز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، ولا يجوز الخروج على أئمة الجور، بالإضافة إلى موافقة أهل السنة في أمور العبادات والمعاملات.

● فضلاً عن تصدي الأشعري للمعتزلة ومحاجتهم بنفس أسلوبهم الكلامي ليقطع شبهاتهم ويرد حجتهم عليهم، تصدى، أيضاً، للرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية(*)، والروافض(*) وغيرهم من أهل الأهواء الفاسدة والنحل الباطلة.

● والأشعري في كتاب **الإبانة عن أصول الديانة** الذي هو آخر ما ألَّف من الكتب على أصح الأقوال[1]، رجع عن كثير من آرائه الكلامية إلى طريق السلف في الإثبات وعدم

---

(١) كما بين ذلك الحافظ ابن عساكر في **تبيين كذب المفتري** ص ١٣٦، والحافظ البيهقي في كتاب **الاعتقاد** ص ٩٦، ١٠٩، وكذلك ظهرت دراسات جادة قام بها بعض الباحثين أثبت ذلك مثل: **المذاهب الإسلامية** للبروي ص ٥١٨، ومقدمة **الإبانة** لفوقية محمد ص ٢٧.

التأويل . . يقول رحمه الله: «وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به ضلال الشاكِّين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم وجليل معظَّم وكبير مفخَّم».

● إن مدرسة الأشعري الفكرية لا تزال مهيمنة على الحياة الدينية في العالم الإسلامي، ولكنها كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «فقدت حيويتها ونشاطها الفكري، وضعف إنتاجها في الزمن الأخير ضعفاً شديداً، وبدت فيها آثار الهرم والإعياء». لماذا؟

ـ لأن التقليد طغى على تلاميذ هذه المدرسة، وأصبح علم الكلام(*) لديهم علماً متناقلاً بدون تجديد في الأسلوب.

ـ لإدخال مصطلحات الفلسفة(*) وأسلوبها في الاستدلال في علم الكلام. . فكان لهذا أثر سيىء في الفكر الإسلامي، لأن هذا الأسلوب لا يفيد العلم القطعي. . . ولهذا لم يتمثل الأشاعرة بعد ذلك مذهب أهل السنة والجماعة(*) ومسلك السلف، تمثُّلاً صحيحاً، لتأثرهم بالفلاسفة وإن هم أنكروا ذلك. . حتى الغزالي نفسه الذي حارب الفلاسفة في كتابه **تهافت الفلاسفة** يقول عنه تلميذه القاضي ابن العربي: «شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر».

ـ تصدى الإمام ابن تيمية لجميع المذاهب الإسلامية التي اعتقد أنها انحرفت عن الكتاب والسنة ـ ومنهم الأشاعرة وبخاصة المتأخرة منهم ـ في كتابه القيم: **درء تعارض العقل والنقل**، وفنَّد آراءهم الكلامية، وبيَّن أخطاءهم وأكَّد أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كما رأينا في آراء أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية أن العقيدة الإسلامية، كما هي في الكتاب والسنة، على منهج(*) ابن كلاب هي الأساس في آرائه الكلامية وفق ما يتفق مع أحكام العقل(*).

● تأثر أئمة المذهب بعد أبي الحسن الأشعري ببعض أفكار ومعتقدات الجهمية(*) من الإرجاء(*) والتعطيل(*)، وكذلك بالمعتزلة والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية، كما تأثروا بالجبرية(*) في مسألة القدر(*).

● لا ينفي ذلك تأثرهم بعقيدة أهل السنة والجماعة(*) فيما وافقوهم فيها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشر المذهب(*) الأشعري في عهد وزارة نظام الملك الذي كان أشعريَّ العقيدة، وصاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية، وكذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة.

وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية، ومدرسة نيسابور النظامية، وكان يقوم عليهما رواد المذهب الأشعري، وكانت المدرسة النظامية في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها، كما تبنى المذهب وعمل على نشره المهدي بن تومرت مهدي الموحدين، ونور الدين محمود زنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين. ولذلك انتشر المذهب في العالم الإسلامي كله، وما زال المذهب الأشعري سائداً في أكثر البلاد الإسلامية وله جامعاته ومعاهده المتعددة.

يتضح مما سبق:

أن الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة ودعا فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة، على طريقة ابن كلاب، وهي تثبت بالعقل(*) الصفات العقلية السبع فقط لله تعالى، (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام). واختلفوا في صفة البقاء، أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها، بينما يؤولون الصفات الخبرية لله تعالى أو يفوضون معناها. ويؤمن متأخرو الأشاعرة ببعض الأفكار المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة(*) التي تصدى لها ولغيرها شيخ الإسلام ابن تيمية، في مجال العقيدة خاصة، إذ أكد أن أسلوب القرآن والسنة بفهم السلف الصالح هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة والدين. وعموماً فإن عقيدة الأشاعرة تنسب إلى عقيدة أهل السنة والجماعة بالمعنى العام في مقابل الخوارج والشيعة(*) والمعتزلة، وأن الأشاعرة، وبخاصة أشاعرة العراق الأوائل أمثال أبي الحسن الأشعري، والباهلي، وابن مجاهد، والباقلاني وغيرهم، أقرب إلى السنة والحق من الفلاسفة والمعتزلة، بل من أشاعرة خراسان كأبي بكر بن فورك وغيره، وإنهم لَيُحمدون على مواقفهم في الدفاع عن السنة والحق في وجه الباطنية(*) والرافضة(*) والفلاسفة، فكان لهم

جهدهم المحمود في هتك أستار الباطنية وكشف أسرارهم، بل كان لهم جهادهم المشكور في كسر سورة المعتزلة والجهمية(*). وعلى ذلك فإن حسناتهم على نوعين كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية: «إما موافقة السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم». ويقول، أيضاً: «ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع(*) والباطل، وخير الأمور أوسطها». **درء التعارض** ٢/ ١٠٢، ١٠٣. ويقول في كتاب **النبوات**: «حيث إن خطأهم بعد اجتهادهم مغفور» ٢٢٠. وأخيراً يقول في **درء التعارض**: «.. فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول. فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله، وإظهار العلم الصحيح... وما من أحد من هؤلاء ولا من هو أفضل منه إلا وله غلط في مواضع» ٨/ ٢٧٥.

مراجع للتوسع:

(ا) مراجع المذهب:

- أساس التقديس ـ فخر الدين الرازي.
- الشامل ـ لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني.
- الرسالة اللدنية من مجموعة القصور العوالي ـ أبو حامد الغزالي.
- الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به ـ للقاضي أبي محمد بن الطيب الباقلاني.
- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني.
- شرح الباجوري على الجوهرة ـ للباجوري.
- تبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب.
- الله جل جلاله ـ سعيد حوى.
- أركان الإيمان وهبي سليمان غاوجي.
- كبرى اليقينيات ـ محمد سعيد رمضان البوطي.

(ب) مراجع وكتب غير المذهب

- الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي.

- سير أعلام النبلاء للذهبي .
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية .
- العقيدة التدمرية لابن تيمية .
- العقيدة الأصفهانية لابن تيمية .
- العقيدة الواسطية لابن تيمية .
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر .
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية د. محمد أمان بن علي الجامي .
- منهج الأشاعرة في العقيدة لسفر الحوالي .
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة - د. عبد الرحمن صالح المحمود .
- منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج الأشاعرة - خالد بن عبداللطيف بن محمد نور .

٨ـ الماتريدية

التعريف:

الماتريدية: فرقة كلامية، تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها، من المعتزلة والجهمية(*) وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مرت الماتريدية كفرقة كلامية بعدة مراحل، ولم تُعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها، كما لم تعرف الأشعرية وتنتشر إلا بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، ولذلك فإنه يمكن إجمالها في أربع مراحل رئيسة كالتالي:

● **مرحلة التأسيس**: [٠٠٠ ـ ٣٣٣ هـ] التي اتسمت بشدة المناظرات مع المعتزلة وصاحب هذه المرحلة:

ـ **أبو منصور الماتريدي**: [٠٠٠ ـ ٣٣٣ هـ]: هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، نسبة إلى (ماتريد) وهي محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر، ولد بها، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده، بل لم يذكر من ترجم له كثيراً عن حياته، أو كيف نشأ وتعلم، أو بمن تأثر. ولم يذكروا من شيوخه إلا العدد القليل مثل نصير بن يحيىٰ البلخي، وقيل نصر وتلقىٰ عنه علوم الفقه الحنفي وعلوم الكلام(*).

ـ أطلق عليه الماتريدية، ومن وافقهم عدة ألقاب تدل علىٰ قدره وعلو منزلته عندهم مثل: «إمام الهدىٰ»، «إمام المتكلمين».

قال عبد الله المرائي في كتابه **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**: «كان أبو منصور قوي الحجة، فحما في الخصومة، دافع عن عقائد المسلمين، ورد شبهات الملحدين..» (١/ ١٩٣، ١٩٤). وقال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه **رجال الفكر والدعوة** «جهبذ من جهابذة الفكر الإنساني، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة» (ص ١٣٩). بل كان يرجِّحه علىٰ أبي الحسن الأشعري في كتابه **تاريخ الدعوة والعزيمة** (١/ ١١٤، ١١٥).

ـ عاصر أبا الحسن الأشعري، وعاش الملحمة بين أهل الحديث وأهل الكلام من

المعتزلة وغيرهم، فكانت له جولاته ضد المعتزلة وغيرهم، ولكن بمنهاج(*) غير منهاج الأشعري، وإن التقيا في كثير من النتائج غير أن المصادر التاريخية لا تثبت لهما لقاء أو مراسلات بينهما، أو اطلاعاً على كتب بعضهما.

ـ توفي رحمه الله تعالىٰ عام ٣٣٣هـ، ودفن بسمرقند، وله مؤلفات كثيرة: في أصول الفقه، والتفسير. ومن أشهرها: **تأويلات أهل السنة أو تأويلات القرآن**. وفيه تناول نصوص القرآن الكريم، ولا سيما آيات الصفات، فأوَّلها تأويلات جهمية(*). ومن أشهر كتبه في علم الكلام **كتاب التوحيد**. وفيه قرر نظرياته الكلامية، وبيَّن معتقده في أهم المسائل الاعتقادية، ويقصد بالتوحيد: توحيد الخالقية والربوبية، وشيئاً من توحيد الأسماء والصفات، ولكن علىٰ طريقة الجهمية(*) بتعطيل كثير من الصفات بحجة التنزيه(*) ونفي التشبيه(*)؛ مخالفاً طريقة السلف الصالح. كما ينسب إليه شرح كتاب **الفقه الأكبر**[1] للإمام أبي حنيفة، وله في الردود علىٰ المعتزلة **رد الأصول الخمسة**، وأيضاً، في الرد علىٰ الروافض(*) **رد كتاب الإمامة لبعض الروافض**، وفي الرد علىٰ القرامطة **الرد على فروع مذهب القرامطة**.

● **مرحلة التكوين**: [٣٣٣ هـ ـ ٥٠٠ هـ]: وهي مرحلة تلامذة الماتريدي ومن تأثر به من بعده، وفيها أصبحت فرقة كلامية ظهرت أولاً في سمرقند، وعمل التلامذة على نشر أفكار شيخهم وإمامهم، ودافعوا عنها، وصنفوا التصانيف متبعين مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع (الأحكام)، فراجت العقيدة الماتريدية في تلك البلاد أكثر من غيرها. ومن أشهر أصحاب هذه المرحلة: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الحكيم السمرقندي (٣٤٢هـ)، عرف بأبي القاسم الحكيم لكثرة حكمه ومواعظه، وأبو محمد عبد الكريم بن موسىٰ بن عيسىٰ البزدوي (٣٩٠ هـ).

● ثم تلا ذلك مرحلة أخرى تُعد امتداداً للمرحلة السابقة. ومن أهم وأبرز شخصياتها:

ـ أبو اليسر البزدوي [٤٢١ـ٤٩٣هـ]: هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم، والبزدوي نسبة إلىٰ بزدوة. ويقال بزدة، ولقب بالقاضي الصدر، وهو شيخ الحنفية بعد أخيه

---

(١) نسبة الكتاب إلىٰ الماتريدي فيها نظر؛ لأن المصادر التي ترجمت للماتريدي أو التي تهتم بكتب المؤلفين لم تشر إليه، وقد نفىٰ نسبة هذا الكتاب إليه العديد من المستشرقين والعلماء، منهم «وينسنك» في كتابه «عقيدة المسلمين» ص ١٢٢، ١٣، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه **تاريخ المذاهب الإسلامية** ص ١٧٥، ١٧٦، وذكر الكوثري الماتريدي في مقدمة كتابه **العالم والمتعلم** أن عدة نسخ للكتاب مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية فيها التصريح بنسبته إلىٰ أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد الفقيه السمرقندي. ويدل علىٰ ذلك ما ورد في ص ٢٥ من الكتاب نفسه. يقول المؤلف قال الفقيه أبوالليث [يرحمه الله].

الكبير علي البزدودي، ولد عام (٤٢١هـ).

ـ تلقىٰ العلم علىٰ يد أبيه، الذي أخذه عن جده عبدالكريم تلميذ أبي منصور الماتريدي، قرأ كتب الفلاسفة أمثال الكندي، وغيره، وكذلك كتب المعتزلة أمثال الجبائي، والكعبي، والنّظام، وغيرهم، وقال فيها: «لا يجوز إمساك تلك الكتب والنظر فيها؛ لكي لا تحدث الشكوك، وتوهن الاعتقاد»، ولا يرى نسبة الممسك إلىٰ البدعة(*). كما اطلع على كتب الأشعري، وتعمق فيها، وقال بجواز النظر فيها بعد معرفة أوجه الخطأ فيها، كما اطلع علىٰ كتابي **التأويلات**، **والتوحيد** للماتريدي فوجد في كتاب **التوحيد** قليل انغلاق وتطويل، وفي ترتيبه نوع تعسير، فعمد إلىٰ إعادة ترتيبه وتبسيطه مع ذكر بعض الإضافات عليه في كتابه **أصول الدين**.

ـ أخذ عن الشيخ أبي اليسر البزدوي جمٌّ غفير من التلاميذ؛ من أشهرهم: ولده القاضي أبو المعالي أحمد، ونجم الدين عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية، وغيرهما.

ـ توفي يرحمه الله تعالىٰ في بخارىٰ في التاسع من رجب سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

● **مرحلة التأليف والتأصيل للعقيدة الماتريدية: [٥٠٠ ـ ٧٠٠ هـ]**: وامتازت بكثرة التأليف وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية؛ ولذا فهي أكبر الأدوار السابقة في تأسيس العقيدة، ومن أهم أعيان هذه المرحلة:

ـ **أبو المعين النسفي [٤٣٨ ـ ٥٠٨ هـ]**: هو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد النسفي المكحولي، والنسفي نسبة إلىٰ نسف وهي مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند، والمكحولي نسبة إلىٰ جده الأكبر، ولكن نسبته إلىٰ بلده غلبت نسبته إلىٰ جده، وله ألقاب عدة من أشهرها: سيف الحق والدين.

ـ ويعد من أشهر علماء الماتريدية، إلا أن من ترجم له لم يذكر أحداً من شيوخه، أو كيفية تلقيه العلم، يقول الدكتور فتح الله خليف: «ويعتبر الإمام أبو المعين النسفي من أكبر من قام بنصرة مذهب الماتريدي، وهو بين الماتريدية كالباقلاني والغزالي بين الأشاعرة، ومن أهم كتبه **تبصرة الأدلة**، ويعد من أهم المراجع في معرفة عقيدة الماتريدية بعد كتاب **التوحيد** للماتريدي، بل هو أوسع مرجع في عقيدة الماتريدية على الإطلاق، وقد اختصره في كتابه **التمهيد**، وله، أيضاً، كتاب **بحر الكلام**، وهو من الكتب المختصرة التي تناول فيها أهم القضايا الكلامية».

ـ توفي يرحمه الله تعالىٰ في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمانٍ وخمسمائة، وله سبعون سنة.

ـ **نجم الدين عمر النسفي [٤٦٢ ـ ٥٣٧ هـ]**: هو أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد ابن أحمد بن إسماعيل . . . بن لقمان الحنفي النسفي السمرقندي، وله ألقاب عدة أشهرها: نجم الدين، ولد في نسف سنة إحدىٰ أو اثنتين وستين وأربعمائة.

ـ كان من المكثرين من الشيوخ، فقد بلغ عدد شيوخه خمسمائة رجل ومن أشهرهم أبو اليسر البزدوي، وعبد الله بن علي بن عيسىٰ النسفي. وأخذ عنه خلقٌ كثير، وله مؤلفات بلغت المائة منها **مجمع العلوم**، **التيسير في تفسير القرآن**، **النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح** في شرح البخاري وكتاب العقائد المشهور **بالعقائد النسفية**، والذي يعد من أهم المتون في العقيدة الماتريدية وهو عبارة عن مختصر لتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي قال فيه السمعاني في ترجمته له: «كان إماماً فاضلاً متقناً، صنَّف في كل نوع من التفسير والحديث . . . فلما وافيت سمرقند استعرت عدة كتب من تصانيفه، فرأيت فيها أوهاماً كثيرة خارجة عن الحد، فعرفت أنه كان ممن أحب الحديث، ولم يرزق فهمه».

ـ توفي يرحمه الله تعالىٰ بسمرقند ليلة الخميس ثاني عشر من جمادى الأولىٰ سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

● **مرحلة التوسع والانتشار: [٧٠٠ ـ ١٣٠٠ هـ]**: وتعد من أهم مراحل الماتريدية، إذ بلغت أوجَ توسعها وانتشارها في هذه المرحلة؛ وما ذلك إلا لمناصرة سلاطين الدولة العثمانية، فكان سلطان الماتريدية يتسع حسب اتساع سلطان الدولة العثمانية، فانتشرت في: شرق الأرض، وغربها، وبلاد العرب، والعجم، والهند، والترك، وفارس، والروم.

وبرز فيها أمثال: الكمال بن الهمام صاحب **المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، والذي ما زال يدرَّس في بعض الجامعات الإسلامية. وفي هذا الدور كثر تأليف الكتب الكلامية من: المتون، والشروح، والشروح علىٰ الشروح، والحواشي علىٰ الشروح.

وهناك مدارس ما زالت تتبنى الدعوة للماتريدية في شبه القارة الهندية، وتتمثل في:

ـ **مدرسة ديوبند والندوية [١٢٨٣هـ ـ . . .]** وفيها كثر الاهتمام بالتأليف في علم الحديث وشروحه، فالديوبندية أئمة في العلوم النقلية والعقلية؛ إلا أنهم متصوفة محضة، وعند كثير منهم بدعٌ قبورية، كما يشهد عليهم كتابهم **المهنَّد علىٰ المفنَّد** للشيخ خليل أحمد السهارنفوري أحد أئمتهم، وهو من أهم كتب الديوبندية في العقيدة، ولا تختلف عنها المدرسة الندوية في كونها ماتريدية العقيدة.

ـ **مدرسة البريلوي [١٢٧٢ هـ ـ . . .]** نسبة إلىٰ زعيمهم أحمد رضا خان الأفغاني الحنفي الماتريدي الصوفي الملقب بعبد المصطفىٰ [١٣٤٠ هـ] وفي هذا الدور يظهر الإشراك

الصريح، والدعوة إلىٰ عبادة القبور، وشدة العداوة للديوبندية، وتكفيرهم فضلاً عن تكفير(*) أهل السنة(*).

ـ **مدرسة الكوثري [١٢٩٦ هـ ـ ...]** وتنسب إلىٰ الشيخ محمد زاهد الكوثري الجركسي الحنفي الماتريدي (١٣٧١ هـ)، ويظهر فيها شدة الطعن في أئمة الإسلام ولعنهم، وجعلهم مجسمة ومشبهة، وجعل كتب السلف ككتب: **التوحيد**، **والإبانة**، **والشريعة**، **والصفات**، **والعلو**، وغيرها من كتب أئمة السنة، كتب وثنيةٍ(*) وتجسيم وتشبيهٍ(*)، كما يظهر فيها، أيضاً، شدة الدعوة إلىٰ البدع(*) الشركية وللتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل. انظر تعليقات الكوثري علىٰ كتاب **الأسماء والصفات** للبيهقي، وكتاب **مقالات الكوثري**.

أهم الأفكار والمعتقدات:

● من حيث مصدر التلقي: قسّم الماتريدية أصول الدين حسب مصدر التلقي إلىٰ:

ـ **الإلٰهيات** [العقليات]: وهي ما يستقل العقل(*) بإثباتها والنقل تابع له، وتشمل أبواب التوحيد والصفات.

ـ **الشرعيات** [السمعيات]: وهي الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتاً ونفياً، ولا طريق للعقل إليها مثل: النبوات، وعذاب القبر، وأمور الآخرة، علماً بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات.

ولا يخفىٰ ما في هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة(*)، إذ إن القرآن والسنة وإجماع(*) الصحابة هي مصادر التلقي عندهم، فضلاً عن مخالفتهم في بدعة تقسيم أصول الدين إلىٰ: عقليات وسمعيات، والتي قامت علىٰ فكرة باطلة أصّلها الفلاسفة من أن نصوص الدين(*) متعارضة مع العقل، فعملوا علىٰ التوسط بين العقل والنقل، مما اضطرهم إلىٰ إقحام العقل في غير مجالات بحثه؛ فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأتهم إلىٰ التأويل(*) والتفويض(*)، بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل السليم الصريح والنقل الصحيح.

● بناءً علىٰ التقسيم السابق فإن موقفهم من الأدلة النقلية في مسائل الإلٰهيات [العقليات] كالتالي:

ـ إن كان من نصوص القرآن الكريم والسنة المتواترة(*) مما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة عندهم، أي مقبولاً عقلاً، خالياً من التعارض مع عقولهم؛ فإنهم يحتجون به في تقرير العقيدة. وأما إن كان قطعي الثبوت ظني الدلالة عندهم أي: مخالفاً لعقولهم، فإنه لا يفيد

اليقين، ولذلك تُؤوَّل الأدلة النقلية بما يوافق الأدلة العقلية، أو تفوض معانيها إلىٰ الله عز وجل. وهم في ذلك مضطربون، فليست عندهم قاعدة مستقيمة في التأويل(*) والتفويض(*)؛ فمنهم من رجّح التأويل علىٰ التفويض، ومنهم من رجّح التفويض، ومنهم من أجاز الأمرين، وبعضهم رأىٰ أن التأويل لأهل النظر والاستدلال، والتفويض أليق للعوام.

والملاحظ أن القول بالتأويل(*) لم يكن علىٰ عهد النبي ﷺ، ولا أصحاب القرون المفضلة، وإنما هي بدعة دخلت علىٰ الجهمية(*) والمعتزلة من اليهود والنصارىٰ، وإلى التأويل يرجع جميع ما أُحدث في الإسلام من بدع فرّقت شمل الأمة، وهو شر من التعطيل؛ إذ يستلزم التشبيه(*)، والتعطيل، واتهاماً للرسول ﷺ بالجهل، أو كتمان بيان ما أنزل الله.

وأما القول بالتفويض(*) فهو من شر أقوال أهل البدع لمناقضته ومعارضته نصوص التدبر للقرآن، واستلزام تجهيل الأنبياء والمرسلين برب العالمين.

ـ وإن كانت الأدلة من أحاديث الآحاد(*) فإنها عندهم تفيد الظن، ولا تفيد العلم اليقيني، ولا يُعمل بها في الأحكام الشرعية مطلقاً، بل وفق قواعدهم وأصولهم التي قرروها، وأما في العقائد فإنه لا يحتج بها، ولا تثبت بها عقيدة، وإن اشتملت علىٰ جميع الشروط المذكورة في أصول الفقه(*)، وإن وردت مخالفة للعقل(*) ولا تحتمل التأويل رُدَّت بافتراء ناقلها أو سهوه أو غلطه، وإن كانت ظاهرة فظاهرها غير مراد، وهذا موقف الماتريدية قديماً وحديثاً؛ حتىٰ أن الكوثري ومن وافقه من الديوبندية طعنوا في كتب السنة بما فيها الصحيحان، وفي عقيدة أئمة السنة مثل: حماد بن سلمة راوي أحاديث الصفات، والإمام الدارمي عثمان بن سعيد صاحب السنن. وهذا قول مبتدع محدث ابتدعته القدرية(*) (١) والمعتزلة(*)، لأن الأحاديث حجة عليهم، وهو مخالف لفعل النبي ﷺ، إذ كان يبعث الرسل إلىٰ الملوك والرؤساء فُرادىٰ يدعونهم إلىٰ الإسلام. وكذلك فإن تقسيم ما ورد عن النبي ﷺ إلىٰ متواتر(*) وآحاد(*) لم يكن معروفاً في عصر الصحابة والتابعين.

ـ كما رتبوا علىٰ ذلك وجوب معرفة الله تعالىٰ بالعقل(*) قبل ورود السمع، واعتبروه أول واجب علىٰ المكلف، ولا يعذر بتركه ذلك، بل يعاقب عليه ولو قبل بعثة الأنبياء والرسل. وبهذا وافقوا قول المعتزلة: وهو قول ظاهر البطلان، تعارضه الأدلة من الكتاب والسنة، والتي تبين أن معرفة الله تعالىٰ يوجبها العقل، ويذم من يتركها، لكن العقاب علىٰ الترك لا يكون إلا بعد ورود الشرع، يقول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

---

(١) أول من قال بهذا القول هو: إسماعيل ابن علية (ت ٢١٨هـ) قال عنه الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال: «جهمي هالك كان يناظر في خلق القرآن». (١/ ٢٠) ناظره الإمام الشافعي، وقال فيه: «هو ضال».

[الإسراء: ١٥] وأن أول واجب علىٰ المكلف، وبه يكون مسلماً: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، والبراءة من كل دين(*) يخالف دين الإسلام علىٰ الإجمال، ولهذا لما أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن لم يأمره بغير ذلك. وكذلك الأنبياء لم يدعوا أقوامهم إلا بقول: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ـ وقالوا، أيضاً، بالتحسين والتقبيح العقليين(*)، إذ يدرك العقل حسن الأشياء وقبحها، إلا أنهم اختلفوا في حكم الله تعالىٰ بمجرد إدراك العقل للحسن والقبح. فمنهم من قال: إن العباد يعاقبون علىٰ أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث إليهم رسول؛ كما سبق، ومنهم من قال بعكس ذلك.

ـ وذهبت كذلك الماتريدية كغيرها من الفرق الكلامية إلى أن المجاز واقع في اللغة والقرآن والحديث؛ ويقصدون بالمجاز أنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، وهو قسيم الحقيقة عندهم. ولذلك اعتمدوا عليه في تأويل النصوص دفعاً ـ في ظنهم ـ لشبه التجسيم والتشبيه(*). وهو بهذا المعنى قول مبتدع، محدث، لا أصل له في اللغة ولا في الشرع. ولم يتكلم فيه أئمة اللغة كالخليل بن أحمد، وسيبويه فضلاً عن أئمة الفقهاء والأصوليين المتقدمين.

ـ مفهوم التوحيد عند الماتريدية هو: إثبات أن الله تعالىٰ واحد في ذاته، لا قسيم له، ولا جزء له، واحد في صفاته، لا شبيه له، واحد في أفعاله، لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات، ولذلك بذلوا غاية جهدهم في إثبات هذا النوع من التوحيد باعتبار أن الإلٰه(*) عندهم هو: القادر علىٰ الاختراع. مستخدمين في ذلك الأدلة والمقاييس العقلية والفلسفية التي أحدثها المعتزلة والجهمية(*)، مثل دليل حدوث الجواهر والأعراض، وهي أدلة طعن فيها السلف والأئمة وأتباعهم وأساطين الكلام والفلسفة(*) وبينوا أن الطرق التي دل عليها القرآن أصح. بيّن ذلك أبو الحسن الأشعري في **رسالته إلىٰ أهل الثغر**، وابن رشد الحفيد في **مناهج(*) الأدلة**. وشيخ الإسلام ابن تيمية في **درء تعارض العقل والنقل**. وأيضاً، خالفوا أهل السنة والجماعة(*) بتسويتهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فالإلٰه عند أهل السنة المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له. وما أرسلت الرسل إلا لتقرير ذلك الأمر، ودعوة البشرية إلىٰ توحيد الله تعالىٰ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

ـ أثبتوا لله تعالىٰ أسماءه الحسنىٰ، وقالوا: لا يسمَّىٰ الله تعالىٰ إلا بما سمىٰ به نفسه، وجاء به الشرع. وفي ذلك وافقوا أهل السنة والجماعة في القول بالتوقيف في أسمائه تعالىٰ إلا أنهم خالفوهم فيما أدخلوه في أسمائه تعالىٰ: كالصانع، القديم، الذات... إذ لم

يفرقوا بين باب الإخبار عن الله تعالىٰ وباب التسمية.

ـ وقالوا بإثبات ثماني صفاتٍ لله تعالىٰ فقط، علىٰ خلاف بينهم، وهي: الحياة، القدرة، العلم، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، التكوين. وعلىٰ أن جميع الأفعال المتعدية ترجع إلىٰ التكوين، أما ما عدا ذلك من الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة [الصفات الخبرية] من صفات ذاتية، أو صفات فعلية، فإنها لا تدخل في نطاق العقل(*)، ولذلك قالوا بنفيها جميعاً. أما أهل السنة والجماعة(*) فهم كما يعتقدون في الأسماء يعتقدون في الصفات وأنها جميعاً توقيفية، ويؤمنون بها «إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، مع تفويض الكيفية وإثبات المعنىٰ اللائق بالله ـ تعالىٰ ـ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ـ قولهم بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، وإنما هو كلام الله تعالىٰ النفسي، لا يسمع، وإنما يسمع ما هو عبارة عنه، ولذلك فإن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة؛ وهو قول مبتدع محدث لم يدل عليه الكتاب ولا السنة، ولم يرد عن سلف الأمة. وأول من ابتدعه ابن كلاب. فالله تعالىٰ يتكلم إذا شاء متىٰ شاء بما شاء، ولا يزال يتكلم كما كلم موسىٰ، ويكلم عباده يوم القيامة، والقرآن كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، غير مخلوق. وكذلك التوراة والإنجيل والزبور. وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة الصالح ومن تبعهم بإحسان.

ـ تقول الماتريدية في الإيمان إنه التصديق بالقلب فقط، وأضاف بعضهم الإقرار باللسان، ومنعوا زيادته ونقصانه، وقالوا بتحريم الاستثناء فيه، وأن الإسلام والإيمان مترادفان، لا فرق بينهما، فوافقوا المرجئة(*) في ذلك، وخالفوا أهل السنة والجماعة(*)، إذ إن الإيمان عندهم: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان. يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. ويجوز الاستثناء فيه [والمقصود عدم تزكية النفس] والإيمان والإسلام متلازمان، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

● وافقت الماتريدية أهلَ السنة والجماعة في الإيمان بالسمعيات مثل: أحوال البرزخ، وأمور الآخرة من: الحشر، والنشر، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار؛ لأنهم جعلوا مصدر التلقي فيها السمع؛ لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق ﷺ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة.

ـ وبالتالي فإنهم أثبتوا رؤية الله تعالى في الآخرة؛ ولكن مع نفي الجهة والمقابلة. وهذا قول متناقض، إذ أثبتوا ما لا يمكن رؤيته، ولا يخفىٰ مخالفته لما عليه أهل السنة والجماعة.

● كما وافقت الماتريدية أهل السنة والجماعة في القول في الصحابة علىٰ ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطأً عن اجتهاد منهم؛ ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم؛ لأن الطعن فيهم إما كفر(*)، أو بدعة(*)، أو فسق. كما يرون أن الخلافة(*) في قريش، وتجوز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجرٍ، ولا يجوز الخروج علىٰ الإمام الجائر.

● وأيضاً، وافقوا أهل السنة والجماعة في القول: بالقدر(*)، والقدرة، والاستطاعة، علىٰ أن كل ما يقع في الكون بمشيئة الله تعالى وإرادته، وأن أفعال العباد من خير وشر من خلق الله تعالىٰ وأن للعباد أفعالاً اختيارية، يثابون عليها، أو يعاقبون عليها، وأن العبد مختار في الأفعال التكليفية غير مجبور علىٰ فعلها.

قالت الماتريدية بعدم جواز التكليف بما لا يُطاق موافقة المعتزلة في ذلك، والذي عليه أهل السنة والجماعة(*) هو: التفصيل، وعدم إطلاق القول بالجواز أو بالمنع.

الجذور الفكرية والعقائدية:

يتبين للباحث أن عقيدة الماتريدية فيها حق وباطل؛ فالحق قد أخذوه عن أهل السنة من الحنفية السلفية(*)، وغيرهم؛ لأن المستقرىء للتاريخ يجد أن الحنفية بعد الإمام أبي حنيفة رحمه الله تفرقوا فرقاً شتى[1] في وقت مبكر، ولم يَسِر علىٰ سيرة الإمام أبي حنيفة وصاحبيه إلا من وفقه الله عز وجل. وقد كانت الغلبة في ذلك للأحناف المنتسبين للفرق المبتدعة من: جهمية(*)، ومعتزلة(*). ولأن المصادر التاريخية لم تُشِر إلىٰ كيفية تلقي أبي منصور الماتريدي العلم أو من تأثر بهم من العلماء، نستطيع ترجيح الآتي:

- تأثُّر أبي منصور الماتريدي مباشرة أو بواسطة شيوخه بعقائد الجهمية(*) من الإرجاء(*) والتعطيل(*)؛ وكذلك المعتزلة(*) والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف

---

(١) فعلى سبيل المثال نجد أن الإمام أبا جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي إمام الحنفية في وقته (٢٢٩ أو ٢٣٩ - ٣٢١هـ) صاحب العقيدة الطحاوية عقيدته سنية سلفية في الجملة.
- بينما راوي كتاب «الفقه الأكبر» عن أبي حنيفة أبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي جهمي مرجىء (١٩٩هـ) ولا يخفى تأثيره على الحنفية بسبب روايته للكتاب.
- القاضي إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة من رؤوس فتنة القول بخلق القرآن ودعاتها، وكان ينسب هذا القول إلى أبيه وجده الإمام أبي حنيفة كذباً وزوراً.
- بشر بن غياث المريسي الحنفي جهمي مرجىء (٢٢٨هـ) إمام المريسية من فرق المرجئة ورافع لواء الجهمية بعد الجهم بن صفوان، وكان أبوه يهوديًّا وكفَّره عدد من أئمة السنة.
- القاضي أحمد بن أبي دؤاد الحنفي معتزلي (٢٤٠هـ) رأس فتنة خلق القرآن وتلميذ بشر المريسي.

نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية ظنًا منه أنها عقيدة أهل السنة.

ـ تأثُّره بابن كلاب (٢٤٠ هـ) أول من ابتدع القول بالكلام النفسي لله عز وجل في بدعته هذه، وإن لم يثبت لهما لقاء، إذ توفي ابن كلاب قبل مولده، بل صرح شيخ الإسلام ابن تيمية أن أبا منصور الماتريدي تابع ابن كلاب في عدة مسائل: الصفات، وما يتعلق بها، كمسألة القرآن هل سبحانه يتكلمه بمشيئته وقدرته؟ ومسألة الاستثناء في الإيمان. **(مجموع الفتاوي ٧/ ٤٣٣، منهاج السنة ٢/ ٣٦٢)**.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت الماتريدية، وكثر أتباعها في بلاد الهند وما جاورها من البلاد الشرقية: كالصين، وبنجلاديش، وباكستان، وأفغانستان. كما انتشرت في بلاد تركيا، والروم، وفارس، وبلاد ما وراء النهر، والمغرب حسب انتشار الحنفية وسلطانهم، وما زال لهم وجود قوي في هذه البلاد، وذلك لأسباب كثيرة منها:

١ ـ المناصرة والتأييد من الملوك والسلاطين لعلماء المذهب، وبخاصة سلاطين الدولة العثمانية.

٢ ـ للمدارس الماتريدية دورٌ كبير في نشر العقيدة الماتريدية، وأوضح مثال علىٰ ذلك: المدارس الديوبندية بالهند وباكستان وغيرها؛ إذ ما زال يدرَّس فيها كتب الماتريدية في العقيدة علىٰ أنها عقيدة أهل السنة والجماعة(*).

٣ ـ النشاط البالغ في ميدان التصنيف في علم الكلام(*)، وردهم علىٰ الفرق المبتدعة الأخرىٰ، مثل الجهمية(*) الأولىٰ، والمعتزلة، والروافض(*).

٤ ـ انتسابهم للإمام أبي حنيفة ومذهبه في الفروع.

يتضح مما سبق:

أن الماتريدية فرقة كلامية نشأت بسمرقند في القرن الرابع الهجري، وتنسب إلىٰ أبي منصور الماتريدي، مستخدمة الأدلة والبراهين العقلية والفلسفية في مواجهة خصومها من المعتزلة، والجهمية وغيرهما من الفرق الباطنية(*)، في محاولة لم يحالفها التوفيق للتوسط بين مذهب أهل السنة والجماعة(*) في الاعتقاد ومذاهب المعتزلة والجهمية وأهل الكلام، فأعْلَوا شأن العقل(*) مقابل النقل، وقالوا ببدعة تقسيم أصول الدين إلىٰ عقليات وسمعيات مما اضطرهم إلىٰ القول بالتأويل(*) والتفويض(*)، وكذا القول بالمجاز في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد(*)، والقول بخلق الكتب. ومنها: القرآن

الكريم؛ وبأن القرآن الكريم كلام الله تعالى النفسي، مما قرّبهم إلىٰ المعتزلة والجهمية(*) في هذا الباب، وإلىٰ المرجئة(*) في أبواب الإيمان، وأهل السنة والجماعة في مسائل: القدر(*)، وأمور الآخرة وأحوال البرزخ، وفي القول في الإمامة، والصحابة رضي الله عنهم. ولما كان مفهومهم للتوحيد أنه يقتصر علىٰ توحيد الخالقية، والربوبية، تمكن التصوف الفلسفي من التغلغل في أوساطهم، فغلب علىٰ كبار منتسبيهم وقوي بقوة نفوذ وانتشار المذهب(*)؛ لوجود أكثر من دولة تحميه وتؤيده مثل الدولة العثمانية؛ فضلاً عن وجود جامعات ومدارس مشهورة تعمل علىٰ نشره، وكان لانتسابهم لمذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع أثره البالغ في انتشار المذهب الماتريدي إلى اليوم. ومع هذا فإن للماتريدية خدمات جليلة في الرد علىٰ المعتزلة والباطنية والفلاسفة الملحدين والروافض(*)، ولهم جهود مشكورة في خدمة كتب الحديث.

مراجع للتوسع:

(أ) كتب المذهب:

- **كتاب التوحيد**، أبو منصور الماتريدي.
- **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي.
- **تبصرة الأدلة**، أبو المعين النسفي.
- **بحر الكلام في علم التوحيد**، أبو المعين النسفي.
- **شرح العقائد النسفية**، لنجم الدين عمر النسفي/ التفتازاني.
- **المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، ابن الهمام مع شرحه المسامرة لابن أبي شريف، شرح قاسم بن قطلوبغا.
- **رسالة التوحيد**، الشيخ محمد عبده.
- **رسالة في الخلافات بين الأشعرية والماتريدية والمعتزلة**، مستحي زاده عبد الله بن عثمان.
- **مقالات الكوثري** ومعها مقدمة البنوري الديوبندي، لأحمد خيري.
- **تاريخ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية**، د. محيي الدين الألوائي.
- **العلماء العُزاب**، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.
- **الأجوبة الفاضلة**، للكنوي، تعليقات الشيخ عبد الفتاح أبي غدة..
- **عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي**، د. أبو الخير محمد أيوب البنجلاديشي.
- **الفتاوى الرشيدية**، للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الديوبندي.

(ب) كتب ومراجع لغير المذهب:

- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي.
- **الأسماء والصفات**، البيهقي.
- **الإيمان**، [مجموع الفتاوى: ٧/ ٤ ـ ٤٢١] شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **الإكليل في المتشابه والتأويل** [مجموع الفتاوي: ١٣/ ٢٧٠ ـ ٣١٤] ـ شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **درء تعارض العقل والنقل**، شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق د. رشاد محمد سالم.
- **اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية**، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. عبدالله المعتق.
- **ذم التأويل**، ابن قدامة المقدسي.
- **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، عبدالرحمٰن بن يحيىٰ اليماني المعلمي.
- **البريلوية** عقائد وتاريخ، إحسان إلٰهي ظهير.
- **الماتريدية**، رسالة ماجستير، أحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي.
- **الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات**، رسالة ماجستير، للشمس الأفغاني السلفي.
- **منهج الماتريدية في العقيدة**، د. محمد بن عبدالرحمٰن الخميس.
- **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ابن رشد الحفيد [أبو الوليد الأصغر محمد بن أحمد الفلسفي].
- **براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة**، د. أبو زيد بكر بن عبدالله أبو زيد.
- **مقدمة شرح العقيدة الطحاوية** لابن أبي العز الحنفي ـ محمد ناصر الدين الألباني.
- **الاستقامة**، شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه** ـ محمد آمان بن علي الجامي.

الفصل الرابع

من المذاهب الفقهية في الإسلام

● مقدمة عامة ● المذهب الحنفي ● المذهب المالكي ● المذهب الشافعي ● المذهب الحنبلي ● المذهب الجعفري ● الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي ● المذهبية أو وجوب اتباع مذهب بعينه.

مقدمة عامة

المذاهب(*) الفقهية هي مذاهب اجتهادية في مسائل الشريعة الإسلامية(*) الفرعية، وهي جميعاً لا تختلف حول أصول الشريعة ولو في جزئية واحدة. والأصل أنه لا مذهبية، ولكن الضرورة دعت إلى تتبع اجتهادات فقهاء المدارس الفقهية من أجل التمكن من حل المشكلات العملية بيسر وسهولة. ولقد نشأت هذه المذاهب كمدارس فقهية لتلبية حاجة المسلمين الماسة إلى معرفة أحكام دينهم وإنزال هذه الأحكام على الوقائع الجديدة. وهذه الحاجة إلى الفقه قائمة في كل زمان لتنظيم علاقات الناس الاجتماعية، من خلال معرفة حقوق كل إنسان وواجباته وتبيان المصالح المتجددة ودرء المفاسد المتأصلة والطارئة. وهي مذاهب اجتهادية أعوزت إليها الوقائع اللامتناهية، والتي لا يمكن أن تضبطها النصوص المتناهية، فقامت لإيجاد حل شرعي لكل حدث مستجد.

ولقد نشأت المدرسة الفقهية الأولى في المدينة المنورة في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وأشهر من نقلت الأحكام عنهم سبعة هم: عمر وعلي وابن مسعود وعائشة وزيد بن ثابت وابن عمر وابن عباس.

ثم نشأت المدارس الفقهية في الأمصار، إذ أسست علمها على فقه هؤلاء السبعة رضي الله عنهم.. فكان علم أهل المدينة عن ابن عمر وزيد وأصحابهما، وأكثر علم أهل مكة عن ابن عباس، ومعظم علم العراق عن عبدالله بن مسعود، الذي أرسله عمر إلى العراق معلماً.. فكان من تلاميذه، علقمة بن مسعود وإبراهيم النخعي شيخ حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة.

وهكذا فقد انتهى علم ابن مسعود إلى أبي حنيفة، كما انتهى إلى مالك علم الصحابة الذين لبثوا في المدينة، أما الشافعي فقد أخذ أولاً عن مالك، إذ سمع منه الموطأ ثم لازم محمد بن الحسن حيناً، وهو تلميذ أبي حنيفة، واطلع على كتبه. وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد أخذ عن الشافعي الحديث والفقه، ثم رحل إلى اليمن والكوفة والبصرة والجزيرة ومكة والمدينة والشام وروى عن الأئمة الأعلام في هذه البلاد.

ومنذ أول القرن الثاني الهجري وحتى منتصف القرن الرابع، وهو العصر الذهبي للاجتهاد، لمع في أفق العالم الإسلامي ثلاثة عشر مجتهداً، دونت مذاهبهم، وقلدت آراؤهم وهم: سفيان بن عيينة بمكة، ومالك بن أنس بالمدينة، والحسن البصري بالبصرة، وأبو حنيفة وسفيان الثوري بالكوفة، والأوزاعي بالشام، والشافعي والليث بن سعد بمصر، وداود الظاهري وابن جرير الطبري وأبو ثور وأحمد ببغداد، وإسحاق بن راهويه بنيسابور. . . ، إلا أن أكثر هذه المذاهب(*) لم يبق إلا في بطون الكتب لانقراض أتباعه، وغيرهم من العلماء الذين بلغ مجموع مذاهبهم أكثر من عشرين مذهباً فقهياً، فضلاً عن أن تلاميذ هؤلاء الفقهاء لم يدونوا فقه أئمتهم ولم يقوموا به، وإن كان هؤلاء لا يقلون منزلة عن الفقهاء الأربعة المشهورين. قال الإمام الشافعي مبيناً علو منزلة الليث بن سعد: «إن الليث أفقه من مالك، ولكن أصحابه لم يقوموا به».

وبقيت المذاهب الأربعة المشهورة إلى يومنا هذا لأهل السنة، والمذهب الجعفري للشيعة.

وقد يثور سؤال: لماذا تختلف هذه المذاهب بعضها عن بعض؟ وقد بيَّن العلماء أسباب اختلاف الفقهاء، وأشهر من كتب في هذا المجال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله في كتابه: **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** الذي قال فيه: «وبعد فيجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن الكريم، وخصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء(*) . . . وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول(*) الله ﷺ في شيء من سننه في دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد من عذر في قوله».

ثم يبين يرحمه الله أن الأئمة الفقهاء مجتهدون مخلصون لا مبتدعون، والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

وهكذا نجد أن الاختلاف في الأمور الفرعية أمر مقبول ولا اعتراض عليه والصحابة أنفسهم كانوا يختلفون، لأن الأمور منها ما ورد فيه نص قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، لا يحتمل الاختلاف في فهمه.. ومنها ما ورد فيه دليل يحتمل اختلاف الأفهام..

والمسلمون لا يتبعون واحداً من الأئمة الأربعة لذاته، وإذا جاء بشيء ليس عليه دليل من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لم يؤخذ به لأنه ليس بمعصوم، والدليل إنما يكون قول الله وقول الرسول ﷺ.

والعمل بالحديث الصحيح قاله العلماء حتى في أشد العصور تمسكاً بالتقليد(*)، ففي أول **حاشية ابن عابدين** التي هي عمدة الفتوى في المذهب(*) الحنفي نص على أن الحنفي الذي يقع له الحديث الصحيح مخالفاً لمذهبه يعمل بالحديث؛ لأنه هو الأصل.

ونحن اليوم بين إفراط وتفريط، فهناك من يوجب على كل مسلم أن يتمسك بمذهب من المذاهب الأربعة ولا يخرج عنه، وهذا إيجاب بلا دليل، وهناك من يكاد يطلب من كل مسلم، عالماً كان أم جاهلاً، مطلعاً أم غير مطلع، أن يأخذ من الكتاب والسنة مباشرة، وهذا المسلك، وإن كان هو الأصل، إلا أنه ليس كل إنسان قادراً عليه؛ لأن الاجتهاد(*) له شروطه العديدة التي لا تتيسر للعامة.

وإن التمسك بمذهب من المذاهب الأربعة وعدم الخروج عنه مهما كانت النصوص الصحيحة معارضة لما في هذا المذهب لهو التعصب بعينه. ومما يؤسف له أن التعصب المذهبي أدى في بعض العصور الإسلامية إلى الفرقة والشتات والنزاع بين أصحاب بعض المذاهب. وقد خفت حدته في العصر الحديث - ولله الحمد -. إلا أنه ما زالت بعض مظاهره السيئة، خصوصاً في الدول غير العربية، واضحة وتعمل عملها في توسيع دائرة الخلاف بين المسلمين. ومن المؤكد أن سبب ذلك هو الجهل بروح الدين الإسلامي ومقاصد الشريعة(*) وبالسنة الصحيحة، واللغة العربية التي تزيد العلماء والمسلمين عامة اطلاعاً ووعياً، كما أن التعصب المذهبي هو أحد مظاهر التخلف الحضاري التي تهيمن على قطاع كبير من المسلمين في العصر الحاضر.

والأمل الذي يشاركنا فيه المسلمون جميعاً هو أن تتوحد كلمة المسلمين أولاً على العقيدة الصحيحة، السليمة من كل زيغ أو بدعة(*)، وأن تتوحد سلوكيات المسلمين على هدي السنة الصحيحة، وألا تكون المذاهب(*) الفقهية سبباً في تفريقهم.. وأن يستفيدوا من هذا الكنز العظيم، والثروة الفقهية الكبيرة التي تجمعت خلال القرون الطويلة في تقنين أنظمتهم ودساتيرهم وتشريعاتهم على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ونحن في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وإن كنا نعرض المذاهب الفقهية في هذه الموسوعة(*) من باب وصف الواقع التاريخي في ماضيه وحاضره، إلا أننا نرجو أن يقوم خيرة علماء المسلمين ويضعوا أفضل ما في المذاهب الفقهية، مما يناسب المسلم المعاصر، ويستجيب لحاجاته، ويحقق الالتزم الإسلامي الصحيح، في منهج واحد شامل كامل يتبعه المسلمون جميعاً لتتحقق للأمة الإسلامية وحدتها العقائدية والفكرية والفقهية والسلوكية، ولتكون حقيقة خير أمة أخرجت للناس، ويختفي من حسِّ كثير من المسلمين كل ما يمت إلى الفرقة والخلاف ويضعف كيان أمة الإسلام.

ونحن نعرض هذه المذاهب الفقهية الأربعة حسب ترتيبها التاريخي مردفين إياها بمذهب غير سني هو المذهب الجعفري، ثم نختم هذه المذاهب باتجاهين لهما أثرهما البالغ في العالم الإسلامي وهما الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي، والاتجاه الآخر المذهبية ووجوب اتباع مذهب بعينه.

٩ـ المذهب الحنفي

التعريف:

المذهب(*) الحنفي أحد المذاهب الفقهية السنية المنتشرة في العالم الإسلامي، وسمي بالمذهب الحنفي نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان يرحمه الله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

صاحب المذهب: هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي. وُلِد في الكوفة سنة ٨٠هـ وتوفي ببغداد سنة ١٥٠هـ، وهو فارسي الأصل من تابعي التابعين. وعده بعضهم في التابعين؛ لأنه أدرك أربعة من الصحابة. نشأ في بيت من بيوت التجارة ثم اتجه إلى العلم وحفظ القرآن الكريم واطلع على السنن وبلغ في الفقه منزلة عظيمة. قال عنه الشافعي: «ما رأيت أحداً أفقه من أبي حنيفة». وقال: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة».

مؤلفاته:

له من علم الكلام(*) كتاب **الفقه الأكبر**، وله **مسند الحديث**، وكتاب **العالم والمتعلم**، ورسالة **الرد على القدرية**(*). ولم يترك كتاباً فقيهاً محدداً إلا ما أملاه على تلاميذه وجمعه الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

تواضعه:

كان دائماً يقول: «قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا».

ـ كان يرجع عن رأيه إن بدا له نظر آخر، وكان يرجع حتماً عن رأيه إذا ذكر له مناظره حديثاً مرويًّا، فإنه ليس مع الحديث رأي.

ـ رفض تولي القضاء على الرغم من إصرار الخليفة المنصور فضرب على ذلك وحبس.

من تلامذته:

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي (١١٣ ـ ١٨٢هـ) فقيه العراق. وقد تتلمذ على أبي حنيفة وسلك طريقته الاجتهادية، فكان أنبه تلامذة الإمام، وله الفضل في انتشار المذهب في الأقطار الإسلامية، وذلك عندما تولى منصب قاضي القضاة، فكان لا يستعمل على القضاء إلا حنفي المذهب.

ـ وكانت فيه نزعة عقلية وذكاء وقاد، واتصل بشيوخ من نحلٍ مختلفة وتتلمذ على حماد ابن أبي سليمان ولزم مكة بضع سنين.

ـ ألف كتاب **الخراج** بتكليف من هارون الرشيد الخليفة العباسي. وهو أول من كتب في السياسة المالية وأوضح مواردها ومصادرها، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة.

● محمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ ـ ١٨٩هـ). ولد بواسط ونشأ بالكوفة، كان ذا عقل راجح، ونبغ في حياة شيخه أبي يوسف وأخذ عن الإمام مالك، وله مناظرات مع الشافعي. سجل فقه أبي حنيفة في كتب ستة، وإليه يرجع الفضل في تدوين المذهب، وتعد كتبه من أعظم وأكبر الموسوعات(*) في الفقه الحنفي بعد أن شرحها السرخسي في كتابه **المبسوط**.

● زفر بن الهذيل (١١٠ ـ ١٥٨هـ). كان أكثر أصحاب أبي حنيفة تمسكاً بالقياس، وكان أبو حنيفة يجله ويعظمه، وكان زاهداً عابداً ثقة مأمونا، أُكره على القضاء، فأبى واختفى مدة، فهُدم منزله، ثم خرج فأصلحه، ثم أكره وهُدم منزله، ولم يتولَّ القضاء واشتغل بالعلم والعبادة، وزهد في الدنيا، وأحبه أهل البصرة وفيها توفي.

● الحسن بن زياد اللؤلؤي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) تتلمذ لأبي حنيفة ثم لأبي يوسف ثم لمحمد... اشتغل بالسنة أولاً ثم بالفقه وكان فطناً يقظاً نبيهاً، حافظاً للروايات.

أصول المذهب الحنفي وطريقته في الاجتهاد:

● اعتمد الإمام أبو حنيفة في مذهبه على الكتاب والسنة والإجماع(*) والقياس(*) والاستحسان(*) والعرف(*) وقول الصحابي وشرع من قبلنا وغيرها من مصادر التشريع المختلف عليها.

ـ **القرآن**: المصدر الأول للشريعة الإسلامية(*)، وهذا لا يختلف فيه اثنان، وما كان من خلاف حوله فليس خلافاً في الاحتجاج به، وإنما هو خلاف في فهم ألفاظه ومعانيه.

- **السنة النبوية**: وهي المصدر الثاني للشريعة، ولا خلاف في هذا لأحد. والخلاف في جزئيات مما يتعلق بالسنة، فأبو حنيفة يأخذ بالسنة الصحيحة، والآثار التي فشت في أيدي الثقات، وهو الحديث المشهور(*) عند الحنفية، أما أحاديث الآحاد(*) وهي عندهم غير المتواترة(*) والمشهورة، فلا يأخذ بها الحنفية إلا بشروط.

- **الإجماع**: وهو الأصل الثالث للشريعة.. والخلاف الحاصل بين العلماء حوله إنما هو في أمور فرعية تتعلق ببعض صور الإجماع.

- **أقوال الصحابة**: وأبو حنيفة يختار منها ماشاء، ومن المعلوم أن تخير الفقيه المجتهد ليس ناتجاً عن هوى، وإنما يقارن بينها ويرجح منها ما ترجح على غيره.

- **القياس**: وهو قياس الأشباه بالنظائر، وذلك إذا لم يجد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ولا في أقضية الصحابة رأياً ولا حكماً ولا قضاءً.

- **الاستحسان**: الذي يمكن أن يتلافى به ما تؤدي إليه بعض الأقيسة من تفويت المصالح أو بعضها... وقد توسع الحنفية في الاستحسان فأورثوا ثروة فقهية كبيرة.

● وجه الفقهاء والمحدثون نقداً إلى أبي حنيفة يتلخص في أنه ردَّ كثيراً من الأحاديث لمخالفتها القياس في نظره، وقد تكون الأحاديث التي يردها مما عمل به غيره لصحتها أو لحسنها وصلاحيتها للاحتجاج.

- وقد أجاب فقهاء المذهب الحنفي بأن أبا حنيفة ما كان يرد صحاح الأحاديث ولا حسانها - كما يقال - بل كان يتشدد في قبول الحديث أو خبر الواحد(*)، عذره في ذلك أنه كان بالكوفة وكانت مهد الفتن والتحزب السياسي، وانشقاق الفرق، وبعضها يتساهل ويدلس في الرواية وربما افتعلها انتصاراً لأهوائه... والكوفة بعيدة عن الحجاز، مهبط الوحي(*) ومركز السنة فاحتاط الإمام في قبول الحديث والعمل به احتياطاً لشرع الله.

انتشار المذهب الحنفي:

● انتشر المذهب(*) في العراق أولاً، حيث نشأ صاحبه، ودونت أسفاره.

● كما انتشر بسبب اعتناق الدولة العباسية للمذهب، وإسنادها القضاء إلى أبي يوسف أول تلاميذ أبي حنيفة، والذي كان لا يولي القضاء إلا من كان حنفي المذهب كما نوهنا ومن هنا ذاع المذهب في بلاد فارس ومصر والشام والمغرب.

● وكان لشخص أبي حنيفة حب واحترام في بلاد خراسان وسجستان وطبرستان والديلم وأذربيجان وأرمينية التي لاتزال غالبيتها على المذهب.

● ولما حكم العثمانيون البلاد الإسلامية تبنت الدولة المذهب الحنفي ولاتزال

الدول التي حكمها العثمانيون تتمذهب به حتى أيامنا هذه كتركيا والعراق وسوريا ولبنان والأردن وما زال هو المذهب(*) الرئيس للقضاء في مصر.

● وينتشر المذهب الحنفي حاليًا في أفغانستان وباكستان والهند ومصر وغيرها من الدول الإسلامية الآسيوية.

ويتضح مما سبق:

أن المذهب الحنفي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السُّنِّيَّة المنتشرة في العالم الإسلامي، وهو ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان، وأصول هذا المذهب هي الكتاب والسنة والإجماع(*) فضلاً عن القياس والاستحسان(*) والعرف(*) وقول الصحابي وشرع من قبلنا وغيرها. وقد انتشر المذهب الحنفي في العراق أولاً ثم مكنت له الدولة العباسية. وهو ينتشر حاليًا في أفغانستان والباكستان والهند وغيرها من الدول الإسلامية.

مراجع للتوسع:

(أ) أهم كتب المذهب الحنفي:

ومن أهم مؤلفات الإمام أبي حنيفة، **الفقه الأكبر ومسند الحديث وكتاب العالم والمتعلم**، ومن أهم كتب المذهب الحنفي كتب ظاهر الرواية الستة وهي **الجامع الكبير والجامع الصغير والسيّر الكبير والسيّر الصغير والمبسوط والأصل والزيادات**. وتمثل الآراء الراجحة في المذهب الحنفي. ثم كتب النوادر للإمام محمد، أيضاً، **(وهي الجرجانيات والهاردنيات والكيسانيات والرقيات)** وكتاب **الكافي** للحاكم الشهيد المروزي (٣٣٤هـ) **والمبسوط** للسرخسي وكتاب **بدائع الصنائع** للكاساني **ومختصر الهداية** للمرغيناني (٥٩٣هـ) وشروحه ومن أهمها: **فتح القدير** للكمال بن الهمام (٨٦١هـ)، ثم كتاب **رد المحتار** المعروف بحاشية ابن عابدين (١٢٥٢ هـ) **ومجلة الأحكام العدلية**.

(ب) مصادر الفقه الحنفي:

● **المبسوط** لشمس الأئمة السرخسي ـ الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ مصر، مطبعة السعادة.

● **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** ـ لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني (المتوفى سنة ٥٨٧هـ).

● **تحفة الفقهاء** ـ لعلاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي (المتوفى سنة ٥٧٥هـ). الطبعة الأولى ـ بتحقيق الدكتور محمد زكي عبدالبر ـ دمشق مطبعة جامعة دمشق (١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م).

(جـ) من المختصرات:

● **الدر المختار شرح تنوير الأبصار** ـ لمحمد علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عبدالرحمن المعروف بالحصكفي (المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ).

● **حاشية رد المحتار على الدر المختار** ـ لمحمد أمين المشهور بابن عابدين (المتوفى ١٢٥٢ هـ) الطبعة الثانية، مطبعة مصطفي البابي الحلبي (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

(د) التراجم لرجال المذهب:

● **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ـ لمحيي الدين عبد القادر بن أبي الوفا القرشي المصري الحنفي (المتوفى سنة ٧٧٥هـ).

● **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** ـ للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي (المتوفى سنة ١٠٠٥ هـ) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو.

(هـ) كتب عامة:

- **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية** ـ د. حسن أحمد مرعي. وهو بحث ضمن بحوث أخرى نشرها المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- **المذاهب الفقهية** ـ للدكتور محمد فوزي فيض الله ـ نشر دار الشعاع ـ الكويت ـ ١٩٨٥م.
- **أبو حنيفة** ـ للشيخ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي.
- **تاريخ الفقه** ـ للأستاذ محمد علي السايس ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ القاهرة.
- **المدخل للفقه الإسلامي** ـ للأستاذ محمد سلام مدكور ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٣٨٣ هـ.
- **المدخل للفقه الإسلامي** ـ للأستاذ عيسوي أحمد عيسوي ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة.
- **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي** ـ للأستاذ مصطفي شلبي ـ دار التأليف ـ القاهرة ١٣٧٦ هـ.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ محمد أبو زهرة.
- **تعريف عام بالعلوم الشرعية** ـ د. محمد الزحيلي.
- **محاضرات في الشريعة الإسلامية** ـ د. محمد شتا أبو سعد ـ القاهرة ١٤٠٧ هـ.

١٠ـ المذهب المالكي

التعريف:

المذهب(*) المالكي هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكبرى في العالم الإسلامي؛ وسمي بالمالكي نسبة إلى الإمام مالك بن أنس يرحمه الله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● صاحب المذهب هو: الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني إمام دار الهجرة في الفقه(*) والحديث بعد التابعين. ولد في المدينة المنورة سنة ٩٣هـ، وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ. عاش إبان ازدهار الدولة الأموية وأفول نجمها، وعاصر الدولة العباسية في قوتها. جده الأعلى أبو عامر صحابي جليل شهد المعارك كلها مع رسول الله، ﷺ، إلا بدرا. وجده مالك من كبار التابعين وعلمائهم. حفظ القرآن الكريم وأخذ يتنقل في مجالس العلماء، نشأ نشأة علمية فقهية ثرَّةً. وقد أخذ عن نافع مولى عبدالله بن عمر، وأخذ عن ابن شهاب الزهري وابن هرمز وربيعة بن عبدالرحمن، وكان يغشى مجلس الإمام الصادق، وكان معنيًّا بفتاوى الصحابة وكبار التابعين. وقد اكتملت ثقافته الدينية في سن مبكرة. وكان يجل العلماء ويكبرهم ويقدمهم على أصحاب الجاه والسلطان. قال عنه الشافعي: «مالك حجة الله على خلقه». وقد ضُرب مالك، وأوذي في الله، وفي قولة الحق، ذلك لأنه كان يحدِّث بحديث: «**ليس على المستكرَه يمين**». ولما كانت بيعة المنصور قد أخذت كرها، نهاه والي المدينة باسم المنصور عن أن يحدِّث به ودسَّ عليه من يسأله عنه، فحدَّث به على رؤوس الأشهاد. ومن أعظم ما خدم به مالك السنة والآثار كتابه القيم الذائع الصيت **الموطأ**. وقد لبث في تأليفه وتهذيبه أربعين سنة. ويعد مالك أول ضابط لفن الرواية. وروايته عن النبي، ﷺ، تعد السلسلة الذهبية.

● عبد الرحمن بن القاسم المصري (١٢٨ ـ ١٩١هـ). من تلاميذ الإمام مالك، وقد صحبه عشرين سنة، وهو الذي دوَّن الفقه المالكي، وعُرِف بالتقوى والزهد والورع والصبر ومجانبة السلاطين، وكان لا يقبل جوائزهم. قال عنه المؤرخون: ابن القاسم مشتهرٌ بالاختصاص في صحبة مالك، مع طولها، وحسن العناية بمتابعته، مع ما كان فيه من الفهم

والعلم والورع وسلامته من التكثير في النقل عن مالك. نظر في **المدونة** ـ أول كتب المالكية ـ وصححها، وعنه رواها سحنون ورتبها.

● أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم (١٢٥ ـ ١٩٧هـ). من تلاميذ الإمام مالك، صحبه عشرين سنة حتى توفي، وصنَّف **الموطأ الكبير والموطأ الصغير**. قال فيه الإمام أحمد: «عالم صالح فقيه، كثير العلم، صحيح الحديث. ثقة صدوق... ما أصح حديثه». كان محدثاً فقيهاً، عزوفاً عن القضاء متورِّعا عن الفتوى، وهو الذي نشر فقه الإمام مالك في مصر.

● أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري (١٤٠ ـ ٢٠٤هـ). من تلاميذ الإمام مالك، أيضاً، وكان فقيه مصر، أدركه الشافعي في مصر وقال عنه: «ما أخرجت مصر أفقه من أشهب».

● أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم (١٥٥ ـ ٢١٤هـ). هو، أيضاً، من تلاميذ الإمام مالك. وكان فقيهاً صالحاً صدوقاً حليماً. أفضت إليه الرئاسة بعد أشهب، وكان صديقاً للشافعي، من كتبه **المختصر الكبير والأوسط والصغير** الذي قصره على علم **الموطأ والأهوال والقضاء في البنيان، وفضائل عمر بن عبدالعزيز، والمناسك**.

● أسد بن الفرات (المتوفى سنة ٢١٣هـ) الفقيه الفارس. أصله من نيسابور، ونشأ في تونس ثم رحل إلى مالك في المدينة، وتلقى عنه **الموطأ**، ثم ذهب إلى العراق فأخذ عن صاحبي أبي حنيفة، وروى عنه أبو يوسف **الموطأ**، ثم رجع إلى مصر وعرض على ابن القاسم ما تلقاه من فقه الحنفية، فأفتاه بمذهب مالك فيها، وكانت تلك المسائل أصلاً **للمدونة** التي نشرها في القيروان بعد ذلك. قاد الجيش الذي خرج لغزو صقلية، فمات وهو يحاصر سرقوسة.

● أصبغ بن الفرج بن سعيد (١٥٠ ـ ٢٢٥هـ). فقيه مصري، رحل إلى مالك في المدينة، فدخلها يوم مات، فأخذ عن ابن القاسم وابن وهب وأشهب من تلاميذ مالك. وله من المؤلفات: **آداب القضاء، وتفسير غريب الموطأ، وآداب الصيام، والرد على أهل الأهواء**.

● عيسى بن دينار (المتوفى سنة ٢١٢هـ). قرطبي أندلسي، رحل إلى ابن القاسم فأخذ عنه، حتى كان فقيه الأندلس في عصره. قال عنه المؤرخون «كان عيسى فقيها بارعاً.. عابداً ناسكاً من أهل العلم والعمل والخشية، مجاب الدعوة، وقد قيل إنه صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة..» توفي بطليطلة يرحمه الله.

● عبد السلام بن سعيد التنوخي (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ).

لقب بسحنون.. وتفقه بالقيروان ثم رحل إلى مصر، ثم إلى المدينة وسمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب، ولم يسمع من مالك. وكان يقول: «لاحيَّ الله الفقر، فلولاه

لأدركت مالكاً». شُهد له بالثقة وحفظ العلم، واجتمع فيه الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة، وكان لا يقبل من السلطان شيئاً. وقوله هو المعوَّل عليه في المغرب. صنف **المدونة** وعليها يعتمد أهل القيروان بل هي عمدة المالكية في جميع العصور.

أصول مذهب الإمام مالك:

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- إجماع الصحابة(*).

وهي الأصول الثلاثة اتفقت عليها المذاهب الفقهية الأربعة الكبرى وزاد عليها مالك:

- القياس(*).
- المصالح المرسلة(*): وهي التي لم يرد عن الشارع نص يوجب اعتبارها أو عدم اعتبارها.
- عمل أهل المدينة: وهذا الأصل هو الذي تميز به الإمام مالك عن باقي الفقهاء.. إذ يرى أن عمل أهل المدينة الذين أقام مالك بينهم، أقوى من الخبر الواحد الصحيح؛ لأن عملهم بمثابة روايتهم الحديث، ورواية الجماعة أقوى من رواية الفرد. لذلك يشترط مالك في العمل بخبر الواحد(*) عدم مخالفته عمل أهل المدينة. وعمل أهل المدينة حجة عند مالك مطلقاً، فيجب الأخذ به واتِّباعه.
- الأخذ بأقوال الصحابة: إلى جانب الأحاديث التي رواها مالك في **الموطأ**، تضمن كتابه فتاوى عمرو وابنه عبدالله رضي الله عنهما، وفتاوى الفقهاء السبعة في المدينة التي نقلوها عن الصحابة؛ ولهذا عُدَّ مالك إمام السنة في عهده، كما يقول الشاطبي.

انتشار المذهب المالكي:

- انتشر المذهب(*) في الحجاز. ومنها انتقل إلى القارة الأفريقية، وبخاصة المغرب، ثم انتقل إلى الأندلس حتى أنه كان من شروط تولي القضاء في الأندلس حفظ **القرآن الكريم** وحفظ **موطأ الإمام مالك**.
- في عهد الحكم بن هشام بلغ المذهب أوجه في الأندلس، فقد كان يحيى بن يحيى الفقيه المالكي المشهور مكينا عند الحكم فنشر المذهب في الأندلس والمغرب كما نشر أبو يوسف المذهب الحنفي في العراق.

ـ ونقل أصحاب مالك المذهب إلى مصر فكانت أولى البلاد التي انتشر فيها المذهب بعد الحجاز.

ـ وفي أيامنا مازال المذهب المالكي يسود جهات من صعيد مصر وفي السودان وبقية القارة الأفريقية لمقابلتهما الديار الحجازية.

ـ ونظرا لكثرة الأقوال في المذهب يجد الباحث في الفقه المالكي ثمرات فكرية متنوعة وألوانا من المنازع الفقهية صالحة للتطبيق، إذ توافق البيئات المختلفة والأقطار المتباينة.

ويتضح مما سبق:

أن المذهب المالكي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السنية الأربعة الكبرى، وهو ينسب إلى الإمام مالك بن أنس يرحمه الله، وتقوم أصول المذهب على الكتاب والسنة وإجماع(*) الصحابة فضلاً عن إعمال القياس(*) والأخذ بالمصالح المرسلة(*). وعمل أهل المدينة والأخذ بأقوال الصحابة، وأهم كتب هذا المذهب هي **الموطأ والمدونة والموازية وبداية المجتهد والذخيرة**، وقد انتشر المذهب المالكي في الحجاز ومنها انتشر، أيضاً، في كل من المغرب والأندلس والقارة الأفريقية، إذ يسود في صعيد مصر والسودان وبعض البلاد الأفريقية وغيرها.

مراجع للتوسع:

(أ) أهم كتب المذهب المالكي

ـ **الموطأ** ـ للإمام مالك بن أنس ويجمع بين الحديث والآثار وآراء الإمام.

ـ **المدونة** ـ وهي آراء الإمام مالك جمعها تلميذه سحنون بن سعيد التنوخي.

ـ **الموَّازية** ـ لمحمد بن إبراهيم الإسكندري بن زياد المعروف بابن الموَّاز، (المتوفى سنة ٢٦٩هـ أو ٢٨١هـ).

ـ **بداية المجتهد** ـ لابن رشد (٤٥٠ ـ ٥٢٠هـ).

ـ **الذخيرة** ـ للقرافي.

ـ **مواهب الجليل** ـ للحطاب.

(ب) المختصرات:

ـ **المختصر في الفقه المالكي**، للشيخ خليل بن إسحاق المالكي (المتوفى ٧٦٧هـ) وله شروح منها:

- **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل**، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المعروف بالحطاب (المتوفى سنة ٩٥٤هـ) طبعة أولى - مطبعة السعادة بمصر (بدون تاريخ).

- **المجموع الفقهي في مذهب الإمام مالك**، لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر ابن عبد العزيز السنباوي المعروف بالأمير، المتوفى سنة ١٢٣٢هـ وهو متن مختصر.

(جـ) التراجم لرجال المذهب:

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، للقاضي عياض بن موسى السبتي (المتوفى سنة ٥٤٤هـ).

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون العمري المدني المالكي (المتوفى سنة ٧٩٩هـ).

(د) كتب عامة:

- **المذاهب الفقهية**، للدكتور محمد فوزي فيض الله - الشعاع للنشر - الكويت ١٩٨٥م.
- **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية**، للدكتور حسن أحمد مرعي. إدارة النشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - ١٤٠١هـ، دار النهضة العربية - القاهرة ١٣٨٣هـ.
- **المدخل للفقه الإسلامي**، للأستاذ عيسوي أحمد عيسوي، دار الكتاب العربي - القاهرة.
- **الإمام مالك**، لمحمد أبي زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة.
- **وفيات الأعيان**، لابن خلكان.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، لابن فرحون.
- **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها**، لأحمد تيمور باشا.

١١ـ المذهب الشافعي

التعريف:

المذهب(*) الشافعي هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكبرى في العالم الإسلامي؛ وسمي بالمذهب الشافعي نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي يرحمه الله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

صاحب المذهب هو: الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي. وُلِد في غزة سنة ١٥٠هـ، عام وفاة أبي حنيفة، وتوفي في مصر سنة ٢٠٤هـ.

ـ توفي أبوه وهو صغير فحملته أمه ـ وهي يمنية من الأزد ـ إلى مكة، إذ نشأ فيها وحفظ القرآن، واشتغل باللغة والشعر والأدب، وخرج إلى البادية ليبتعد عن العجمة، وحفظ **الموطأ** وأخذ الفقه وعلوم القرآن عن علمائها، وخاصة مسلم بن خالد الزنجي. وقصد مالكاً في المدينة فدرس عليه وسمع منه **الموطأ**، وأخذ الحديث وعلومه عن سفيان بن عيينة وعلماء المدينة، ثم ارتحل إلى العراق سنة ١٩٥هـ وأخذ عن محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة. وفي بغداد كتب فقهه القديم؛ الذي يمثله كتاب **الحجة**، ثم رحل إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وفيها صنف كتبه: **الرسالة** (في الأصول) **والأم** (في الفقه). وكان إلى جانب إمامته في الفقه(*) والأصول والحديث عالماً باللغة والأدب والشعر، أثنى على الشافعي خَلْقٌ كثير، وقال عنه المؤرخون: «هو إمام الدنيا وعالم الأرض شرقاً وغرباً».

ـ وقد تعلم الرماية وأغرم بها ونبغ فيها حتى صار إذا رمى من السهام عشراً أصابت كلها، وقد روي عنه أنه قال لبعض تلاميذه: كانت همتي في شيئين: في الرمي والعلم، فصرت في الرمي بحيث أصبت عشرة من عشرة. ثم سكت عن العلم. فقال بعض الحاضرين: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي».

أشهر كتبه:

ـ **الحجة**، وقد أملاه على تلاميذه بالعراق.

ـ **الأم**، الذي أملاه على تلاميذه في مصر.

ـ **الرسالة في الأصول**، وهي من أول ما كتب في هذا العلم خلاف مالك وخلاف العراقيين.

ـ وينسب إليه ديوان من الشعر طبع حديثاً.

منزلته:

ـ قال فيه تلميذه أحمد بن حنبل: يروى عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**إن الله عزّ وجلّ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم أمر دينها**» فكان عمر بن عبدالعزيز على رأس المائة وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى.

● أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، (المتوفى سنة ٢٣١هـ)، (نسب إلى قرية في مصر). وهو من أكبر تلاميذ الشافعي، وكان يعتمد عليه في الفتوى، وقد استخلفه الشافعي في حلقة بمصر إلى أن استدعي لبغداد، وسجن في محنة القول بخلق القرآن، فكان يغسل ثيابه ويغتسل كل جمعة ويتطيب، ثم إذا سمع النداء كان يخرج إلى باب السجن، فيرده السجان فيقول: ارجع يرحمك الله، فيقول البويطي: اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني. ومات وهو كذلك في غياهب السجن ـ يرحمه الله ـ.

● أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (١٧٥ ـ ٢٦٤هـ) الفقيه الراوية المصري، قال فيه الشافعي «المزني ناصر مذهبي».

وقال المترجمون له: كان زاهداً ورعاً متقللاً من الدنيا، مجاب الدعوة. ألف كتباً كثيرة من أهمها: **الجامع الكبير والجامع الصغير، والمنثور، والمسائل المعتبرة، والترغيب في العلم، والوثائق، والمختصر الصغير**.

● الربيع بن سليمان بن عبدالجبار المرادي (١٧٤ ـ ٢٧٠هـ) صاحب الشافعي وراوية كتبه، وكان مؤذناً بجامع عمرو بن العاص، وعن طريقه وصلت إلينا الرسالة والأم وغيرهما.

● أبو حفص حرملة بن عبدالله النجيبي المصري (١٦٦ ـ ٢٤٣هـ) روى عن الشافعي، وروى عن مسلم وابن ماجه، وأثنى عليه ابن معين وغيره، ومن تصانيفه: **المبسوط والمختصر والشروط** في ثلاثة أجزاء وكتاب **السنن** في عشرة أجزاء وغيرها.

● أبو علي الحسين بن علي بن زيد الكرابيسي (المتوفى سنة ٢٤٥ أو ٢٤٨هـ) الفقيه البغدادي، تفقه أولاً على مذهب أهل الرأي، ثم جالس الشافعي لما قدم بغداد فسمع منه وتفقه عليه فانتقل إلى مذهبه، وخالف الإمام أحمد بعد أن كان صديقه، في القول بخلق القرآن، فهجره الحنابلة، وترك الناس حديثه لطعن أحمد فيه.

● أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج (المتوفى سنة ٣٠٦هـ) كان حامل لواء الشافعية في زمانه، وعنه انتشر المذهب(*) في الآفاق.

أدوار تدوين المذهب:

أخذ المذهب الشافعي على يد مؤسسه دورين من الاجتهاد:

أحدهما:

مانشره ببغداد وهو المذهب القديم، ويتمثل في كتابه **الحجة** وقد دونها الزعفراني بإملاء الشافعي.

والدور الثاني:

عندما انتقل إلى مصر سنة ١٩٩هـ فأخذ ينقح كتبه، ويمحص الآراء فيها، ويرجع عن بعضها، ويعتمد بعضها الآخر. ثم يدون ما انتهى إليه. وقد روى كتبه الجديدة الربيع بن سليمان.

وقد نسخ الشافعي بكتابته في مصر ما كتبه في بغداد. وقال رضي الله عنه «لا أجعل في حلٍّ مَنْ روى عني كتابي البغدادي».

أصول مذهب الشافعي:

ـ **القرآن**: وهو الأصل الأول، ويعمل بظاهره، حتى يقوم الدليل الصارف عن الظاهر.

ـ **السنة**: وهي الأصل الثاني الذي يجب اتباعه، ولو كانت خبر الواحد، ولا يشترط فيه سوى الصحة والاتصال. وقد دافع الشافعي في **الرسالة** عن خبر الواحد، وقد اكتسب ثقة المحدثين، حتى سماه المحدثون: ناصر السنة.

ـ وقد أسقط الشافعي الاحتجاج بالمرسل(*)، ماعدا مراسيل سعيد بن المسيب؛ لأنه وجدها مسانيد، وخالف في ذلك الأحناف.

ـ **الإجماع**(*): ويقدمه الشافعي عن الخبر المفرد. يقول: «الإجماع أكبر من الخبر المفرد».

ـ **القياس**(*): ويعمل به بشرط أن يكون له أصل في الكتاب أو السنة أو بأن تكون علته منضبطة.

ويرد الشافعي جميع المصادر الفقهية الأخرى مثل:

ـ **الاستحسان**(*): وكتب كتاباً في إبطال الاستحسان، وشاع قوله «من استحسن فقد شرع» وبذلك خالف أبا حنيفة.

ـ **المصالح المرسلة**(*) : لا يعمل بها وهي معتمدة عند المالكية .

ـ **عمل أهل المدينة** : وقد رد الشافعي في الأم على المالكية في ذلك .

ـ **أقوال الصحابة** : ردها لاحتمال كونها اجتهاداً، فيجوز عليها الخطأ .

ـ وهكذا فإن الشافعي يرحمه الله ركز على الحديث الصحيح والحسن ، وذهب إلى أنه ليس لأحد حجة مع رسول الله ﷺ، وروي عنه قوله : «إذا صح الحديث فهو مذهبي» .

انتشار مذهب الشافعي:

● انتشر مذهب(*) الشافعي في مصر ؛ لاستقرار مذهبه الجديد بها ، وقيام تلاميذه بنشره فيها ؛ وعندما سيطر الفاطميون على مصر انقرض فقه أهل السنة ، ولكنه عاد على يد صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على الدولة الفاطمية .

● وانتشر المذهب في العراق والشام، أيضاً، ومن العراق انتقل إلى خراسان واليمن والحجاز وفارس وبعض بلاد الهند .

● يسود إندونيسيا وماليزيا المذهب الشافعي . وقد نقل إليها الإسلام وفقهه معاً عن طريق التجار من سكان الجزيرة العربية قبل ظهور المذهب الحنبلي فيها .

ويتضح مما سبق:

أن المذهب الشافعي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السنية الأربعة الكبرى ، وهو ينسب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، وتقوم أصول مذهب الإمام الشافعي على القرآن والسنة النبوية المطهرة، وهو يدافع عن خبر الواحد، ولذا عرف بأنه ناصر السنة ، ولكنه لا يحتج بالمراسيل(*) عدا مراسيل سعيد بن المسيِّب، «لأنه يعتبرها مسندة» ثم الإجماع(*) والقياس(*)، ويرد الشافعي الاستحسان والمصالح المرسلة وعمل أهل المدينة، وأقوال الصحابة . وقد انتشر المذهب في مصر والعراق والشام وخراسان واليمن والحجاز وفارس وبعض بلاد الهند ، ومن أشهر كتب المذهب الشافعي **الأم** للإمام الشافعي ، **ومختصر المزني** **وروضة الطالبين** **والمجموع** للنووي، **وفتح القدير شرح الوجيز** للرافعي **والمهذب** **والتنبيه** للشيرازي .

مراجع للتوسع:

(أ) بعض أشهر كتب المذهب:

ـ الأم للإمام الشافعي .

ـ مختصر المُزنيِّ.
ـ فتح القدير شرح الوجيز للرافعي.
ـ روضة الطالبين للنووي.
ـ المهذب والتنبيه للشيرازي.
ـ الحاوي الكبير للماوردي.
ـ المجموع للنووي.

وأهم مختصر في الفقه الشافعي الذي يعتمد عليه في الفتوى، والقضاء **منهاج الطالبين** للنووي وعليه شروح كثيرة منها **مغني المحتاج** للخطيب الشربيني **ونهاية المحتاج** للرملي **وتحفة المحتاج** لابن حجر الهيتمي.

(ب) مصادر الفقه الشافعي:

ـ **الأم** تأليف الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ).

ـ **المهذب** تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى سنة ٤٧٦هـ).

ـ **منهاج الطالبين** تأليف أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ).

(جـ) المختصرات:

ـ **الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي** ـ تأليف أبي حامد الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥هـ).

ـ **الروضة في الفروع** لأبي زكريا محمد بن شرف النووي.

(د) التراجم لرجال المذهب:

ـ **طبقات الشافعية الكبرى** ـ تأليف تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي (المتوفى سنة ٧٧١هـ).

ـ **طبقات الشافعية** ـ تأليف جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (المتوفى سنة ٧٧٢هـ).

كتب عامة:

ـ المذاهب الفقهية، الدكتور محمد فوزي فيض الله، الشعاع للنشر ـ الكويت ١٩٨٥م.

- **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية** د. حسن أحمد مرعي - إدارة النشر بجامعة الإمام محمد بن سعود. الإسلامية - الرياض ١٤٠١هـ.
- **تاريخ الفقه** - الأستاذ محمد علي السايس - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة.
- **المدخل للفقه الإسلامي** - الأستاذ محمد سلام مدكور - دار الكتاب العربي - القاهرة.
- **المدخل للفقه الإسلامي** - الأستاذ عيسوي أحمد عيسوي - دار التأليف - القاهرة - ١٣٧٦هـ.
- **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي** - الأستاذ مصطفى شلبي - دار التأليف - القاهرة ١٣٧٦هـ.
- **الإمام الشافعي** - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة.
- **آداب الشافعي ومناقبه** - عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢ـ المذهب الحنبلي

التعريف:

المذهب(*) الحنبلي هو أحد مذاهب أهل السنة الأربعة الكبرى، المنتشرة في العالم الإسلامي، وسمي بالمذهب الحنبلي نسبة إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل يرحمه الله. وهو مذهب يعتمد على نص الكتاب والسنة أساسا، ويرفض البدع في العقائد والعبادات، ويمكِّن للسنة أيما تمكين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ينسب المذهب الحنبلي إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيّان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان.. ابن وائل الذهلي الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) يلتقي نسبه مع الرسول ﷺ في نزار بن معد بن عدنان. خرجت به أمه من مرو وهو حمل برفقة أبيه، فولد في بغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه، وينسب إلى جده لشهرته.

ـ قد كان دائم الترحال لطلب العلم في البصرة والكوفة والشام والجزيرة والحرمين واليمن وغيرها.

ـ تفقه على محمد بن إدريس الشافعي، وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى القطان، ويزيد بن هارون وإسماعيل ابن عُليَّة وهشيم بن بشير وعبدالرزاق بن همام الصنعاني وغيرهم.

ـ وقد اهتم بجمع السنة وحفظها فكان إمام المحدثين وسيد الفقهاء وأمير الحفاظ وقائد الثابتين على الحق.

ـ قال عنه الحافظ الذهبي إن عدة شيوخه الذين روى عنهم في المسند مائتان وثمانون ونيف.

ـ أثنى عليه الأئمة، فقال الشافعي «خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدا أتقى ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل». وقال عنه الذهبي: كان مهيباً في ذات الله، وقال أبو جعفر النفيلي: كان أحمد بن حنبل من أعلام الدين.

ـ وكان زاهداً زهداً حقيقياً تتصاغر عنده النفوس ولا يطيقه إلا القلة الصابرة المحتسبة. قال عنه ابن النحاس: «عُرضت له الدنيا فأباها والبدع فنفاها». وقال ابن القيم في ذلك: «وهذه حال أئمة المتقين». قال صالح بن أحمد: «ربما رأيت أبي يأخذ الكسرة، ينفض الغبار عنها ويصيرها في قصعة، ويصب عليها ماء، ثم يأكلها بالملح، وما رأيته اشترى رمانا ولا سفرجلا ولا شيئاً من الفاكهة..» وقال المروزي «كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العبرة». وقال صالح بن أحمد «كان يأتدم بالخل كثيراً». وقال الميموني: «كان منزل أبي عبدالله ضيقاً صغيراً وينام في الحر في أسفله».

ـ وكان الإمام أحمد يرفض التزلُّف تحت أعتاب السلطان، ويرفض عطايا الولاة بنفس أبية عزيزة، وكان يغضب على أولاده حينما يقبلون جوائز الأمراء. وقال إسحاق بن راهويه «كان أحمد باليمن.. ينسج.. ويبيع وينفق». لم يجلس للفتوى إلا في سن الأربعين.

محنة الامام أحمد بن حنبل:

من ملامح المدة التي عاشها الإمام أحمد البدء في ترجمة الكتب الفلسفية بدعم من الولاة، فانتشرت البدع في عقائد الناس وعباداتهم بشكل سريع وانتشرت الرافضة والمعتزلة ودعم الولاة المذهب(*) الاعتزالي خاصة، وقيل بخلق القرآن، وأصاب المسلمين محنة وبلاء. وقد حاول المأمون حمل الناس على القول بخلق القرآن، ولم يقبل الإمام أحمد ذلك، وثبت على الحق فأمر المأمون بضربه وحبسه. وهذا ما فعله به المعتصم من بعده، واستمر حبسه ثمانية وعشرين شهراً. وكان يصلي وينام والقيد في رجله. ثم أُطلق سراحه فعاد يرحمه الله إلى التدريس بالمسجد بعد أن شفي من جراحاته. وفي عهد الواثق منع الإمام أحمد من الخروج للدرس خمس سنوات حتى توفي الواثق، وفي عهد المتوكل يرحمه الله أعاد الله الحق إلى نصابه، فأحيا السنة وأمات التجهُّم.

● وقد سمع الإمام أحمدَ عددٌ كثيرٌ من العلماء منهم: ابناه عبدالله وصالح، وابن عمه حنبل بن إسحاق وأبو زرعة والبخاري ومسلم وأبو داود صاحب السنن، والأثرم وأبو يعلى الموصلي والميموني وابن هانىء وغيرهم.

ـ صالح بن أحمد بن حنبل ٢٦٦ هـ وهو أكبر أولاد الإمام، وقد عُني بنقل فقه أبيه ومسائله.

ـ عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠ هـ) الذي نقل الحديث عن أبيه.

ـ إسحاق التميمي (أبو يعقوب الكوسج المروزي) المتوفى سنة ٢٥١ هـ، ولد في مرو

وأخذ عن فقهاء العراق والشام والحجاز، ثم رحل إلى بغداد فتفقه على يدي الإمام أحمد.

ـ البغدادي (المتوفى سنة ٢٧٢ هـ)؛ وهو: أبو جعفر محمد بن علي بن عبدالله بن مهران البغدادي الوراق، وكان من نبلاء أصحاب الإمام أحمد.

ـ الأثرم (المتوفى سنة ٢٧٣ هـ)؛ هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن خاني الخراساني البغدادي من تلاميذ الإمام أحمد. روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة وصنف التصانيف وله كتاب في **العلل**، والتاريخ، **والناسخ والمنسوخ**، وكتب كتاب **السنن** في الفقه على مذهب الإمام أحمد.

ـ الخرقي (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ)؛ وهو: أبو القاسم عمر بن الحسين، تلقى عن ولدي الإمام: صالح وعبدالله، اشتهر بكتاب **المختصر**، الذي بلغت مسائله ٢٣٠٠ مسألة، وشرحه ابن قدامة المقدسي في كتابه المعروف **المغني**، وتوفي بدمشق، يرحمه الله.

ـ الخلال (المتوفى سنة ٢١١ هـ)؛ وهو: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، أخذ الفقه عن أصحاب أحمد، له كتاب **الجامع لعلوم أحمد بن حنبل**، وكذلك **كتب العلل والسنة**، **وطبقات أصحاب ابن حنبل**، **والعلم**، **وتفسير الغريب**، **والأدب**، **وأخلاق أحمد**.

أصول المذهب(*) الحنبلي:

● أقام الإمام أحمد بن حنبل مذهبه الفقهي على خمسة أصول، بينها ابن قيم الجوزية يرحمه الله، وهي:

ـ النصوص: فكان يأخذ بالنص القرآني، ثم ما صح من الحديث ولا يقدم عليه رأياً ولا قياساً ولا قول صحابي.

ـ ما أفتى به الصحابة: فإذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها أخذ بها ولم يتعدها إلى غيرها.

ـ إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقرب إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوال الصحابة، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال، حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول.

ـ الأخذ بالحديث المرسل(*) والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وقد رجح هذا على القياس. وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا مافي روايته متهم.. بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، إذ إنه لم يكن يقسم الحديث إلى صحيح(*) وحسن(*) وضعيف، وإنما يقسمه إلى صحيح وضعيف وللضعيف عنده مراتب فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قول صحابي ولا إجماعاً على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس على ما ذكره ابن القيم.

ـ القياس(*) وهو يستعمله عند الضرورة إذا لم يوجد شيء مما تقدم. ويلاحظ أن الإمام أنكر الاستحسان في رواية، ولكن ابن قدامة نقل أنه يأخذ بالاستحسان بعد القياس، وأنه مذهبه. والاستحسان هو أن يترك حكماً إلى حكم أولى منه لمصلحة راجحة.

انتشار المذهب الحنبلي:

● لم ينتشر المذهب(*) الحنبلي انتشاراً واسعاً كالمذاهب الثلاثة الأخرى (الحنفي، والشافعي، والمالكي) وذلك لأسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

ـ التشدد في الاعتماد على الرواية والمنقول.

ـ التضييق في الاجتهاد(*) إلا لضرورة.

ـ لم تتقلده حكومة إلا حديثاً في الجزيرة العربية.

ـ تأخر ظهوره عن بقية المذاهب.

ـ وينتشر المذهب الحنبلي في الوقت الحاضر في الجزيرة العربية وفي ضواحي دمشق. وفي صعيد مصر، وله وجود محدود في بعض البلدان الإسلامية، ولكنه يدرس في جميع المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر بمصر.

ويتضح مما سبق:

أن المذهب الحنبلي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السنية الكبرى المنتشرة في العالم الإسلامي: وهو ينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله. وتتمثل أصول هذا المذهب في القرآن الكريم والحديث الصحيح(*) فلا يُقدَّم عليه عمل ولا رأي ولا قياس ولا قول صحابي، ثم فتاوى الصحابة، وعند اختلافهم يختار أقرب أقوالهم إلى الكتاب والسنة، ثم الأخذ بالحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، ثم القياس عند الضرورة إذا لم يوجد شيء مما تقدم، ثم الاستحسان. وقد نقل ابن قدامة أن الأخذ به هو الرواية الراجحة عن الإمام. وينتشر هذا المذهب حاليًا في الجزيرة العربية وضواحي دمشق وبعض البلدان العربية الأخرى ومن أشهر كتب المذهب **مختصر الخرقي وكشاف القناع وشرح منتهى الإرادات والمحرر والمقنع**.

مراجع للتوسع:

(أ) أشهر كتب الفقه الحنبلي:

● **مختصر الخرقي** الذي شرحه العلامة موفق الدين بن قدامة في المغني.

- **كشاف القناع وشرح منتهى الإرادات** للبهوتي.
- **المحرر في الفقه** لعبد السلام ابن تيمية.
- **الإنصاف** للمرداوي.
- **الفروع** لابن مفلح.
- **المقنع** لابن قدامة.
- **الروض المربع** للحجاوي.

(ب) مصادر الفقه الحنبلي:

- **مختصر الخرقي** ـ تأليف أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي ـ (المتوفى سنة ٣٣٤هـ).
- **الهداية** ـ تأليف أبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني (المتوفى سنة ٥١٦هـ).
- **المقنع** ـ تأليف موفق الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة (المتوفى سنة ٦٢٠هـ).
- **الشافي** ـ الشرح الكبير ـ تأليف عبد الرحمن بن الإمام أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى سنة ٦٨٢هـ) وهو شرح كتاب المقنع.

(جـ) المختصرات:

- **الفروع** ـ تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي (المتوفى سنة ٧٦٣هـ).

(د) تراجم رجال المذهب:

- **طبقات الحنابلة** ـ تأليف القاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى بن محمد بن الحسين الفراء (المتوفى سنة ٥٢٧هـ) طبعة مطبعة السنة المحمدية.
- **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد** ـ تأليف أبي اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي (المتوفى سنة ٩٢٨هـ) تحقيق محيي الدين عبد الحميد ـ مصر ـ مطبعة المدني.

(هـ) كتب عامة:

ـ المذاهب الفقهية للأستاذ الدكتور محمد فوزي فيض الله ـ الشعاع للنشر ـ الكويت ـ ١٩٨٥م.

- **الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومسنده** لأحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الصويان، مجلة البحوث الإسلامية ع٢٦ ص٢٢١ ـ ٣٠٢.
- **تاريخ التشريع الإسلامي** للشيخ محمد الخضري ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.
- **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي** للأستاذ عيسوي أحمد عيسوي ـ دار التأليف ـ القاهرة ١٣٧٦هـ.
- **المدخل للفقه الإسلامي** للأستاذ محمد سلام مدكور ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.
- **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل** لابن بدران الحنبلي ـ دار الطباعة المنيرية ـ القاهرة.
- **إعلام الموقعين** ـ لابن قيم الجوزية ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة.
- **مختصر المنتهى** لابن الحاجب.
- **مفاتيح الفقه الحنبلي** ـ للدكتور سالم علي الثقفي.
- **الإمام أحمد بن حنبل** ـ لمحمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.
- **متبعون لا مبتدعون** للدكتور محمد شتا أبو سعد، دار السلام ١٤١٣هـ ـ الرياض.
- **أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل** للدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

١٣ـ المذهب الجعفري

التعريف:

المذهب(*) الجعفري: وهو المذهب الفقهي للشيعة الإمامية الاثني عشرية؛ وسمي بالجعفري لأنهم ينسبونه إلى جعفر بن محمد المعروف بالإمام الصادق؛ ولأن أكثر فقه المذهب مأخوذ عنه ـ كما يقولون.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ينسب المذهب إلى جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي، أبي عبدالله، الملقب بالصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ)، (٦٩٩ ـ ٧٦٥م). ينتسب من جانب أبيه إلى شجرة النبوَّة(*) ومن جانب الأم ينتسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويعده الشيعة(*) سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وبقيت إمامته للشيعة أكثر من ثلاثين سنة بعد وفاة أبيه الإمام محمد بن علي المعروف بالباقر سنة ١١٧ هـ.

ـ اتجه منذ نعومة أظفاره إلى العلم، وقد نشأ رضي الله عنه بالمدينة وغشي مجالس المحدثين من التابعين وأخذ العلم عن أبيه الإمام الباقر. وقد اجتمع له الفقه والحديث، وكان على صلة بفقهاء الإسلام في الأمصار. وقد عقد الخليفة المنصور مناظرة بينه وبين أبي حنيفة، وقال عنه أبو حنيفة بعد ذلك: «والله ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق». كان عنده من الذكاء والقوة النفسية ما يجعله يتجه إلى المعرفة من أي نوع ومن أي ناحية. ويقال: إنه كان على علم بالكونيات والبحث في أبراج السماء ونجومها للعظة والاعتبار. وقد تتلمذ عليه جابر بن حيان، وكان مجلسه بالمدينة مثابةَ أهل العلم، وقد أخذ عنه الإمام مالك رضي الله عنه، واختلف إليه في مجالسه وانتفع من فقهه وروايته. وإذا كان الشيعة ينسبون إليه ما لم يقله فإن ذلك لا ينقص من مقامه. لم يطلب الخلافة(*)، ولم يسع إليها، وانصرف إلى العلم وإن كانت له بعض الآراء السياسية. وصح عنه أنه لعن من غالى فيه خالعاً عليه صفات ليست له. وقد جمع أصحابه وعرَّفهم بذلك، وكتب إلى البلدان بالبراءة منهم واللعنة عليهم، وعدَّهم من المشركين إن غلوا(*) فيه. ويُذكر عنه أن المنصور سأله عن سبب عدم غشيانه مجلسه فأجابه الصادق: «ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا نراها نقمة فنعزيك». وهكذا كان رضي الله عنه لا يخشى في الله لومة لائم.

ـ في المصادر الإمامية أن أجوبة الصادق عن الأسئلة التي وجهت إليه دونت في أربعمائة كتاب يسميها الشيعة(*) «**الأصول**».

ـ أخذ عن الصادق جماعة من التابعين منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني، وأبو عمرو بن العلاء، وشعبة بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وغيرهم. وقد أقام في المدينة مدَّة ثم دخل العراق وأقام بها مدة، ما تعرض للإمارة قط ولا نازع أحداً الخلافة(*).

ـ أخرج له البخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن أحاديث عدَّة، كان الصادق متمسكاً بالكتاب والسنة، وكان كما ذكر الشهرستاني «ذا علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات».

ـ ذكر الشهرستاني في **الملل والنحل** أنه ـ أي جعفر الصادق ـ تبرأ مما ينسبه إليه بعض الغلاة وبريء منهم ولعنهم، وبريء من خصائص مذهب الرافضة(*) وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة(*)، والبداء(*) والتناسخ(*) والحلول(*) والتشبيه(*). لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً، وأراد أن يروجه على أصحابه فنسبه إليه وربطه به، وهو بريء من ذلك ومن الاعتزال والقدر، أيضاً.

ـ وذكر ابن تيمية يرحمه الله في كتابه **درء تعارض العقل والنقل**: أن ما يُروى عن علي وعن جعفر الصادق من هذه الأمور التي يدعيها الباطنية(*) كذب مختلق. وينسب إلى جعفر الصادق من الكلام في النجوم واختلاج الأعضاء والتفاسير المحرفة وأنواع الباطل ما برأه الله منه، حتى: **رسائل إخوان الصفاء**(*) زعم بعض رؤوسهم أنها كلامه، وهذه إنما صنفت بعد المائة الثالثة.. أي بعد جعفر بمائتي سنة. ومن أبرز علماء المذهب الجعفري، الذين تبلور المذهب(*) على أيديهم، حتى وصل بالصورة الحاضرة، البعيدة كل البعد عن فقه الإمام جعفر الصادق الحقيقي:

- محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكُلَيني، وهو فقيه إمامي من أهل: كلين (بالري)، كان شيخ الشيعة ببغداد وتوفي فيها سنة ٣٢٨ هـ ـ ٩٤١م من كتبه: **الكافي في علم الدين** ثلاثة أجزاء الأول في أصول الفقه والأخيران في الفروع، صنفه في عشرين سنة.

- محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمِّي، الصدوق، المتوفى سنة (٣٨١هـ ـ ٩٩١م) نزل بالري وارتفع شأنه في خراسان، وتوفي ودفن بالري، له نحو ثلاثمائة مصنف منها **الاعتقادات** و**المقنع** في الفقه و**من لا يحضره الفقيه**.

- ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ومن كتبه: **تهذيب الأحكام**، **والاستبصار**.

أصول المذهب الجعفري:

إن الأدلة في المذهب(*) أربعة: كتاب الله والخبر أو الأثر ثم الإجماع(*) والعقل(*):

ـ **الكتاب**: وهو القرآن الكريم، الأصل في التشريع لدى جميع المذاهب الفقهية، وهو الأصل في منهج الإمام الصادق يرحمه الله. إلا أن عقيدة الشيعة(*) في عصمة الأئمة حملتهم على القول بأن القرآن لا يعد قرآنا إلا إذا أخذ بواسطة الإمام المعصوم؛ ولأن القرآن المأخوذ من الأئمة غير موجود بين أيديهم أصلاً، لذلك فالقرآن المعروف لم يبق حقيقاً بأن يستدل به.. لوقوع التحريف في بعض آياته ولإسقاط بعض السور منه، ولم يكن هذا رأي جعفر الصادق بطبيعة الحال. والشيعة تحرف معاني القرآن الكريم بما يتمشى مع عقيدة الغلو(*) الزائد في الأئمة.

ـ **الخبر**: ويشمل أحاديث الرسول(*) ﷺ، التي رواها من يقبلهم الشيعة من الصحابة وأحاديث أئمتهم المعصومين وأفعالهم الصادرة عنهم ومرويات آل البيت تفسيراً للقرآن وتبياناً للأحكام. وقد دفعت عقيدة الشيعة في عصمة الأئمة، ولا سيما المتأخرين منهم، إلى تفضيل أقوال أولئك الأئمة المعصومين على أقوال عامة الصحابة، وعلى قبول ما ورد من الروايات عن طريق أصحابهم القائلين بالإمامة فقط، فما السنة عندهم إلا قول المعصوم أو فعله نبياً كان أو إماما[1].

وقد صنفوا الأخبار أصنافاً أربعة: صحيح وحسن وموثق وضعيف.

١ ـ **فالصحيح**(*): هو الذي اتصلت روايته بالمعصوم بعدلٍ إمامي.

٢ ـ **والحسن**(*): ما اتصل رواته بالمعصوم بواسطة إمامي ممدوح من غير نص على عدالته.

٣ـ **والموثَّق**: ويقال له: «القوي» وهو ما يرويه الثقة من غير الإمامية.

٤ ـ **والضعيف**: كل ما اشتمل طريقه على مجروح بالفسق ونحوه أو مجهول الحال.

ـ **الإجماع**(*): قبل الشيعة نوعاً من الإجماع وذلك عند دخول المعصوم مع المجمعين، وهكذا يرتد احتجاج الإمامي بالإجماع إلى الاحتجاج بأقوال المعصوم.

ـ **العقل**(*): على الرغم من أن الشيعة رفضوا القياس(*) ـ وهو عمل عقلي استنباطي ـ فقد تحدثوا عن العقل، وعدُّوه ـ أو عده متأخروهم ـ أصلاً من أصول التشريع: لأنهم ذهبوا إلى أن للأشياء حسناً وقبحاً يدركهما العقل قبل أن يرد أمر الشرع أو نهيه، وعلّلوا ذلك بأن الله

---

(١) الكافي وغيره من مراجع الشيعة ومؤلفاتهم مليئة بالطامات المخرجة من الإسلام بما اشتملت عليه من الشرك بالله بسبب الغلو في أئمتهم.

بين في طائفة من الأحكام منافعها وأضرارها، وأن منكري الشرائع السماوية يحكمون بحسن بعض الأشياء وقبح بعضها الآخر، وأن العقل(*) نفسه يحكم بقبح مايراه عبثاً أو تكليفا بما لا يطاق.

ويظهر أن الشيعة قد تأثروا في الأصل بالمعتزلة الذين تحدثوا عن الحسن والقبح(*) ودور العقل في الحكم عليهما.

نماذج من أحكام المذهب الجعفري الحالي الفقهية:

● يقولون بطهارة ماء الاستنجاء وجواز استعماله مرة أخرى. ويقولون بطهارة الخمر.

● ويقولون بأن غسل النيروز سُنَّة (وهو من الأعياد الخاصة بالمجوس).

● ويرون أن التيمم يكون بضربة واحدة.

● وقالوا بفساد صلاة من يقرأ بعض سور القرآن مثل سورة السجدة.

- ويجوِّز بعضهم الأكل والشرب في الصلاة.

- وكذلك يجوِّزون الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء من غير عذر ولا سفر.

- وأيضاً يحكمون بترك الجمعة في غيبة الإمام. ولكن بعد مجيء الخميني بدأ شيعة إيران وأتباعهم بأداء صلاة الجمعة.

● ويحكمون بفساد الصوم بانغماس الصائم في الماء، ويجب عليه القضاء والكفارة معاً، ويجيز بعضهم أكل أوراق الأشجار للصائم..

● وهناك أحكام فقهية كثيرة من هذا القبيل مما هو مخالف بشكل صريح للقرآن والسنة الصحيحة.

انتشار المذهب الجعفري:

● ينتشر المذهب الجعفري في إيران والعراق وباكستان ولبنان وفي بعض المناطق من سوريا، ويسعى الشيعة(*) في الوقت الحاضر إلى نشر المذهب(*) الجعفري عن طريق التعليم في الجامعات والمدارس، فقد تم فتح ست جامعات في إيران وخطط لقبول عشرين ألف طالب من العالم الإسلامي، وكذلك تم فتح ٥١١ مدرسة في أفريقيا من قبل إيران سنة ١٤٠٩هـ وهي تسعى جاهدة بكل ما لديها من مال ورجال في نشر التشيُّع. وقد سجلت نجاحاً كبيراً في هذا المجال إذ تشيَّع كثير من المسلمين السنة في آسيا وأفريقيا.

ويتضح مما سبق:

● أن المذهب(*) الجعفري هو المذهب الفقهي للشيعة(*) الإمامية الاثني عشرية، وأدلة هذا المذهب في الأصل هي القرآن الكريم والخبر والإجماع(*) والعقل(*)، ولكن أتباع هذا المذهب يقولون إن المقصود بالقرآن هو ذاك الذي أخذ بواسطة الإمام المعصوم، ولذلك فالقرآن المعروف لدى أهل السنة(*) لم يبق جديراً بأن يستدل به في رأيهم لوقوع التحريف، كما يزعمون في بعض آياته ولإسقاط بعض السور منه. ولأن هذا لم يكن رأي جعفر الصادق بطبيعة الحال فإن نسبة المذهب إليه مع هذا الخروج الواضح على القرآن الكريم ليست صحيحة. كذلك فإن السنة عندهم هي قول المعصوم أو فعله نبياً(*) كان أم إماما. وأما الإجماع(*) فلا بد له من دخول المعصوم مع المجمعين حتى يعتد به في رأيهم.

مراجع للتوسع:

(أ) كتب المذهب:

● أول من صنف كتاباً في الفقه للإمامية موسى الكاظم (١٨٣ هـ) تحت اسم **الحلال والحرام**، ثم كتب ابنه علي الرضا كتاب **فقه الرضا** طبع عام ١٢٧٤ هـ في طهران، ثم الصفاء الأعرج القمي (٢٩٠ هـ) وكتابه **بشائر الدرجات في علوم آل محمد وما خصهم الله به** وطبع سنة ١٢٨٥ هـ ثم الكليني الرازي (٣٢٨ هـ) الذي ألف كتاب **الكافي في علم الدين** وطبع منه سبعة أجزاء كبيرة سنة ١٣٨١ هـ بطهران.

- ومن أهم الكتب الفقهية الأخرى للمذهب الجعفري **المختصر النافع** لنجم الدين الحلي (٦٧٦ هـ) و**الروضة البهية** للشهيد زين الدين الجعبي العاملي (٩٦٥ هـ) وهما مطبوعان بمصر، و**شرائع الإسلام** للمحقق الحلي، و**جواهر الكلام** لمحمد حسن بن باقر النجفي (١٣٢٢ هـ).

(ب) مصادر فقه المذهب الجعفري:

● **كتاب من لا يحضره الفقيه** لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (المتوفى ٣٨١هـ).

● **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار** - لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ).

● **الكافي من فقه الشيعة** - لأبي منصور أحمد بن الطبرسي الشيعي (المتوفى ٥٨٨هـ).

(جـ) المختصرات:

● **المختصر النافع في فقه الإمامية** ـ لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي المشهور بالمحقق الحلي (المتوفى ٦٧٦هـ).

● **الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية** ـ لزين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي (المتوفى ٩٦٦هـ).

(د) تراجم رجال المذهب:

أمل الآمل ـ لمحمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى ١١٠٤هـ) تحقيق السيد أحمد الحسيني ـ بغداد ـ مكتبة الأندلس ط. ١٣٨٥هـ.

(هـ) كتب عامة:

- **معالم الشريعة الإسلامية**، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين ـ بيروت ط ٤/ ١٩٨٢م.
- **الملل والنحل**، للشهرستاني ـ بتحقيق محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- **أبو حنيفة**، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- **درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية ـ بتحقيق د. محمد رشاد سالم ـ الجزء الخامس ـ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم**، لابن تيمية ـ بتحقيق د. ناصر العقل. المجلد الأول.
- **الأعلام**، للزركلي.
- **التحفة الاثنا عشرية**، للشاه عبد العزيز الإمام ولي الله الدهلوي. بتحقيق محب الدين الخطيب ـ نشر دار الإفتاء بالرياض ١٤٠٤هـ.
- **منشورات وزارة الخارجية الإيرانية.**
- **أعيان الشيعة**، لمحسن الأمين ط. بيروت.
- **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة**، لأسد حيدر ط. بيروت.
- **تعريف عام بالعلوم الشرعية**، د. محمد الزحيلي.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، الشيخ محمد أبو زهرة.
- **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة**، د. عبدالله فياض.
- **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة** د. أحمد محمد جلي.

١٤ـ الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي

التعريف:

هي دعوة تهدف إلى عدم الالتزام بتقليد(*) مذهب(*) فقهي معين، والأخذ من المذاهب الأربعة وغير الأربعة مما كان أقوى دليلاً.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● عدم التزام بمذهب فقهي معين، ونبذ التقليد، والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة لمن كان أهلا لذلك، هو المنهج(*) الإسلامي الذي سبق التقليد والمذهبية. فقد أرسى أصوله الرسول ﷺ وسار عليه أهل القرون المفضلة، فضلاً عن أئمة المذاهب الفقهية. ولكن المذهبية غلبت في العصور التالية وأصبح التقليد، والتعصب للمذاهب هو الشائع، مما أدى إلى تفرق المسلمين وتسلط الكفار على ديار الإسلام، وغلق باب الاجتهاد(*)، وتقديم آراء العلماء المتبوعين على الكتاب والسنة مع إبطال الانتفاع بهما. وساد الانتصار للمذهب والانحباس في مذهب واحد، والتبرؤ من المذاهب الأخرى، وأصبحت الموالاة والمعاداة على أساس الانتساب للمذهب حتى قيل بعدم تزويج المخالف، والصلاة خلفه، بل إن التعصب المذهبي كان سبباً في تشيع الدولة في إيران على ما بينه الأستاذ محب الدين الخطيب في تعليقه على كتاب **المنتقى من منهاج الاعتدال** لشيخ الإسلام ابن تيمية تلخيص الحافظ الذهبي (ص١٨، ١٩) ملخصا: إن خدابنده أحد ملوك إيران كان من أهل السنة وغضب يوماً من زوجته، فطلقها ثلاثا، ثم أراد أن يردها إلى عصمته، فقال له فقهاء أهل السنة: إنه لا سبيل إلى ذلك حتى تنكح زوجاً غيرك، فصعب على الملك ذلك، فاستفتى ابن المطهر أحد فقهاء الشيعة فأفتاه بأن الطلاق لم يقع لعدم تحقق شروطه، وله إرجاع زوجته، فسر الملك بتلك الفتوى واستخلص ابن المطهر لنفسه، مما كان لذلك أثره في تشيع الملك وتشيع شعبه تقليداً له.

لهذه الأسباب وغيرها وجد من ينادي بتجديد(*) أصول مناهج السلف الفقهية من فتح باب الاجتهاد(*) بشروطه، وعدم التعصب للمذاهب والرجال، والتمسك بالدليل من الكتاب والسنة. ومن أشهر من دعا إلى ذلك:

● العلامة ابن حزم: وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، كان يكنى بأبي محمد

واشتهر بابن حزم، ولد في رمضان عام ٣٨٤هـ بقرطبة بالأندلس.

نشأ في بيت عز ومال وجاه إذ كان أبوه وزيراً لبعض أمراء بني أمية في الأندلس، شغف بالعلم منذ نعومة أظفاره، اتجه أول ما اتجه إلى الفقه المالكي ـ إذ كان المذهب السائد بالأندلس والمذهب(*) الرسمي للدولة آنذاك ـ وقد تأثر ابن حزم بأقوال ناقدي الإمام مالك فانتقل إلى المذهب الشافعي، إذ تلاقت روح النقد والتحرر الفكري الذي ظهر في ابن حزم مع المأثور من كتابات الشافعي.

ـ درس ابن حزم المذهب الشافعي وأعجبه فيه شدة تمسكه بالنصوص، واعتبار الفقه نصًّا أو حملاً عن نص، كما أعجبه شدة حملة الإمام الشافعي على من أفتى بالاستحسان(*) والمصالح المرسلة(*).

ـ لم يلبث إلا قليلاً في المذهب الشافعي، ثم رأى ما رآه داود الأصبهاني ـ شيخ المذهب الظاهري وتلميذ الشافعي ـ من دعوة للتمسك بالنصوص وحدها، إذ راق لابن حزم هذا الرأي؛ لأنه لا يقيد بمذهب من المذاهب المشهورة.

ـ تلقى ابن حزم العلم على كثير من أهل العلم في بلاده وخارجها أمثال: الشيخ أحمد بن الجسور، والشيخ أبي الحسين الفارسي، وأبي بكر بن إسحاق، وعبد الله بن يحيى وأبي القاسم الأزدي وعبد الله بن دحون، والتقى بمعاصره العلامة عمر بن عبد البر.

ـ قال عنه صاحب **نفح الطيب** «قال صاعد: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعة في علم اللسان والبلاغة واللغة والسيرة والأخبار»، وقال عنه الذهبي: «كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل(*) والنحل والعربية والمنطق والشعر في الصدق والديانة والحشمة والسؤدد وكثرة الكتب». وقال عنه عبدالواحد في كتابه **المعجب** «بلغني من غير واحد من علماء الأندلس أن تصانيف ابن حزم في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل والتاريخ والنسب والأدب بلغت أربعمائة مجلد تشمل قريباً من ثمانين ألف ورقة». (المعجب ص٤٧).

ـ اختار ابن حزم المذهب الظاهري لما فيه من تحريم التقليد؛ ولأنه مذهب الكتاب والسنة والإجماع(*) فحسب.

ـ يقول ابن حزم في النبذ «التقليد(*) حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد من غير برهان، والعامي والعالم في ذلك سواء».

ويقول في ذلك ابن حزم «ثم العجب أن يكون فرض العامي الذي مقامه بالأندلس تقليد

الإمام مالك، وباليمن تقليد الشافعي وبخراسان تقليد أبي حنيفة وفتاويهم متضادة أهذا دين الله؟ فوالله ما أمرنا الله بهذا قط بل الدين(*) واحد وحكم الله واحد».

على أن منع ابن حزم التقليد(*) للعامي لا يقصد به أن يتفرغ العامي للتعرف على أحكام دينه وهو ما يؤدي إلى تعطيل مصالح العمران بل إن الممنوع أمران:

١ ـ أن يقلد إماماً بعينه إذ إن المقلد لهذا الإمام معناه أنه يتبع مذهبه زاعماً أنه شرع الله تعالى ـ وهذا خلاف الحقيقة.

٢ ـ أن يقبل العامي فتوى من غيره من غير إسناد إلى الكتاب والسنة، أو يزعم فقيهه أن ذلك هو حكم الله.

لذا أوجب ابن حزم على العامي إذا أفتاه مفت أن يسأله: أكذا حكم الله، أو حكم رسوله؟ فإن قال المفتي: نعم لزم العامي القبول. وإن قال: لا. أو سكت أو ذكر قول إنسان غير النبي وجب على العامي أن يسأل غيره، وهذا أدعى إلى التدرج في مراتب العلم.

ـ يستدل ابن حزم على تحريم التقليد بأدلة من الكتاب منها: قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

ـ الأصول عند ابن حزم أربعة وهي:

القرآن والسنة والإجماع(*) والدليل. والأصل الرابع لدى ابن حزم الذي هو الدليل يقصد به الحكم في أمر ينطبق عليه ذلك المعنى المأخوذ من هذه الأصول. فهو أمر مأخوذ من الإجماع(*) أو النص، ويخالف القياس(*) الذي أساسه استخراج علة من النص ثم إعطاء حكم النص على كل ما يتحقق فيه العلة. ـ توفي ابن حزم بقريته ـ ميت ليشم بالأندلس في شعبان ٤٥٦هـ عن قرابة اثنين وسبعين سنة، ومن أبرز مؤلفاته: **الإحكام في أصول الأحكام، الإيصال إلى فهم الخصال، الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع، المحلى بالآثار، مداواة النفوس، المغرب في تاريخ المغرب، والفصل بين أهل الأهواء والنحل، والالتباس فيما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس** وغيرها.

● أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، شيخ الإسلام، المولود عام ٦٦١هـ ببلدة حران في بلاد الشام، من أسرة تعلقت بالعلم، وشغفت به، فأبوه شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام، من أعيان الحنابلة وجده شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله أحد الحفاظ الأعلام، والفقيه المفسر المقرىء النحوي المعروف.

ـ وكان لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية خبرة تامة بحديث النبي ﷺ، وحال رواته، مع

حفظ متونه، ودقة استنباط الأحكام منها. وفي ذلك يقول عنه ابن الوردي «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي».

ـ ووصفه الحافظ الذهبي بأنه «فريد عصره علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويراً إلهياً، وكرما ونصحا للأمة، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر. . . وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل يقول بما يصح دليله عنده».

ـ ولقد دعا يرحمه الله في فتواه إلى فتح باب الاجتهاد(*) لمن عنده الأهلية لذلك مع بطلان وجوب التزام مذهب(*) بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه. إذ إنها مرتبة لا تصح إلا لرسول الله ﷺ، كما لم يعتبر المقلدين من المنتسبين للعلم داخلين في زمرة العلماء لما رواه ابن عبد البر عن سعيد بن أبي عروبة أنه قال: «من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالما».

ـ جاهد شيخ الإسلام في سبيل نصرة الحق وإزهاق الباطل، بسيفه ويده، وبقلمه ولسانه، جهاداً لم يثنه عنه ما تعرض له من محن ودسائس، فتصدى للتتار والخارجين عن شرائع الإسلام، كما تصدى لكل أصحاب الفرق والأهواء وأرباب الطرق من فلاسفة ومتكلمين ومتصوفة ومتعصبة المذاهب وغيرهم، نصرة للحق، مما سبب له السجن أكثر من مرة، فكان شعاره، «وما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما ذهبت فهي معي، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن أخرجوني من بلدي فخروجي سياحة وإن قتلوني فقتلي شهادة».

ـ وكان لشيخ الإسلام بالغ الأثر في معاصريه، وفيمن جاء بعده ممن سلكوا سبيل السلف الصالح أهل السنة والجماعة(*). ومن أشهر تلاميذه الإمام ابن قيم الجوزية، والحافظ المفسر ابن كثير، والحافظ شمس الدين الذهبي. توفي في سجنه ـ يرحمه الله تعالى ـ عام ٧٢٨هـ، مخلفا وراءه ثروة علمية تشهد بسعة اطلاعه، ومعرفته بأقوال الأئمة الفقهاء الذين عليهم مدار الفتوى، كما تشهد بتمسكه بالدليل الصحيح وتقديمه على من سواه. ومن أشهرها: **مجموع الفتاوى، درء تعارض العقل والنقل، نقض المنطق، منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية**.

● ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد. . أبو عبد الله شمس الدين الزرعي ثم الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية. ولد في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٦٩١هـ ونشأ في بيت علم ودين، فوالده كان رجلاً مشهوراً بالصلاح وتولى قوامة المدرسة الجوزية.

ـ تتلمذ ابن القيم على يد والده فأخذ عنه الفرائض، وأيضاً، على يد نخبة من علماء عصره في سائر الفنون ومن أكثر من تأثر به منهم شيخه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، إذ قرأ عليه ولازمه أكثر من خمس عشرة سنة، وأخذ عنه علوم الكتاب والسنة والتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والفرائض، وكان رحمه الله تعالى صاحب عبادة وزهد، وورع فكان كثير الاستغفار والذكر، إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى، حتى يتعالى النهار، ويقول: «هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي»، تعرض للسجن أكثر من مرة لجرأته في قول الحق وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

ـ قال عنه الإمام الشوكاني «برع في جميع العلوم، وفاق الأقران واشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف... وله حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب(*) الذي نشأ عليه.. وغالب أبحاثه الإنصاف، والميل مع الدليل حيث مال...».

ـ جاور بمكة المكرمة وسافر إلى القاهرة أكثر من مرة، وقد ألف في أسفاره كتباً عديدة، مما يدل على غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وقوة حافظته، ومن هذه المؤلفات: **كتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية دار العلم والإرادة، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وبدائع الفوائد، وتهذيب سنن أبي داود** وغيرها.

ـ توفي يرحمه الله في الثالث عشر من رجب سنة ٧٥١ تاركاً خلفه ثروة علمية أثرت المكتبة الإسلامية من أشهرها: **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتنزيل، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وطريق الهجرتين، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.**

● الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني ثم الصنعاني، ولد في ذي القعدة عام ١١٧٣هـ ببلدة هجرة شوكان ـ قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان باليمن. نشأ بصنعاء وأخذ من مشايخها وعلمائها أمثال العلامة القاسم بن يحيى الخولاني والشيخ عبدالله ابن إسماعيل النهمي، والحسن بن إسماعيل المغربي وغيرهم. نبغ في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والنحو والأدب والمنطق. تفقه الإمام الشوكاني على مذهب الإمام زيد ثم نبذ التقليد(*) وذاع صيته في الاجتهاد(*) فألف كتاب **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار** فتحامل عليه أهل عصره من المقلدين في الفروع والأصول، فألف كتابه **شرح الأزهار الذي هو فقه أهل البيت المختار** ينفر فيه من التقليد موضحاً أدلته في تحريم التقليد. تولى القضاء وتوفي بصنعاء في جمادى الآخرة عام ١٢٥٠هـ مخلفا وراءه تصانيف كثيرة

منها: **نيل الأوطار** في فقه الحديث الشريف، **وإرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، **والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** في التاريخ، **وفتح القدير الجامع** في علم التفسير، **والفوائد المجموعة** في فني الأحاديث الموضوعة، **والدر النضيد** في التوحيد وله مؤلفات أخرى عديدة.

● العلامة المحدث أحمد شاكر أبو الأشبال: هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد، من آل أبي علياء ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، لقبه والده شمس الأئمة أبا الأشبال، ولد في القاهرة في ٢٩ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٩ يناير سنة ١٨٩٢م.

ـ نشأ ـ يرحمه الله ـ في بيت علم فوالده الشيخ محمد شاكر، أمين الفتوى بالأزهر، ووكيله، وقاضي قضاة السودان، وشيخ علماء الإسكندرية. وقد جد في الطلب منذ صباه وشبابه، فدرس الشعر والأدب، ودرس علم الحديث وفنونه وهو دون العشرين من عمره، ثم تدرج في طلب العلم على عدد من أهل العلم من أبرزهم والده والشيخ عبدالسلام الفقي والشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي، وكذلك الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي، والشيخ شاكر العراقي، والشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم.

ـ وبعد تخرجه من الأزهر اشتغل بالتدريس في بعض المدارس ثم عين موظفا قضائياً، ثم قاضيا وعضواً في المحكمة العليا، وظل متولياً القضاء إلى أن أحيل متقاعداً سنة ١٩٥١م هذا بالإضافة إلى أنه كان أحد أعضاء هيئة كبار العلماء لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

ـ يصفه صديقه العلامة محمد حامد الفقي بأنه «قد أسهم في إحياء كتب السنة مساهمة مشكورة، فنشر كثيراً من كتبها نشراً علمياً ممتازاً، وقد توج أعماله بنشر كتاب **المسند** للإمام أحمد بن حنبل».

ـ قام منهجه العلمي على العلم الصحيح، علم الكتاب والسنة على نهج السلف الصالح، ومن نهج نهجهم من المتأخرين الذين يتبعون الدليل الصحيح دون تعصب لرأي وهوى، ودون جمود على التقليد(*).

ـ بلغ عدد مؤلفاته وتحقيقاته نحو الخمسين من أشهرها: **شرح المسند، وعمدة التفسير** ـ وهو اختصار لتفسير ابن كثير. وقد توفي أبو الأشبال ـ يرحمه الله ـ دون إتمامهما، يوم السبت ٢٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٩٥٨م.

من أبرز المعاصرين:

● العلامة الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن يعقوب بن جاكن الأمير، جد القبيلة المشهورة المعروفة بالجكنيين التي تنتسب إلى حِمير. ولد ـ يرحمه الله ـ في عام ١٣٣٥هـ في (تنبه) من أعمال مديرية (كيغا) بشنقيط ـ موريتانيا حاليًا. ونشأ في بيئة كريمة الطباع، تحب العلم وتكرم العلماء، توفي والده في الصغر فكفله خاله. وفي بيت خاله تلقى علمه الأول، إذ حفظ القرآن ودرس الأدب ومبادىء النحو وأنساب العرب والسيرة النبوية، وأجيز في القراءة بروايتي ورش وقالون وهو ابن ستة عشر عاماً. ثم تدرج في الطلب والتلقي عن مشاهير علماء بلاده مثل الشيخ محمد بن صالح المشهور بالأخرم، والشيخ العلامة أحمد بن عمر وغيرهما. ثم تولى الدرس والفتيا واشتهر بالقضاء والفراسة حتى صار موضع ثقة علماء البلاد وأهلها.

ـ أتى إلى البلاد السعودية حاجًا بنية العودة إلا أنه التقى بالأمير خالد السديري أثناء رحلة الحج فثناه عن فكرة العودة إلى بلاده لما لمسه فيه من سعة علم وأوصاه بمقابلة الشيخين عبد الله الزاحم والشيخ عبد العزيز بن صالح فوافق على البقاء بالمدينة ليفسر كتاب الله عز وجل بطلب من الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله تعالى.

ـ وكان للشيخ منهجه الفقهي في تفسيره، إذ يعرض أقوال العلماء ويستوفيها ويرجح ما يظهر له بمقتضى الدليل دون الالتزام بمذهب(*) معين.

ـ انتقل الشيخ إلى الرياض ليشارك في تأسيس المعاهد العلمية وتربية جيل من طلبة العلم على العلوم الصحيحة والعقيدة السليمة. كما شارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وشارك في إلقاء المحاضرات في معهد القضاء العالي بالرياض، وسافر في جولات دعوية إلى بعض دول العالم الإسلامية محاضراً ومحاوراً. كما كان يرحمه الله تعالى أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

ـ توفي ـ يرحمه الله تعالى ـ في عام ١٣٩٣هـ تاركاً مؤلفات كثيرة منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع ومن أشهرها **تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومنع جواز المجاز في المنزل المتعبد والإعجاز، ومذكرة أصول على روضة الناظر.**

● الفقيه المحدث الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن آل باز، ولد بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، أصيب بمرض في عينيه سنة ١٣٤٦هـ فأضعفهما، ثم ذهب بهما بالكلية في أول عام ١٣٥٠هـ، بدأ الدراسة وتحصيل

العلم منذ الصغر، حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ وتلقى العلوم الشرعية والعربية منذ صباه على عدد من كبار علماء نجد وغيرها. من أهمهم الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي كان مفتيا للمملكة العربية السعودية لفترة طويلة.

ـ تقلب في العديد من المناصب العلمية فتولى منصب القضاء واشتغل بالتدريس، ثم عين نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستمر فيه حتى توفي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة عام ١٣٩٠هـ فتولى منصب رئاسة الجامعة حتى سنة ١٣٩٥هـ، إذ تم تعيينه رئيساً عاماً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير، ثم عين مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية برتبة وزير، أيضاً، كما يتقلد سماحة الشيخ ابن باز رئاسة المجلس العالمي الأعلى للمساجد، ورئاسة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوية هيئة الدعوة داخل المملكة العربية السعودية.

ـ والشيخ عبد العزيز بن باز غزير الإنتاج، وافر النشاط دائم الذكر، يدعو إلى الله تعالى على بصيرة وحكمة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، شديد على أهل البدع حريص على إخلاص التوحيد لله عز وجل، استفاد منه خلق كثير من العلماء وطلاب العلم والعامة في العالم الإسلامي، ومن أبرز كتبه: **نقد القومية العربية**، **حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن والرسول ﷺ**، **والجهاد في سبيل الله**، **والفوائد الجلية في المباحث الفرضية**، وغير ذلك غير مئات الفتاوى التي جمع بعضها في عدة مجلدات.

● الشيخ ناصر الدين الألباني المحدث الشهير وصاحب المؤلفات والتحقيقات الحديثية العديدة. ولد في مدينة اشقودرة بدولة ألبانيا عام ١٩١٤م في أسرة يغلب عليها الطابع العلمي. هاجرت أسرته إلى دمشق فرارا بدينها بعد أن تولى الملك (أحمد زوغو) حكم ألبانيا وأخذ يسير بها مسيرة أتاتورك في تركيا.

ـ كان والده حنفياً متعصباً، مما أثر في نفسه، وبعد أن درس العلم على المذهب الحنفي توجه إلى علم الحديث وبرع فيه فعلم نفسه بنفسه، ونشر دعوته للرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة في جميع الأمور الاعتقادية والفقهية لمن كان أهلاً لذلك ومن مؤلفاته **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، **وسلسلة الأحاديث الضعيفة**، **وصحيح الجامع الصغير**، **وضعيف الجامع الصغير**.. ومؤلفات كثيرة أخرى.

ـ وللشيخ ناصر الدين الألباني تلاميذ دعوا بدعوته وساروا على نهجه منهم:

١ ـ الأستاذ محمد عيد العباسي وهو من أبرز تلاميذ الشيخ والملازمين له، يقيم حالياً في دمشق ومن مؤلفاته **بدعة التعصب المذهبي** وملحقه.

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وصاحب مؤلفات عديدة في الدعوة والإرشاد. يقيم حالياً في الكويت وهو من كبار علماء الدعوة فيها.

٣ ـ الأستاذ خير الدين وانلي. ويقيم حالياً في دمشق، وهو مؤلف وشاعر مجيْد ومن مؤلفاته **المسجد في الإسلام**، **ومعجزات المصطفى**، **ودليل الخيرات وسبيل الجنات**، **وديوان الحق المبين**، **وديوان عصر الإسلام**، ودواوين للأطفال وغيرها.

٤ ـ الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، محدث بلاد اليمن، له مؤلفات كثيرة وأشهرها: **الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين**، **والصحيح المسند من أسباب النزول**، **والشفاعة** وغير ذلك.

٥ ـ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي، وله دور بارز فعال في نشر كتب شيخه وتوزيعها في البلاد العربية.

٦ ـ بالإضافة إلى عدد آخر من طلاب العلم الذين تبنوا الدعوة ودعوا إليها مثل: سليم الهلالي، علي حسن عبد الحميد ومحمد بن إسماعيل المقدم، أبو إسحاق الحويني وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات:

● لخص المعاصرون منهم أهداف دعوتهم بوجه عام في ست نقاط رئيسة وهذه النقاط هي:

١ ـ الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٢ ـ تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل لهم رضوان الله وتحقق لهم السعادة والمجد.

٣ ـ تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، ومن البدع(*) والأفكار الدخيلة، والأحاديث المنكرة والموضوعة التي شوهت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين.

٤ ـ إحياء التفكير الإسلامي الحر في حدود القواعد الإسلامية.

٥ ـ إزالة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي.

٦ ـ السعي نحو استئناف حياة إسلامية وإنشاء مجتمع إسلامي وتطبيق حكم الله في الأرض.

وانتهت بقولهم: هذه دعوتنا، ونحن ندعو المسلمين إلى مؤازرتنا في حمل هذه الأمانة التي تنهض بالمسلمين، وتنشر رسالة الإسلام الخالدة.

● ويلخص الأستاذ محمد عيد العباسي في كتابه ملحق كتاب **المذهبية المتعصبة هي البدعة**(*) **أو بدعة التعصب المذهبي** رأيهم في المذاهب(*) وشرعية الانتساب إليها وفي الاجتهاد(*) والتقليد(*) فيقول:

ـ الاجتهاد مصدر مهم من مصادر الشريعة الإسلامية(*)، وضرورة من ضرورات وجودها واستمرارها، ولا يجوز لأحد أن يغلق بابه الذي فتحه الله، أو يلغي أمره الذي شرعه الله.

ـ وهو ميسور لمن كانت عنده الأهلية له والاستعداد، ويجب أن يوجد في كل عصر ومصر مجتهدون، يقومون بحجة الله على عباده كما يجب على المسلمين أن يهيئوا الظروف المناسبة لذلك.

ـ لسنا ننكر التقليد(*) على الجاهل، بل نوصيه به بشرط ألا يقصد إلى التزام مذهب(*) معين لأنه بدعة(*) محدثة، وبشرط ألا يقلد في أي مسألة علم مخالفتها للكتاب والسنة عن طريق من يوثق في علمه ودينه.

ـ نرى أن هناك مرتبة وسطى بين مرتبتي الاجتهاد والتقليد، هي مرتبة الاتباع، وصاحبها كل مسلم لديه قدرة مناسبة على الفهم، فعليه أن يتبع أقوال العلماء بعد الاطلاع على أدلتهم الشرعية.

ـ وأما المذاهب فنرى أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان متفقاً عليه بين الجميع فهذا حق يجب تبنيه والعمل به.

الثاني: ما كان فيه خلاف ولكنه خلاف تنوع لا خلاف تضاد فهذا يجوز العمل فيه بأي واحد منها، والأفضل التنويع فيه.

الثالث: ما كان فيه خلاف تعارض ولا يمكن الجمع بين الآراء المختلفة فيه، فيجب البحث عن الحق والصواب في المذاهب(*) كلها والأخذ بالأقوى دليلاً منها.

ـ نرى أنه قد لحقت بالمذاهب الفقهية خلال العصور المختلفة عيوب كثيرة، أهمها

التعصب الذي أدى إلى مخالفات كثيرة للكتاب والسنة، ونشر الجمود بين المسلمين. . ولذلك فنحن ندعو إلى وجوب تنقية المذاهب من العيوب والأوضار، ثم السعي نحو التقريب بينها، والسير نحو توحيدها الممكن، على أساس الدليل الراجح والحجة القوية، بعد أن زالت في العصر الحاضر أهم أسباب الاختلاف من عدم بلوغ الأحاديث وتحقيقها.

ـ لا نرى بأسا في الحالة الراهنة من تفقه طلاب العلم عن طريق المذاهب المعروفة، بشرط أن يتجردوا من التعصب، وذلك ريثما يتهيأ الوضع المنشود.

ـ نحب الفقهاء ونجلهم، ونتبرأ من كل من ينتقصهم ويطعن فيهم، ونعتقد أن طريقنا هو التنفيذ لما أمروا به، حيث قالوا «إذا صح الحديث فهو مذهبي». وقال الإمام مالك «إنما أنا بشر أصيب وأخطىء، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافقهما فاتركوه». وقال الإمام الشافعي «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا رويت عن رسول الله ﷺ ولم أقل به: نعم على الرأس والعين، نعم على الرأس والعين» وقال الإمام أحمد لأبي داود «لا تقلدني ولا مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا».

● وعليه فإن الراجح عدم إلزام المسلم باتباع مذهب بعينه أو تقليد عالم بشخصه في كل ما يقول، ولكن لو اتبع مذهباً من مذاهب أهل السنة وقلد أحد العلماء الموثوقين بشرط عدم التعصب له فيما خالف فيه الكتاب والسنة، فلا إثم عليه إن شاء الله تعالى.

● الخلاف المذموم، كما هو في العقائد والأهواء، هو كذلك في كل ما يلزم للناس معرفة حكم الله تعالى فيه، ثم يعرضون عنه ويصرون على آرائهم، سواء أكانت في الدين أو في الدنيا أو في العقائد أو في الفقه، فالآيات التي حذرت من الخلاف ونهت عنه عامة لم يأت ما يقيدها.

● وصحة الاجتهاد(*) في المسائل التي لم يتضح فيها الدليل مباح، بينما لا يصح ولا يجوز في المسائل التي وضح فيها الدليل.

التوسع وأماكن الانتشار:

● الدعوة لاتباع منهج التزام الدليل وعدم التعصب للمذاهب والرجال دعوة قديمة، دعا بها وإليها علماء الإسلام في كل زمان، إلا أنه في عصور ضعف الأمة الإسلامية ظهرت دعوى غلق باب الاجتهاد(*) وأصاب دعوة التزام الدليل غربة، ولكنها عادت من جديد مع العودة الحميدة للصحْوة الإسلامية لتنتشر في دول العالم كافة، وخصوصاً بعد ما رأى كثير من علماء الإسلام آثار التقليد والتعصب المذهبي السيئة في بعض البلاد الإسلامية التي لا تتحدث العربية. بل إن التقليد(*) والتعصب للمذهبية كان سبباً في انصراف بعض من يبحثون

عن الحق عن قبول الإسلام بعد أن رأوا أن الخلاف بين بعض أتباعه على أشده ويكاد يشبه الخلاف بين أتباع الديانتين اليهودية والنصرانية.

يتضح مما سبق:

● أن الدعوة لفتح باب الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي، اتجاه سبق تاريخياً التقليد والمذهبية، إذ أرسى أصوله الرسول ﷺ، فكان المنهج السائد في القرون المفضلة الثلاثة الأولى، إلا أنه في القرون المتأخرة زادت الدعوة للمذاهب والتعصب لها، مما أدى إلى القول بغلق باب الاجتهاد وتقديم آراء العلماء والمتبوعين على الكتاب والسنة، وتمزيق شمل المسلمين، مما دفع شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء إلى الدعوة لفتح باب الاجتهاد(*)، والتمسك بالدليل الصحيح ونبذ التعصب للمذهب(*) الفقهي الواحد، على أن المسلم ليس ملزماً بتقليد شخص أو مذهب بعينه في كل أموره، بل له إن كان عاجزاً عن معرفة الدليل تقليد أحد المذاهب المعروفة بشرط عدم التعصب لها متى بان الدليل بخلاف المذهب. إذ أمر سبحانه وتعالى المسلم بسؤال العلماء ولم يلزم بسؤال عالم بعينه. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

- باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة ولا يملك أحد إغلاقه بعد أن فتحه الله تعالى، وهو ميسور لمن كانت عنده الأهلية والاستعداد. وبين التقليد والاجتهاد مرتبة الاتباع وصاحبها كل مسلم لديه قدرة مناسبة للفهم فعليه معرفة دليل كل قول قبل اتباعه.

- ويجيز أصحاب هذا الرأي الاستفادة من الأئمة المجتهدين، ويقدرون جهودهم دون تعصب لواحد على الآخر، فكلهم لدى الحق سواء، ويوجبون الأخذ بكل رأي كان دليله أقوى، وحجته أرجح مهما كان قائله، ولذا أمروا بعدم اتباعهم بدون معرفة دليلهم، يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

مراجع للتوسع:

- **الإحكام في أصول الأحكام** - ابن حزم.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** - جمع عبد الرحمن القاسم (ج١٠، ١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٥).
- **الدرة البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية** - محمد شاكر الشريف.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** - ابن قيم الجوزية.
- **جامع بيان العلم وفضله** - ابن عبد البر.

- الموافقات في أصول الفقه - الشاطبي.
- الاعتصام - الشاطبي.
- إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول - الشوكاني.
- هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة - محمد سلطان المعصومي الخجندي المكي.
- إيقاظ همم أولي الأبصار - صالح الفلاني.
- فقه السنة (المقدمة) - سيد سابق.
- صفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراه - محمد ناصر الدين الألباني.
- تسديد الإصابة لمن زعم نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة - محمد ناصر الدين الألباني.
- الوجيز في أصول الفقه - عبد الكريم زيدان.
- القول السديد في بطلان التقليد - محمد الأمين الشنقيطي.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج٥ - أحمد بن عبد الرزاق الدويش، عبدالله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، عبد العزيز بن عبد الله بن باز).
- الأصول العلمية للدعوة السلفية - عبد الرحمن عبد الخالق.
- السلفيون والأئمة الأربعة - عبدالرحمن عبدالخالق.
- المذهبية المتعصبة هي البدعة أو بدعة التعصب المذهبي - محمد عيد العباسي.
- حياة الألباني وآثاره - محمد بن إبراهيم الشيباني.
- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية - يوسف القرضاوي.
- ابن حزم - حياته وعصره - آراؤه وفقهه - محمد أبو زهرة.

١٥ـ المذهبية أو وجوب اتباع مذهب بعينه

التعريف:

هو أن يقلد المسلم الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد(*) في كل أمور دينه، مذهب(*) إمام مجتهد سواء أقلد إماماً واحداً أم تحول من مذهب إلى آخر، بدون أن يطالب بحجة من كتاب أو سنة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

ـ من نافلة القول، التكلم عن تأسيس المذاهب الفقهية، فقد بسطنا فيها القول في غير هذا الموضع عند الكلام عن المذاهب الفقهية بشكل منفرد. لذا نقتصر هنا على ذكر بعض العلماء المعاصرين الذين دعوا للمذهبية، وألّفوا في ذلك الكتب والرسائل.. ومن أبرزهم:

● الشيخ محمد الحامد: ولد في مدينة حماة بسورية سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)، وتلقى علومه في الأزهر الشريف، وعاش في مدينته مدرساً وخطيباً، حتى توفاه الله إثر مرض عضال في ١٨ صفر ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م).

ومن آثاره **نظرات في اشتراكية الإسلام** ردّا على **اشتراكية الإسلام** للدكتور مصطفى السباعي، **ردود على أباطيل**، ومجموعة كبيرة من الرسائل والمقالات الفقهية أهمها: **لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسما للفوضى الدينية**.

● الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي: المحدث الهندي ولد سنة ١٣١٩هـ وقد حقق بعض كتب السنة وعلق عليها، منها **مصنف عبد الرزاق**، **واختصار الترغيب والترهيب** لابن حجر.

ومن آخر تحقيقاته العلمية **مصنف ابن أبي شيبة** في ستة مجلدات. وقد اعترض عليه كل من الشيخ علي حسن عبد الحميد، وسليم الهلالي والدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد لتحريفه في متن بعض الأحاديث انتصاراً لمذهبه الحنفي ـ (راجع كتاب **الردود** للدكتور بكر أبو زيد، **الرد العلمي على حبيب الرحمن الأعظمي** للشيخ علي حسن عبد الحميد وسليم الهلالي).

● الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: من أهالي دمشق من ذوي الأصل الكردي، وأحد مدرسي كلية الشريعة في جامعة دمشق، له دروس أسبوعية استفاد منها بعض طلبة

العلم وغيرهم، واشتهر بمؤلفاته في مجال الفقه والسيرة والثقافة الإسلامية. وقد وقف بقوة أمام دعاة الاجتهاد(*) المطالبين بعدم التقليد(*) للأئمة. ويعد الشيخ البوطي مناصراً قوياً للتصوف والصوفية على طريقة الأشعرية، ومن مؤلفاته **كبرى اليقينيات**، **واللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية**، **والسلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، وقد رد على الكتاب الأخير الشيخ صالح الفوزان وغيره من العلماء.

الأفكار والمعتقدات:

● إن مذاهب(*) الأئمة تستمد اجتهاداتها من الكتاب والسنة، وليس كل مسلم قادراً على الاجتهاد من الكتاب والسنة مباشرة، ولا وجه لقول القائل: «إن مذهب النبي معصوم ومذاهب الأئمة غير معصومة»؛ لأن الاجتهاد من الدين ـ سواء أكان خطأً أم صواباً بدليل ثبوت الأجر عليه. ويرد عليهم خصومهم بأن ما تبين خطؤه ليس من الدين ويعذر صاحبه إن لم يبلغه الحديث المخالف له، ولا يعذر إذا بلغه ورده بل يأثم ويَوْزر.

● إن أحكام الإسلام ليست من اليسر في فهمها، والقلة في عددها، وهي من السعة والشمول بحيث تتسع لكل ما يتعلق بشؤون الحياة الخاصة والعامة، في مختلف الظروف والأحوال، وهي جميعاً تعود إلى الكتاب والسنة إما بدلالة ظاهرها مباشرة أو بواسطة النظر والاجتهاد والاستنباط.

● إن المتتبع لنشأة الفقه الإسلامي، ونشأة المذاهب فيه، يدرك بوضوح أن الخلافات في الفرعيات أمر لا بد منه، وأن الإجماع على أمر فرعي متعذر، وذلك لأسباب لخصها الإمام ولي الله الدهلوي ـ يرحمه الله ـ في كتابه **الإنصاف في أسباب الاختلاف**، وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ في كتابه **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**.

وقد اختلف الصحابة في أمور كثيرة، لأن هذه الأمور منها ما ورد فيه نص قطعي الورود وقطعي الدلالة لا يحتمل الاختلاف فيه، ومنها ما ورد فيه دليل يحتمل اختلاف الأفهام. فالصحابة اختلفوا في مقدار الرضاع هل تكفي رضعة واحدة أم لا بد من خمس رضعات، واختلفوا في ميراث الجد مع الإخوة.. فالاختلاف في الأمور التي تسمى اجتهادية اختلاف مشروع ولا اعتراض عليه، وقضية جمع الناس على رأي واحد أمر متعذر عقلياً وتاريخياً وعملياً.

● لا مناص من التقليد(*) وهو أمر مشروع بإجماع المسلمين، بل هو أمر واجب عند القصور عن درجة الاجتهاد(*) والاستنباط، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. يقول الإمام الشاطبي ـ رحمه الله: «والمقلد غير عالم فلا

يصح له إلا سؤال أهل الذكر، وإليهم مرجعه في أحكام الدين على الإطلاق، فهم إذن القائمون مقام الشرع وأقوالهم مقام الشارع».

وقد دل الإجماع على أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتفاوتون في العلم، ولم يكن جميعهم أهل فتيا، ولا كان الدين(*) يؤخذ عن جميعهم، كما قال ابن خلدون. فقد كان المتصدرون للفتوى أفراداً محصورين، ثم اتسعت دائرة الفتوى في عهد التابعين وتابعي التابعين حتى تبلورت في عدد من الأئمة من بينهم الأئمة الأربعة المشهورون.

● يجب على المقلد التزام مذهب(*) معين، وإن التزام المقلد لإمام معين لا يتحول عن تقليده لا ضرر فيه ولا إثم ولا حرج.

ـ إن التحلل من تقليد الأئمة المجتهدين، واستخراج أحكام الحلال والحرام من الكتاب والسنة مباشرة، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه أمام جميع الناس يؤدي إلى فوضى دينية لا آخر لها، فضلاً عن تمزيق شريعة الله بين الأوهام والقناعات الذاتية والأخيلة المختلفة. يقول الشيخ محمد الحامد في رسالته **لزوم اتباع مذاهب الأئمة** موافقا لقول ابن عابدين في حاشيته ١/ ٥٥ «والذي عليه والعمل به، هو ما قرره فقهاؤنا رحمهم الله تعالى من أن الاجتهاد المطلق في الأحكام ممنوع بعد أن مضت أربعمائة سنة من هجرة سيدنا ومولانا محمد ﷺ». ويقول، أيضاً: «لا يدعي الاجتهاد المطلق إلا ناقص العقل، قليل العلم، رقيق الدين» (ص١١، ١٢) ويضيف في ص١٢ من المرجع نفسه «لا مانع من الاجتهاد للتعرف إلى أحكام جزئية فردية طارئة».

ـ إن المجتهد المعاصر لا يجوز أن يجتهد إلا فيما جد من الأمور أما الأمور القديمة فلا.

ووضع بعضهم شروطاً للاجتهاد منها:

١ ـ العلم بالعربية وأساليب البيان العربي لفهم الكتاب والسنة.

٢ ـ المعرفة التامة بالكتاب (القرآن الكريم).

٣ ـ المعرفة بالسنة وخاصة تلك التي تتعلق بالأحكام التشريعية.

٤ ـ المعرفة بالناسخ والمنسوخ من الأحكام.

٥ ـ المعرفة بمواقع الإجماع(*) لكيلا يخرج عنه فيكون متبعا غير سبيل المؤمنين.

٦ ـ المعرفة بالقواعد الأصولية للكتاب والسنة.

٧ ـ فضلاً عن صفات شخصية وسلوكية، كأن يكون غير مطعون عليه في علم أو عمل أو اعتقاد.

● لشدة الدعوة للمذهبية انتشر التعصب للمذاهب وكثرت المناظرات بين أتباعها،

وزادت حملات المذهبيين بعضهم على بعض، حتى وصل بينهم الخلاف إلى تعمد بعضهم الكيد والأذى لبعض، مما سبب الكثير من الفتن، وأحيانا القتال فيما بينهم. قال ياقوت الحموي في كتابه **معجم البلدان** (١/ ٢٧٣) بعد أن ذكر ما لأصفهان من مجد قديم «وقد فشا فيها الخراب من نواحيها، لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى، وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في ذلك إلٌّ ولا ذمة».

وما ذكر من أحداث بلدة مرو والري (٤/ ٣٥٥ و٣٥٦) أشنع، إذ استطالوا على بعضهم بالسلاح لدرجة أنه قال «وجدت دورهم ـ أي الحنفية والشيعة ـ كلها مبنية تحت الأرض، ودروبهم التي يسلك بها إلى دورهم على غاية الظلمة وصعوبة المسلك، ولولا ذلك لما بقي فيها أحد».

ـ ووصلت حدة التعصب المذهبي إلى الاعتداء على حرمة بيوت الله تعالى. يروي الحافظ المؤرخ ابن كثير في **البداية والنهاية** (١٣/ ١٩، ٢١) «ما حدث من فتن لما تعرض الحافظ عبد الغني المقدسي لمسألة صفات الله تعالى أثناء تدريسه في الجامع الأموي، مما أغضب أتباع المذاهب الأخرى، فعقد له الأمير صارم الدين برغش مناظرة مع فقهاء المذاهب فلم يتفقوا، فنفاه من البلد، وأرسل الأسارى من القلعة فكسروا منبر الحنابلة، وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك، وجرت خبطة شديدة».

ـ ينقل الحافظ شمس الدين الذهبي في ترجمته لقاضي دمشق الحنفي محمد بن موسى البلاساغوني قوله: «لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية» **ميزان الاعتدال** (٤/ ٥١، ٥٢). ويقول صاحب مراقي الفلاح الحنفي ص٢١، ٢٢ عن ماء البئر النجس «فإن عجن بمائها يلقى للكلاب، أو يعلف به المواشي، وقال بعضهم يباع لشافعي».

ويقول الإمام النووي في **المجموع** (١/ ٢٥٨، ٢٥٩): «فرع: اقتدى شافعي بحنفي وعكسه، وفيه خلاف وتعم به البلوى. فإذا توضأ حنفي واقتدى به شافعي... فثلاثة أوجه أحدها وهو قول الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: لا يصح اقتداؤه، نوى أم لم ينو، لأنه وإن نوى فلا يراها واجبة فهي كالمعروفة فلا تصح طهارته». ويقول في (٤/ ١٨٤، ١٨٥) من **المجموع** «لو مس حنفي امرأة أو ترك طمأنينة أو غيرها، صح اقتداء الشافعي به عند القفال، وخالفه الجمهور وهو الصحيح».

ومنها ما حدث بين الظاهرية والمالكية إبّان قيام دولة الموحدين بالمغرب، إذ أمروا بإحراق كتب المالكية مع الإبقاء على الآيات والأحاديث، مع إلزام الناس بالالتزام بالمذهب

الظاهري مما سبب فتنة كبيرة للمنتسبين للمذهب المالكي.

يتضح مما سبق:

أن المذهبية في جانبها الإيجابي هي إثراء للفقه الإسلامي باجتهادات أئمة المذاهب وأتباعهم من العلماء المحققين، وقد تلقاها معظم المسلمين في القرون المعاصرة بالقبول وأصبحت منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي إثر إقفال باب الاجتهاد(*) والاكتفاء بالتقليد(*) وشيوع الجهل والقعود عن طلب العلم.

ولكن المذهبية في الجانب السلبي أحدثت كثيراً من الخلاف والفرقة والضعف بين المسلمين بسبب أحوال بعض المنتسبين من أتباع المذاهب الذين يرون أن مذهبهم هو الصحيح والحق. وقد قاد ذلك إلى الدعوة لقفل باب الاجتهاد وتحريم عدم انتساب المسلم إلى أحد المذاهب المعروفة والقول بإلزام المسلم باتباع مذهب لا يحيد عنه في كل شأنه وغير ذلك من الأمور التي لا دليل عليها من كتاب أو سنة. والمنهج الأحمد هو اعتبار المذاهب الفقهية واحترامها بشرط عدم التعصب لها أو إلغائها، واعتبار أن المسلم مطالب باتباع الكتاب والسنة والحق أينما وجد بغض النظر عمن صدر عنه، وقد أدى التعصب المذهبي إلى اعتقاد بعض المسلمين: أن الاختلاف هو الأصل حتى في القضايا الكلية، على الرغم من الآيات الكثيرة التي تحض على أن الوحدة والالتزام بحبل الله وعدم التفرق أحد أهم مقاصد الدين الحنيف.

مراجع للتوسع:

- **مغيث الخلق في ترجيح المذهب الحق**، لإمام الحرمين الجويني.
- **حاشية ابن عابدين**.
- **الكامل في التاريخ** ٨/ ١٠٦ ابن الأثير.
- **الرد على من أخلد إلى الأرض ونسي أن الاجتهاد في كل عصر فرض**، الإمام السيوطي.
- **البداية والنهاية** ١٣/ ١٨ ـ ٢١، الحافظ ابن كثير.
- **فتح القدير** د١/ ٣١١، ٣١٢، ابن الهمام.
- **المجموع** ١/ ٢٥٨، ٢٥٩، ٤/ ١٨٤، ١٨٥، الإمام النووي.
- **معجم البلدان** ١/ ٢٧٣ و٤/ ٣٥٥، ٣٥٦، ياقوت الحموي.
- **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، لابن تيمية.
- **الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف**، لشاه ولي الله الدهلوي.

- **تاريخ التشريع الإسلامي**، لمحمد الخضري بك.
- **ظهر الإسلام**، لأحمد أمين.
- **لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسما للفوضى الدينية**، لمحمد الحامد.
- **اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية**، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- **أثر الشريعة في اختلاف الأئمة الفقهاء**، لمحمد عوامة.
- **الاجتهاد والمجتهدون**، لأحمد البيانوني.
- **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، محمد سعيد رمضان البوطي.
- **الردود**، د. بكر بن عبد الله أبو زيد.

الفصل الخامس

الحركات الإصلاحية الحديثة

● مقدمة عامة ● دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ● جماعة أهل الحديث ● جماعة أنصار السنة المحمدية ● الإخوان المسلمون ● الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية ● الاتجاه الإسلامي بتونس ● حزب السلامة الوطني التركي ● الحزب الإسلامي الكردستاني ● الجبهة القومية بالسودان ● حماس ● جبهة الإنقاذ بالجزائر.

مقدمة عامة

الحركات(*) الإصلاحية المقصودة في هذا الفصل هي حركات سنية تنادي في جوهرها بالدعوة إلى الأخذ بالكتاب والسنة، وتطبيق الشريعة الإسلامية(*) في جميع مناحي الحياة، والتصدي للتيارات العلمانية، لكنها رأت في الإصلاح الجزئي المتدرج أساساً للوصول إلى منهج(*) السلف.

ونحن نعالج من الحركات الإصلاحية الحديثة هنا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وجماعة أهل الحديث بشبه القارة الهندية، وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر والسودان، تلك الحركات التي تنادي بأمرين شرعيين كريمين هما العودة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح وتطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة من جهة، والتصدي لأهل البدع والأهواء والتصدي للحركة العلمانية الإباحية التحليلية الاستعمارية التي تكرس فكرة استمرار فصل الدين(*) عن الدنيا من جهة أخرى. ومن هنا تبدو أهمية الوقوف على فكر هذه الحركات أملاً في تكوين الوجدان الإسلامي الواعي الذي يتجه صوب أهل السنة والجماعة وجعل السلفية(*) الإطار الوحيد لكل شؤون الحياة، وهو الأمل الوحيد للمسلمين في الخروج من دائرة الفرقة والانعتاق من إسار الاختلاف.

وعلى المنهج نفسه يُعالج هذا الفصل الحركات الإصلاحية الأخرى الحديثة التي من أهمها حركة الإخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية بشبه القارة الهندية، والاتجاه الإسلامي بتونس (حزب(*) النهضة)، وحزب السلامة الوطني بتركيا، والحزب الإسلامي الكردستاني، والجبهة(*) القومية الإسلامية بالسودان، وحركة حماس بفلسطين، والجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر .

ومن الممكن أن بعض هذه الحركات لها من مناهجها وآراء رجالها اجتهادات قد تدخلها في خضم المشكلات التي تبعدها عن إدراك الغاية النهائية وهي الوصول إلى منهاج موحد يسير على نهج أهل السنة والجماعة(*) .

١٦ـ دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

التعريف:

الدعوة السلفيّة(*) دعوة تنادي بالرجوع إلى هدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة الزاهر، ولذا تعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية بحق رائدة الحركات(*) الإصلاحية التي ظهرت إبان التخلف والجمود الفكري في العالم الإسلامي، فهي تدعو إلى العودة بالعقيدة الإسلامية إلى أصولها الصافية، وتلح على تنقية مفهوم التوحيد مما علق به من أنواع الشرك، ويطلق عليها بعضُهم ـ خطأً ـ اسم «الوهابية» نسبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهي ليست مذهباً(*) جديداً أو طريقة مبتدعة إنما هي امتداد وتجديد للدعوة السلفية، فهي منهج(*) ودعوة لترسُّم خطى السلف الصالح والسير على منوالهم، امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. [التوبة: ١٠٠]. وقوله ﷺ في الحديث الصحيح عن الفرقة الناجية: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● من أعلام الدعوة السلفية في عصرنا الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي النجدي (١١١٥ـ١٢٠٦هـ) (١٧٠٣ـ١٧٩١م).

ـ ولد ببلدة العيينة القريبة من الرياض، وتلقَّى علومه الأولى على يدي والده دارساً شيئاً من الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، حافظاً القرآن وعمره عشر سنين.

ـ ذهب إلى مكة حاجاً ودرس على علمائها، ثم سار إلى المدينة ليتزود بالعلم الشرعي، وفيها التقى بشيخه محمد حياة السندي (ت ١١٦٥هـ) وكان تأثره به عظيماً، كما تتلمذ على الشيخ عبدالله بن إبراهيم آل سيف.

ـ عاد إلى العيينة، ثم توجه إلى العراق عام (١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م) ليزور البصرة وبغداد والموصل، وفي كل مدينة منها كان يلتقي مع المشايخ والعلماء ويأخذ عنهم.

ـ غادر البصرة مضطرًا إلى الأحساء، ثم إلى حريملاء إذ انتقل إليها والده الذي كان يعمل قاضياً، وفيها بدأ ينشر الدعوة إلى التوحيد جاهراً بها، وذلك سنة (١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠م) لكنه ما لبث أن غادرها بسبب تآمر بعض السفهاء على قتله.

ـ توجه إلى العيينة وعرض دعوته على أميرها (عثمان بن معمر) الذي قام معه بهدم القبور والقباب، وأعانه على رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك.

ـ أرسل أمير الأحساء عريعر بن دجين إلى أمير العيينة رسالة يأمره فيها بقتل الشيخ، كما كتب علماء السوء رسائل إلى ابن معمر يشككونه في دعوة محمد بن عبد الوهاب، فألح ابن معمر على الشيخ أن يخرج إلى حيث أراد، فخرج الشيخ من العيينة.

ـ توجه إلى الدرعية مقر إمارة آل سعود ونزل ضيفاً على محمد بن سويلم العريني عام (١١٥٨ هـ)، إذ أقبل عليه التلاميذ وأكرموه.

ـ الأمير محمد بن سعود الذي حكم خلال الفترة (١١٣٩ ـ ١١٧٩ هـ) علم بمقدم الشيخ فجاءه مرحباً به، وعاهده على حمايته وتأييده، وجرى بينهما الحوار التالي الذي نذكره لأهميته التاريخية:

الأمير: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة.

الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وهي ما دعا إليها رسل الله كلهم، فالأرض يرثها عباده المسلمون.

ثم اشترط الأمير على الشيخ شرطين:

١ ـ ألا يرتحل عنهم وألا يستبدل بهم غيرهم.

٢ ـ ألا يمانع الشيخ في أن يأخذ الحاكم وقت الثمار ما اعتاد على أخذه من أهل الدرعية.

ـ أما عن الشرط الأول فقد قال له الشيخ: ابسط يدك أبايعك.. الدم بالدم والهدم بالهدم.

ـ أما عن الشرط الثاني فقد قال له: لعل الله يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها.

ـ يعتقد الشيخ بأنه لا بد للحق من قوة تحميه، وذلك لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ـ مضى الشيخ والأمير في نشر الدعوة في ربوع نجد، ولما توفي الأمير خلفه ابنه

عبدالعزيز بن محمد (١١١١ ـ ١٢١٨ هـ) ليتابع مناصرة الدعوة مع الشيخ الذي توفاه الله في الدرعية وفيها دفن.

ـ للشيخ مصنفات كثيرة أهمها **كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد**، و**كتاب الإيمان**، و**كشف الشبهات**، و**آداب المشي إلى الصلاة** و**مسائل الجاهلية** وعدد من المختصرات والرسائل التي تدور حول أمور فقهية وأصولية أكثرها في التوحيد.

● تتلمذ على يد الشيخ الكثير. ومن تلاميذه وبعض تلاميذ تلاميذه ما يلي:

ـ سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي لازم الشيخ وأخذ عنه وقرأ عليه.

ـ حسين بن محمد بن عبد الوهاب: قاضي بلدة الدرعية.

ـ علي بن محمد بن عبد الوهاب: عالِمٌ جليل ورع شديد الخوف من الله عزّ وجلّ عرض عليه القضاء فأباه.

ـ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (١١٦٥ ـ ١٢٤٢ هـ) أصبح قاضي الدرعية زمن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، كان دقيق الفهم والمعرفة وكانت وفاته بمصر.

ـ إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب: عالِمٌ فاضل مدقق.

ـ عبد الرحمن بن خميس إمام قصر آل سعود بالدرعية والقاضي زمن الملك عبد العزيز وابنه الملك سعود.

ـ حسين بن غنام صاحب كتاب **روضة الأفكار** وهو عالم واسع المعرفة.

ـ عبد العزيز بن عبدالله الحصين (ت ١٢٣٧ هـ).

ـ حمد بن ناصر بن معمر.

ـ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٩٣ ـ ١٢٨٤ هـ) كان وجيهاً وعالِماً، تتلمذ على جدِّه وأخذ عنه مباشرة، تولى القضاء والتدريس، وهو صاحب كتاب **الرد النَّفيس على شبهات داود بن جريس**.

ـ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب **تأسيس التقديس في الرد على داود بن جريس** و**مصباح الظلام في الرد على الشيخ الإمام**.

ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٠ ـ ١٢٣٣ هـ) كان ذكياً جريئاً قتله إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية، وهو صاحب كتاب **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**.

ـ الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم من أحفاد الشيخ (ت ١٣٨٩ هـ)، كان يعمل مفتياً للسعودية، ورئيساً للقضاة والشؤون الإسلامية ـ وقد اشتهر بالعلم والتحقيق وقوة الحافظة،

وبعد النظر، وقد آتاه الله مهابة في النفوس كما عرف بالتورع وكثرة العبادة وسعة البذل.

- الشيخ أحمد بن عيسى شارح **نونية ابن القيم** (ت ١٣٢٩ هـ).

- الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بابطين والذي كان يلقب - في وقته - بمفتي الديار النجدية (ت ١٢٨٢ هـ).

- سليمان بن سحمان صاحب القلم السيال والمؤلفات الكثيرة (ت ١٣٤٩ هـ).

- الشيخ حمد بن علي بن عتيق (ت ١٣٠٦ هـ).

- ومن شخصياتهم البارزة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية حالياً.

- وممن تأثروا بدعوته خارج المملكة، محمد بشير السهسواني ومحمود الآلوسي، وغيرهما.

- تأثر بهذه الحركة السلفية(*) الكثير من العلماء والدعاة، وبعض الحركات الإصلاحية الأخرى.

الأفكار والمعتقدات:

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب حنبلي المذهب في دراسته، لكنه لم يكن يلتزم ذلك في فتاواه إذا ترجح لديه الدليل فيما يخالفه، وعليه فإن دعوته اتسمت باتباع الدليل وفق فهم السلف الصالح.

- أكدت على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة، وإحياء ما اندرس من مذهب أهل السنة والجماعة(*).

- اعتمدت منهج(*) أهل السنة والجماعة في فهم الدليل والبناء عليه.

- دعت إلى تنقية مفهوم التوحيد ومطالبة المسلمين بالرجوع به إلى ما كان عليه المسلمون في الصدر الأول للإسلام. وهو يقوم على توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه أو أثبتها رسوله، ﷺ، له من غير تمثيل(*) ولا تكييف(*) ولا تحريف(*) ولا تعطيل(*).

- التركيز على مفهوم توحيد العبودية ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾. [النحل: ٣٦].

- إحياء فريضة الجهاد(*)، فقد كان الشيخ صورة للمجاهد الذي يمضي في فتح البلاد، ينشر الدعوة ويزيل مظاهر الشرك التي انحدر إليها الناس.

- القضاء على البدع(*) والخرافات التي كانت منتشرة آنذاك بسبب الجهل والتخلف مثل:

ـ زيارة قبرٍ يزعمون أنه قبر الصحابي ضرار بن الأزور وسؤاله قضاء الحاجات.

ـ زيارة قبة يقولون إنها لزيد بن الخطاب.

ـ التردد على شجرة يقولون إنها شجرة أبي دجانة وأخرى تسمى الطرفية.

ـ زيارة مغارة تسمى مغارة بنت الأمير.

● تقسيم التوسل إلى نوعين بناء على استقراء الأدلة الشرعية:

ـ توسل مشروع وهو التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، أو بالأعمال الصالحة، أو بدعاء أخيه المسلم.

ـ توسل مبتدع منهي عنه مما لم يرد عليه دليل صحيح، وهو ما كان بالذوات الصالحة «بجاه الرسول، بحرمة الشيخ فلان..».

● منع بناء القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك من البدع التي تصاحبها.

● التصدي لشطحات الطرق الصوفية ولما أدخلوه على الدين من أشياء لم تكن فيه من قبل.

● تحريم القول على الله بغير علم ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

● محاربة الطواغيت وعنده أن: «الطاغوت(*) ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع» ورؤوس الطواغيت خمسة «إبليس لعنه الله، ومن عُبِد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة النفس، ومن ادَّعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله» ولا يصير الإنسان مؤمناً بالله إلا بعد أن يكفر بالطاغوت.

● إن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرِّمه أو يوجبه أو يستحبَّه أو يكرِّهه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. [المائدة: ١٠١].

● إن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

ـ إن النبي، ﷺ، ذكر أن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور متشابهات. فمن لم يفطن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم عن كل مسألة بكلام فاصل فقد ضلَّ وأضل.

● ذكر الشيخ في بيانه لأنواع الشرك ومراتبه أنه:

ـ **شرك أكبر**: وهو شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة.

ـ **شرك أصغر**: وهو الرياء لقوله، ﷺ، في حديث رواه الحاكم «**اليسير من الرياء شرك**».

ـ **شرك خفي**: قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم كما قال، ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة**

أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل» .

● أدرك علماء هذه الدعوة قضايا زمانهم، وفقهوا نوازل عصرهم، فترىٰ الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـ مثلاً ـ اهتم كثيراً بتقرير توحيد العبادة وبيان ما يضاده، لأن توحيد العبادة أول واجب على المكلف، ولأنه كان الانحراف السائد في بيئته ـ آنذاك ـ في هذا الجانب. ولما ظهرت هذه الدعوة خارج البلاد، احتاج الأمر إلى زيادة بيان وتفصيل في مبحث الأسماء والصفات، إذ كان التعطيل والتحريف ظاهراً في كثير من بلاد المسلمين، كما نجده ـ على سبيل المثال ـ في رسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه العلامة الشيخ عبد اللطيف والشيخ أحمد بن عيسىٰ.

ـ وفي هذا العصر الذي استفحل فيه حكم الطاغوت(*) والمتمثل في القوانين الغربية الوضعية(*)، كان لعلماء هذه الدعوة مواقف مشهودة وأجوبة عاجلة في التصدي لهذه القوانين وبيان حكم الله تعالىٰ فيها، ومثال ذلك ما كتبه الشيخ محمد بن إبراهيم في فتاويه ورسائله.

● لقد عملت هذه الدعوة على إيقاظ الأمة الإسلامية فكرياً بعد أن رانت عليها سجف من التخلف والخمول والتقليد(*) الأعمى.

● العناية بتعليم العامة وتثقيفهم، وتفتيح أذهان المثقفين منهم ولفت أنظارهم إلى البحث عن الدليل ودعوتهم إلى التنقيب في بطون أمهات الكتب والمراجع قبل قبول أية فكرة فضلاً عن تطبيقها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

هذه الدعوة امتداد لما كان عليه سلف الأمة والقرون المفضلة، ومن ثم فهي دعوة إلى اتباع الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية(*) كدعوة عامة وحركة شعبية استوعبت القاعدة العريضة من أهل نجد، وبلغت قمة السلطة مع الحكم السعودي في بلدان مكة المكرمة عام ١٢١٩ هـ والمدينة المنورة عام ١٢٢٠ هـ.

ـ وعندما حوربت كان تأثير أنصار الدعوة في الجيش المحارب لها كبيراً حتى كتبوا عنهم يقولون: «والقوم إذا دخل الوقت أذَّن المؤذنون وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع» وينادون في معسكرهم: «هلموا إلى حرب المشركين والمحلقين الذقون

المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور، التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين الحرمات». وقد سار ذكرهم في كل مكان وتحدث عنهم القاصي والداني وانتشر أمرهم في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

● لقد تركت هذه الدعوة بصماتها وآثارها على حركات(*) الإصلاح التي قامت في العالم الإسلامي بطرق مباشرة أو غير مباشرة.

ومن المعروف أن دعوة ابن عبد الوهاب السلفية(*) لم تسلم من المناوئين الذين شنعوا عليها وبثوا عنها كثيراً من الأباطيل بعدما شعروا أنها تهددهم، خاصة المبتدعة منهم والمتصوفة والفرق الضالة. وهذا متوقع ووارد في صراع الحق والباطل، كما أخذ على بعض أتباع دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب السلفية بعض الأمور التي قد تكون صحيحة.

من ذلك مثلاً ما أخذ على بعض أتباع الدعوة من اتصاف بالشدة عند إنكار المنكر، والتركيز على قضايا البدعة(*) والشرك، مع إغفال جوانب الإسلام الأخرى المتعلقة بالاقتصاد(*) والاجتماع والسياسة. على أن هذا الأمر تغير في معظم الأتباع الجدد، إذ أخذ الاهتمام بالمجتمع وشمولية الإسلام يشغل حيزاً واضحاً في نشاط الدعوة، وأخذ بعض أفرادها زمام المبادرة في النشاطات الإغاثية والدعوية الشمولية في كثير من بلدان العالم.

ويتضح مما سبق:

أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية(*) هي دعوة إلى الرجوع إلى عقيدة التوحيد الخالص، والتمسك بهدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة الزاهر. وقد اعتمدت على الكتاب والسُنة، ومنهج(*) أهل السنة والجماعة(*) في فهم الدليل والرجوع إليه، ودعت إلى فتح باب الاجتهاد(*) بشروطه وضوابطه، ودعت إلى تنقية التوحيد مما شابه من شركيات، وسد الذرائع المفضية إلى الشرك. ولذا فإنه يجب أن يجمع المسلم في عقيدة التوحيد بين توحيد الربوبية، فالله هو الخالق الرازق، وتوحيد الألوهية أو الإلهية أي توحيد الله بعبادة الله، فيعبدونه لا يشركون به شيئاً، فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وهذا يستلزم بالضرورة توحيد الله في أسمائه وصفاته من غير تمثيل ولا تكييف(*) ولا تحريف(*) ولا تعطيل(*)، مع إحياء الجهاد(*) والقضاء على جميع صور البدع(*) والخرافات والأمور الشركية التي فشت في المجتمعات الإسلامية. وبذلك فهي الدعوة الإصلاحية الوحيدة في العصر الحديث التي استطاعت أن تؤسس دولة تحكم بالإسلام.

مراجع للتوسع:

- **عنوان المجد في تاريخ نجد،** للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر الحنبلي ـ طبعة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.
- **روضة الأفكار** للشيخ حسين بن غنام ـ تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ـ مطبعة المدني ـ مصر.
- **آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب:** للدكتور أحمد محمد الضبيب ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ الرياض ـ ١٣٩٧ هـ.
- **الإمام محمد بن عبد الوهاب انتصار المذهب السلفي،** لعبد الحليم الجندي ـ دار المعارف ـ مصر.
- **محمد بن عبد الوهاب،** لأحمد عبد الغفور عطار ـ طبعة ١٣٩٧ هـ.
- **الوهابية: حركة الفكر والدولة الإسلامية،** لعبد الرحمن سليمان الرويشد ـ ط١ ـ دار العلوم للطباعة ـ القاهرة ـ ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.
- **بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب،** مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.
- **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب،** مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية،** مطبعة المنار.
- **في سيرة محمد بن عبدالوهاب،** تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ـ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.
- **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية،** لمحمد كمال جمعة ـ ط٢ ـ مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
- **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب،** لمؤلف مجهول ـ دراسة وتحقيق وتعليق دكتور عبدالله الصالح العثيمين مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.** لعبد العزيز العبد اللطيف ـ دار الوطن.
- **المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر الهجري** لعبد المتعال الصعيدي.
- **حركة الإصلاح والتجديد في نجد** ـ للدكتور محمد عبدالله العجلان بحث في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر بالبحرين ١٤٠٥/ ١٩٨٦م.

- **الاتجاه السلفي بين التأصيل والمواجهة** للدكتور راجح الكردي بحث في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر بالبحرين ١٤٠٥/ ١٩٨٦م.
- **أثر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية في الحركات الإسلامية المعاصرة** لصلاح الدين مقبول مجمع البحوث العلمية الإسلامية ـ نيودلهي.
- **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** لصالح العبود.
- **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** لأحمد بن حجر آل بوطامي.
- **محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه** لمسعود الندوي.
- **محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره** لعبدالله العثيمين.
- **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** لمحمد بن عبدالله السلمان.
- **علماء نجد خلال ستة قرون** لعبدالله البسام.
- **مشاهير علماء نجد** لعبد الرحمن آل الشيخ.
- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** جمع عبد الرحمن القاسم.
- **دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بين المؤيدين والمعارضين والمناوئين** ـ محمد جميل زينو.
- **تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية** ـ د. محمد بن سعد الشويعر.

١٧ـ جماعة أهل الحديث

التعريف:

جماعة أهل الحديث أقدم الحركات(*) الإسلامية في شبه القارة الهندية، قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة وفهمهما على ضوء منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وتقديمهما على كل قول وهدي سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق(*) أو السياسة والاجتماع على طريقة الفقهاء المحدثين، ومحاربة الشركيات والبدع(*) والخرافات بأنواعها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية:**

ـ يرجع تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية إلى العهد الإسلامي الأول، إذ استضاءت بعض مناطق الهند بنور الإسلام بجهود التجار والمجاهدين العرب الذين وصلوا إلى مقاطعات السند ومالابار وكجرات على سواحل البحر الهندي، فكانت هناك مراكز للحديث في بلاد السند وملتان وفد إليها المحدثون من العرب والعجم. وقد زارها الرحالة المعروف أبو القاسم المقدسي عام ٣٧٥هـ ووصف الحالة الدينية في بلاد السند في كتابه **أحسن التقاسيم** قائلاً: «إن مذاهب أكثرهم أصحاب الحديث، ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة ـ يرحمه الله ـ وأنهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة، وقد أراحهم الله من الغلو والعصبية والفتنة».

ـ وفي أواخر القرن الرابع بدأ الضعف يدب في نشاط أهل الحديث وقد بلغ منتهاه في القرن التاسع الهجري، نظراً لانتشار الخلافات السياسية والعصبيات، وظهور فتنة الباطنية الإسماعيلية التي جرت على أهل السنة(*) الفتن والمشكلات، فقل الاهتمام بالسنة، وفشا التقليد(*) والتعصب للمذاهب(*)، والجمود عليها، وسادت علوم اليونان. ومع هذا كله وجد في شبه القارة الهندية عدد من علماء أهل الحديث من تلاميذ الحافظ بن حجر العسقلاني والإمام السخاوي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري وغيرهم، إذ ظلوا محافظين على منهج أهل الحديث.

● حركة أهل الحديث في شبه القارة الهندية في العصر الحديث:

ـ مع بداية القرن الحادي عشر الهجري بدأ دور جديد لأهل الحديث، إذ ظهرت في عصر الشيخ أحمد السرهندي (ت ١٠٣٤هـ)، وقويت في عهد أنجال الإمام شاه ولي الله المحدث الدهلوي (ت ١١٧٥هـ) وبخاصة ابنه الكبير شاه عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي (١١٥٩ ـ ١٢٣٩هـ)، إذ استفادوا من منهج(*) أبيهم في الدعوة والإرشاد والتدريس والإفادة والتأليف، ونبذ الجمود والتعصب المذهبي، وزادت قوتها وانتشارها في عهد حفيده الإمام إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي (ت ١٢٤٣هـ) قائد الدعوة والجهاد وصاحب كتاب **تقوية الإيمان**.

ـ بعد وفاة الإمام شاه إسماعيل الدهلوي المعروف باسم إسماعيل الشهيد في معركة بالاكوت (١٢٤٣هـ) تحمل أهل الحديث مسؤولية الدعوة والجهاد(*) بكل أمانة وإخلاص، وكانت جهودهم في هذه الفترة مرتكزة على ثلاثة ميادين رئيسية:

١ ـ ميدان الجهاد(*): لم تقتصر حركة شاه إسماعيل الدهلوي على إحياء العمل بالكتاب والسنة وإقامة الخلافة(*) على منهاج النبوة والقضاء على التعصب المذهبي والجمود والبدع والعقائد الباطلة فقط، بل قادت حركة الجهاد ضد السيخ والاستعمار(*) الإنجليزي وبخاصة في الحدود الشمالية للهند إلى أن رحل الاستعمار الإنجليزي من الهند عام ١٩٤٧م. وبعد تقسيم القارة إلى الهند وباكستان، واصل المجاهدون جهادهم وفتحت إحدى كتائبهم مدينة مظفرآباد، وتحت قيادة الشيخ فضل إلهي الوزير آبادي فتحت باقي الرقعة التي تشكل كشمير الحرة الآن. ومن أبرز الشخصيات في هذا الميدان الشيخ ولايت علي الصادقفوري (ت ١٢٦٩هـ) وشقيقه الشيخ عنايت علي الصادقفوري (ت ١٢٧٤هـ)، وأسرة (صادقفور) الذين تحملوا مسؤولية الجهاد ورفعوا رايته، وأبلوا فيه بلاءً حسناً.

٢ ـ ميدان التأليف: لأهل الحديث دور بارز في إحياء ونشر الثقافة الإسلامية من خلال الاهتمام بمجال التأليف والتصنيف في القرآن وعلومه، وعلوم الحديث، وبيان السنة وشروحها، مع الدفاع عن العقيدة، والرد على المبتدعة وأهل الاعتقادات الباطلة فكان منهم العلماء والمحدثون. ومن أبرز الشخصيات في هذا المجال العلامة النواب صديق حسن خان البهوبالي (ت ١٣٠٧هـ) حاكم بوبهبال، إذ اشتغل بالتصنيف والتأليف ونشر كتب الحديث ودواوين السنة فألف ما يبلغ قريباً من ثلاثمائة كتاب، مع اشتغاله بمهمات الدولة، كما شكل مجلساً علمياً مكوناً من العلماء السلفيين ليقوم بمهمات التأليف والترجمة وإفادة المسلمين بالتدريس، وأنشأ لذلك عدة مطابع على حسابه الخاص لطبع ونشر وتوزيع كتب السلف

الصالح، وخاصة ما يتعلق منها بأصول الاعتقاد والتفسير والحديث.

٣ ـ في ميدان التدريس: برز اهتمام أهل الحديث بالدعوة والتدريس وإنشاء المدارس والجامعات، ومن أبرز الشخصيات في هذا الجانب العلامة الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي (ت ١٣٢٠هـ)، والذي انتهت إليه رئاسة الحديث في بلاد الهند، واستمر في تدريس العلوم الشرعية والحديث في دهلي قرابة ستين عاماً، بالإضافة إلى الدعوة إلى الإسلام الصحيح، حتى قيل إنه اعتنق في عصره نحو مليونين من المسلمين العقيدة الصحيحة تائبين عن العقائد الشركية والبدعية، وتخرج على يده عدد من أعلام السنة والدعوة في العصر الحديث أمثال: الإمام المحدث عبدالله الغزنوي (ت ١٢٩٨هـ) وشمس الحق العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ) مؤلف **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، والعلامة عبدالرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) صاحب **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، والعلامة محمد بشير السهسواني (ت ١٣٢٦هـ) صاحب **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**، والشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي المغربي، والشيخ محمد بن ناصر المبارك النجدي، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق النجدي الذي نشر سند شيخه في بلاد الحجاز ونجد، وغيرهم. ومازالت مدرسته إلى اليوم بدهلي والمعروفة بجامعة السيد نذير حسين الدهلوي تخرج العلماء والدعاة.

تشكيل (جمعية أهل الحديث):

ـ في عام ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م قرر علماء أهل الحديث برئاسة شيخ الإسلام أبي الوفا ثناء الله الأمرتسري (ت ١٣٦٧هـ) تشكيل جمعية لهم تقوم على نشر الدعوة على منهج الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، ومقاومة الحركات الهدامة ومواجهة تحديات العصر تحت اسم (مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند)، وعين شيخ الإسلام أبو الوفا ثناء الله الأمرتسري، قامع الفتنة القاديانية وصاحب التصانيف الكثيرة في الدفاع عن الإسلام ومقاومة الهندوسية، والنصرانية، ومنكري السنة وغيرها من فرق وملل الضلال، بالإضافة إلى ما له من مساهمات فعالة في الحركة السياسية والوطنية والمؤتمر الوطني العام، عُيِّن أميناً عاماً للجمعية بالإضافة إلى عضويته في ندوة العلماء وجمعية علماء الهند. وانتخب المحدث العلامة عبدالله الغاز يفوري (ت ١٣٣٧هـ) رئيساً للجمعية، فغطت جهودهما الهند وقراها.

ـ في عام ١٩٤٧م انقسمت شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان، فضعفت حركتهم لفترة ما وفقدوا بسبب ذلك أكبر مؤسسة تعليمية لهم (دار الحديث الرحمانية) بدهلي، فسارعوا إلى تشكيل الجمعية من جديد في كلتا الدولتين فاستعادتا قوتهما، وأسسوا الجامعات والمعاهد والمدارس الجديدة لتلبية حاجات العصر وتدريس علوم الكتاب والسنة

على منهج السلف الصالح .

ـ ومن أبرز هذه الجامعات :

١ ـ في الهند : الجامعة السلفية(*) ببنارس وهي أكبر جامعة عربية إسلامية في الهند . تأسست عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م، بالإضافة إلى الجامعة الرحمانية، والجامعة الأحمدية السلفية، وجامعة دار السلام بعمر آباد، والجامعة السلفية بالقرية السلفية في كيرالا، والجامعة الإسلامية في بومباي، وجامعة ابن تيمية، وجامعة الإمام البخاري في بشاور .

٢ ـ أما في باكستان فإن الجامعة السلفية بفيصل آباد تعد أول وأكبر جامعة إسلامية تأسست في باكستان بعد الانفصال، في ٧ شعبان ١٣٧٤هـ ـ إبريل ١٩٥١م بالإضافة إلى الجامعات الأخرى مثل جامعة العلوم الأثرية بجهلم، وجامعة أبي بكر الصديق بكراتشي والجامعة المحمدية بكجرانوالة . هذا بالإضافة إلى المكتبات التي تحوي آلاف المخطوطات ونوادر الكتب . في المجال الإعلامي أصدرت الجمعية بفروعها المتعددة العديد من الصحف والمجلات باللغتين العربية والأردية، على سبيل المثال، مجلة أهل الحديث الأمرتسرية ومجلة أهل الحديث، الصادرة من لاهور، **وترجمان الحديث، والمحدث، والاعتصام، والرباط، وصوت الأمة ومسلم وتوحيد وصوت الحق وصراط مستقيم** . .

ـ في عام ١٩٨٥م اتخذ قرار بإنشاء جمعية شبان أهل الحديث في باكستان بالإضافة إلى جمعية طلبة أهل الحديث، ومن ثم تم تعميم الفكرة على باقي الجمعيات في شبه القارة الهندية .

ـ في أكتوبر عام ١٩٩٣م شاركت الجمعية في باكستان في الانتخابات النيابية، وفاز عدد من مرشحيها بمقاعد في البرلمان الباكستاني، وانتخب أمير الجماعة البروفيسور ساجد مير عضواً بمجلس الشيوخ الباكستاني .

شخصيات بارزة :

● **في باكستان :**

١ ـ الشيخ محمد داود الغزنوي (١٨٩٥ ـ ١٩٦٣م) من المؤسسين لجمعية أهل الحديث بباكستان، وأول رئيس لها، وشارك العلامة محمد إسماعيل في تأسيس الجامعة السلفية بمدينة فيصل آباد، كما تحمد له مواقفه من إقامة النظام الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية(*) في باكستان، وله جهود علمية في الرد على منكري السنة، وعلى القاديانية . وعند تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأول لها، كما شارك في وضع مناهجها الدراسية .

٢ـ العلامة محمد إسماعيل السلفي المولود عام (١٣١٤هـ) في قرية دهونكي، ونشأ في ظل أسرة متدينة، وطلب العلم في مراحل مبكرة على يد أبيه، ورحل في طلبه على يد أفاضل علماء عصره. وكان يرحمه الله من الرواد الأوائل الذين ساهموا في تأسيس جمعية أهل الحديث بباكستان، وكان لجهوده الدعوية والسياسية أثرها البالغ على البلاد، فتولى الخطابة في جامع أهل الحديث بكجرانوالة، وترأس هيئة التدريس في الجامعة المحمدية التي أنشأها، كما عين مشرفاً على مقر جمعية تنظيم أهل الحديث بالبنجاب، ثم انتخب أميناً عاماً للجنة العمل لجمعية أهل الحديث في مؤتمر دهلي ١٩٤٦م، وبعد انفصال باكستان عن الهند عام ١٩٤٧م انتخب أميناً عامًّا لجمعية أهل الحديث بباكستان حتى وفاته ١٩٦٨م. وكان الشيخ محمد إسماعيل السلفي أحد أعضاء المجلس التنفيذي لحركة(*) ختم النبوة التي أنشئت لمقاومة الفتنة القاديانية، وعضواً بارزاً في الوفد التبليغي الذي قاوم حركة شدهي الهندوسية التي بدأت تهنّد المسلمين سنة ١٩٢٤م في منطقة مل كانون، بالإضافة إلى دوره الدعوي في التدريس والإفتاء وأمور الدعوة والإرشاد. وللشيخ مساهمات جيدة في إقامة المستوطنات ومساعدة الأسر المهجرة من الهند إلى باكستان سنة ١٩٤٧م، بالإضافة إلى بناء المساجد والمدارس الدينية، مع هذا كله فقد كان للشيخ محمد إسماعيل نشاط سياسي بارز متأثراً في ذلك بالشيخ أبي الكلام آزاد، ومن ذلك تمثيله والشيخ محمد داود الغزنوي لجمعية أهل الحديث لدى الحكومة الباكستانية للمطالبة بإقامة الحكم الإسلامي في باكستان. وفي سنة ١٩٥٢م اختير عضواً في اللجنة التي شكلت لتدوين الدستور الإسلامي بباكستان. توفي يرحمه الله يوم الثلاثاء العشرين من شهر ذي القعدة ١٣٨٧هـ الموافق العشرين من فبراير ١٩٦٨م تاركاً العديد من المؤلفات أبرزها: شرح وترجمة **مشكاة المصابيح** باللغة الأردية.

٣ ـ العلامة المحدث الأصولي أبو عبدالله محمد بن فضل الدين الغوندلوي (ت ١٩٨٥م) الذي خلف الشيخ محمد إسماعيل السلفي في رئاسة الجمعية.

٤ ـ العلامة الشيخ إحسان إلهي ظهير خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ت١٩٨٧م) وصاحب المؤلفات القيمة في الرد على أهل البدع والأهواء.

٥ ـ الرئيس الحالي للجمعية هو البروفيسور ساجد مير، اختير عضواً في مجلس الشيوخ الباكستاني بتاريخ مارس ١٩٩٤م، وأمينها العام الشيخ ميان محمد جميل.

٦ ـ ومن أبرز الشخصيات الأخرى العلامة المحدث أبو محمد بديع الدين شاه الراشدي السندي، أحد كبار علماء السنة في العصر الحاضر، وصاحب الأسانيد المتصلة إلى النبي ﷺ، وله مشاركات جيدة في علوم الكتاب والسنة تأليفاً وتصنيفاً. وقد درس في

الحرمين الشريفين، وله تلاميذ كثيرون من الهند وباكستان وغيرهما.

● في الهند:

ـ الشيخ عبدالوهاب الأروي أول رئيس لجمعية الحديث بالهند بعد التشكيل الجديد.

ـ الشيخ عبدالجليل الرحماني (ت ١٩٨٦م) أمين عام وصاحب تفسير القرآن بالأردو بالإضافة إلى إصداره مجلة **مصباح** الأردية.

ـ الشيخ عبدالحفيظ السلفي، خلف الشيخ الأروي في رئاسة الجمعية، ويتولى حاليًّا إدارة الجامعة الأحمدية السلفية في ولاية بيهار.

ـ الشيخ عبدالوحيد بن عبدالحق السلفي (ت١٩٨٩م) خلف الشيخ عبدالحفيظ السلفي في رئاسة الجمعية، بالإضافة إلى توليه الأمانة العامة للجامعة السلفية ببنارس منذ إنشائها حتى وفاته.

ـ الشيخ عبدالحميد بن عبدالجبار الرحماني، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تولى منصب الأمين العام للجمعية في فترة سابقة، ويرأس حاليًّا مركز أبي الكلام آزاد للتوعية الإسلامية بدلهي.

ـ الشيخ مختار أحمد الندوي، مدير الدار السلفية في بومباي. الرئيس السابق للجمعية، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري مؤلف الكتب العديدة أشهرها **الرحيق المختوم** في السيرة النبوية الشريفة، والرئيس الحالي للجمعية وأمينها العام الشيخ عبدالوهاب بن عبدالواحد الخلجي خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ـ تعد جمعية ندوة المجاهدين بولاية كيرالا، والممثلة في الجمعية المركزية لأهل الحديث بأربعة أعضاء، من أنشط الجمعيات السلفية في شبه القارة الهندية، فهي قد قامت بإنشاء ٢٨٠ مسجداً، و٣ جامعات، و٤٠٠ مدرسة إسلامية وعامة، وعدد من الكليات ودور الأيتام والمستشفيات ومراكز التدريب المهني، كما أنشأت ٤ جرائد ومجلات محلية، منها ما يختص بالشباب أو النساء أو الأطفال، وللجمعية تنظيم نقابي تحت مسمى جمعية الأطباء المسلمين في ولاية كيرالا.

ـ وأبرز شخصية لدى جماعة أهل الحديث بالهند الذي كان رئيس الجامعة السلفية ببنارس ومحدث الديار الهندية الشيخ عبيدالله الرحماني المباركفوري مؤلف **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، والعلامة الشيخ عبدالصمد شرف الدين، بالإضافة إلى الدكتور الأديب مقتدى حسين الأزهري وكيل الجامعة السلفية ببنارس ورئيس تحرير مجلة **صوت الأمة** ورئيس إدارة البحوث العلمية بالجامعة. بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء وطلبة العلم

البارزين في خدمة السنة والدعوة.

● في كشمير:

ـ كان لجهود الشيخ مولانا محمد حسين شاه تلميذ العلامة نذير حسين المحدث الدهلوي، ورفيق دربه الشيخ مولانا أنور شاه شوبياني ـ العالم الفرضي. أكبر الأثر في نشر دعوة أهل الحديث في كشمير.

ـ في عام ١٩٢٣م أرسل مؤتمر عموم الهند لأهل الحديث والذي عرف فيما بعد باسم الجمعية المركزية لأهل الحديث مولانا عبدالكبير وسيد شمس الدين إلى كشمير مبلغين جوالين، وبمساعيهما أمكن تنظيم حركة أهل الحديث تحت اسم مؤتمر أهل كشمير لأهل الحديث والذي عرف في عام ١٩٤٥م باسم بزم التوحيد أي دعوة التوحيد. وفي عام ١٩٤٦م تم تغيير اسم الجمعية إلى الاسم الحالي الجمعية المركزية لأهل الحديث جامون وكشمير، كما تم وضع دستور للجمعية يوضح أهدافها وينظم وسائل عملها من خلال وحدات إدارية تزيد على ٥٠٠ وحدة على مستوى الولاية، ويقدر عدد المنتسبين إليها بما يزيد على نصف مليون نسمة. واشتملت هذه الوحدات على عدد من الشعب والأقسام الرئيسة للتعليم والتربية والإفتاء والأوقاف والمساجد والبحوث العلمية والدعوة والإعلام. فأنشأت الكلية السلفية(*) أول كلية عربية إسلامية في سرينجار العاصمة، بالإضافة إلى العديد من المدارس والمعاهد الإسلامية، كما قامت ببناء ما يزيد على ٥٠٠ مسجد. كما اهتمت الجمعية بعقد الدورات المتعددة لإعداد الدعاة والمربين، وكذلك تسيير القوافل الدعوية في جميع أنحاء كشمير. وفي الفترة من عام ١٩٥٧م حتى عام ١٩٩٤م أقامت ٢٨ مؤتمراً، وفي وسط العاصمة أنشأت مكتبة المسلم العامة، التي تم تعميم فكرتها على جميع الوحدات الإدارية التابعة لها. وفي المجال الإعلامي أصدرت مجلة **المسلم**. كل هذا في محاولة للوقوف في وجه أعداء الإسلام، وترسيخاً لاعتقاد منهج السلف الصالح في العلم والعمل لتخريج العلماء الراسخين في العلم الشرعي العارفين بالثقافة العصرية لتحقيق متطلبات المجتمع.

ـ وامتداداً لحركة(*) تحريك المجاهدين التي قادها شاه إسماعيل الشهيد الدهلوي ومروراً بكتيبة الشيخ فضل إلهي الوزير آبادي محرر كشمير الحرة، تأسست حركة تحريك المجاهدين جامون وكشمير تحت إشراف الشيخ عبدالغني دار الذي اعتقل في سجون كشمير المحتلة ما يزيد على السنتين، وقيادة الشيخ تنوير الإسلام الذي تولى رئاسة مجلس الجهاد(*) الموحد المشتمل على ثلاث عشرة منظمة جهادية كشميرية لثلاث دورات متتالية حتى عام ١٩٩٣م. وتولى قيادة تحريك المجاهدين الشيخ محمد إلهي. وللحركة مجلة شهرية **الشهادة**

تصدر بالعربية والأردية لتكون لسان حال الجهاد الكشميري بصفة عامة، ولحركة تحريك المجاهدين بصفة خاصة، كما لها العديد من المشروعات الخيرية والتعليمية والدعوية لخدمة أسر المجاهدين والمهاجرين على حد سواء.

ـ ومن أبرز شخصيات الجمعية في كشمير المحتلة: الحاج محمد شهداد أول رئيس للجمعية، بالإضافة إلى العلامة مولانا غلام نبي مبارك والذي تولى بعده رئاسة الجمعية مولانا محمد عبدالغني شوبياني، والشيخ عبدالله طاوي رئيس الجمعية ورئيس حركة تحرير كشمير فيما بعد، مما سبب له الاعتقال من الحكومة الهندوسية لمدة تزيد على السنتين. ويتولى حالياً رئاسة الجمعية الشيخ سيد محمد مقبول كيلاني خلفاً للشيخ محمد رمضان صوفي.

في بنجلاديش:

ـ الشيخ نعمة الله البردواني مؤسس ورئيس جمعية أهل الحديث في منطقة آسام عام ١٩١٤م. تولى الشيخ عباس علي صاحب ترجمة معاني القرآن بالبنغالية الأمانة العامة، وفي عهدهما نشطت الجمعية في الدعوة للكتاب والسنة ومحاربة الشرك والبدع وأصدرت العديد من المجلات والرسائل الأسبوعية والشهرية.

ـ العلامة محمد عبدالله كافي القريشي تولى رئاسة الجمعية بعد مؤتمر ١٩٤٦م، وفيه اختير اسم جديد بنجيل بنغو آسام جمعية أهل الحديث، وتولى الأمانة العامة مولى بخش الندوي وعقد أكثر من مؤتمر أقر فيها الدستور، والمناهج والبرامج، واتخذ قرار تأسيس الجمعية على مستوى المناطق والمحافظات. وتحت إشرافه، أيضاً، تم إصدار مجلة **ترجمان الحديث**، كما كانت للشيخ محمد عبدالله كافي مشاركات متعددة في الجلسات والندوات السياسية الاحتجاجية التي تدعو إلى إقامة حكومة إسلامية بباكستان، وكتب في ذلك **أصول دستور الحكومة الإسلامية**، **الدستور الإسلامي لحكومة باكستان**، وعقد لذلك مؤتمراً عامًّا للأحزاب الإسلامية تحت رئاسته.

ـ الدكتور محمد عبدالباري تم انتخابه رئيساً للجمعية بعد وفاة العلامة محمد عبدالله كافي عام ١٩٦٠م، وتولى الشيخ محمد عبدالرحمن الأمانة العامة، ورئاسة تحرير مجلة **عرفات** الأسبوعية، وفي عهده واجهت الجمعية صعوبات عديدة بعد انفصال باكستان الشرقية عن الغربية عام ١٩٧٢م، وفيه تم تعديل اسم الجمعية إلى جمعية أهل الحديث بنجلاديش، وتم تشكيل ٣٦٩ فرعاً على مستوى المناطق و٥١٠٠ فرع تابع بالإضافة إلى خمس مؤتمرات مركزية.

● في نيبال:

ـ الشيخ عبدالرؤوف الرحماني، رئيس جمعية أهل الحديث في نيبال، وأمين عام جامعة سراج العلوم السلفية بنيبال، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وله مؤلفات قيمة يبلغ عددها مايقرب من (٤٥) مؤلفاً في الحديث وعلومه، والدفاع عن الحديث والمحدثين. ومن ذلك: **أدلة توحيد الله تعالى، الخلافة الراشدة، حرمة الربا والميسر**.

ـ الشيخ عبدالله عبدالتواب المدني، مؤسس مدرسة خديجة الكبرى، بنيبال ومنشىء ورئيس تحرير مجلة **نور التوحيد** الشهرية. تخرج في الجامعة السلفية ببنارس ثم من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ويعمل الآن مشرفاً عامًّا على الدعاة المبعوثين في نيبال من قبل المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى توليه مسؤولية جمعية شبان أهل الحديث بنيبال.

ـ ولأهل الحديث في شبه القارة الهندية دور كبير في كل ناحية من نواحي الحياة: دعوة وتدريساً وتصنيفاً. كما أن لهم شخصيات بارزة في مختلف المجالات العلمية سواء في العقيدة أو العبادات أو الأحوال الشخصية أو الأمور المدنية من الاقتصاد الإسلامي والسياسة الشرعية. وأبرزهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ محمد حسين البتالوي، والشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي، والشيخ عبدالله الروبري، وأخوه الشيخ الحافظ محمد حسين، والشيخ عطاء الله حنيف، والشيخ محمد صديق السرجودوي، والشيخ عبدالستار الدهلوي، والشيخ جميل الرحمن الأفغاني، والشيخ عبدالجبار الكندلوي، والشيخ محمد علي اللكوي ثم المدني، والشيخ عبدالحق ملتاني، والشيخ محمد الجوناكري، والشيخ الحافظ عبدالحي الكيلاني، والأستاذ عبدالعزيز الميمني، والشيخ عبدالسلام البستوي، والشيخ أبو القاسم البنارسي، والشيخ محمد السورتي، والشيخ عبدالجليل السامرودي، والشيخ محمد أشرف سندهو، والشيخ عبدالقادر القصوري، والشيخ محمد عبده الفلاح، ومولانا معين الدين اللكوي، والحافظ عبدالرحمن المدني، والحافظ محمد سعيد.

الأفكار والمعتقدات:

عقيدة أهل الحديث هي عقيدة السلف الصالح «أهل السنة والجماعة» نفسها، المبنية على الكتاب والسنة، وتقوم الأصول العلمية والقواعد المنهجية لجماعة أهل الحديث على:

التوحيد: فأهل الحديث، إيماناً منهم بأن التوحيد هو أصل الدين، يبدؤون عملهم بنشر التوحيد الخالص، وغرسه في قلوب الناس، مع تفصيل أنواع التوحيد الثلاثة وخاصة توحيد الألوهية، الذي يخطىء فيه كثير من الناس مع إيمانهم بتوحيد الربوبية وما يقتضيه من

الحاكمية لله تعالى، ولا يكتفون بإقرار وتطبيق النظام السياسي الإسلامي فقط، وإنما أن يكون الله جل وعلا هو الحاكم للفرد في تصوره وسلوكه وسائر أموره الحياتية، بما فيها من تشريع ووضع القوانين.

الاتبّاع: أهل الحديث يركزون على اتباع ما صح عن النبي ﷺ، على ضوء فهم السلف الصالح، ولذلك لا يرون التقليد(*) الجامد الذي يدعو إلى الالتزام بمذهب فقهي معين بدون سؤال عن الدليل، بل ينادون بفتح باب الاجتهاد(*) لكل من تحققت لديه شروطه، وأن العامي مذهبه مذهب(*) مفتيه، ويدعون إلى احترام العلماء المجتهدين والأئمة المتبعين بشكل خاص.

تقديم النقل على العقل(*): يقدمون الرواية على الرأي، إذ يبدؤون بالشرع ثم يخضعون له العقل؛ لأنهم يرون أن العقل السليم يتفق مع نصوص الشرع الصحيحة، ولذلك لا تصح معارضة الشرع بالعقل ولا تقديمه عليه.

التزكية الشرعية: أي تزكية النفس تزكية شرعية، بحيث يتخذ لها الوسائل المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة، وينكرون على أتباع التزكية البدعية سواء كانت صوفية أو غيرها.

التحذير من البدع: لأنهم يرون أن أمر الابتداع في الحقيقة استدراك على الله وتشريع بالرأي والعقل، ومن ثم يدعون إلى الالتزام بالسنة وتجنب أنواع البدع(*) كلها.

التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة: فإن خطورة هذا النوع من الحديث كبيرة على الأمة، فلابد من التحري في الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ، وخاصة فيما يتعلق بالعقائد والأحكام.

الجهاد(*) في سبيل الله: يرى أهل الحديث أن الجهاد من أفضل الأعمال، وأنه ماض إلى يوم القيامة؛ لإعلاء كلمة الله تعالى ودفع الفساد من الأرض، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

تطبيق النظام الشرعي: بالسعي لتأصيله وإقراره في جميع مجالات الحياة الشخصية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية وما إلى ذلك بالطرق الشرعية.

يعتقد أهل الحديث أنه بتحقيق التوحيد الخالص لله رب العالمين، وبالعمل الموافق لسنة النبي ﷺ، وهديه يتحقق النصر والتمكين، فهما شرطا قبول الأعمال. وهما، أيضاً، شرطا النصر والتمكين وعودة الخلافة(*) الإسلامية حسب الوعد الإلهي ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ الآية [النور: ٥٥] . ولذلك فهم يسعون بالدعوة بالوسائل الشرعية على أساس تصفية التوحيد من البدع(*) والانحرافات العقدية والسلوكية وتصفية الأحاديث من الموضوعات وتربية الأمة على ذلك.

محاربة الفرق الضالة المنحرفة مثل الشيعة والقاديانية والبريلوية والبابية والبهائية، والصوفية، وغيرها، والتصدي لحملات الأفكار الهدامة المعاصرة المعادية للإسلام، مثل العلمانية والرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وغيرها باتخاذ كل الوسائل المشروعة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

جماعة أهل الحديث تستمد الأحكام من الكتاب والسنة، على طريقة الفقهاء المحدثين من السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

كما أن أهل الحديث مولعون بكتب السلف الصالح عامة وبكتب ومؤلفات إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن قيم الجوزية والإمام محمد بن عبدالوهاب يرحمهم الله تعالى، كما ينشرون كتب أعلام الدعوة السلفية(*) المعاصرين كالشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز مفتى عام المملكة العربية السعودية الحالي، والمحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تتركز جماعة أهل الحديث في كل من بلاد الهند وباكستان وبنجلاديش ونيبال وكشمير وسيرلانكا وجزر فيجي، ولهم مركز في بريطانيا، وجمعياتهم في هذه الدول كلها معروفة باسم جمعية أهل الحديث.

- في كل دولة من هذه الدول المذكورة يوجد مركز للجمعية تتبعه فروع موزعة حسب الولايات والمديريات.

إلا أن للجمعية قيادة مستقلة في كل دولة، وذلك أمر إداري بحت، لكن يجمعهم جميعاً المنهج السلفي الموحد الذي تتبناه الجمعية في الأصل.

تعمل الجمعية في ولاية كيرالا بالهند من خلال خمس جمعيات إصلاحية سلفية:

١ ـ ندوة المجاهدين: ويتركز جل عملها في الدعوة بين عامة الناس وخاصتهم، وهي الجمعية الأم للأجنحة الأخرى، وعدد الفروع: ٤٧٥ فرعاً.

٢ ـ جمعية العلماء بكيرالا وتعمل في الإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد.

٣ ـ اتحاد الشبان المجاهدين: مجال عمله قطاع الشباب (دعوة، تربية. . .) عدد

الفروع: ٤٧١ فرعاً.

٤ ـ حركة(*) الطلبة المجاهدين: تعمل بين الطلاب في مختلف المراحل الدراسية ويبلغ عدد فروعها: ٢٢٧ فرعاً.

٥ ـ جمعية(*) البنات والسيدات المسلمات: ويبلغ عدد فروعها ١٢٧ فرعاً.

ـ لجمعية أهل الحديث علاقة مع بعض الجمعيات الأخرى خارج شبه القارة الهندية، التي تتفق معها في الأصول والمنهج(*)، مثل جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة بأفغانستان، والجمعية المحمدية بأندونيسيا وسنغافورة وماليزيا، وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر والسودان وأريتريا، وجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، وجمعية دار البر بدبي، وغيرها من الدعوات السلفية(*) المنتشرة في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى عضوية جمعيات أهل الحديث في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي والمجلس الإسلامي العالمي بلندن، والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة.

يتضح مما تقدم:

أن جمعية أهل الحديث من أقدم الجمعيات والجماعات الإسلامية في شبه القارة الهندية، ومن مقاصدها الأولية تصفية الإسلام من البدع(*) والانحرافات، ودعوة الناس إلى اتباع منهج السلف الصالح في مجال العلم والعمل، واختيار طريقة الفقهاء المحدثين في المسائل الفقهية من اتباع الدليل، ونبذ التعصب المذهبي بصوره وأشكاله كافة. وكان لها على المسلمين أياد بيضاء، فحفظ الله بهم السنة وعلوم الحديث في وقت ضعفت فيه الحركة العلمية في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر الهجري حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل القرن الرابع عشر. يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق...» ويقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني من تلاميذ الشيخ أنور شاه الكشميري الديوبندي: «إن اعتناء أحناف شبه القارة الهندية بالنبعين الأساسيين للدين: الكتاب والسنة، فيه دخل كبير لحركة أهل الحديث ورفض التقليد، وإن لم يترك عامة الناس التقليد إلا أنه قد تحطم سحر التقليد الجامد والاعتماد الأعمى». وقد كان للجمعية في باكستان دور بارز في مساعدة حركة الجهاد الأفغاني.

مراجع للتوسع:

- **الحركة السلفية في الهند**: عبدالوهاب خليل الرحمن (رسالة دكتوراه غير مطبوعة). عربي
- **الحركة السلفية في البنغال** محمد مصلح الدين (رسالة ماجستير).

- **مجلة الأمة القطرية** العدد ٣٠ عام ١٤٠٤هـ ديسمبر ١٩٨٣م.
- **جهود مخلصة في خدمة السنة** د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، طبع الجامعة السلفية ببنارس ١٤٠٦هـ. عربي
- **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم** د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي ط. الجامعة السلفية ببنارس ١٤١٣هـ. عربي
- **دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية**، أبو المكرم بن عبدالجليل السلفي ط. مكتبة دار السلام بالرياض ١٤١٣هـ. عربي
- **جمعية أهل الحديث المركزية بالهند** ـ نشأتها وأهدافها، جمعية أهل الحديث بالهند ط، المطبعة السلفية ببنارس.
- **تراجم علماء أهل الحديث في الهند**، أبو يحيى إمام خان النوشهروي ط. لاهور ١٣٩١هـ.
- **سياسيات بر صغير مين أهل الحديث كاحصه** محمد أسلم، الفيروزفوري «مساهمة أهل الحديث في سياسية شبه القارة الهندية». ط جامعة تعليم الإسلام مامونكانجن ـ باكستان، أردو.
- **جماعة أهل الحديث كي تصنيفي خدمات**، محمد مستقيم السلفي، ط الجامعة السلفية ببنارس ١٤١٢هـ.
- **جماعة أهل حديث كي تدريسي خدمات**، عابد حسن الرحماني، وعزيز الرحمن السلفي ط. الجامعة السلفية ببنارس ١٤٠٠هـ.
- **التذكار** ـ المؤتمر الدولي السادس ١٩٩٢م ـ د. محمد عبدالرحمن، جمعية أهل الحديث بنجلاديش، عربي
- **تاريخ أهل الحديث** جامون وكشمير الكلية السلفية، عربي
- **أثر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية في الحركات الإسلامية المعاصرة** صلاح الدين مقبول أحمد ط. مجمع البحوث العلمية الإسلامية ـ نيودلهي عربي.
- **الخلافة الراشدة** ـ عبدالرؤوف الرحماني.
- **تاريخ أهل الحديث** للشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي.
- **تاريخ أهل الحديث** للشيخ أحمد الدهلوي
- **فقهاء الهند** محمد إسحاق البهتي ـ تسعة مجلدات.
- **الجهود التأليفية لعلماء أهل الحديث**؛ الشيخ أبو يحيى إمام خان النوشهروي.
- **مجلة صوت الأمة** ـ تصدرها الجامعة السلفية ببنارس.
- **مجلة أهل الحديث** ـ تصدر من أمرتسرو ـ لاهور ـ دهلي.

١٨ـ جماعة أنصار السنة المحمدية

التعريف:

جماعة أنصار السنة المحمدية: جماعة إسلامية سلفية(*) قامت في مصر أولاً ثم انتشرت في غيرها للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة؛ لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات شرطاً لعودة الخلافة(*) ونهضة الأمة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مر تاريخ جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر بمرحلتين تاريخيتين هما:

مرحلة التأسيس:

تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة، على يد الشيخ محمد حامد الفقي وبمشاركة مجموعة من إخوانه: الشيخ محمد عبد الوهاب البنا، ومحمد صالح الشريف، وعثمان صباح الخير، وحجازي فضل عبد الحميد، في الوقت الذي كانت تعج فيه مصر ومعظم بلدان العالم الإسلامي بالشركيات والبدع(*) والخرافات بسبب تسلط التصوف والصوفية على المناحي الفكرية والمؤسسات الدينية، فكان تأسيس الجماعة للدعوة لتجديد الدين(*) على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة ومحاربة الشرك والبدعة في صورها كافة.

ـ نشأ الشيخ محمد حامد الفقي عام ١٣١٠هـ ـ ١٣٧٨هـ (١٨٩٢م ـ ١٩٥٩م) في بيت علم ودين، فكان والده زميلاً في الدراسة للشيخ محمد عبده. وفي عام ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م بدأ الشيخ محمد حامد الفقي دراسته الأزهرية، وما بلغ سن الثامنة عشرة من عمره حتي نبغ والتف حوله أقرانه واتخذوه شيخاً لهم.

ـ في عام ١٩١٧م حصل الشيخ على شهادة العالمية من جامعة الأزهر، وانطلق بدعوته إلى التوحيد الخالص والدفاع عن السنة من خلال مسجد شركس بالقاهرة الذي تولي إمامته ثم من مسجد هدّارة الذي ظل إماماً له حتى وفاته. ومن خلال المقاهي والمنتديات في القاهرة زاد التفاف الناس حول دعوته مما عرضه وأتباعه إلي المزيد من المضايقات والاضطهاد من أصحاب الطرق الصوفية وأهل الضلال.

- بدأ التفكير بجدية في إنشاء جمعية أو دار تحمل فكرتهم وتنشر مبادئهم، وافتتحت في ديسمبر ١٩٢٦م تحت اسم «دار جماعة أنصار السنة المحمدية» واختير الشيخ محمد حامد الفقي رئيساً لها، فأخذت الدعوة بعداً آخر وزاد عدد أتباعها، مما أثار حنق بعض كبار موظفي قصر الحكم بعابدين على الشيخ، فعملوا بكل السبل لصد الناس عنه وعن دعوته، لدرجة دفع بعض المأجورين لمحاولة قتله. وأثناء سفر المؤسس إلى الحجاز لمدة ثلاث سنوات اعترت الجماعة فترة ركود.

- وبعد عودة الشيخ من الحجاز دب النشاط في الجماعة مرة أخرى، إذ وضع لها قانوناً وكوّن لها إدارات جديدة، فزاد عدد الفروع داخل القاهرة والجيزة وانتقلت إلى الإسكندرية وبعض المحافظات وبلغ أتباعها الآلاف.

- بعد أن استوى عود الجماعة وبلغت الجماعة أشدها، أسس الشيخ محمد حامد الفقي مجلة **الهدي النبوي** لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة عن عقيدتها ودعوتها والناطقة بمبادئها. وتولى هو رئاسة تحريرها، وشارك في تحريرها مجموعة من العلماء المعروفين أمثال المحدث الشيخ أحمد شاكر، والأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وغيرهم.

- مع تطور أعمال الجماعة الدعوية أنشأ الشيخ الفقي مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف وبوجه خاص كتب ابن تيمية وابن القيم، فجمعت محبته لهما بينه وبين شيخي الأزهر الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم، اللذين أيدا دعوة الشيخ الفقي.

- شارك الشيخ حامد الفقي المجاهدين جهادهم(*) ضد الاحتلال البريطاني لمصر إبان الحرب العالمية الثانية، كما ساهم في طباعة المنشورات ضد الاحتلال البريطاني لمصر.

- اشتد الصراع بين الجماعة وأصحاب الطرق الصوفية من ناحية وبين الجماعة وأصحاب دعوات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى، فعلا صوت الشيخ في الإنكار عليهم وعلى واضعي القوانين الوضعية(*)، إذ يقول: «من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء، والفروج، والأموال، ويقدمها على ما علم وتبينَّ له من كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، فهو بلا شك كافر مرتد، إذا أصر عليها، ولم يرجع الى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها»، إذ كان من أهم صفاته تسمية الأشياء بأسمائها بدون مداهنة في القول أو مجاملة في الحق، إذ كان يسمي المجاملة في الحق نفاقاً ومداهنة، ويسمي السكوت عن قول الحق جبناً وذلاً، مما زاد في اضطهاده من أهل الباطل وتعرضه للنقل من وظيفته أكثر من مرة.

ـ توفي يرحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩م في دار الجماعة، إذ نقل إليها حسب رغبته لصلاة الفجر على أثر عملية جراحية أجريت له.

ـ وقد نعاه بعض رؤساء وعلماء الدول الإسلامية والعربية وشيعه جمع غفير من علماء ومشايخ الأزهر وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن تاج وشيخ الأزهر الشيخ حسنين مخلوف.

● تواكب على رئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها مجموعة من العلماء البارزين أمثال:

ـ الشيخ عبد الرزاق عفيفي: (١٣٢٣-١٤١٥هـ) (١٩٠٤ـ١٩٩٤م) الذي حصل على شهادة التخصص في الفقه وأصوله (الماجستير) ثم العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر وعمل مدرساً في المعاهد الدينية الأزهرية. كما عاصر تأسيس الجماعة، ويعد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من كتاب العدد الأول في مجلتها **الهدي النبوي** وأحد علماء أول هيئة لكبار العلماء بالجماعة، مع جمع من العلماء الكبار أمثال: الشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد الحليم الرمالي، والشيخ حامد الفقي.

ـ اختير نائباً أول لرئيس الجماعة في صفر ١٣٦٥هـ الموافق فبراير ١٩٤٦م، في الوقت الذي كان فيه رئيس الجماعة لفرع محرم بك بالإسكندرية.

ـ وبطلب خاص من مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم، سافر الشيخ ومعه الشيخ محمد خليل هراس إلى السعودية للتدريس بدار التوحيد بالطائف. وفي عام ١٣٧٠هـ نقل للتدريس بالمعاهد العلمية وكلية الشريعة بالرياض.

ـ في ٢٤ صفر ١٣٧٩هـ ٢٩ أغسطس ١٩٥٩م اختير الشيخ عبد الرزاق عفيفي بالإجماع رئيساً عاماً للجماعة خلفاً للشيخ حامد الفقي ـ بعد وفاته، واختير الشيخ عبدالرحمن الوكيل رئيساً لتحرير مجلة **الهدي النبوي**.

ـ في عام ١٣٨٠هـ انتدب مرة أخرى للتدريس في المملكة العربية السعودية، وتدرج في سلك التدريس إلى أن أصبح مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ، كما شارك في اللجان المتخصصة لوضع مناهج(*) التعليم بالمملكة. وفي عام ١٣٩١هـ نقل إلى الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وعين نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مع جعله عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية وظل يشغله حتى يوم وفاته (٢٥ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١ أغسطس ١٩٩٤م) ـ يرحمه الله تعالى. وقد تخرج علي يديه جيل من علماء المملكة والعالم الإسلامي المعروفين مثل: الشيخ عبد الله بن جبرين، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ عبدالله بن حسن بن قعود، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ عبد الله بن غديان، والشيخ صالح السدلان، والدكتور

صالح الفوزان، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والشيخ مناع القطان وغيرهم . . . وطيلة هذه الفترة لم تنقطع صلته بالجماعة.

ـ الشيخ عبد الرحمن الوكيل: (١٣٣٢هـ ـ ١٣٩٠هـ) (١٩١٣ ـ ١٩٧١م): تلقى تعليمه في الأزهر وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين، ولم يكمل دراسته العليا لمرضٍ ألم به، على الرغم مما يتمتع به من سعة الاطلاع وقوة اللغة ووضوح المعنى وجمال البلاغة.

ـ في عام ١٩٣٦م التحق بجماعة أنصار السنة المحمدية بتزكية خاصة من السيدة نعمة صدقي صاحبة كتاب التبرج، إذ شارك بعدها في أعمال الجماعة المختلفة إلى أن أصبح وكيلاً أول للجماعة وزادت مكانته الخاصة عند الشيخ محمد حامد الفقي. وقد عرفه قراء مجلة الهدي النبوي بقدرته الفائقة على الإقناع، وإفحام خصومه من أصحاب الطرق وأهل الأهواء والفرق من قاديانية وبهائية وغيرهم من خلال سلسلة الأبحاث التي كان يحررها تحت عنوان «طواغيت»(*) ولذلك لقبه قراء المجلة «بهادم الطواغيت»، مما عرضه للتحقيق أمام النيابة العامة بسبب شكاوى مشايخ الطرق الصوفية ضده، التي رد عليها في كتابه **رسالة إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية** التي صدرت فيما بعد بعنوان **هذه هي الصوفية** وترجمت إلى اللغة الأندونيسية. كما توالت الردود، أيضاً، من أنصار السنة في السودان وجماعة الدعوة المحمدية للصراط المستقيم في حلب بسوريا، برئاسة الشيخ محمد نسيب الرفاعي.

ـ انتدب للعمل بالمعهد العلمي بالرياض بصحبة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا ـ أحد المؤسسين الأوائل للجماعة - عام ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

ـ بعد انتخاب الشيخ عبدالرزاق عفيفي رئيساً عامًّا للجماعة عين الشيخ الوكيل نائباً له في ٢٢ صفر ١٣٧٩هـ ـ ٢٧ اغسطس ١٩٥٩م، وبعد سفر الشيخ عبد الرزاق عفيفي الى السعودية انتخب رئيساً عامًّا للجماعة في ١٥ من المحرم ١٣٨٠هـ ـ ٩ يوليو ١٩٦٠م وانتخب الدكتور محمد خليل هراس نائباً له.

ـ في عام ١٩٦٩م دمجت الحكومة المصرية جماعة أنصار السنة المحمدية في الجمعية الشرعية لتجمد نشاطها، وبذلك توقفت مجلة **الهدي النبوي** التي كان يشغل الشيخ الوكيل رئاسة تحريرها. وفي تلك الأثناء انتدب الشيخ الوكيل للتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة وظل يشغل وظيفة أستاذ للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلى أن توفي يرحمه الله في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧١م مخلفاً تراثاً علمياً ما بين التأليف والتحقيق يدل على مكانته العلمية العالية.

إعادة الإشهار:

● يعد الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي المعروف بـ «رشاد الشافعي» (١٣٣٨ ـ ١٤١١هـ) (١٩١٩م ـ ١٩٩٠م) المؤسس الثاني للجماعة الذي كان يشغل منصب سكرتير عام للجماعة والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها، بجانب عمله مديراً عاماً لمديرية التموين بمحافظة الجيزة، إذ بذل قصارى جهده في السعي لإعادة إشهار الجماعة مرة أخرى وقد تم له ذلك في عهد رئيس مصر السابق أنور السادات في عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٢م.

ـ وبعد ثلاث سنوات ١٣٩٣هـ من إعادة الإشهار أصدر العدد الأول من مجلة **التوحيد** لتكون بديلاً عن مجلة **الهدي النبوي**، وتولى هو رئاسة تحريرها، ثم الشيخ عنتر حشاد، ومن بعده تولى الشيخ أحمد فهمي رئاسة تحريرها. ومن ثم عاد نشاط الجماعة إلى سابق عهده، وزاد عدد أتباعها وكثر عدد الفروع المنتسبة إليها.

● في عام ١٩٧٥م وفي حياة المؤسس الثاني للجماعة الأستاذ محمد رشاد الشافعي تم انتخاب الشيخ محمد علي عبدالرحيم رئيساً للجماعة خلفاً له، ومن ثم ترأس فرع الجماعة بمحافظة الجيزة حتى وفاته عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

ـ ولد الشيخ محمد علي عبدالرحيم بمحافظة الإسكندرية، وحفظ القرآن الكريم في صغره ثم التحق بمدرسة المعلمين بالإسكندرية، إذ تخرج منها عام ١٩٢٣م، وظل يعمل في حقل التعليم، وقد رقي في الوظائف التعليمية المختلفة حتى صار موجهاً.

ـ في عام ١٩٤٣م أسس جماعة إخوان الحج بالإسكندرية ومن خلالها تعرف على الشيخ محمد حامد الفقي عام ١٩٤٨م أثناء إحدى رحلات الحج.

ـ جمع حبه للسنة والتوحيد بينه وبين الشيخ محمد عبدالسلام الشقيري صاحب كتاب **السنن والمبتدعات** والشيخ أبي الوفاء درويش علامة الصعيد، والشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي وعلى أيديهم انتشرت دعوة التوحيد في الإسكندرية وما حولها.

ـ يعد الشيخ أحد العلماء المبرزين في الاهتمام بالسنة، مع براعته ونبوغه في علم الجغرافيا. وكان له دور بارز في تأسيس المعاهد العلمية ووضع مناهجها بالمملكة العربية السعودية، ويذكر أنه ظل لسنوات طويلة يدرّس بالحرم المكي.

ـ تولى رئاسة الجماعة في حياة رئيسها السابق نتيجة لانتخابه من أعضاء الجمعية العمومية. وفي عهده توسعت الجماعة في بناء المراكز الإسلامية التي تقدم خدمات متكاملة لعموم المسلمين، وبناء المستشفيات والمستوصفات الإسلامية بالإضافة إلى تقديم المساعدات والكفالات للأيتام والمحتاجين، وتضاعفت أعداد مجلة **التوحيد** في عهده من ٥

آلاف إلى ٣٦ ألف نسخة.

ـ كان لدروس الشيخ وعلماء الجماعة أثرها البالغ على الشباب وبخاصة بجامعتي الإسكندرية والقاهرة، إذ عمقت مفاهيم الدعوة والمنهج(*) السلفي(*) الذي قاد تيار الصحوة الإسلامية الذي يدعو إلى التوحيد ويبين السنة ويحارب الشرك ويدحض البدعة. وأصبح الكتاب الإسلامي السليم واسع الانتشار، بعد أن كان سوق الكتاب حكراً على كتب الصوفية وأهل الأهواء والتغريب، وعاد الحجاب وانتشرت الفضيلة، وانحسر تيار التصوف في بيئات محدودة.

ـ وفي فترة رئاسة الشيخ محمد علي عبد الرحيم عادت مؤتمرات الجماعة لسابق عهدها، فعقد المؤتمر الأول للدعاة، وتصدت مجلة **التوحيد** تحت رئاسة رئيس تحريرها الشيخ أحمد فهمي لتيار التغريب والعلمنة وكشفت رموز التيار الرافضي(*) والباطني(*) المتنامي في وقتها. بالإضافة إلى بيان الحكم الشرعي في كثير من الأحداث والمشكلات المستجدة على الساحة المصرية والإسلامية بوجه عام.

ـ نال رجال الجماعة والكثير من أعضائها مانال غيرهم من التضييق والاضطهاد والاعتقال في أكثر من مناسبة.

● انتخب الشيخ صفوت نور الدين الرئيس العام الحالي للجماعة، خلفاً للشيخ محمد علي عبد الرحيم بعد وفاته ١٩٩١م. والشيخ صفوت أحد العلماء المهتمين بالسنة النبوية وعلومها، وقد تميزت فترة رئاسته بالاهتمام بإنشاء المعاهد العلمية لتخريج الدعاة، وتقديم الكفالات لطلاب العلم، كما توسعت الجماعة في إنشاء المساجد وتسيير القوافل الدعوية وإنشاء مراكز تحفيظ القرآن وإقامة الأسابيع الثقافية بشكل دوري في جميع فروع الجماعة على مستوى القطر المصري، في الوقت الذي لم تهمل الاهتمام بتقديم المساعدات الاجتماعية المختلفة للمحتاجين وكفالة اليتيم، بالإضافة إلى التصدي لمكافحة جميع أشكال التغريب والعلمنة للمجتمع المصري، مع الاهتمام بإبراز قضايا المسلمين والأقليات الإسلامية والتعريف بها من خلال مجلة **التوحيد**، التي رَأَس تحريرها الشيخ صفوت الشوادفي.

ـ كما شهدت فترة رئاسته تنسيقاً وتقارباً مع الهيئات الإسلامية الرسمية مثل الأزهر ووزارة الأوقاف. وقد شاركت الجماعة بصفة عضو مراقب في اجتماعات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة.

● برز خلال مسيرة الجماعة عدد من العلماء المشهورين أمثال: الشيخ عبد الظاهر أبو

السمح إمام الحرم المكي ومؤسس ومدير دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، والشيخ عبد الرزاق حمزة عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية سابقاً، والشيخ أبو الوفا درويش رئيس فرع الجماعة بسوهاج، والدكتور محمد خليل هراس أستاذ العقيدة بجامعتي الأزهر وأم القرى، والشيخ محمد عبد الوهاب البنا المدرس بالحرم المكي والدكتور محمد جميل غازي الرئيس العام للجماعة سابقاً، وغيرهم.

● **الهيكل الإداري للجماعة:**

ـ الرئيس العام للجماعة: وهو الذي ينتخب من قبل الجمعية العمومية للجماعة.

ـ الجمعية العمومية للجماعة: ويمثل فيها عن كل فرع عضوان فقط، ما عدا القاهرة، إذ يمثلها خمسة عشر عضواً، والإسكندرية ويمثلها سبعة أعضاء وذلك لاتساعهما وكثرة عدد الفروع فيهما.

ـ مجلس إدارة الجماعة: وهو الذي ينتخب من بين أعضاء الجمعية العمومية للجماعة ويتكون من الرئيس ونائبه، والوكيل، والسكرتير العام، وأمين الصندوق، وعشرة من الأعضاء.

ـ الهيئة التنفيذية: وهي المعينة من قبل أعضاء مجلس الإدارة وتشمل إدارات: التخطيط والمتابعة، والدعوة والإعلام، والبحث العلمي، والمشروعات الدعوية والإغاثية، والمالية، والعلاقات العامة، والفروع، والشباب، والشؤون القانونية.

في السودان وأريتريا:

● بدأت الجماعة كمجموعة صغيرة تدعو إلى التوحيد في سنة ١٩٣٥م علي يد الشيخ أحمد حسون الذي تلقى الدعوة من الشيخ عبد الرحمن بن حجر المغربي الجنسية، إذ انتظم في حلقاته التعليمية ١٩١٧م بمدينة النهود بجنوب غرب السودان.

ـ التقى الشيخ أحمد حسون الشيخ محمد الفاضل التقلاوي الذي تلقى الدعوة على يد الشيخ عوض الكريم الأزهري الحاصل على العالمية من الأزهر وتلميذ حلقات الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا. واتفقا على قيام جماعة تدعو إلى التوحيد والسنة تحت مسمى أنصار السنة المحمدية تأسياً بجماعة أنصار السنة في مصر التي كانت تصلهم مجلتها **الهدي النبوي**، وتولى رئاسة الجماعة الشيخ محمد الفاضل التقلاوي للفترة من (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨م) ومن ثم توطدت علاقة الجماعة بالمركز العام في مصر، وأصبح لعلماء الجماعة في مصر زيارات ومحاضرات لفرع الجماعة بالخرطوم. في عام ١٩٤٨م انتدب الشيخ التقلاوي

للعمل كمدرس في المدارس العربية في أريتريا، فانتخب الشيخ عبدالباقي يوسف نعمة، مدير جمعية المحافظة على القرآن الكريم في أم درمان والحاصل على الشهادة العالمية من الأزهر، رئيساً للجماعة خلفاً للشيخ التقلاوي.

● في عام ١٩٥٦م تولى رئاسة الجماعة الشيخ محمد هاشم الهدية ـ الرئيس الحالي للجماعة ـ الذي بدأ حياته متصوفاً في الطريقة الختمية ثم العزائمية ومن خلال حضوره لدروس الشيخ عبدالباقي يوسف نعمة آمن بدعوة أنصار السنة وانخلع من التصوف وأصبح عضواً فعالاً في الجماعة إلى أن تولى رئاستها فخطا بها خطوات واسعة نحو المشاركة في الحياة العامة، وتنامت في عهده علاقات الجماعة الداخلية والخارجية، فقد شارك ممثلاً لأنصار السنة في السودان في تكوين رابطة العالم الإسلامي ١٩٦٢م، كما شارك في مؤتمر كراتشي ١٩٦٣م تحت رئاسة المفتي أمين الحسيني، وكان أحد المؤسسين للمركز الإسلامي الإفريقي «جامعة أفريقيا العالمية» بالخرطوم ١٩٦٥م. وقد سافر آنذاك إلى بعض الدول الأفريقية (كينيا، تنزانيا) وأحضر عدداً من الطلاب لتعليمهم في المركز وتأهيلهم للدعوة في بلادهم.

ـ ومن أبرز جهود الجماعة في عهده:

١ـ قامت الجماعة بدور بارز في فضح أفكار وعقائد غلاة الصوفية التي مازالت صاحبة النفوذ القوي في المجتمع السوداني، مما عرض الجماعة للعديد من المضايقات، والاضطهاد، وذلك بالإضافة الى تحذير المسلمين من عقائد الرافضة(*) والمعتزلة والخوارج(*) والاتجاهات الباطنية(*) والعقلانية والعلمانية بصورها المختلفة.

٢ـ كان للجماعة حضور وتفاعل في الحياة العامة السودانية: فقد شاركت في الجبهة الإسلامية للمطالبة بدستور إسلامي في السودان ١٩٥٧م، وكذلك شاركت في جبهة الميثاق الإسلامي ١٩٦٤م، وفي الانتخابات النيابية ١٩٨٦م قامت بدعم المرشحين الإسلاميين وأقامت الندوات والمحاضرات لتبصير الناس بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً للحكم، وللتحذير من أهل العلمنة والتغريب والفجور ومن مناهجهم الباطلة، كما عقدت مؤتمراً كبيراً ١٩٨٩م حول عدد من القضايا من ضمنها: قضية المشاركة في الحياة السياسية الديمقراطية وحكمها الشرعي.

٣ـ تعد الجماعة من أوائل من نادى بالجهاد(*) في الجنوب ضد جون قرنق وعصابته.

٤ـ وفي مجال الدعوة إلى الله تعالى اشتهرت الجماعة بإقامة حلقات للدعوة في الأسواق والساحات العامة وأماكن التجمع في المدن والقرى على حد سواء، بجانب تسيير القوافل

الدعوية والإغاثية للمناطق النائية، بالإضافة إلى إقامة الأسابيع الثقافية في مختلف فروع الجماعة التي تتضمن، بالإضافة إلى المحاضرات والندوات، ملصقات توجيهية ومعارض وكتباً، وتوزيعاً للحجاب الشرعي. وقامت بحفر الآبار وإقامة المشروعات الاجتماعية. كما قامت بنشر وتوزيع كميات كبيرة من الكتب والرسائل الإسلامية وبخاصة المتعلقة بتصحيح العقيدة والعبادات، والدعوة إلى السنة، والتحذير من البدعة(*). وفي الوقت ذاته لا تهمل الجماعة المرأة، إذ خصصت لها برامج خاصة، إيماناً منها بأهمية دورها الاجتماعي والتربوي في المجتمع.

٥ـ وفي مجال مقاومة التنصير فإن للجماعة دوراً بارزاً في بث الدعوة في أوساط الجنوبيين من وثنيين(*) ونصارى، مما أدى إلى إسلام الكثير منهم ـ بفضل الله تعالى ـ وقيامهم بنشر الإسلام وبناء المساجد في مناطقهم. هذا بالإضافة إلى المناظرات مع النصارى، ومن أشهرها المناظرة التي نظمتها الجماعة عام ١٩٧٩م مع ثمانية عشر قسيساً، لعدة أيام وانتهت بإعلان إسلامهم جميعاً على يد مجموعة من علماء المسلمين، وعلى رأسهم الدكتور محمد جميل غازي نائب الرئيس العام للجماعة في مصر واللواء أحمد عبدالوهاب.

● وللجماعة هيكل إداري مستقل يماثل الهيكل الإداري للمركز العام للجماعة في مصر مع الاختلاف في بعض المسميات.

● انتشرت دعوة أنصار السنة في العديد من البلدان الأفريقية مثل أرتيريا وأثيوبيا وتشاد وأفريقيا الوسطى بواسطة الطلاب الأفارقة الذين يدرسون في الجامعات السودانية أو أثناء الإقامة بالأراضي السودانية أو المروربها إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، أو بسبب نزوح اللاجئين من تلك الدول أثناء الحروب والمجاعات، إذ تعرفوا على الدعوة ونقلوها إلى بلادهم.

● في عام ١٤٠٥هـ تم إصدار مجلة **الاستجابة** لتكون لسان حال الجماعة.

● ومن أبرز علماء الجماعة في السودان ودعاتها:

ـ الشيخ أبو زيد محمد حمزة الذي تلقى الدعوة على يد الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة في مصر، وعلى أيدي علماء الجماعة. وقد ظل بمصر حتى وفاة الشيخ الفقي ١٩٥٩م فعاد إلى السودان وأخذ ينشر الدعوة في مدينته «وادي حلفا» والمناطق المجاورة لها، وكان للمرأة من دروسه نصيب، إذ خصص لها أماكن خاصة في دروسه، فالتف الناس حوله وزاد أتباعه مما أثار أتباع الطريقة الختمية ضده. وفي سنة ١٩٧٧م بث التلفزيون السوداني مناظرة بينه وبين الشيخ علي زين العابدين أحد أقطاب الطريقة الختمية

التي بين فيها زيف مبادئهم وبطلان معتقداتهم، فكان لها أثر كبير في انتشار دعوة الجماعة أكثر في المجتمع السوداني.

ـ الشيخ محمد الحسن عبد القادر: تلقى الدعوة عام ١٩٤٦م على يد الشيخ محمد الطيب خريج دار الحديث بمكة وتلميذ الشيخ عبدالظاهر أبو السمح. وقد تأثر به إذ كان للشيخ الطيب نشاط ملموس في الدعوة إلى الله في مدينة أغوردات بأريتريا ومن ثم تبعه تلميذه الشيخ محمد الحسن في ذلك. وهذا عرضه للكثير من الصعوبات والمشاق من أصحاب الطرق الصوفية فانتقل بدعوته إلى مدينة كرن ثم أسمرا، إذ عمل مدرساً بمدرسة الجالية العربية فيها، ومن خلال التدريس بها استطاع نشر دعوته في المنطقة. ومن أبرز جهوده في تلك الفترة توحيده لأنصار السنة في إريتريا، كما نظم جهودهم ومناشطهم فظهرت دعوتهم في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية بالمنطقة، بالإضافة إلى دورهم البارز في الجهاد(*) الأرتيري ضد الاحتلال الأثيوبي وأعوانه.

وفي عام ١٩٦٣م استقر الشيخ في منطقة كسلا بالسودان وفيها واصل دعوته فظهرت آثار الجماعة في كسلا وبورتسودان وشرق السودان. ومما يذكر للشيخ نشاطه الدعوي في عدد من الدول الأفريقية مثل: المغرب، وموريتانيا، وغانا، وأثيوبيا، وغينيا، ونيجيريا، وكينيا، وبعض الدول الآسيوية مثل: إندونسيا وتايلاند وبنجلاديش وبعض الدول الأوربية وبخاصة هولندا.

ـ الشيخ مصطفى ناجي: الذي انضم إلى جماعة أنصار السنة بعد أن تلقى العلم على يد الشيخ أبي طاهر محمود السواكني أحد علماء الأزهر. ومنذ تأسيس أول مسجد للجماعة في الخرطوم عام (١٩٥٧م) بحي السجانة (المركز العام الحالي للجماعة) تولى الشيخ إمامته الى اليوم بالإضافة إلى مسؤوليته عن إعداد الدعاة والخطباء في الجماعة.

● **في ليبيريا:**

ـ تأسست الجماعة في ليبيريا أولاً تحت مسمى جماعة أهل السنة برئاسة الشيخ حبيب الشريف، بعد أن تعرف على دعوة جماعة أنصار السنة في مصر أثناء حضوره إحدى الدورات التدريبية للأئمة والدعاة بالأزهر ١٩٨٨م واطلع على نشاطها فآمن بصحة منهجها وصدق دعوتها. وبعد عودته إلى بلاده غير اسم جماعته من أهل السنة إلى أنصار السنة المحمدية تأسياً بمنهجها(*) وطريقة دعوتها.

الأفكار والمعتقدات:

● حددت اللائحة الداخلية للجماعة أهدافها ومجمل أفكارها وقد لخصها أحد قادة

الجماعة ـ محمد حسين هاشم ـ في رسالة المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية قائلاً:

ـ فهذه عقيدة أنصار السنة المحمدية واضحة في مبادئها العشرة:

١ ـ نعتقد أن الأصل في الدين(*) هو الكتاب والسنة (بفهم السلف الصالح) ـ أما الأئمة المجتهدون والعلماء والمحدثون فهم أئمة خدموا الإسلام أجل خدمة، وهم بمنزلة المعلمين والمبلغين، نحبهم ونجلهم ونعظمهم وندافع عنهم ونتبعهم اتباع المستنير المتأمل، لوجوه الاستدلال لمن يكون من أهل التأمل والاستدلال، ثم نتعاون فيما نتفق عليه، ونتسامح فيما نختلف فيه (ما دام الأمر اجتهادياً ولا مانع من المناقشة بقصد الوصول إلى الحق وفي جو الأخوة الإسلامية).

٢ ـ نعتقد أن صفات الله عز وجل هي كما وصف نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ حقيقة من غير تشبيه(*) ـ تمثيل ـ ولا تأويل(*) ـ تحريف ـ ولا تعطيل(*)، ثم نكف عن الجدل(*) في ذلك، ونسكت عما سكت عنه الصحابة والسلف، ونتكلم فيما تكلموا، لنا فيهم أسوة حسنة، ونشتغل بالحكمة الإلهية في الخلق والتشريع لقوله ﷺ: «**تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لا تقدرون قدره**».

٣ ـ نعتقد إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة من نذر وحلف واستغاثة واستعانة، ثم مقاومة كل من يوجه شيئاً من ذلك، صريحاً أو تأويلاً بتغيير اسمه، إلى غير الله.

٤ ـ نعتقد أن الإيمان هو التصديق الإذعاني الذي ينتج العمل ويظهر على الجوارح، وكل نقص في العمل مع التمكن منه والقدرة عليه هو نقص في الإجابة بقدره، وليس الإيمان مجرد الحكم بثبوت الشيء أو ادعائه أو التلفظ به، وإنما هو قول واعتقاد وأخلاق(*) وآداب (وسلوك وعمل).

٥ ـ نعتقد أن البدعة(*) الشرعية هي كل جديد في العبادات على غير مثال سابق من سنة رسول الله ﷺ سواء كان في أصله أو طريقة أدائه.

٦ ـ نتفانى في حب رسول الله ﷺ بأن نتمسك جهد المستطاع بكل ما أمر ونتجنب كل ما نهى والإكثار من الصلاة والسلام عليه وعلى آل بيته الأطهار.

٧ ـ نعتقد أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ـ الحديث ـ، وأن الله سبحانه وتعالى يشفع من يشاء في عباده لمن ارتضى، وأنه ـ ﷺ ـ صاحب الشفاعة الكبرى، وأنه صاحب المقام المحمود والجاه العظيم يوم القيامة.

٨ ـ نقرأ القرآن للذكر والتدبر لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

ونعترف أن استنباط الأحكام منه يكون من اختصاص أهل العلم.

٩ ـ نعتقد أن الدين(*) الإسلامي جماع الخير في الدين والدنيا يريد من أهله أن يكونوا أقوياء محسنين في أعمالهم حتى يكونوا ورثاء الأرض «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف».

١٠ ـ نعتقد أن الإسلام دين(*) ودولة، وعبادة وحكم وأنه صالح لكل زمان ومكان.

● وجاء في لائحة الجماعة فيما يتعلق بالأهداف العامة وإستراتيجية العمل:

ـ توثيق روابط الإخاء والتضامن بين الجماعة والجمعيات الإسلامية الأخرى.

ـ التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على إحياء التراث الإسلامي.

ـ تنشئة الشباب تنشئة دينية وثقافية واجتماعية.

● وقد تضمن غلاف مجلة **التوحيد** عدداً من الأهداف الأخرى التي تسعى إليها الجماعة:

ـ الدعوة الى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًا صحيحاً صادقاً يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ، حبًا صحيحاً صادقاً يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

ـ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين ـ القرآن والسنة الصحيحة ـ ومجانبة البدع والانحرافات ومحدثات الأمور.

ـ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط، عقيدة وعملاً وخلقاً.

ـ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل شرع غيره ـ في أي شأن من شؤون الحياة ـ معتد عليه سبحانه منازع إياه في حقوقه.

● ويضاف إلى هذه الأهداف والأفكار ما يلي مما ورد مفرقاً في كتابات أفراد الجماعة:

ـ التحذير من خطر الفرق وأهل الأهواء على الفرد والمجتمع، والتصدي لغلاة المتصوفة ومنكري السنة والبهائية والرافضة(*) والباطنية، والتصدي لحملات التغريب والعلمنة، والإلحاد(*) والزندقة(*).

ـ العمل على توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة ومنهج تشريعي واحد، على أساس من المنهج(*) السلفي(*) ـ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ـ الدعوة إلى تجديد الدين على هدي السلف وأئمة السنة، والاجتهاد(*) لمعرفة حكم الله في النوازل والمستجدات حسب الضوابط الشرعية. واتباع السياسة الحكيمة دون

استعجال أو صدام لإقامة شرع الله تعالى في الأرض.

● وفي مجال الفكر السياسي للجماعة رؤيتها التي يعبر عنها الدكتور جمال المراكبي في كتاب **الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة** إصدار إدارة الدعوة والإعلام ـ لجنة البحث العلمي بالجماعة في مصر ـ فيقول: «فالنظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً ديمقراطيًّا بحال، وهو يختلف مع الديمقراطية في الأسس والمبادىء خلافاً غير يسير.

ـ النظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً شموليًّا، وليس نظاماً اشتراكيًّا ولا يقترب من الأنظمة الديكتاتورية سواء منها الديكتاتوريات المذهبية والديكتاتوريات القيصرية.

ـ إن للنظام الإسلامي ذاتيته الخاصة، فلا يجوز أن ندرجه بحال تحت قسم من هذه الأقسام، ولا ندرجه داخل نظام من تلك النظم، إن النظام السياسي الإسلامي نظام إسلامي بحت لا علاقة له بالثيوقراطية ولا بالأتوقراطية، ولا بالديمقراطية ولا بالاشتراكية».

ـ وجاء في توصيات مؤتمر الخرطوم عام ١٩٨٩م الذي عقدته الجماعة بالسودان ما يلي:

١ ـ الديمقراطية نظام كافر؛ لأنها تعطي الإنسان حق التشريع، وهو حق خالص لا يكون إلا لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٦٧].

٢ ـ الانتخابات بالترشيح وبالتصويت وسائل جائزة في حد ذاتها.

٣ ـ التنظيم(*) النقابي للعاملين وغيرهم وكذلك الاتحادات الطلابية: تنظيمات هيئية وطلابية لا شأن لها بالتشريع، والمشاركة فيها تتوقف على المصالح والمفاسد على ضوء الضوابط الشرعية لذلك.

٤ ـ مزاحمة أهل الديمقراطية لتقليل شرهم في الانتخابات العامة وغيرها أمر جائز مع مراعاة الضوابط الشرعية، إذا ترجحت المصالح على المفاسد.

● وفي مجال أصول الدعوة: ترى الجماعة شرعية العمل الجماعي ولا تقر التحزب لغير شعار السنة والجماعة(*)، وتقر التنظيم بالضوابط الشرعية.

● وتعتمد التربية والتزكية المستمدة من منهج(*) السلف الصالح على أساس من تصفية الإسلام من البدع(*) والانحرافات العقدية والسلوكية، والتعبدية، وتصفية الأحاديث من الموضوعات وتربية الأمة على ذلك.

الجذور الفكرية والعقدية:

● عقيدة ومنهج(*) أهل السنة والجماعة سواء في النظر والاستدلال أو في العبادات والمعاملات والسلوك.

● مصنفات علماء السلف المتقدمين في الاعتقاد والأصول.

● مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة في الجزيرة العربية والشوكاني والصنعاني والألباني وغيرهم من علماء الدعوة السلفية(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تتركز جماعات أنصار السنة المحمدية في مصر، إذ أصبح لها في مصر قرابة المائة من الفروع والألف من المساجد، كما تتركز في السودان وأرتيريا وليبيريا وتشاد وأثيوبيا وجنوب أفريقيا وبعض الدول الأفريقية، وكذلك بعض الدول الآسيوية مثل: تايلاند وسيرلانكا، وفي كل دولة تقريباً يوجد للجماعة مركز تتبعه فروع موزعة على المناطق والأقاليم إلا أنه لكل جماعة قيادة مستقلة في كل دولة مع أنه يجمعهم جميعاً منهج(*) واحد.

● كما أن للجماعة علاقات وطيدة بجماعات الدعوة السلفية(*) في مصر وعلماء الدعوة بالسعودية وبجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت ودار البر بالإمارات العربية، وجمعية التربية الإسلامية بالبحرين، وجمعية أهل الحديث في شبه القارة الهندية والجمعية المحمدية في جنوب شرق آسيا وبالعديد من الجمعيات والاتحادات السلفية في أوروبا وأمريكا والجمعيات السلفية في أفريقيا.

يتضح مما سبق:

● أن جماعة أنصار السنة المحمدية من الأعمال الجماعية المنظمة التي تقوم على العقيدة السلفية للتصدى لغلاة المتصوفة ومحاربة البدع(*) بجميع أشكالها، وبيان التوحيد والحض على اتباع السنة، فكان لها الأثر الإيجابي في انحسار تيار التصوف بشكل عام في بيئات محدودة، بالإضافة إلى تأثيرها البالغ على قطاع واسع من شباب الصحوة الإسلامية.

● يحمد للجماعة السعي للتعاون مع الدعوات السلفية(*) والإصلاحية الأخرى في بعث كتب السلف ومناهجهم فكان لذلك الأثر الإيجابي في تبني تيار الصحوة الإسلامية لمنهج(*) أهل السنة والجماعة(*) بشكل عام، وعودة الحجاب ومقاومة التغريب في المجتمعات الإسلامية بوجه خاص.

● يتصف علماء الجماعة بقلة التأليف والبعد عن الشهرة، إذ تغلب الدعوة إلى المنهج على الدعوة إلى الجماعة، وهذا يفسر قلة كتاباتهم عن الجماعة وجهودها مما مكن منافسيهم من التحقير من شأنهم.

● للجماعة الحظ الأوفر في وضع لبنات النهضة العلمية بالمملكة العربية السعودية من

خلال تأسيس المعاهد والجامعات الشرعية ووضع المناهج لها مما أثار أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ضدهم وتسميتهم بالوهابية.

● ويأخذ عليها ناقدوها اهتمامها البالغ بقضايا التوحيد والسنة، وعدم اهتمامها بالعمل السياسي أو الصدام مع الحكومات المخالفة لشرع الله تعالى، وأيضاً عدم شمولية برنامجها التربوي. وترى الجماعة أن تحقيق التوحيد الخالص والمتابعة الصادقة هما أساسا توحيد كلمة الأمة كما هما شرطا تحقيق وعد الله تعالى بالنصر والتمكين وعودة الخلافة(*).

ويقول الدكتور المراكبي في كتابه **الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة**: وباستعراض حالات الخروج التي شهدتها الساحة الإسلامية منذ نشأة الدولة الإسلامية وإلى يومنا هذا، لم نرَ حالة واحدة تبشر بالخير، بل إنها جميعاً لم تؤت ثمارها المرجوة، فهي غالباً ما تفشل ولا ينتج عنها إلا اتساع دائرة الفتن.. وعلى العكس من ذلك فإن كل حركات الإصلاح التي شهدتها الدولة الإسلامية لم تتخذ الخروج والقتال سبيلاً لها..» ثم يدلل على ذلك بما حققه عمر بن عبدالعزيز من إصلاح، وكيف تصدى أحمد بن حنبل للفتنة بدون سيف ولا رجال مع قدرتهما على ذلك، ولأن رسول الله ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، ولكن إذا طرأ على الحاكم الكفر البواح الذي فيه من الله البرهان فيجب الخروج عليه مع مراعاة ترجيح المصالح على المفاسد بعد تحقق القدرة والاستطاعة.

مراجع للتوسع

- **مقاصد الجماعة** ـ جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.
- **المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة** ـ محمد حسين هاشم.
- **لائحة الجماعة** ـ جماعة أنصار السنة المحمدية.
- **المفهوم السلفي للعمل السياسي** ـ محمد أبو زيد مصطفى.
- **الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة** ـ د. جمال المراكبي.
- **رسالة إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية**، الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل.
- **هذه هي الصوفية** ـ الشيخ عبد الرحمن الوكيل.
- **الصوفية الوجه الآخر** ـ د. محمد جميل غازي.
- **البهائية** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل.
- **دعوة الحق** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل.
- **بيان جماعة أنصار السنة بالسودان** عن حجية السنة بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٨٨م.

- **جماعة أنصار السنة المحمدية نشأتها وأهدافها ورجالها** ـ فتحي أمين عثمان .
- **مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها** ـ د . ناصر عبد الكريم العقل .
- **الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة** ـ سليم الهلالي وزياد الدبيج .
- **الطريق إلى جماعة المسلمين** ـ حسين بن محسن بن علي جابر .
- **شرح القصيدة النونية لابن القيم** ـ د . محمد خليل هراس .
- **شرح العقيدة الواسطية ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية** ـ د . محمد خليل هراس .
- **دعوة التوحيد والأطوار التاريخية التي مرت بها** ـ د . محمد خليل هراس .
- **ابن تيمية السلفي** ـ د . محمد خليل هراس .
- **مذكرة التوحيد** ـ الشيخ عبد الرزاق عفيفي .
- **الصفات الإلهية بين السلف والخلف** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل .
- **زندقة الجيلي** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل .
- **الأصول العلمية للدعوة السلفية** ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق .
- **الإسلام والروحية** ـ الشيخ أبو الوفا محمد درويش .
- **خواطر في الدين والاجتماع** ـ الشيخ أبو الوفا محمد درويش .
- **التوراة والإنجيل ومدى التزام المسلمين بالإيمان بهما** ـ الشيخ مصطفى درويش .
- **رسالة إلى البابا شنودة: مذكرة دفاع** ـ الشيخ مصطفى درويش .
- **وصية المسيح ـ شرح وتحليل** ـ الشيخ مصطفى درويش .
- **الولايات الإسلامية المتحدة: الخلافة الإسلامية** ـ الشيخ مصطفى درويش .
- **أوراق من تاريخ جماعة أنصار السنة في السودان** ـ طارق الهدية «مخطوط بتاريخ ١٤٠٦هـ» .
- **مجلة الهدي النبوي** ـ كانت تصدرها الجماعة بمصر .
- **مجلة التوحيد** ـ ما زالت تصدر باسم الجماعة بمصر .
- **مجلة الاستجابة** ـ تصدرها الجماعة بالسودان .

١٩ـ الإخوان المسلمون

التعريف:

الإخوان المسلمون كبرى الحركات(*) الإسلامية المعاصرة، تنادي بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسنة، وتدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في واقع الحياة، وقد وقفت متصدية لسياسة فصل الدين عن الدولة ومنابذة موجة المد العلماني في المنطقة العربية والعالم الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الدعوة هو الشيخ حسن البنا ١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م) ولد في إحدى قرى البحيرة بمصر ونشأ نشأة دينية في أسرة تركت بصماتها واضحة على كل حياته.

ـ إلى جانب تعليمه الديني في المنزل والمسجد درس في مدارس الحكومة حتى التحق بدار العلوم بالقاهرة، إذ تخرج عام ١٩٢٧م.

ـ عُيِّن مدرساً في إحدى مدارس الإسماعيلية الابتدائية، وهناك بدأ نشاطه الدعوي بين الناس، وخاصة في المقاهي وبين عمال قناة السويس حتى إذا كان شهر ذي القعدة ١٣٢٧هـ/ إبريل ١٩٢٨م تم تأسيس النواة الأولى من الإخوان.

ـ في عام ١٩٣٢م انتقل الشيخ حسن البنا إلى القاهرة وانتقلت قيادة الحركة معه إليها.

ـ في عام ١٣٣٢هـ ـ ١٩٣٣م تم إصدار جريدة **الإخوان المسلمون** الأسبوعية واختير الشيخ محب الدين الخطيب ١٣٠٣ ـ ١٣٨٩هـ (١٨٨٦ ـ ١٩٦٩م) مديراً لها. ثم صدرت **النذير** في ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ثم **الشهاب** ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. . وتوالت المجلات والجرائد الإخوانية.

ـ تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١م من مائة عضو اختارهم الشيخ البنا بنفسه.

ـ شارك الإخوان في حرب فلسطين ١٩٤٨م، إذ دخلوا بقوات خاصة بهم، وقد سجل ذلك بالتفصيل كامل الشريف ـ من قادة الإخوان المتطوعين ووزير أردني سابق ـ والأمين العام حاليًّا للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ـ في كتابه: **الإخوان المسلمون في**

حرب فلسطين.

- في ٨ نوفمبر ١٩٤٨م أُغتيل النقراشي واتُّهم الإخوان بقتله، وهتف أنصار النقراشي في جنازته بأن رأس النقراشي برأس البنا الذي اغتيل فعلاً في ١٢ فبراير ١٩٤٩م.

● جاءت وزارة النحاس سنة ١٩٥٠م فأفرجت عن الجماعة بناء على حكم مجلس الدولة الذي نص على أن أمر الحل باطل من أساسه.

● في عام ١٩٥٠م اختير المستشار حسن الهضيبي ١٣٠٦-١٣٩٣هـ (١٨٩١-١٩٧٣م)، مرشداً للإخوان، وهو واحد من كبار رجال القضاء المصري. وقد اعتُقل عدداً من المرات، وصدر ضده عام ١٩٥٤م حكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد، وأفرج عنه آخر مرة سنة ١٩٧١م.

- في شهر أكتوبر ١٩٥١م اشتدت الأزمة بين بريطانيا ومصر، فشن الإخوان حرب عصابات ضد الإنجليز في قناة السويس سجلها كامل الشريف في كتاب آخر بعنوان: **المقاومة السرية في قناة السويس**.

● في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قامت مجموعة من الضباط المصريين بزعامة اللواء محمد نجيب بثورة(*) بمؤازرة الإخوان، لكن الإخوان بعد ذلك رفضوا الاشتراك في الحكم إذ كان لهم رأي واضح في منهاج الثورة. وقد اعتبر جمال عبد الناصر هذا الرفض نوعاً من فرض الوصاية على الثورة، ودخل الطرفان سلسلة من الجدل والخصومة تطورت حتى قامت الحكومة سنة ١٩٥٤م باعتقال الإخوان وتشريد الألوف منهم بحجة أنهم حاولوا الاعتداء على حياة عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية وأعدم ستة منهم هم: عبد القادر عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير وإبراهيم الطيب ومحمود عبد اللطيف.

● في عام ١٩٦٥ - ١٩٦٦م تكرر اعتقال الإخوان بتهمة تشكيل جهاز سري يهدف إلى قلب نظام الحكم وقامت الحكومة بشن حملات السجن والتعذيب وقد أعدمت هذه المرة ثلاثة من أعضاء الجماعة هم:

- سيد قطب ١٣٢٤ - ١٣٨٧هـ (١٩٠٦ - ١٩٦٦م) الذي يعد المفكر الثاني في الجماعة بعد البنا وواحداً من رواد الفكر الإسلامي الحديث.. وقد ألقي القبض عليه سنة ١٩٥٤م وأمضى في السجن عشر سنوات ثم أفرج عنه عام ١٩٦٤م بتدخل من الرئيس العراقي عبد السلام عارف، لكنه ما لبث أن أعيد إليه مرة أخرى ليواجه حكماً بالإعدام.

له العديد من المؤلفات الأدبية والفكرية الإسلامية والتي من أبرزها: **في ظلال القرآن**، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، **معالم في الطريق**

وغيرها كثير.

ـ يوسف هواش.

ـ عبد الفتاح إسماعيل.

● بقيت الجماعة تعمل بشكل سرّي حتى وفاة عبد الناصر ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠م.

● وفي عهد أنور السادات تم الإفراج عمن سجنهم عبد الناصر على مراحل.

● عمر التلمساني: ١٩٠٤ ـ ١٩٨٦م اختير مرشداً عاماً بعد الهضيبي. وقد طالبت قيادة الإخوان في عهده بحقوق الجماعة كاملة وعودة جميع ممتلكاتها المصادرة في عهد عبدالناصر، وسلك المرشد بالإخوان طريقاً يجنِّبهم المصادمات مع الحكومات، وكرر دائماً أن الدعوة ينبغي أن تعمل بالحكمة وأن تنبذ العنف والتطرف.

● أصدرت الجماعة المجلات والصحف التالية: **النذير** (مجلة أسبوعية)، **الدعوة** (مجلة أسبوعية)، **الإخوان المسلمون** (صحيفة يومية) **الشهاب** (مجلة شهرية) **المسلمون** (مجلة شهرية) ومجلة (**لواء الإسلام**)، وقد أوقف صدور هذه الدوريات حالياً عدا الأخيرة منهم.

● محمد حامد أبو النصر: اختير مرشداً بعد الأستاذ التلمساني وسار على طريقته وأسلوبه.

● مصطفى مشهور: أحد قيادات النظام الخاص للجماعة في فترة الأربعينات وبداية الخمسينات، اختير مرشداً عامًّا للإخوان المسلمين خلفاً للأستاذ/ محمد حامد أبو النصر بعد وفاته عام ١٩٩٦م، ويعد الأستاذ/ مصطفى مشهور من أنشط قيادات الجماعة في فترة ما بعد السبعينات من هذا القرن، إذ ظهر له العديد من الكتب والمقالات الصحفية بالإضافة إلى جهوده البارزة في إنشاء المراكز الإسلامية «شُعب» في الغرب والتابعة للجماعة.

● هناك عدد من الشخصيات الإخوانية التي ظهرت خارج مصر نذكر منها:

ـ الشيخ محمد محمود الصواف الذي كان مؤسساً ومراقباً عاماً للإخوان المسلمين في العراق، له عدد من المؤلفات، وكان له دور نشيط في نشر الإسلام في إفريقيا بعد هجرته من العراق سنة ١٩٥٩م واستقراره في مكة المكرمة.

ـ الدكتور مصطفى السباعي (١٣٣٤ ـ ١٣٨٤هـ) (١٩١٥ ـ ١٩٦٤م) أولُ مراقبٍ عام للإخوان المسلمين في سوريا، نال درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٤٩م، قاد كتائب الإخوان إلى فلسطين سنة ١٩٤٨م، كما رشح نفسه نائباً عن دمشق عام ١٩٤٩م، كان خطيباً مفوهاً لا يبارى، أسس كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٥٤م، وكان أول عميد لها، له

العديد من المؤلفات منها **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، **المرأة بين الفقه والقانون**، **قانون الأحوال الشخصية**.

ـ تأسست جماعة الإخوان المسلمين في الأردن بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٦٤هـ الموافق ١٩/ ١١/ ١٩٤٥م وكان أول رئيس لها الشيخ عبد اللطيف أبو قورة الذي قاد كتيبة الإخوان في الأردن إلى فلسطين سنة ١٩٤٨م.

ـ وفي ٢٦/ ١١/ ١٩٥٣م انتخب الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة (ولد عام ١٩١٩م) مراقباً عاماً للإخوان بالأردن وهو يحمل ثلاث شهادات علمية، وخلفه الأستاذ عبدالمجيد ذنيبات.

الأفكار والمعتقدات:

● يؤمن الإخوان بالإسلام عقيدة تحكم توجهات المسلمين ومنهجاً(*) شاملاً لكل جنبات الحياة وينادون بإقامة الدولة الإسلامية التي تسعى لإعلاء كلمة الله في الأرض.

ويوضح الشيخ حسن البنا هذا المعنى بقوله: «الإسلام عبادة وقيادة، ودين(*) ودولة وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد(*)، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هؤلاء عن الآخر».

● حرص الإخوان منذ نشأة الجماعة على توسيع دائرة عملهم حتى تكون حركتهم عالمية النطاق ويضمن لها الاستمرار بحكم تعدد المراكز.

ـ يقول حسن البنا عن هذه الدعوة: «إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية(*)، وطريقة سنِّية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية».

● يؤكد البنا أن سمات حركة الإخوان هي:

ـ البعد عن مواطن الخلاف.

ـ البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء.

ـ البعد عن الأحزاب(*) والهيئات.

ـ العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات.

ـ إيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات.

ـ شدة الإقبال من الشباب.

ـ سرعة الانتشار في القرى والبلاد.

● ويذكر أن أخص خصائص دعوة الإخوان هي:

ـ أنها **ربانية**: لأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا أن يتقرب الناس إلى ربهم.

ـ وأنها **عالمية**: لأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس في حكمها إخوة أصلهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل.

ـ وأنها **إسلامية**: لأنها تنتسب إلى الإسلام.

● ويقرر الشيخ البنا أن مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق هي:

ـ **إصلاح نفسه** حتى يكون قوي الجسم، وأن يكون متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة.

ـ **وتكوين البيت المسلم** بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية.

ـ **إرشاد المجتمع** بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات.

ـ **تحرير الوطن** بتخليصه من كل سلطان أجنبي غير إسلامي، سياسي أو اقتصادي أو روحي.

ـ **إصلاح الحكومة** حتى تكون إسلامية بحق.

ـ **إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية** بتحرير أوطانها وإحياء مجدها.

ـ **أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام** في ربوعه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢].

● يقسم البنا مراحل الدعوة إلى ثلاث مراحل:

١ ـ التعريف.

٢ ـ التكوين.

٣ ـ التنفيذ.

● يقول الشيخ البنا في **رسالة التعاليم**: «أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد(*)، والتضحية، والطاعة والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة». ثم يأخذ في شرح كل ركن من هذه الأركان ثم يقول بعدها:

«أيها الأخ الصادق: هذا مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادىء في خمس كلمات: الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا والجهاد سبيلنا، والشهادة أسمى أمانينا. وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى: البساطة، والتلاوة، والصلاة، والجندية، والخلق».

● يعكس سيد قطب في كتابه **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته** فهمه وفهم

الإخوان للإسلام حيث يجعل خصائص هذا التصور تقوم على (الربانية.. الثبات.. الشمول.. التوازن.. الإيجابية.. الواقعية.. التوحيد). ويعقد المؤلف لكل خاصية فصلاً مستقلاً بذاته يشرحها ويوضح معناها.

● شعار الإخوان: سيفان متقاطعان يحيطان بمصحف شريف، واللفظة القرآنية (وأعدوا) وثلاث كلمات هي: حق، قوة، حرية.

● عدلت الجماعة من أسلوب المواجهة المباشرة مع السلطات الحاكمة لما سببه هذا الأسلوب من إضرار بالجماعة سواء في مصر أو سوريا، إذ فقدت العديد من القيادات المؤثرة وتعرض المنضمون للجماعة للتعذيب في السجون والمعتقلات واختفى وجودهم العلني الذي كان يساعد على انتشار الدعوة.

● أصبح للجماعة سيطرة واضحة على النقابات المهنية وظهور واضح في الساحات السياسية المختلفة.

● لا تسمح الحكومة المصرية حتى الآن بقيام أحزاب(*) على أساس ديني بحجة عدم إقحام الدين(*) في السياسة، ولوجود أقليات غير مسلمة مما يحرم الإخوان من الوجود الشرعي المعترف به. وقد اضطرهم ذلك للتحالف مع أحزاب المعارضة السياسية القائمة وتشكيل تحالف يسمح لهم بدخول مجلس الشعب المصري. وقد استقطب هذا التحالف وبعض ممارسات الجماعة الأخرى، بعض النقد من بعض مؤيديها ومعارضيها في أكثر من مناسبة.

● على أن المآخذ على جماعة الإخوان المسلمين لم تقتصر على المواقف السياسية. بل وجه لها النقد في بعض الجوانب العقائدية والمنهجية وأقوال الأتباع. فمن الناحية العقائدية أخذ على البنا قوله في مجال تعداد صفات الحركة الشمولية «وحقيقة صوفية». كما أخذ عليه موقفه التفويضي(*) في مجال الأسماء والصفات واعتباره البدعة(*) الإضافية(*) خلافاً فقهياً(*). ومن الواضح أن مفهوم حسن البنا للتصوف هو أنه مواز للزهد وليس هو التصوف المنحرف عقائدياً وسلوكياً. وأما فيما يتعلق بالأسماء والصفات فإن البنا يرى أن منهج السلف «هو أسلم وأولى بالاتباع» سواء أدرك الإنسان كل المعاني المحيطة بالأسماء والصفات أم لم يدركها.

● وقد أخذ على بعض أتباع الحركة(*) الغلو(*) في إعجابهم بالشيخ حسن البنا، ولا شك أن الغلو في القيادة والأشخاص هو سلوك إنساني لم يسلم منه كثير من المسلمين، إذ غالوا في الرسول وبعض أصحابه والصالحين ممن تبعهم. وهذا الغلو واضح بين المنتسبين

للحركات الإسلامية المعاصرة على اختلاف في الدرجة والشيوع. فتجد من يغلو في الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخر يغلو في حسن البنا وثالث في المودودي ورابع في سيد قطب وهكذا. والصحيح أن يلزم الجميع منهج الإسلام المتمثل في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله بفهم السلف الصالح، إذ النهي عن الغلو حتى في شخص الرسول الكريم ﷺ. كما صدر عن بعضهم (التلمساني وسعيد حوى) عدد من الأقوال والاجتهادات التي لا يجيزها الفهم الصحيح للإسلام، والحق أنه كل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثرت دعوتهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية والدعوة السنوسية ودعوة السيد رشيد رضا، وأغلب هذه الدعوات تعد امتداداً لمدرسة ابن تيمية المتوفَّى سنة ٧٢٨هـ ـ ١٣٢٨م والمستمدة من مدرسة الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله تعالى.

● أخذ الإخوان عن التصوف ما فيه من دعوة إلى تربية النفس وتهذيبها والرقي بها على ما كان عليه أوائل المتصوفة من صحة في العقيدة وعدم الاستكانة والسلبية.

● لقد جمع البنا المفاهيم السابقة في دعوته وأضاف إليها ما فرضته عليه ظروف العصر والبيئة من وقوف أمام التيارات التي أخذت تسري في مصر بخاصة وفي المنطقة بعامة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت الحركة(*) في الإسماعيلية، ثم انتقلت إلى القاهرة، ومنها إلى معظم بلاد وقرى مصر، وقد بلغ عدد شعب الإخوان في أواخر الأربعينات في مصر (٣٠٠٠) شعبة ضمت أعداداً كبيرة من الأعضاء.

● انتقلت الحركة إلى الأقطار العربية وصار لها وجود قوي في سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق واليمن والسودان وغيرها.. كما أن لها أتباعاً في معظم أنحاء العالم اليوم.

ويتضح مما سبق:

أن الإخوان المسلمين، حركة إسلامية معاصرة، بل هي أكبر هذه الحركات، وهدفها تحكيم الكتاب والسنَّة، وتطبيق شريعة الله في شتى مناحي الحياة، والوقوف بحزم أمام سياسة فصل الدين(*) عن الدنيا، ووقف المد العلماني، والعمل لإعلاء كلمة الله في الأرض، من خلال حركة عالمية تبعد عن مواطن الخلاف وتكوِّن الشباب عبر هذه الدعوة، لإصلاح أنفسهم وبيئاتهم وحكوماتهم، أملاً في إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية. وقد أخذ على

حركات الإخوان ـ كغيرها من الحركات ـ بعض المآخذ فيما يتعلق بالمنهج(*) أو سلوكيات بعض المنتسبين إليها.

مراجع للتوسع:

- **حسن البنا، مبادىء وأصول في مؤتمرات خاصة** ـ المؤسسة الإسلامية ـ دار الشهاب بالقاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. مطبعة الإخوان المسلمين ـ ١٣٥٤هـ.
- **قانون جمعية الإخوان المسلمين العام المعدل.**
- **الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ** ـ محمود عبد الحليم ـ دار الدعوة ـ الأسكندرية ـ ط١ ـ مطابع جريدة السفير ـ ١٩٧٩م.
- **حسن البنا، الداعية الإمام المجدد**، أنور الجندي ـ دار القلم ـ بيروت.
- **الشهيد سيد قطب**، يوسف العظم ـ دار القلم ـ بيروت.
- **الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية**، د. زكريا سليمان بيومي ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.
- **مذكرات الدعوة والداعية**، حسن البنا ـ المكتب الإسلامي ـ ط٤ ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م دار الشهاب ـ القاهرة.
- **مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.**
- **الإخوان المسلمون**، د. ريتشارد ميتشل ـ ترجمة عبد السلام رضوان مكتبة مدبولي ـ ط١ ـ القاهرة ١٩٧٧م.
- **الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة**، إسحق موسى الحسيني.
- **الإخوان المسلمون والمجتمع المصري**، محمد شوقي زكي.
- **الحركات الإسلامية في مصر وإيران**، د. رفعت سيد أحمد ـ سينا للنشر.
- **تقرير إستراتيجي عن جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الأخرى** أعده مركز الدراسات الإستراتيجية والسياسية بجريدة الأهرام المصرية (وعليه تعليق للدكتور علي جريشه).
- **شهيد المحراب** ـ عمر التلمساني.
- **جند الله ثقافة وأخلاقاً** ـ سعيد حوى.

٢٠ـ الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية

التعريف:

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية جماعة إسلامية معاصرة كرست جهودها في سبيل إقرار الشريعة الإسلامية(*)، وتطبيقها في حياة الناس، والوقوف بحزم ضد جميع أشكال الاتجاهات العلمانية التي تحاول السيطرة على المنطقة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أبو الأعلى المودودي: ١٣٢١ ـ ١٣٩٩هـ (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) وُلِد في مدينة أورنك آباد الدكن بولاية حيدر آباد، وتلقى تعليمه وتربيته الأولى على يد والده السيد أحمد حسن الذي يرجع نسبه إلى عائلة قطب الدين مودود الشهيرة بتدينها ومكانتها الروحية.

ـ بدأ حياته الدعوية بالدخول إلى ميدان الصحافة عام ١٩١٨م، وفي عام ١٩٢٠م كوَّن جبهة صحفية هدفها تبليغ الإسلام، وقد تنقل في عدد من الصحف كاتباً ومديراً ورئيساً.

ـ كان لكتابه **الجهاد في الإسلام** الذي نشره عام ١٩٢٨م دويٌّ واسع وأثر بالغ ضد الإنجليز والوثنيين(*) وأعداء الإسلام في كل مكان.

ـ أصدر **ترجمان القرآن** من حيدر أباد الدكن عام ١٩٣٣م وكان شعارها «احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن، وانهضوا، وحلِّقوا فوق العالم» وعن طريق هذه المجلة انتقلت أفكاره إلى مسلمي شبه القارة الهندية/ الباكستانية مما مهَّد له الطريق إلى تأسيس جماعته الإسلامية فيما بعد.

ـ في عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨م قدم إلى لاهور تلبية لدعوة محمد إقبال ١٨٧٣ ـ ١٩٣٨م وأسس في باثانكوت داراً للإسلام يربي فيها الرجال، ويؤلف الكتب، لكن إقبالاً ما لبث أن انتقل إلى ربه بعد أشهر قليلة من وصول المودودي.

ـ عن طريق مجلة **ترجمان القرآن** وجه المودودي دعوة لعلماء المسلمين وقادتهم لحضور المؤتمر الذي عقد فعلاً في ٢٦ أغسطس ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ بلاهور بحضور ٧٥ شخصاً يمثلون مختلف بلاد الهند وتأسست في هذا المؤتمر الجماعة الإسلامية وانتخب

المودودي أميراً لها.

- في تلك الأيام كان البريطانيون يمسكون بزمام السلطة حينما أطلق المودودي فتواه الجريئة بتحريم العمل في خدمة قوات الاحتلال مما عرض الجماعة الإسلامية للهجوم من قبل القوى الاستعمارية(*) منذ أول ظهورها.

- في ٢٨ أغسطس ١٩٤٧م ظهرت الباكستان بشطريها دولة مستقلة عن الهند الوثنية(*) وتبع ذلك ظهور قيادة جديدة للجماعة في الهند مستقلة بذاتها لتسهيل النواحي الإدارية لا أكثر، ووقفت الجماعة حينها على قدم وساق تقيم المعسكرات لإيواء المسلمين المهاجرين وتقدِّم لهم العون ريثما تستقر بهم الأحوال.

- اعتقل المودودي في حياته عدة مرات بسبب جرأته ووقوفه ضد معارضي تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في الباكستان، وحكم عليه في بعضها بالإعدام ثم خفف الحكم بعد ذلك، ولم تفتَّ هذه الاعتقالات في عضده بل زادته إيماناً راسخاً بدعوته وبمبادئه الإسلامية.

- ساعدت الجماعة الإسلامية المجاهدين الكشميريين في جهادهم ضد الهند وقدمت لهم المؤن والمراكز الطبية والمخيمات.

- في نوفمبر ١٩٧١م انشطرت الباكستان إلى شطرين، الغربية حافظت على اسم الباكستان، والشرقية عرفت باسم بنجلاديش، وقد أزعج هذا الانقسام الشيخ المودودي كثيراً.

- ابتداء من نوفمبر ١٩٧٢م أُعْفي المودودي من منصبه كأمير للجماعة بناء على طلبه لاعتلال صحته، فانصرف إلى البحث والكتابة عاكفاً على إكمال كتابه **تفهيم القرآن** واختير ميان طفيل محمد أميراً للجماعة بعده.

- منحت جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام للمودودي في ٢٧ فبراير ١٩٧٩م، وقد تبرع بقيمة الجائزة لإنشاء مجمع المعارف الإسلامية بلاهور.

- في ١/ ١١/ ١٣٩٩هـ الموافق ٢٢/ ٩/ ١٩٧٩م انتقل المودودي إلى رحاب ربه إثر عملية جراحية أجريت له في نيويورك، وقد نقل جثمانه إلى لاهور مشيَّعاً برثاء العالم الإسلامي له.

- خلَّف المودودي وراءه دعوة، ورجالاً، ومكتبة عامرة من تأليفه ترجمت إلى لغات كثيرة وطبعت عديداً من المرات.

وقد صدرت عن المودودي - يرحمه الله - بعض الآراء التي كانت موضع جدل بين الدعاة خصوصاً حول بعض القضايا الجديدة التي كان يطرحها.

● ميان طفيل محمد: مواليد ١٩١٤م أحد الأعضاء المؤسسين، عمل أميناً عاماً للجماعة أيام

المودودي، ثم حل محله عام ١٩٧٢م أميراً للجماعة، وأعيد انتخابه مرة أخرى عام ١٩٧٧م، واستمر في منصبه حتى عام ١٩٨٧م. دخل السجن مع المودودي وشارك في العديد من المؤتمرات واللقاءات داخل الباكستان وخارجها، يحمل شهادات جامعية في الفيزياء والرياضيات والقانون.

● قاضي حسين أحمد: كان أميناً عاماً للجماعة، ثم انتخب أميراً لها بعد ميان طفيل محمد عام ١٩٨٧م.

● خورشيد أحمد: نائب الأمير، ووزير سابق في وزارة ١٩٧٨م، عضو مجلس النواب الباكستاني.

● محمد أسلم سليمي: الأمين العام للجماعة.

● خليل أحمد الحامدي: مدير دار العروبة، ومدير معهد المودودي العالمي للدراسات الإسلامية.

● خرم جاه مراد: ـ توفي يرحمه الله عام ١٤١٦هـ بباكستان، كان مدير المؤسسة الإسلامية في إنجلترا (ليستر) وأمير الجماعة الإسلامية في عاصمة الباكستان الشرقية قبل الانفصال ونائب الأمين العام حاليًا.

● أمين أحسن إصلاحي: من كبار العلماء، اعتقل مع المودودي، سبق له أن ترك الجماعة لدخولها المعترك السياسي والانتخابات، ولكن كتبه لا تزال تُدرَّس ضمن مناهج الجماعة.

● بروفيسور عبد الغفور أحمد: كان أمير فرع الجماعة في كراتشي، وعضو البرلمان المركزي ووزيراً للصناعات والمواد المعدنية في وزارة ١٩٧٨م.

● محمود أعظم الفاروقي: كان عضو البرلمان المركزي ووزيراً للإعلام والإذاعة ١٩٧٨م.

● السيد أسعد الجيلاني: أمير إقليم البنجاب، وعضو البرلمان(*) المركزي عن الجماعة الإسلامية سابقاً، وقد صدر له أكثر من ٨٠ كتاباً في مختلف مجالات الحياة الإسلامية.

ـ شودري رحمة إلهيٰ: كان وزيراً للمياه ومصادر القوى في وزارة ١٩٧٨م.

● أبو الليث الإصلاحي الندوي: أول أمير للجماعة في الهند، ثم ترك الإمارة، ثم أعيد انتخابه مرة ثانية ولا يزال في منصبه.

● الشيخ محمد يوسف: عمل أميراً للجماعة بعد الفترة الأولى لأبي الليث.

● سيد حامد حسين: من رجال الدعوة والخطباء البارزين، توفي بعد حج عام ١٤٠٥هـ في جدة.

● أفضل حسين: الأمين العام للجماعة حاليًا، وهو خبير في التربية، وقد ألَّف حوالي ثلاثين كتاباً في ذلك.

● سيد أحمد عروج القادري: نائب أمير الجماعة حاليًا، ورئيس تحرير مجلة **زندنكي (الحياة)** وهي لسان حال الجماعة الإسلامية في الهند.

● أبو الكلام محمد أبو يوسف: أول أمير فعلي للجماعة في بنجلاديش بعد انفصالها عن الباكستان سنة ١٩٧٢م.

● عباس علي خان: الأمير الحالي للجماعة.

● غلام أعظم: الذي كان يعيش في بلاده بدون جنسية، إذ إن الحكومة قد سحبتها منه لإزعاجه ولتضييق الخناق على حركته الدعوية، كان أمير الجماعة الإسلامية في الباكستان الشرقية قبل الانفصال، وبعد خروجه من السجن أصبح أمير الجماعة في بنجلاديش.

الأفكار والمعتقدات:

● عقيدة الجماعة عقيدة أهل السنة والجماعة من حيث الدعوة، ولا يخرج فكرها في مجمله عن هذه العقيدة من دعوة إلى التوحيد والتمسك بكتاب الله وسُنة نبيه، والعمل الحثيث من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في واقع الحياة البشرية.

ـ كان رأي المودودي الدائم: أن الإسلام ليس نظاماً فلسفيًا محضاً للحياة بل هو نظام كامل تام للحياة، وما لم نر نموذجاً له ممثلاً أمامنا فلن نتمكن أبداً من تقديم أيَّة خدمة للإسلام عن طريق الكلام والحديث.

● **أهداف الجماعة: تتلخص أهداف الجماعة فيما يلي:**

ـ الإسلام نظام شامل للبشرية كافة وللمسلمين خاصة.

ـ الدعوة لكل من أظهر الإسلام أن يخلصوا دينهم لله، ويزكوا أنفسهم لتتخلص من التناقض والنفاق.

ـ الدعوة لكل أهل الأرض أن يستخلصوا الحكم الحاضر من الطواغيت(*) المستبدة والفجرة الفَسَدة وأن ينتزعوا الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم وينقلوها إلى أيدي المؤمنين المسلمين.

● لقد ركز المودودي جهاده ضد أربع جهات:

ـ ضد النظرية القومية الواحدة داخل الهند، وهي دعوة رفعها حزب المؤتمر الذي يدعو إلى قومية مشتركة بين الهنادكة والمسلمين، وقد ألف في هذا الصدد كتابيه: **المسلمون والصراع الحالي** و**مسألة القومية**.

ـ ضد سيطرة وتحكم الحضارة الغربية.

ـ ضد القيادات التي تحمل أفكاراً تعارض الفكر الإسلامي.

ـ ضد الأفكار التي تحمل طابع الجمود الديني.

● أكَّد المودودي على ثلاثة أمور لتوطيد الحركة، هي:

ـ لا يكفي أن يكون زملاؤه في العمل أقوياء في عقيدتهم بل يجب كذلك أن يكونوا موثوقين في سلوكهم الفردي.

ـ أن يكون نظام الدعوة محكماً، فلا يقبل التساهل والتهاون.

ـ أن تشتمل الدعوة في آن واحد على عنصرين من الدعاة:

١ ـ أصحاب الثقافة الإسلامية القديمة.

٢ ـ أصحاب الثقافة العصرية الحديثة.

● في خطابه الذي ألقاه في كلية الحقوق بلاهور بتاريخ ١٩/٢/١٩٤٨م أعلن المودودي المطالبة بأربع نقاط رئيسية كأهداف للدولة الباكستانية الوليدة، وهي:

ـ أن الحاكمية في الباكستان لله وحده وليس للحكومة الباكستانية إلا تنفيذ مرضاة الله.

ـ الشريعة الإسلامية(*) هي القانون الأساسي للدولة.

ـ إلغاء جميع القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية ولا يوضع في المستقبل قانون ينافي الشريعة الإسلامية.

ـ على الحكومة الباكستانية أن تمارس سلطاتها ضمن الحدود التي حددتها الشريعة الإسلامية.

● لقد كان صدى هذه النقاط واسعاً، إذ انهالت آلاف الرسائل من مختلف المناطق مطالبة بها ومؤيدة لها، وقد عارضتها الحكومة أول الأمر واعتقلت المودودي وزملاءه بسببها، لكنها ما لبثت أن رضخت لها وصدر قرار الجمعية التأسيسية في مارس ١٩٤٩م المعروف بقرار الأهداف الذي لا يزال يعد أساس الوجهة الإسلامية في الدولة الباكستانية إلى الآن.

● **وسائل الجماعة لتحقيق أهدافها:**

ـ تصحيح الأفكار وتعهدها بالغرس والتنمية لتوضيح الصراط المستقيم، ونقد الغرب الذي افتتن به أغلبية الناس.

ـ استخلاص الأفراد الصالحين وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة.

ـ السعي في الإصلاح الاجتماعي وهو يشمل كل طبقات المجتمع، واتخاذ الحلول العلمية لمشكلاتهم على أساس مبادىء الإسلام الإنسانية من أخوة وعدالة ومساواة.

ـ إصلاح الحكم ويكون ذلك بإيجاد البرامج الإصلاحية للمفاسد الاجتماعية ونشر الوعي الإسلامي الذي يمهد لتسلم رجال صالحين مقاليد الحكم لينهضوا بالإصلاح على أساس كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

● عملت الجماعة على إيجاد حركة طلابية إسلامية منظمة عرفت باسم (إسلامي جمعية الطلبة)، وهي جمعية مستقلة في نشاطاتها وإداراتها.

ـ وقفت الجماعة إلى جانب اللاجئين والمجاهدين الأفغان إذ قدمت لهم المخيمات والمستشفيات وساندتهم، ولا يزال هذا الأمر الشغل الشاغل للجماعة في الباكستان في مرحلة ما بعد الحرب.

● دخلت الجماعة في صراع مع الاشتراكيين والهندوس واللادينيين لمدة تسع سنوات (١٩٤٧م ـ ١٩٥٦م) حتى وضع دستور ١٩٥٦م الذي يعد انتصاراً للاتجاه الإسلامي ولا يزال هذا الصراع يأخذ أشكالاً مختلفة حتى اليوم.

● ورد في دستور الجماعة في الباكستان:

● «أن تتخذ (الجماعةُ) كتاب الله وسُنة رسوله مصدرين للاحتجاج والاستناد في كل شأن من شؤون الحياة».

● «لا يقوم كفاح (الجماعة) لأجل الوصول إلى غايتها على النشاط السري على غرار الحركات السرية في العالم بل إنها تعمل كل ما تعمل علناً وفي وضح النهار».

ـ «أن (الجماعة) تمارس الطرق الدستورية والقانونية للقيام بالإصلاح الذي تنشده والانقلاب الذي تستهدفه، كما أنها تحاول كسب تأييد الرأي العام للتغيير الذي وضعته نصب عينيها».

● للجماعة أمير ومجلس شورى ولها صلات طيبة مع الهيئات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة الإسلامية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● استمد أبو الأعلى المودودي دعوته ابتداء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● تأثرت دعوته بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذ كان شديد الإلحاح على تنقية العقيدة من شوائب الشرك وضرورة العودة دائماً إلى النبعين الصافيين، والرجوع إلى الدليل في كل أمر وترك البدع.

● تأثر المودودي بالفيلسوف الإسلامي محمد إقبال الذي تغنَّى بفكرة انفصال الباكستان المسلمة عن الهند الوثنية(*)، وكان شديد الإعجاب به، وقد التقيا ثلاث مرات فقط

كانت أفكارُهما خلال ذلك متطابقة إلى أبعد الحدود.

● هناك عملية تأثُّر وتأثير بين دعوة الإخوان المسلمين ودعوة الجماعة الإسلامية هذه، وكُتُبُ كلٍّ منهما تُدرس في مناهج الأخرى، وقد وجد حسن البنا في كتاب **الجهاد في الإسلام** الذي ألفه المودودي تطابقاً بينه وبين أفكاره التي يحملها عن الجهاد وأبدى إعجابه به.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تتركز الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية.

● مركز الجماعة الإسلامية في الباكستان هو مدينة لاهور ـ المنصورة.

● على الرغم من أن لأفراد الجماعة قيادات متعددة في كل من بنجلاديش والهند وسيري لانكا وكشمير وغيرها إلا أنها جميعاً ذات اتجاه وفكر واحد لا يختلف من منطقة إلى أخرى، إذ إن ذلك أمر إداري فقط.

● للجماعة وجود ونشاط في الدول الغربية بين أفراد الجالية من شبه القارة الهندية، وقد أسهم أفرادها في الدعوة الإسلامية في الباكستان، وتربية الأجيال المسلمة حيثما وجدوا.

● وجه نقاد الجماعة الإسلامية للمودودي ـ يرحمه الله ـ وللجماعة من بعده بعض النقد الذي لا يخلو من وجاهة أحياناً.

ويتضح مما سبق:

أن الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية هي جماعة إسلامية تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية(*) والوقوف بحزم أمام جميع أشكال العلمانية، وقد أسسها الشيخ أبوالأعلى المودودي يرحمه الله، عقيدة سنية، فهي تتمسك بالكتاب والسُّنة، وتهدف إلى جعل الإسلام نظاماً شاملاً للبشرية كافة وللمسلمين عامة، وترى ضرورة استخلاص المسلمين الحكم من الطواغيت(*)، خروجاً من النظرية القومية الضيقة، ونأياً عن تحكم الحضارة الغربية، ووأداً لكل الأفكار التي تعارض الفكر الإسلامي، وتحقيقاً لسيادة الأفكار التي تقضي على الجمود الديني. وقد كافح المودودي من أجل تأكيد أن الحاكمية لله وحده، وأنه ليس للحكومة إلا تنفيذ مرضاة الله، ورأى وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، وإلغاء جميع القوانين المخالفة لها، وبين أن الحكومة الباكستانية تمارس سلطاتها ضمن حدود الشريعة الإسلامية. وقد اعتقل المودودي بسبب هذا الإعلان، ولكنَّ الحكومة رضخت لهذه

المبادىء بعد ذلك. وترى الجماعة وجوب السعي في الإصلاح الاجتماعي ونشر الوعي الإسلامي وإيجاد حركة إسلامية طُلَّابية منظمة، للعمل في سبيل إعلاء شرع الله.

مراجع للتوسع:

- **أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته**، أسعد جيلاني - ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم - شركة الفيصل بلاهور - طبعته الأولى بالعربية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- **الإمام أبوالأعلى المودودي: حياته، دعوته، جهاده**، خليل أحمد الحامدي - المكتبة العلمية - لاهور - الباكستان - ١٩٨٠م.
- **الموسوعة الحركية** (مجلدان، فتحي يكن - دار البشير - عمان - الأردن - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- **دستور الجماعة الإسلامية بباكستان**، نقله إلى العربية خليل أحمد الحامدي - دار العروبة - المنصورة - لاهور - باكستان - ١٩٨٢م.
- **المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي**، محمد الحسن.
- **كتب ومؤلفات أبي الأعلى المودودي** وهي كثيرة ومعروفة.
- **الجماعة الإسلامية في سطور**.
- **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية**. أبو المكرم بن عبد الجليل ط. مكتبة دار السلام بالرياض ولاهور.
- **أثر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية في الحركات الإسلامية المعاصرة**. صلاح الدين مقبول ط. مجمع البحوث العلمية الإسلامية نيودلهي ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢١ـ حركة الاتجاه الإسلامي بتونس
«حزب النهضة»

التعريف:

حركة(*) الاتجاه الإسلامي بتونس، حركة إسلامية، قامت على منهج(*) فكر الإخوان المسلمين في العالم الإسلامي، وظهرت كرد فعل شعبي ضد التطرف العلماني المتمثل في الاستهتار بالإسلام وقيمه وأحكامه، ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية واستشراء الاستبداد السياسي. وقد بدأها راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو واحميده النيفر، والتف حولهم عدد من الشباب وشكلوا جميعاً النواة الأولى لانتشار الفكرة الإسلامية، وأصبحت المساجد والمعاهد والجامعات رافداً أساسياً للحركة الإسلامية، التي واصلت معركتها ضد رموز التبعية والتغريب. وظلت تنشط في الساحة التونسية حتى صدر قرار بحلها وبدأ اعتقال قادتها وشبابها في ظل الحكم الحالي، إلا أنها حركة مستقلة في قرارها. ومازال لها وجود داخل تونس وخارجها على الرغم من المطاردة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

تأسست حركة الاتجاه الإسلامي في ١٩٦٩م بتونس بعد سلسلة من الأحداث كان هدفها محو الشخصية الإسلامية لتونس، ومن أبرز شخصيات هذه الحركة:

● الدكتور راشد الغنوشي:

ـ مؤسس حركة الاتجاه الإسلامي.

ـ ولد في مدينة الحامة بولاية قابس بالجنوب الشرقي لتونس سنة ١٩٣٩م ودرس في دمشق.

ـ أتم دراسته العليا في الفلسفة والتربية في فرنسا، اعتقل مرات كثيرة في أواخر السبعينات وحوكم في صائفة سنة ١٩٨١م وحكم عليه بعشر سنوات سجناً، ثم أطلق سراحه سنة ١٩٨٤م ثم اعتقل في ٩ مارس ١٩٨٧م وعندما أفرج عنه خرج من البلاد. ويعيش الآن في الخارج.

● الشيخ عبد الفتاح مورو:

ـ الأمين العام لحركة الاتجاه الإسلامي.

ـ من مواليد سنة ١٩٤٨م في تونس ـ حصل على إجازة الحقوق سنة ١٩٧٠م، وتولى مهنة القضاء حتى سنة ١٩٧٧م، ثم التحق بالمحاماة.

ـ التقى مع راشد الغنوشي سنة ١٩٦٩م وتعاهدا على العمل والدعوة للإسلام، وتأثر الاثنان بفكر سيد قطب ـ يرحمه الله.

ـ وخلال تعرض الحركة(*) للمحنة في عهد ابن علي (خليفة بورقيبة) في ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م انشق عن الحركة وشكل جماعة جديدة.

أحداث وتطورات الحركة:

● منذ أن أعلن بورقيبة سنة ١٩٤٥م ـ قبل إعلان الاستقلال بسنتين أنه ينوي إقامة حكم لا ديني في البلد، قرر بورقيبة وحزبه ـ فعلاً ـ تجريد البلد من كل مقوماته الإسلامية.. ففي سنة ١٩٥٧م أعلنت قوانين الأحوال الشخصية التي تقطع علاقتها بالشريعة الإسلامية(*) في مجال الأسرة. وفي سنة ١٩٥٨م ألغيت الأوقاف العامة، و١٩٥٩م منع التعليم الديني و١٩٦٠م شن بورقيبة حرباً ضد الصيام و١٩٦٢م ألغي التقويم الهجري، و١٩٦٥م ـ فتح أول ناد للعراة، و١٩٦٨م بدأت تعرية المرأة المسلمة من لباسها الإسلامي. و١٩٦٩م بدأت حملة لغلق المساجد، و١٩٧٤م بدأ بورقيبة بإلقاء محاضرات ضد القيم الإسلامية، وتهجم على القرآن الكريم والسنة النبوية، والآداب الشرعية والعادات الإسلامية.

ـ وكان من نتيجة هذه الأحداث تحرك بعض الغيورين على الإسلام، ومنهم الشيخ راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو للوقوف ضد هذه الهجمة الشرسة، وتأسيس حركة الاتجاه الإسلامي سنة ١٩٦٩م.

ـ وبارك الله في الدعوة الإسلامية فانضم إليها الشباب من الجنسين وطلاب الجامعات، وبرزت ملامح الإسلام عليهم، من إطلاق اللحى إلى الزي الشرعي وغير ذلك.

أهداف الاتجاه الإسلامي بتونس:

● بعث الشخصية الإسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الإسلامية بأفريقيا، ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلال.

● تجديد(*) الفكر الإسلامي على ضوء أصول الإسلام الثابتة ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب.

● استعادة الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيداً عن كل وصاية داخلية أو هيمنة خارجية.

● إعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية وتوزيع الثروة بالبلاد توزيعاً عادلاً على ضوء المبدأ الإسلامي «الرجل وبلاؤه، والرجل وحاجته» أي «من حق كل فرد أن يتمتع بثمار جهده في حدود مصلحة الجماعة، وأن يحصل على حاجته في كل الأحوال» حتى تتمكن الجماهير من حقها الشرعي المسلوب في العيش الكريم بعيداً عن كل ضروب الاستغلال والدوران في فلك القوى الاقتصادية الدولية.

● المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام على المستوى المحلي والمغربي والعربي والعالمي، وحتى يتم إنقاذ شعوبنا والبشرية جمعاء مما تردت فيه من ضياع نفسي وحيف اجتماعي وتسلط دولي.

وتتخذ الحركة الوسائل التالية لتحقيق هذه المهام:

● إعادة الحياة إلى المسجد كمركز للتعبد والتعبئة الجماهيرية الشاملة أسوة بالمسجد في العهد النبوي، وامتداداً لما كان يقوم به الجامع الأعظم، جامع الزيتونة، من صيانة للشخصية الإسلامية ودعماً لمكانة البلاد كمركز عالمي للإشعاع الحضاري.

● تنشيط الحركة الفكرية والثقافية، ومن ذلك: إقامة الندوات وتشجيع حركة التأليف والنشر، وتأصيل وبلورة المفاهيم والقيم الإسلامية في مجالات الأدب والثقافة عامة وتشجيع البحث العلمي ودعم الطلاب، واللباس الشرعي للفتيات.

ـ هذا الوضع أثار صحيفة **اللوموند** الفرنسية فكتبت صفحة كاملة سنة ١٩٧٤م تحذر بورقيبة من ظاهرة الصحوة الإسلامية، وخطرها على التقدم والمدنية في تونس.

ـ في السنة نفسها شنَّت جرائد الحزب الحاكم حملة شعواء على الإسلاميين، وسخرت منهم. ثم انتقلت إلى التهديد والوعيد، وما إن أعلن راشد الغنوشي عن تشكيل المكتب السياسي العلني الأول لحركة الاتجاه الإسلامي، وتقدم بطلب رسمي للترخيص القانوني بقيام الحزب حتى دخلت مجال العمل السياسي وبدأت الحرب ضدها.

● سنة ١٩٨١م فتحت أبواب السجون لرجال الحركة(*) الإسلامية، وصدرت أحكام بسجن ما يقرب من ٢٠٠ منهم بتهم ملفقة.

● سنة ١٩٨٤م أطلق سراح العاملين بحركة الاتجاه الإسلامي، وحرموا حقهم في الوظيفة، ومنعت صحفهم الإسلامية ودروسهم المسجدية.

● سنة ١٩٨٦م أعلن بورقيبة أنه سيكرس السنوات العشر القادمة من حياته لمحاربة الاتجاه الإسلامي.

● وفي سنة ١٩٨٧م/ رجب ١٤٠٧هـ أعيد رجال الحركة إلى السجون التونسية.

ـ وفي هذه السنة نفسها سقط بورقيبة ومات سياسياً على يد حركة الاتجاه الإسلامي.

● وجاء ابن علي خليفة بورقيبة واستبشر المسلمون خيراً، إلا أنه اتّبع سياسة بورقيبة بعد ذلك في محاربة حركة الاتجاه الإسلامي.. ورجال الحركة (حاليًا) ١٤١٧هـ بين سجين ومطارد.

المبادىء والأفكار:

● جاء في البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي أن الحركة تعمل على تحقيق المهام التالية:

ـ الإعلام الملتزم حتى يكون بديلاً عن إعلام الميوعة والنفاق.

ـ دعم التعريب في مجال التعليم والإدارة مع الاهتمام باللغات الأجنبية.

ـ رفض العنف كأداة للتغيير وتركيز الصراع على أسس شورية تكون هي أسلوب الحسم في مجالات الفكر والثقافة والسياسة.

ـ رفض مبدأ الانفراد بالسلطة الأحادية (Unipartisme) لما يتضمنه من إعدام لإرادة الإنسان، وتعطيل لطاقات الشعب، ودفع البلاد في طريق العنف، مع إقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية، والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية.

ـ بلورة مفاهيم الإسلام الاجتماعية في صيغ معاصرة، وتحليل الواقع الاقتصادي التونسي حتى يتم تحديد مظاهر الحيف وأسبابه، والوصول إلى بلورة الحلول البديلة.

ـ الانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين وسائر المحرومين في صراعهم مع المستكبرين والمترفين.

ـ دعم العمل النقابي بما يضمن استقلاله وقدرته على تحقيق التحرر الوطني بجميع أبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية.

ـ اعتماد التصور الشمولي للإسلام، والتزام العمل السياسي بعيداً عن اللادينية والانتهازية.

ـ تحرير الضمير المسلم من الانهزام الحضاري إزاء الغرب.

ـ بلورة وتجسيم الصورة المعاصرة لنظام الحكم الإسلامي بما يضمن طرح القضايا الوطنية في إطارها التاريخي والعقائدي والموضوعي مغربيًّا وعربيًّا وإسلاميًّا وضمن عالم المستضعفين عامة.

ـ توثيق علاقات الأخوة والتعاون مع المسلمين كافة: في تونس وعلى صعيد

المغرب والعالم الإسلامي كله.

ـ دعم ومناصرة حركات التحرر في العالم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ حركة(*) الاتجاه الإسلامي قامت على منهج(*) حركة الإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي.

ـ كما تأثرت الحركة بمنهج المدرسة العقلية (المعتزلة ـ أهل الكلام) في التاريخ الإسلامي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انتشر فكر الحركة(*) في تونس بشكل خاص، وأعلنت الحركة عام ١٩٨٥م عن مكتبها التنفيذي الثالث برئاسة الأستاذ راشد الغنوشي والأستاذ عبد الفتاح مورو أميناً عامًّا، وعضوية السادة حمادي الجبالي والحبيب اللور والحبيب السويسي، واعتُرف بالحركة رسميًّا عندما استقبلهم الوزير الأول محمد المزالي في قصر الحكومة، واعترفت كل الأطراف بالوجود السياسي الفعلي لحركة الاتجاه الإسلامي، واضطرت للتعامل معها. وكانت جريدة **الرأي** وسيلة النشر لمؤلفات بعض مفكري الحركة مثل الدكتور عبدالمجيد النجار ومحسن الميلي وعندما تولى ابن علي السلطة أفرج عن رموز الحركة في البداية، واضطر قادتها في ٨ فبراير ١٩٨٩م أن يتقدموا بطلب تأشيرة للسماح للحركة بمزاولة نشاطها تحت اسم جديد هو «حزب النهضة» تمشياً مع قانون الأحزاب، ولكن سرعان ما غيرت السلطة موقفها وقلبت لهم ظهر المجنِّ، وسارعت إلى القبض على الكثير من شباب الحزب وأودعتهم السجون، واضطر الكثيرون من رموز الحركة إلى الفرار بدينهم إلى خارج البلاد بعد مصادرة نشاطها.

ويتضح مما سبق:

أن حركة الاتجاه الإسلامي بتونس هي حركة إسلامية تتبنى كثيراً من المفاهيم الفكرية لحركة الإخوان المسلمين، وهدفها القضاء على المد العلماني، وبعث الشخصِية الإسلامية وتجديد(*) الفكر الإسلامي في ظل أصول الإسلام الثابتة، وإعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية، وبعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام

داخل البلاد وخارجها في ظل إعلام إسلامي ملتزم، ورفض كامل للعنف كأداة للتغيير، وتكريس السلطة الإسلامية الشورية الجماعية، والانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين.

مراجع للتوسع:

- **معلومات عن حركة الاتجاه الإسلامي بتونس** ـ (نشرة موسعة باللغة العربية عن الحركة).
- **تصريحات ومقابلات كل من الشيخ راشد الغنوشي والشيخ عبد الفتاح مورو ـ في كل** من:
- **مجلة المجتمع الكويتية** في ١٥/١/١٩٨٥م ـ ٤/١٠/١٩٨١م.
- **مجلة الإصلاح** العدد ١١٣ و١١٤ في ١/٦/١٩٨١م.
- **مجلة الغرباء** رمضان ١٤٠٧هـ آيار ١٩٨٧م.
- **مجلة البلاغ** في ١٢/٩/١٩٨٤ و٢٣/٨/١٩٨١م.
- **البيان التأسيسي للحركة** في ٦/٦/١٩٨١م.
- **حركة الاتجاه الإسلامي في تونس** ـ راشد الغنوشي ـ نشر دار القلم ـ الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٢ـ حزب السلامة الوطني (الرفاه الإسلامي)

التعريف:

حزب السلامة حزب(*) إسلامي تركي يعمل على إعادة بناء الحياة وصياغتها من جديد على أساس مبادىء الإسلام، وقد اختار الطريق السياسي وسيلة لتحقيق أفكاره على أرض الواقع، واضعاً كل طاقاته للوقوف أمام التيار العلماني الذي سيطر على تركيا إثر زوال الخلافة(*) العثمانية. وقد غير اسم الحزب حديثاً إلى حزب الرفاه الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس نجم الدين أربكان: المولود عام ١٩٢٦م بمدينة سينوب على البحر الأسود، يرجع نسبه إلى أسرة عريقة، تخرج من كلية الهندسة باستانبول عام ١٩٤٨م وأوفد إلى ألمانيا لينال الدكتوراه عام ١٩٥٣م من جامعة آخن في المحركات والترموديناميك.

ـ كان متفوقاً على جميع أقرانه خلال مراحل الدراسة المختلفة.

ـ يذكر ملف الجامعة التكنيكية بألمانيا عنه: «أنه كان أثناء دراسته يكثر من شيئين: الصلاة وعمل المشروعات».

ـ احتل عدداً من المناصب الجامعية العليا في بلده، ونشر عدداً من الأبحاث العلمية المختلفة والتي تدور حول المحركات والآليات.

ـ أول انعطاف سياسي له كان في عام ١٩٦٨م عندما صار عضواً في مجلس إدارة اتحاد غرف التجارة والصناعة التركي.

ـ في انتخابات عام ١٩٦٩م رشح أربكان نفسه مستقلاً عن قونية، وقد فاز بمعظم أصواتها، وذلك بمؤازرة عشرة آلاف شاب من خريجي المعاهد الدينية.

ـ عقد نجم الدين عدة مشاورات مع الشخصيات الإسلامية البارزة، وبعدها شكَّل مع مجموعة من أصدقائه (حزب النظام الوطني) في ٢٦ يناير ١٩٧١م الذي اتخذ رمزاً له قبضة يد منطلقة في الهواء وأصبع الشهادة موجهاً نحو الأمام.

- في إبريل ١٩٧١م اصطنعت له بعض التهم، إذ قُدِّم للمحكمة التي أصدرت أمراً بإلغاء حزبه الذي لم يستمر سوى (١٦) شهراً، مع مصادرة ممتلكاته، ومنع شخصياته من العمل من خلال أي حزب سياسي آخر، ومنعهم من تأسيس أي حزب جديد، كما أنه لا يجوز لهم ترشيح أنفسهم ولو كانوا مستقلين.

- ازدادت موجة العنف والاضطراب في تركيا من أوائل ١٩٧١م، وقد أيقنت الحكومة حينها أن عودة الإسلاميين إلى الساحة قد يوازن الأمور.

- لم يكن بإمكان أربكان أن يتقدم للحصول على ترخيص للحزب الجديد، إذ تقدم عنه كل من:

١ - عبد الكريم دوغر: مدير شركة الآزوت، والذي صار فيما بعد وزيراً للتكنولوجيا.

٢ - طورهان أكيول: وهو من رجال الاقتصاد.

- تمَّ تأسيس حزب السلامة فعلاً وبترخيص حكومي في ١١/ ١٠/ ١٩٧٢م.

- إثر انتخابات ١٤/ ١٠/ ١٩٧٣م شكَّل حزب(*) السلامة مع حزب الشعب ائتلافاً وزاريًا أحرز فيه أربكان منصب نائب رئيس الوزراء كما نال الحزب سبع وزارات هي وزارات الدولة والداخلية والعدل والتجارة والجمارك والزراعة والتموين والصناعة.

- سقطت هذه الوزارة بعد تسعة أشهر ونصف.

- انضم حزب السلامة إلى حزب الحركة وحزب العدالة لتشكيل الائتلاف الوزاري الجديد في ١/ ٨/ ١٩٧٧م.

- في ٥/ ١٢/ ١٩٧٨م طالب المدعي العام التركي فصل أربكان عن حزبه بدعوى أنه يستغل الدين في السياسة، وهو أمر مخالف لمبادىء أتاتورك العلمانية.

- في ١٢/ ٩/ ١٩٨٠م قاد الجنرال كنعان إيفرين انقلاباً تسلم الجيش بموجبه زمام الأمور في البلاد.

- اعتقل نجم الدين مع ٣٣ من قادة حزبه ورجالاته البارزين، وحدد يوم ٢٤/ ٤/ ١٩٨١م موعداً لمحكمة عسكرية.

- في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٥م خرج أربكان من السجن، ووضع تحت الإقامة الجبرية التي استمرت حتى أواخر العام ذاته، وقد حضر إلى مكة معتمراً مع بداية عام ١٩٨٦م، وقد عاود نشاطه من جديد من خلال حزبه الجديد المسمى بحزب الرفاه.

- في أوائل عام ١٩٩٦م استطاع الحزب اكتساح منافسيه في الانتخابات التشريعية في البلاد، وبذلك تولى البروفيسور نجم الدين أربكان رئاسة الوزارة للمرة الأولى .

● حسن أقصاي: من كبار رجال حزب السلامة، وقد شغل منصب وزير الشؤون الدينية.

الأفكار والمعتقدات:

● لا يوجد ثمة خلاف بين أفكار حزب النظام الوطني وأفكار حزب السلامة ذلك؛ لأن تغيير الاسم لم يكن غير أمر شكلي.

● ترتكز أهداف حزب السلامة على خمسة مبادىء.

- السلام والأمن في الداخل.
- امتزاج الأمة بالدولة.
- تركيا الكبيرة من جديد.
- النهضة الأخلاقية.
- النهضة المادية.

● في ٢٦/ ٤/ ١٩٨٠م ألقى نجم الدين أربكان خطاباً أمام البرلمان التركي دعا فيه إلى:

- أمم متحدة للأقطار الإسلامية.
- سوق إسلامية مشتركة.
- إنشاء عملة إسلامية واحدة (الدينار الإسلامي).
- إنشاء قوة عسكرية تدافع عن العالم الإسلامي.
- إنشاء مؤسسات ثقافية تبني الوحدة الثقافية والفكرية على أساس المبادىء الإسلامية.

● **من آراء وأفكار الحزب الأخرى:**

- ضرورة عودة المؤسسات المهمة التي تكرس العقيدة الإسلامية.
- العمل على إرجاع الناس إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.
- الحكم وسيلة لمرضاة الله وخدمة للأمة.
- إصلاح التعليم ليكون أداة موجهة إلى الأخلاق الفاضلة.
- افتتاح المصانع في الأناضول واستيعاب الشباب للعمل فيها بدلاً من

هجرتهم للعمل في أوربا مما يفقدهم دينهم وأخلاقهم.

- ضرورة مقاطعة السوق الأوربية المشتركة.
- إصلاح جهاز الإعلام ليخدم مصالح الأمة وينمي ثقافتها.
- لا بد من قيام التصنيع الثقيل وكذلك التصنيع الحربي.

● أثناء مشاركة الحزب في الحكم رفع شعار «مصنع لكل ولاية» وقد وضع هذا الشعار موضع التنفيذ لكنه لم يمهل ليتم إنجازه الذي بدأ به ومن تصوراته:

- فتح عدد كبير من المدارس للأئمة والخطباء.
- تدريس مادة الأخلاق(*) في المدارس واعتبارها مادة إجبارية.
- السماح للأتراك بالسفر برًّا إلى الحج.
- العفو السياسي والذي يشمل الإسلاميين.
- الدعوة إلى إلغاء الربا بكل أشكاله.
- الدعوة إلى عودة الكتابة بالحروف العربية وإقصاء الكتابة بالحرف اللاتيني.
- بناء المساجد في المدن والقرى وتشكيل إدارة قوية للأوقاف الإسلامية.
- مناصرة القضية الفلسطينية واعتبارها قضية إسلامية، وقد ظهر ذلك في:

١ ـ الوقوف ضد التوجه الإسرائيلي في الحكومة التركية.

٢ ـ المطالبة بقطع علاقات تركيا مع إسرائيل إثر إطلاق دعوتها إلى نقل العاصمة إلى القدس.

٣ ـ الفوز بالاقتراع على حجب الثقة عن وزير الخارجية التركي خير الدين أركمان وإقالة هذا الوزير من منصبه بسبب ولائه الشديد للغرب ولإسرائيل.

٤ ـ مؤتمر قونية الإسلامي الذي خرج فيه مائة ألف مسلم يوم ٦/ ٩/ ١٩٨٠م وهم يرددون شعارات إسلامية يطالبون فيها بتطهير القدس من اليهود، ويطالبون بفتح باب الجهاد(*) من أجل تحريرها.

٥ ـ فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في تركيا.

٦ ـ الإشادة بالمواقف المشرفة التي وقفها السلطان عبد الحميد من القضية الفلسطينية.

- تنمية شعور الاعتزاز بالانتماء إلى أمة الإسلام.
- التأكيد على أن (اليمين واليسار والوسط) إنما هي أوجه مختلفة لعملة علمانية واحدة تقف على قدم واحدة أمام التيار الإسلامي، وترسيخ فكرة أن

حزب(*) العدالة ليس بأقل شرًا ولا أهون خطباً من حزب الشعب في موقفهما المعادي للإسلام.

● قال أربكان مرة: «إنهم قد اتهمونا بالرجعية والتخلف، لكنهم يخجلون إذا علموا أن نواب حزب السلامة في البرلمان وهم خمسون نائباً يشكلون ٩٥٪ من مثقفي المجلس».

● تصدى الحزب للماسونية وطلب إعادة النظر في محافلها وعمل على الكشف عن حقيقتها المعادية للدين(*) والوطن.

● في الفترة التي شارك فيها الحزب في السلطة تدخلت القوات التركية وأحرزت نصراً عسكريًا مؤزراً في قبرص.

● دعا الحزب إلى العمل من أجل تغيير الدستور التركي الكمالي.

● في يناير ١٩٧٥م استصدر الحزب من البرلمان قانوناً يجيز لبني عثمان العودة إلى ديارهم بعد أن طردوا منها منذ صدور قرار ٣/ ٣/ ١٩٢٤م عقب استيلاء أتاتورك على الحكم.

● هناك صحيفتان تعبران عن وجهة نظر الحزب(*) هما: **مللي جازيت ويني دور**.

● هذا ويؤخذ على الحزب أنه يعنى بالتجميع والكثرة العددية على حساب التربية والعمل الهادىء.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● أفكارهم ومعتقداتهم إسلامية سنية في جوهرها، ومستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● استفاد حزب السلامة من الشعور الديني المتنامي الذي هيأته جماعة النور وعملت على ترسيخه والمحافظة عليه في تركيا، وذلك على الرغم من أن أنصار النور لم يلتحقوا جميعاً بالحزب الجديد.

● يعد حزب السلامة امتداداً لحزب النظام الوطني، وحزب الرفاه الحالي امتداداً لهما جميعاً.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● إن الأراضي التركية هي مسرح هذا الحزب(*) الإسلامي الذي يسعى إلى

إيقاظ الروح الإسلامية والمحافظة على التراث الإسلامي فيها بعد أن كادت هذه الجذوة تنطفىء بسبب التغريب والعلمنة.

● لقد زاد عدد المدارس الإسلامية بسبب حزب السلامة ليصل إلى ٢٨٠٠ مدرسة لتحفيظ القرآن، وبلغ عدد مدارس الأئمة والخطباء ١٧٢ مدرسة، وأربعة معاهد عليا يدرس بها ٢٤ ألف طالب فضلاً عن ٥٠٠٠ مدرس لتدريس مادة الأخلاق(*) والتي هي في جوهرها مادة الدين(*) في تركيا.

ويتضح مما سبق:

أن حزب السلامة الوطني أو ما يعرف الآن بحزب الرفاه، على الرغم من أنه لا يحمل لافتة أو تسمية إسلامية، بسبب أنظمة تركيا العلمانية، التي لا تسمح بالترخيص لأي حزب أو جماعة دينية، إلا أنه يتبنى أيديولوجية(*) إسلامية تقوم على الإيمان بالله والاهتمام بالأخلاق والاعتزاز بحضارة الإسلام والعودة بتركيا إلى تراثها الإسلامي.

مراجع للتوسع:

- **العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا**، عبد الكريم مشهداني، منشورات المكتبة الدولية بالرياض، مكتبة الخافقين بدمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا**، مصطفى محمد، ألمانيا الغربية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **الموسوعة الإسلامية** «جزءان»، فتحي يكن، دار البشير، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م.
- **مجلة الشهاب البيروتية**، العدد الخامس، السنة التاسعة، ١٩٧٤م.
- **مجلة الشهاب البيروتية**، العدد السادس، السنة التاسعة، ١٩٧٥م.
- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٩٦، السنة السابعة، إبريل ١٩٧٦م.
- **صحيفة الميثاق المغربية**، العدد ٢٩١، ربيع الآخر، ١٣٩٩هـ.
- **مجلة القبس الكويتية**، ١٢ إبريل ١٩٧٧م، وهي تنقل عن صحيفة انجلس تايمز.

٢٣ـ الحزب الإسلامي الكردستاني
(بارتيا إسلاميًّا كوردستاني باك)

التعريف:

الحزب الإسلامي الكردستاني: حزب(*) سياسي إسلامي يهدف إلى تكوين دولة إسلامية في منطقة كردستان، ورفع الظلم والتمزق الواقع على الأكراد خاصة ومحاربة المخططات الاستعمارية تجاههم.

نظرة جغرافية وتاريخية:

● تقع كردستان (أرض الأكراد) في كل من تركيا وإيران والعراق وسورية والاتحاد السوفيتي السابق. وتبلغ مساحتها نصف مليون كيلومتر مربع تقريباً. وعدد سكانها ٤٠ مليون نسمة، يدين أكثرهم بالإسلام ـ وهم سنّة ـ وتوجد أقليات كردية في كل من باكستان وأفغانستان والسودان.

● تمتاز كردستان بثروتها النفطية والمعدنية والحيوانية والمائية، إذ يمر فيها أنهار دجلة والفرات وآراس والخابور.

● يتكلم الأكراد اللغة الكردية التي تنتمي إلى مجموعة اللغات الإيرانية، التي تمثل فرعاً من أسرة اللغات الهندية وأوربية التي تضم: الكردية والفارسية والبشتو والطاجيكية. وتكتب اللغة الكردية في إيران والعراق بالحرف العربي، وفي تركيا وسورية بالحرف اللاتيني، وفي الدولة التي تسلل إليها الاتحاد السوفيتي بالحرف الروسي.

● تعد كردستان مهد البشرية (في الجودي، بعد الطوفان). وفي القرن السادس قبل الميلاد سقطت مملكة ميديا الكردية على أيدي الفرس الأخمينيين.

● وفي عام ١٨ من الهجرة النبوية دخل الإسلام إلى كردستان على يد عياض بن غنم، رضي الله عنه، واستمر الأكراد منذ ذلك التاريخ حماة الإسلام وحملته، فكان منهم صلاح الدين الأيوبي هازم الصليبيين.. ومنهم العلماء والمصلحون أمثال ابن تيمية وابن حجر وابن الصلاح وغيرهم كثير.

● قسمت كردستان بعد الحرب العالمية الأولى، ووزعت على العراق وسورية وتركيا وإيران وروسيا.

● اتبعت الدول المذكورة فيهم سياسة التتريك، والتعريب، والتفريس، مع محاولة القضاء على إسلامهم وشجاعتهم، بإثارة النزعات القبلية ونشر الأفكار الماركسية والعلمانية فيهم.. ولم يخضع الأكراد لهم، فقامت ثورات لم تنطفىء شعلتها حتى يومنا هذا. وأهم هذه الثورات:

- في تركيا:

١ - ثورة الشيخ سعيد بيران سنة ١٩٢٥م.

٢ - ثورة الجنرال إحسان نوري باشا سنة ١٩٢٧ - ١٩٣٠م.

٣ - ثورة وبرسم سنة ١٩٣٧م.

- وفي إيران:

- ثورة قاضي محمد، وجمهورية مهاباد الكردية سنة ١٩٤٥م.

- وفي العراق:

١ - ثورة الشيخ محمود الحفيد سنة ١٩٢٠ - ١٩٣٠م.

٢ - ثورة الشيخ أحمد البرزاني سنة ١٩٣١م.

٣ - ثورة الملا مصطفى البرزاني سنة ١٩٣٥ و١٩٤٣م.

وانتهت ثورة البرزانيين سنة ١٩٧٥م بعد اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

اجتمع بعض الإسلاميين الأكراد، في موسم الحج بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٤٠٠هـ في مكة المكرمة، وتباحثوا في قضية شعبهم الكردي المسلم، وما أصابهم من تمزق ودمار وهلاك على يد السلطات في البلاد الموزعين فيها.. ومحاولة القضاء عليهم بجميع السبل وبمختلف الحجج الواهية.

وتبع ذلك قيام حركات وطنية وقومية غلب على كثير منها طابع العلمانية الاشتراكية، فكانت في حال عداء للإسلام. وقد أدى هذا إلى تشويه سمعة الأكراد في النصف الثاني من هذا القرن، من خلال ما كانت تطرحه الأحزاب(*) من إلحاد(*) ومخالفات للدين(*) واستخفاف به أو إهمال له. وكان من المحزن أن يضطر كثير من المتدينين إلى الالتحاق بتلك الأحزاب بسبب عدم وجود البديل الإسلامي الكردي.

وقد وجد المجتمعون الحاجة ماسة إلى إقامة حزب(*) إسلامي في كردستان يشعر بآلام الشعب الكردي المسلم، ويحل عقده، ويحمل عنه بعض همومه ومشكلاته، ويطلق طاقاته نحو بناء الدولة المسلمة التي تحمل شعار الإسلام ديناً ودولة، وتطبق الإسلام في

جميع مجالات الحياة . . وقرر المجتمعون تأسيس هذا الحزب الذي أطلقوا عليه «بارتيا إسلاميا كردستاني» (الحزب الإسلامي الكردستاني).

وعقب هذا الاجتماع عقد أربع مؤتمرات عامة للحزب خارج كردستان. وفي المؤتمر الأخير منها قررت المبادىء الأساسية لفكر الحزب وحركته، كما تقرَّر النظام الداخلي، الذي اعتمد فتح مكاتب للحزب في أوروبا وأمريكا الشمالية.

وتم إصدار مجلة جودي الناطقة باسم الحزب باللغات العربية والتركية والكردية. و«جودي» هو الجبل الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام، وموطنه كردستان، وهو يعد مهد البشرية الثاني بعد الطوفان حيث انطلقت البشرية من سفوحه لتعمر شتى بقاع الأرض.

● ومن أبرز شخصيات الحزب، كما وردت في كتب صدرت عن القضية الكردية عربية وأجنبية، هي:

- الدكتور مظفر من العراق
- الدكتور صالح كابوري من سورية
- أسروان من الولايات المتحدة الأمريكية.
- م. الكردي من السودان
- م. كزب شوتي من تركيا

الأفكار والمعتقدات:

● الشعب الكردي المسلم جزء من الأمة الإسلامية الواحدة، وكردستان المسلمة جزء من دار الإسلام الكبرى، وهي وطن الشعب الكردي تاريخياً وجغرافياً، وتشمل تلك الأرض التي يكوِّن الكرد غالبية سكانها.

● الشعب بيده السلطات: الاجتهادية والتنفيذية والقضائية. ومصدر التشريع كتاب الله تعالى وسنة رسول الله، ﷺ، وينوب عن الشعب في حمل سلطاته مجلس الشورى المنتخب من قبل الشعب.

● الكليات التي ترعاها السلطات للمجتمع حفظاً وتكميلاً وتحسيناً هي: الدين(*) والعقل(*) والعرض والنفس والمال. والخصوصيات التي ترعاها للأفراد كل الحاجات المادية وبناء العلاقات بين أفراد المجتمع على الأخلاق الإسلامية الصحيحة.

● الدعوة لنشر الإسلام لا تكون إلا بإقناع العقول، وتأليف القلوب، ولا إكراه في الدين، أما الجهاد(*) فهو القتال في سبيل الله لدفع الظالمين المتكبرين، والدفاع عن المظلومين المستضعفين مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

● العلم حق عام، والعلم بأصول الدين فرض عين على المسلمين.

● الحرية(*) حق عام. وهي مصونة في التفكير والتعبير والمعتقد، والتأليف والنشر وتأليف التجمعات النقابية والنسائية ما لم يتعارض شيء من ذلك مع الإسلام.

● المرأة مثل الرجل تتساوى معه في الحقوق والواجبات وفي بناء المجتمع وتوجيهه. والتمييز القائم بينهما مفروض شرعاً بسبب التكوين الخلقي والوظيفة الاجتماعية.

● الأسرة الصالحة هي اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع السليم. وينبغي دعم الأسرة وتقوية الروابط بين أفرادها والتشجيع على النسل والزواج بتيسير أسبابه وتوفير مطالبه.

● المسألة الاقتصادية تحل وفق تعاليم الإسلام.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يرجع الحزب الإسلامي الكردستاني في أصوله الفكرية والعقائدية إلى المذهب الماتريدي.

● أما أصوله الحركية والدعوية فترجع إلى حركة الإخوان المسلمين.

● وفي الفقه يتبع الحزب فقه الإمام الشافعي يرحمه الله، الذي هو مذهب عامة الأكراد تقريباً.

● والحزب الإسلامي الكردستاني ليس حزباً قوميًّا كما يوحي اسمه، وهدفهم هو إنشاء دولة إسلامية كردية في منطقة كردستان، تحكِّم الإسلام في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أماكن الانتشار:

ينتشر الحزب الإسلامي الكردستاني في جميع مناطق كردستان في كل من تركيا والعراق وسورية وإيران.

يتضح مما سبق:

أن الحزب الإسلامي الكردستاني يدين بعقيدة سنية في مجملها، ويظهر هذا في مبادىء الحزب ونظامه الداخلي وتصريحات زعمائه في جميع المؤتمرات التي عقدها. وهو يهدف إلى إقامة دولةٍ إسلامية للجمع بين المسلمين في كردستان، ورفع الظلم عنهم، ومحاربة المخططات الاستعمارية تجاههم. والحزب جزء من الحركة الإسلامية التي تهدف إلى تحكيم شرع الله في شتى مجالات الحياة.

مراجع للتوسع:

- **كردستان وطن وشعب بدون دولة**: جواد الملا ـ لندن ١٩٨٥م.
- **مجلة جودي** الصادرة في أوربا باللغتين العربية والتركية منذ عام ١٤٠٠هـ والناطقة باسم الحزب الإسلامي الكردستاني.
- مجلات وصحف تركية.
- **نشرات جمعية حقوق الإنسان الكردية** ـ في لندن.
- **محاضر جلسات المؤتمر الإسلامي الأول** الذي عقد في كولونيا بألمانيا في ٢١/ ١/ ١٩٩٠م لبحث القضية الكردية.
- **محاضر جلسات المؤتمر الإسلامي الأول** الذي عقد في لندن عام ١٩٨٩م، ومؤتمر بشاور عام ١٤١١هـ.
- نشرة: **تعريف عام بالقضية الكردية** وهي الكلمة التي ألقاها الدكتور محمد صالح، أحد مؤسسي الحزب الإسلامي الكردستاني في المؤتمر السنوي الثالث عشر لرابطة الشباب المسلم العربي في ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٠م في الولايات المتحدة الأمريكية.

مراجع أجنبية:

Lothar A. Heinrich Die Kurdische Nationalbewegung in der Turkei. 1989 Hambery.

(وقد ألف هذا الكتاب وقدمهُ لإحدى الجمعيات الاستشراقية).

٢٤ـ الجبهة الإسلامية القومية بالسودان

التعريف:

الجبهة(*) الإسلامية القومية: حركة إسلامية تجديدية(*) انبثقت من حركة(*) الإخوان المسلمين، واستقطبت بعض القوى الإسلامية في السودان لتكوين جبهة واحدة ضد الأحزاب(*) الأخرى، ثم بدأت تنحو منحى بعيداً نسبيًّا عن منهج الإخوان المسلمين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الحركة هو الدكتور حسن عبدالله الترابي من مواليد قرية ود الترابي بمقاطعة الجزيرة بالسودان ١٩٣٢م. تلقى من والده علوم العربية والفقه، وأصول الأحكام وفقه المذاهب وعلوم القرآن والتفسير، وقد حفظ القرآن ببضع قراءات.

- عمل محاضراً ثم عميداً لكلية القانون بجامعة الخرطوم، ثم نائباً عامًّا ثم وزيراً للعدل، وأخيراً رئيساً للبرلمان السوداني.
- يتكلم ويكتب الإنجليزية والفرنسية ويقرأ الألمانية.
- قاد الحركة الإسلامية في السودان منذ الستينات كمراقب عام للإخوان المسلمين.
- اختير أميناً عاماً لجبهة الميثاق الإسلامي ١٩٦٤م ـ ١٩٦٩م والجبهة الإسلامية القومية ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م.
- تعرض في مجال العمل الإسلامي للحبس التحفظي لفترات تجاوزت سبع سنوات.
- نشرت له عدة مؤلفات في قضايا الدين والعبادة، والمرأة والمجتمع، والتجديد والدستور والحكم، وقضايا إسلامية وسياسية شتى.

للدكتور الترابي عدد من الآراء والاجتهادات(*) التي خالف فيها علماء الإسلام وكانت سبباً في كثير من النقد الموجه للدكتور الترابي خاصة، ولأفكار الجبهة بصفة عامة.

تطور الحركة:

يرى أنصار الجبهة أنها أخذت عدة مراحل أو عهود حتى ظهرت بالشكل الحالي ويمكن تلخيص أهم هذه العهود كالتالي:

● **عهد التكوين**: امتد هذا العهد منذ عام ١٩٤٩م وحتى عام ١٩٥٥م، إذ تأسست رسميًّا بمؤتمر جامع عام ١٩٥٤م، وكان كل اعتمادها على حركة الإخوان المسلمين بمصر في الثقافة والتنظيم والبناء الفردي والجماعي.

● **عهد الظهور الأول**: ويمتد من عام ١٩٥٦م حتى عام ١٩٥٩م، وهو عهد ما بعد الاستقلال في السودان. وفي هذا العهد ظهرت الدعوة لأول مرة بالصحف والخطب، وبرز الدعاة، وكانت القضية الأولى التي شغلت الحركة في هذا العهد هي قضية الدستور الإسلامي.

● **عهد الكمون الأول**: ويمتد من عام ١٩٥٩م وحتى ١٩٦٤م. وهي فترة سلطة الفريق عبّود وزمرته العسكرية. وقد تخرجت في هذا العهد قيادات إسلامية كثيرة، ونشطت الحركة العمالية والنقابية.

● **عهد الخروج العام**: ١٩٦٤ ـ ١٩٦٩م: وهو عهد ثورة أكتوبر، وقد أصبحت فيه الحركة محوراً لولاء شعبي منظم لأول مرة، فأقامت جبهة الميثاق الإسلامي، مؤسَّسةً على منهاج مكتوب وضعته الجماعة، وجمعت حوله الجماعات الإسلامية والأفراد في حركة(*) سياسية موحدة، وجرت فيه أكبر الحملات السياسية، وهي حملة الدستور الإسلامي.

وفي أواخر هذا العهد استفحلت الثنائية في الحركة الإسلامية بين التنظيم الأم الداخلي وبعض جبهاته الخارجية، إلا أن الحركة توحدت بعد ذلك وحسمت خلافاتها.

● **عهد المجاهدة والنمو**: ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧م: وهو عهد الشطر الأول من سلطة جعفر نميري ونظام مايو، الذي أجهض الديمقراطية، والقوى الوطنية والحركة الإسلامية بدافع من الشيوعية والقوى القومية العربية، فتعرضت الحركة لابتلاءات شديدة واضطهادات واعتقالات وتصفيات وإعدامات. وفي ظروف الاعتقال أصّلت الحركة عملها في مجال الاعتقاد ونشر الدعوة والتنظيم وقضية المرأة.

● **عهد المصالحة والتطور**: ١٩٧٧ ـ ١٩٨٤م: وهو عهد مايو الأخير، إذ بدأ نظام المصالحة الوطنية، وتصفية اتجاهات جعفر نميري اليسارية، وبدأ الاتجاه إلى

الإسلام. وفي هذا العهد بدأ الوعي بقضية الجنوب في السودان، وتوجهت عناصر من الحركة(*) لتأسيس (منظمة الدعوة الإسلامية) لتُعنى بنشر الإسلام في المناطق المسلمة في السودان من خلال الدعوة والخدمة الاجتماعية.

وفي هذا العهد، أيضاً، نشط العمل النسوي، ودخلت المرأة بشكل كامل في الحركة الإسلامية.

وفي آخر هذا العهد كان تطبيق الشريعة الإسلامية(*)، الذي أعلنه نميري وساعده الترابي فيه بقوة.

● **عهد النضج**: ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧م: وفي هذا العهد بلغت الحركة من الوعي بذاتها وبالواقع من حولها قدراً كبيراً، وتأسست في هذا العهد (الجبهة(*) الإسلامية القومية) بناء على القاعدة الشعبية التي تعبَّأت منذ بدء تطبيق الشريعة.

الأفكار والمعتقدات:

● حركةالجبهة الإسلامية القومية، حركة إسلامية، أخذت جميع أفكارها الأصولية من حركة الإخوان المسلمين، وتربى أفرادها على مؤلفات الأستاذ البنا، وسيد قطب، ومحمد الغزالي، وأبو الأعلى المودودي، ومالك بن نبي... إلخ.

● من خصائص فكر الدعوة في الجبهة نرى أنه:

ـ فكر مرتبط بالهوية الإسلامية، والبعد عن الانتماء إلى الولاءات الأخرى.

ـ فكر إحياء لمجد الإسلام، وذلك بإتمام الدين وإقامة جوانبه التي أميتت أو ضعفت.

● موقف الحركة من الحرية والسلطة كان موقفاً وسطاً، فقد رحبت بالنظام الديمقراطي التعددي على عِلاَّته.

● وضعت استراتيجية استيعاب المجتمع، ومنافسة الأحزاب التقليدية ذات الولاء الجماهيري العريض. وفي هذا السبيل بدَّلت لوائح العضوية، فتجاوزت منهج الانتقاء الفردي، وأصبح متاحاً للناس أن يدخلوا في الجماعة أفواجاً لا أفراداً؛ فقد تدخل القبيلة والطائفة والفرقة كما يدخل الأفراد، ولا يترتب عليهم في ذلك أدنى حرج، حتى لو دخلوا بما يحملون من ولاءات فرعية في الطرق الصوفية أو القبائل أو الأحزاب الفكرية والسياسية، إذا جعلوا الولاء الأعلى للجبهة الإسلامية.

وبهذا تحاول الجبهة(*) الإحاطة بالمجتمع التقليدي في السودان، وأن توحِّده كله في إطارها.

ـ استفادت الجبهة الإسلامية القومية كثيراً من فكر التنظيم الأوربي وتجاربه، فهو فكر إداري متقدم جدًّا ـ كما يقول الترابي ـ ولكنه ليس بديلاً للفكر الإسلامي.

● سادت الحركة روحُ الاجتهاد(*) وعلت فيها الصيحة لتجديد الدين(*) مما أوقعها في عدد من الاجتهادات التي جرت عليها النقد الشديد من علماء المسلمين.

● تتجنب الحركة الجدال والمراء مع الاتجاهات الإسلامية الأخرى في المجتمع، مثل الصوفية والسلفية(*) والعلماء، وذلك في سبيل تأليف الجبهة الإسلامية الواحدة.

● المرأة لها دور فعال في الجبهة، وهي تقوم بأعمال كثيرة في مجال الدعوة والتنظيم والتعليم والجهاد، وعدد النساء يضاهي عدد الرجال في الحركة.

● وضعت الجبهة برنامجاً ثقافياً لإعداد الداعية المسلم، ضم البرنامج تسع فقرات وهي:

ـ علوم القرآن. ـ السنة النبوية. ـ السيرة النبوية.
ـ العقيدة. ـ الفقة. ـ أصول الفقه.
ـ التاريخ الإسلامي. ـ دراسات سودانية. ـ اللغة العربية.

ووزعت البرنامج على ثلاثة مستويات متدرجة في أخذ البرنامج والاستفادة منه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت الحركة(*) بشكل واسع في السودان، ولها اتصالات وثيقة بحركة الاتجاه الإسلامي بتونس بشكل خاص، وقد ساندت الحركة الانقلاب العسكري الذي أتى بحكومة الفريق البشير إلى السلطة وهي الآن ساعدُ النظام الأيمن.

يتضح مما سبق:

أن الجبهة الإسلامية القومية في السودان، هي جبهة واحدة انبثقت من حركة الإخوان المسلمين، ولكنها الآن تعد تنظيماً مستقلاً عنها. فهي جبهة واحدة ضد كل الأحزاب، تعمل لخدمة الإسلام باجتهادها الخاص. ومما يُؤسَف له أنها وقفت إلى جانب العراق البعثي المعتدي في أزمة الخليج على الرغم من مواقفه المعروفة ضد الإسلام وعلى الرغم من تناقض اتجاهاته مع الاتجاه العقائدي للجبهة، لتناقض القومية العربية مع عالمية الإسلام. ويبدو أن فكر الجبهة قد اتجه أخيراً إلى اتخاذ الانقلاب العسكري وسيلةً لتسلم السلطة، وهذا التفكير يتعارض مع ما يذهب إليه بعض

المفكرين الإسلاميين.

مراجع للتوسع:

ـ **الحركة الإسلامية في السودان**، د. حسن الترابي.
ـ **تجديد الفكر الإسلامي**، د. حسن الترابي.
ـ **البرنامج الثقافي للجبهة الإسلامية القومية**، إصدار الجبهة الإسلامية القومية.
ـ **الأصول الفكرية والعملية لوحدة العمل الإسلامي**، إصدار الحركة الإسلامية بالسودان ١٩٧٦م.
ـ **شرح نظام الأحكام القضائية الإسلامي السوداني**، د. محمد شتا أبو سعد ١٩٨٥م، مطبعة جامعة القاهرة.
ـ **حوار هادىء مع الترابي**، الأمين الحاج.

٢٥ـ حماس (حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)

التعريف:

حماس حركة(*) إسلامية جهادية فلسطينية، نشأت في مدينة غزّة بفلسطين، ثم انتشرت في أرجاء الأرض المحتلة كافة. وكما جاء في ميثاق الحركة الذي أصدرته في ١ المحرم ١٤٠٩ هـ ١٨/٨/١٩٨٨م، فإنها تعد جناحاً من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أعلنت حماس في بيانها الأول الذي صدر يوم ١٤ كانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م بأنها الذراع الضارب لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين المحتلة، وهددت العدو اليهودي بأنها ستقابله بعنف أشد كلما اشتد عنفه.. مؤكدة أن الإسلام هو الحل العملي لقضية فلسطين، وأنها ترفض إضاعة الجهد والوقت في الركض وراء الحلول السلمية والمؤتمرات الدولية الفارغة.

● من أكبر ما قامت به حركة حماس، تفجيرها الانتفاضة الباسلة والتي أطلق عليها ثورة الحجارة في ٨ كانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م، وقدمت مئات الشهداء والسجناء وما زالت تقدم... وتقول الحركة إنها لن توقف ثورتها حتى تتحرر فلسطين من رجس اليهود.

● **ومن أبرز شخصياتها التي أعلنت حتى الآن:**

ـ الشيخ أحمد ياسين. وهو رجل مقعد جاوز الخمسين عاماً، ويعد المؤسس لحركة حماس وقائدها الأول، قبض عليه اليهود عام ١٩٨٤م في غزة لوجود أسلحة في منزله كانت معدة للمواجهة العسكرية مع الصهاينة، وحكم عليه بالسجن عدة سنوات. وهو لا يزال رهن السجون اليهودية في فلسطين المحتلة وقد أفرج عنه أخيراً.

ـ الأستاذ خليل القوقا. أحد قادة حماس، وقد أبعدته سلطات الاحتلال اليهودي بعد الانتفاضة إلى خارج فلسطين المحتلة.

الأفكار والمعتقدات:

● إن أفكار ومعتقدات حركة(*) حماس تتمثل في ميثاقها الأول الذي أعلنته يوم ١ من

المحرم ١٤٠٩ هـ ـ ١٨/ ٨/ ١٩٨٨م . ويمكن أن نجملها فيما يلي :

ـ حركة المقاومة الإسلامية : الإسلام منهجها(*)، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان وإليه تحتكم في كل تصرفاتها ومنه تستلهم ترشيد خطاها (المادة الأولى).

ـ حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية، تلتزم بسماحة الإسلام، وترى أنه في ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً. آمنين على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم.

ـ إن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط فيها أو في جزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية.

ـ جهاد اليهود في فلسطين فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وتخرج المرأة للقتال بغير إذن زوجها. . ولا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد(*).

ـ معارضة المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية للقضية الفلسطينية؛ فهي مضيعة للوقت، وعبث لا طائل منه.

ـ للمرأة المسلمة دور في معركة التحرير لا يقل عن الرجل، فهي مصنع الرجال، ومربية الأجيال على القيم والمفاهيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام.

ـ احترام الرأي الآخر في الحركات الإسلامية الأخرى ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية.

● وهذا الميثاق يتكون من ٣٦ مادة من أهمها اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ولكنها لا توافقها في تبنيها للفكرة العلمانية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

أعلنت حماس في ميثاقها (المادة الثانية): أنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين، فجذورها الفكرية والعقائدية تمتد ضمن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، وتتخذ من سيرة السلف الصالح قدوة لها. .

ويتضح مما سبق:

أن حماس حركة(*) إسلامية جهادية فلسطينية، نشأت في غزة بفلسطين ثم انتشرت في أرجاء الأرض المحتلة كافة، وقائدها الأول هو الشيخ أحمد ياسين، وهو مقعد جاوز

الخمسين عاماً، وتتخذ الحركة من الإسلام منهجاً لها. وهي حركة إنسانية تلتزم بسماحة الإسلام وترى أنه في ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً. كما أن أرض فلسطين تعد أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، ولا يصح التفريط فيها أو في جزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، فلا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، وجهاد(*) اليهود في فلسطين هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

مراجع للتوسع:

- **حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين**. لأحمد عز الدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة.
- **ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)**.
- **بيانات الحركة** التي تصدر تباعاً..
- **مجلة الدعوة** السعودية (١٣/ ١٠/ ١٤٠٩ هـ).
- **مجلة المجتمع** الكويتية التي نشرت عدة مقابلات مع قادة (حماس) المبعدين عن فلسطين المحتلة.
- **حماس حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين**، للدكتور عبدالله عزام ـ دار الهدى.

٢٦ـ الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر

التعريف:

هذه الجبهة(*) هي حركة(*) إسلامية سلفية(*) في جوهرها، تنادي بالعودة إلى الإسلام، باعتباره السبيل الوحيد للإصلاح، والقادر على إنقاذ الجزائر مما تعانيه من أزمات اجتماعية، واقتصادية، واستعمار(*) فكري وثقافي، والمؤهل للحفاظ على شخصية الشعب الجزائري المسلم بعد احتلال دام ١٣٢ سنة، وترك انعكاسات حضارية عميقة لفّت البلاد كلها بظاهرة التغريب والفَرْنَسة، وهذا ما حفز ثلة من العلماء آلمهم تردِّي الأحوال إلى التحرك لإثارة الضمير الجزائري والاتجاه إلى الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● قبل إعلان تأسيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر في عام ١٩٨٩م، كانت هناك أنشطة دعوية وأحداث وتجمعات إسلامية عُدَّتْ إرهاصات لقيام جبهة الإنقاذ:

ـ في نهاية السبعينات بدأ الظهور العلني لشباب الإسلام في الجامعات الجزائرية وغيرها، وتقاسم العمل الاسلامي المنظم في مدة ما قبل ١٩٨٨م ثلاث جماعات، وهي: جماعة الإخوان الدوليين بقيادة الشيخ محفوظ نحناح. وجماعة الإخوان المحليين بقيادة الشيخ عبدالله جاب الله وجماعة الطلبة أو جماعة مسجد الجامعة المركزي أو أتباع مالك بن نبي بقيادة الدكتور محمد بوجلخة، ثم الشيخ محمد السعيد.

ـ في ١٢ نوفمبر ١٩٨٢م اجتمع مجموعة من العلماء منهم: الشيخ أحمد سحنون، والشيخ عبد اللطيف سلطاني، والدكتور عباسي مدني، ووجهوا نداءً من ١٤ بنداً يطالب بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، ويشجب تعيين نساء وعناصر مشبوهة في القضاء، ويدعو إلى اعتماد توجه إسلامي للاقتصاد، ويرفض الاختلاط في المؤسسات، ويدين الفساد، ويطالب بإطلاق سراح المعتقلين، ويندد بوجود عملاء أعداء للدين في أجهزة الدولة.. الخ.. (انظر فقرة الأفكار والمعتقدات).

● الشيخ أحمد سحنون، أحد تلاميذ الإمام عبدالحميد بن باديس، وقد شارك في حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي، ودعا بعد الاستقلال إلى تحكيم الإسلام؛ لأن

الجزائر دولة إسلامية، وتولى تخريج مجموعات من الدعاة والعلماء. وبعد توقيعه على البيان الآنف الذكر. اعتقل ووضع رهن الإقامة الجبرية حتى عام ١٩٨٤م.

● ثم تم تأسيس (رابطة الدعوة) ١٩٨٩م برئاسة الشيخ أحمد سحنون؛ وذلك لأنه أكبر الأعضاء سنًّا، إذ كان عمره ٨٣ عاماً، وكانت الرابطة مظلة للتيارات الإسلامية كلها، ومن بين أعضاء رابطة الدعوة: محفوظ نحناح، وعباسي مدني، وعبدالله جاب الله، وعلي بلحاج، ومحمد السعيد.

ومن أبرز أهداف رابطة الدعوة ما يلي:

- إصلاح العقيدة.
- الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية.
- تحسين الاقتصاد المنهار في الجزائر.
- النضال على مستوى الفكر.

● دارت حوارات عديدة في (رابطة الدعوة) كان من نتيجتها بروز تيارات متعددة أهمها:

- دعوة الشيخ الشاب علي بلحاج إلى تشكيل (الجبهة الإسلامية الموحدة) إلا أن الدكتور الشيخ عباسي مدني اقترح لها اسماً آخر هو (الجبهة الإسلامية للإنقاذ)، معللاً هذه التسمية: بأن الجبهة تعني المجابهة والاتساع لآراء متعددة، وهذه الجبهة (إسلامية)؛ لأنه هو السبيل الوحيد للإصلاح والتغيير و(إنقاذ) مأخوذة من الآية ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾. [آل عمران: ١٠٣].

- بينما رفض الشيخ محمد السعيد تشكيل الجبهة ابتداء ثم التحق بها بعد الانتخابات البلدية.

- ورفض محفوظ نحناح، أيضاً، فكرة الجبهة (الحزب) في البداية.. ثم أسس حركة المجتمع الإسلامي. كما أسس عبدالله جاب الله حركة النهضة الإسلامية.

● وتم الإعلان الرسمي عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مطلع عام ١٩٨٩م وذلك بمبادرة من عدد من الدعاة المستقلين من بينهم الدكتور عباسي مدني الذي أصبح رئيساً للجبهة ونائبه الشيخ علي بلحاج.

● الدكتور عباسي مدني: ولد سنة ١٩٣١م في سيدي عقبة جنوب شرقي الجزائر، ودرس في المدارس الفرنسية في صغره إبان الاستعمار الفرنسي، ثم في مدارس جمعية العلماء، وتخرج من كلية التربية، ثم انخرط في جهاد(*) المستعمر الفرنسي، واعتقل

وقضى في السجن سبعة أعوام، وبعد الاستقلال وخروجه من السجن أرسلته الحكومة إلى لندن ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨م ليحصل على الدكتوراه في التربية المقارنة. ثم عاد إلى الجزائر ليقوم بالتدريس في الجامعة، وقد شارك العلماء في النداء الذي وجهوه إلى الحكومة في ١٩٨٢م مطالبين بالإصلاح وتطبيق الشريعة الإسلامية(*).. وشارك في الأحداث في العام نفسه فاعتقل وسجن.. وقد شكل مع بعض العلماء رابطة الدعوة، ثم الجبهة(*) الإسلامية للإنقاذ، بعد مظاهرات الخبز عام ١٩٨٨م ـ كما أطلق عليها. وأخيراً اعتقل مرة أخرى هو وكثير من العلماء.. وما زال سجيناً ـ حتى إصدار الطبعة الحالية في ١٩٩٦م.

● الشيخ علي بلحاج: ولد في تونس عام ١٩٥٦م، ثم استشهد والداه في الثورة ضد الاستعمار الفرنسي. درس العربية ودرّسها، وشارك في الدعوة الإسلامية منذ السبعينات وسجن خمس سنوات ١٩٨٣/ ١٩٨٧م بتهمة الاشتراك وتأييد حركة مصطفى بويعلي الجهادية. تأثر بعلماء من الجزائر ومنهم عبد اللطيف سلطاني، وأحمد سحنون، وكذلك درس كتابات الشيخ حسن البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عودة وغيرهم.

ـ انتمى إلى التيار السلفي(*)، ولذلك لم يتحمس للثورة الإيرانية، وانتقد كتابات الخميني، واعتبر تشيع بعض الجزائريين خطراً على الدعوة الإسلامية يجب التصدي له. انتخب نائباً للرئيس في الجبهة الإسلامية للإنقاذ واعتقل بعد المظاهرات التي قامت في الجزائر سنة ١٩٨٨م.. ثم أطلق سراحه ثم اعتقل مرة أخرى بعد الإضراب العام الذي دعت إليه الجبهة(*).

● خاضت الجبهة الانتخابات البلدية في عام ١٩٩٠م، وحققت فوزاً كبيراً في ٨٥٦ بلدية، وبعد هذا الفوز بدأ الحزب الحاكم في الجزائر وهو ـ جبهة التحرير ـ يشعر بخطر الجبهة على وجوده في الحكم. وبدأت حكومة الجزائر تضع العراقيل في طريق تقدم الجبهة وأصدرت نظاماً جديداً للانتخابات.

● على إثر ذلك قامت مظاهرات كبيرة تطالب بالإصلاح، انتهت بمصادمات دامية بعد أن قابلتها الحكومة بإطلاق النار، واعتقل على إثرها عباسي مدني ونائبه بلحاج بتهمة التآمر على أمن الدولة.

● وعلى الرغم من اعتقال زعماء الجبهة، خاضت الجبهة الانتخابات التشريعية لاختيار مجلس الشعب في الجزائر في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩١م، وحصلت على ١٨٨ مقعداً من أصل ٢٢٨ في المرحلة الأولى، بينما لم يحصل الحزب الحاكم إلا على ١٦ مقعداً فقط.

ـ عد فوز الجبهة في الانتخابات التشريعية خطراً يهدد الغرب كله (انظر الصحف

الفرنسية والإنجليزية في ١٩٩٠م).

- بدأت المؤامرات تحاك في الخفاء ضد الجبهة من قبل القوى الصليبية، وبدأت وسائل الإعلام حملة تشويه مركزة على جبهة الإنقاذ.. والمستقبل الأسود الذي ينتظر الجزائر إن حكم رجال الجبهة.

- وكان أهم أهداف القوى المعادية للإسلام عدم إتمام المرحلة الثانية من الانتخابات.

● اعتقل الشيخ عبد القادر حشاني الرئيس المؤقت للجبهة في ١٨ رجب ١٤١٢هـ (٢٢/ ١/ ١٩٩٢م) بتهمة تحريض الجيش على التمرد.

- ثم بدأت اعتقالات عامة في الجبهة، إذ تم اعتقال الآلاف، وهنا دخلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في محنة وصراع مع القوى المعادية للإسلام في الجزائر وخارجه.

● ومن رجال الجبهة، أيضاً، الذين برزوا خلال الأحداث:

- رابح كبير رئيس اللجنة السياسية بالمكتب التنفيذي المؤقت لجبهة الإنقاذ.

- الشيخ محمد السعيد، وقد برز كخليفة لعباسي مدني وقد اعتقل، أيضاً.

- الشيخ زبدة بن عزوز عضو مجلس الشورى.

- الشيخ يخلف شراطي وهو من خريجي جامعة أم القرى والذي قتل يرحمه الله في سجن سركاجي.

الأفكار والمعتقدات:

● تعتقد جبهة الإنقاذ أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ويشمل جميع مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.. وتلتقي الجبهة مع حركة الإخوان المسلمين في بعض مبادئها.

● تؤكد الجبهة أن إطار حركتها ودعوتها هو الكتاب والسنة، في مجال العقيدة والتشريع والحكم. لذا فإن نموذج فكرها هو التيار السلفي في التاريخ الإسلامي.

● قدمت الجبهة مذكرة إلى رئيس الجزائر في ٧ آذار مارس ١٩٨٩م تتضمن مبادئها وبرنامجها السياسي والاجتماعي، وتحوي المذكرة ما يلي:

- ضرورة التزام رئيس الدولة بتطبيق الشريعة الإسلامية طالما أنه يحكم شعباً مسلماً.

استقلال القضاء بغرض الحسبة.

- إصلاح النظام التعليمي.

- حماية كرامة المرأة الجزائرية وحقوقها في البيت ومراكز العمل.
- تحديد مجالات للإصلاح، ووضع جدول زمني لذلك.
- حل الجمعية الوطنية، والدعوة إلى انتخابات في غضون ثلاثة أشهر.
- تشكيل هيئة مستقلة لضمان نزاهة الانتخابات المحلية.
- إعادة الاعتبار لهيئة الرقابة المالية.
- إعادة النظر في سياسة الأمن.
- إلغاء الاحتكار(*) الرسمي لوسائل الإعلام.
- وقف عنف الدولة ضد المطالب الشعبية.
- وضع حد لتضخم البطالة(*) وهجرة الكفاءات وانتشار المخدرات.
- حماية المهاجرين الجزائريين وضمان التعليم الإسلامي لهم وتسهيل شروط عودتهم.
- التدخل لدى الصين والهند والاتحاد السوفييتي (سابقاً) وبلغاريا لوضع حد لاضطهاد المسلمين.
- وضع خطة لدعم الانتفاضة الفلسطينية ونجدة المجاهدين الأفغان.

● وتتضح أفكار الجبهة ومبادؤها في النداء الذي وجهه بعض العلماء كالدكتور عباسي مدني قائد الجبهة(*)، وهو ما أطلق عليه (نداء ١٢ نوفمبر ١٩٨٩م)، وكذلك من بيانات الجبهة الموجهة للحكومة وللشعب الجزائري، ويمكن إيجازها فيما يلي:

- ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية وغيرها.
- توفير الحرية(*) للشعب ورفع الظلم والاستبداد.
- اعتماد الاقتصاد الإسلامي ومنع التعامل بالحرام.
- إعمال الشريعة في شأن الأسرة ورفض الأسلوب الفرنسي الداعي إلى التحلل.
- المطالبة بالاستقلال الثقافي، والتنديد بتزوير مفهوم الثقافة.
- إدانة إفراغ التربية والثقافة من المضمون الإسلامي.
- شجب استخدام الإعلام من قبل الدولة في مواجهة الصحوة الإسلامية.
- معاقبة المتعدين على العقيدة وفق أحكام الشريعة الإسلامية.
- النهوض بالشعب إلى النموذج الإسلامي القرآني السني.
- الإشعاع على العقول بأنوار الهداية وإنعاش الضمائر بالغذاء الروحي الذي يزخر به القرآن والسنة، وشحذ الإرادة بالطاقة الإيمانية الفعّالة.

ـ العمل بالدين القويم لإنقاذ مكاسب الشعب التاريخية وثرواته البشرية والطبيعية دون إضاعة للوقت.

ـ العمل على وحدة الصف الإسلامي، والمحافظة على وحدة الأمة. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾. [الأنبياء: ٩٢] وقال، ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**».

ـ تقديم بديل كامل شامل لجميع المعضلات الأيديولوجية(*) والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في نطاق الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾. [الإسراء: ٩]

ـ الإنقاذ الشامل، أسوة بالرسول، ﷺ، منقذ البشرية لقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾. [آل عمران: ١٠٣]

ـ تشجيع روح المبادرة وتوظيف الذكاء والعبقرية وجميع الإرادات الخيرة في البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري.

● وقفت الجبهة في وجه مصالح الغرب عامة وفرنسا خاصة، وهذه المصالح تتمثل في:

ـ إبعاد الإسلام عن السياسة تماماً.

ـ فتح الأسواق للبضائع الأوربية والأمريكية.

ـ جر المجتمع الجزائري المسلم للتغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها.

● من هنا كان فوز الجبهة في المجالس التشريعية خطراً حقيقياً من وجهة نظر الغرب على هذه المصالح، وصرح سيد أحمد غزالي عندما وصلته نتائج الاقتراع «إن الشعب صوّت ضد الديمقراطية(*)» فكان من نتيجة ذلك إلغاء الانتخابات؛ لأنهم يريدون ديمقراطية بدون إسلام، وكذلك تدخل الجيش وفرض الارتداد عن نهج تسليم السلطة سلمياً للطرف الفائز في الانتخابات، وتشكيل جهاز جديد للحكم، وتشكيل سلطة مدعومة عسكريًّا، وبدأ اعتقال عناصر الجبهة القيادية والشبابية وإيداعهم في سجون نائية في قلب الصحراء حتى يتوقف المد الإسلامي. وأصدرت المحكمة الإدارية قراراً بحل الجبهة(*)، وسحب البساط من تحت أقدامها حتى يمكن اتخاذ الإجراءات كافة لمصادرة نشاطها. ولكن قادة الجبهة يعلنون أن الدولة الإسلامية في الجزائر قائمة لا محالة بهم أو بغيرهم اليوم أو غداً إن شاء الله، وقد استقال الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بعد الفوز

الساحق للجبهة، وتولى الحكم الرئيس محمد بوضياف الذي اغتيل وما زالت الأحداث تتوالى سراعاً.

الجذور الفكرية والعقائدية:

تعد آراء جمعية العلماء في الجزائر منذ ابن باديس وحتى الإبراهيمي الجذور الفكرية لجبهة الإنقاذ من حيث الرجوع إلى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح، وكذلك كتابات حسن البنا وسيد قطب وغيرهما من القواعد الفكرية للنهضة الإسلامية التي تعتمدها الجبهة.

ويتضح مما سبق:

أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر حركة إصلاح إسلامية سلفية في مجملها، فيها بساطة الإسلام، دعت إلى تحكيم الإسلام في شتى مجالات الحياة، ورأت ضرورة التزام رئيس الدولة بتطبيق الشريعة الإسلامية طالما أنه يحكم شعباً مسلماً، مع إصلاح النظام التعليمي والأمني والإعلامي في ضوء عقيدة الإسلام السمحة. وقد وقفت الجبهة في وجه مصالح الغرب عامة وفرنسا خاصة، وهي المصالح التي تتمثل في إبعاد الإسلام عن السياسة تماماً، وفتح الأسواق للبضائع الأوربية والأمريكية وجرِّ المجتمع الجزائري المسلم صوب التغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها، وهو ما يرفضه المجتمع الجزائري. ويؤخذ عليها الاستعجال وتصعيد الخطاب وصرف المراحل.

مراجع للتوسع:

نظراً لانعدام المؤلفات عن جبهة الإنقاذ وذلك لجدَّتها على الساحة الإسلامية، لذلك فإن المراجع الممكنة حالياً هي:

- **الصحوة الإسلامية والعودة إلى الذات**. د. مصطفى حلمي.
- **تأثير السلفية في المجتمعات المعاصرة**. د. محمد فتحي عثمان.
- **عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية المعاصرة بالجزائر**. د. محمد فتحي عثمان.
- **نماذج من حركات الجهاد الإسلامية الحديثة** للأستاذ صفوت منصور «السنوسية ـ الباديسية ـ القسامية».
- **مجلة البيان**: الأعداد ٢٣، ٤٨ (وفيه ملف عن أحداث الجزائر).
- **مجلة المجتمع** عدد ٢٦/ ٦/ ١٩٩٠م. مقابلة مع نائب رئيس الجبهة الشيخ علي بلحاج.

- **مجلة الإصلاح** العدد ١٦٩ (٢ رجب ١٤١٢ هـ).
- **جريدة الحياة**. الأعداد: ١٠٥٨٨، ١٠٥٨٩، ١٠٥٩٠/ شباط ١٩٩٢م، شعبان ١٤١٢هـ.
- **لقاء ـ علي بلحاج بالألباني**. (كاسيت)
- **أشرطة تسجيل وخطب جمعة للمشايخ**: عبد الوهاب الطريري، سلمان العودة، بشر البشر.

الفصل السادس

الصوفية وما تفرع عنها ومن تأثر بها

● مقدمة عامة ● الصوفية ● ما تفرع عنها من طرق

مقدمة عامة

لم يكن الإسلام أبداً، إلا دين(*) علم وعمل خالص لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٩٤]. ولقول الصادق الأمين ﷺ: «**اعملي يافاطمة فإني لا أغني عنك من الله شيئاً**». ولم يكن الإسلام كذلك إلا دين توحيد خالص، لا توجه فيه إلا إلى الله وحده ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

والإسلام بهذه المثابة دين صفاء العقيدة، ونقاء الاعتقاد، دين بلا طرق، دين بلا مذاهب(*) في أصل العقيدة، ولا اختلافات حول جوهر وأصول الدين.

ولقد ظل الإسلام بهذه الصورة العظيمة المتفردة، حتى هبت عليه رياح التغيير بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وازدياد الرخاء، وحدوث الانغماس في الترف الحضاري، فقام نفر من المخلصين الزهاد بحمل لواء الدعوة إلى العودة إلى خشونة الحياة، أملاً في استمرار النمط الأول للحياة، وانطلق نفر من هؤلاء الزهاد في اتجاه آخر هو اتجاه التصوف؛ ولم يكن هذا الاتجاه في بداياته الأولى يريد غير صلاح المسلمين بتربية النفوس على مقتضى العقيدة.

ولكن فشو الجهل، واستمراء النعيم، وظهور الفتن، واندساس الحاقدين، وظهور النفعيين المرتزقين باسم الدين، وظهور أعداء الإسلام، أوجد مدرسة جديدة مارقة عن العقيدة هي مدرسة الصوفية الجديدة التي اتبعت فكر المجوس(*)، وأولت القرآن، وأتت بفكر باطني(*) مدمِّر، وحرفت الكلم عن مواضعه؛ وبدأت تنتشر كالسم في جسد الأمة الإسلامية، وكلما نأت عن الكتاب والسنة خطوة سرى السم في جسد الأمة المسلمة خطوات وخطوات، حتى أصبح العالم الإسلامي يموج الآن بكثير من الطرق الضالة التي تتشح بوشاح

الصوفية الذي لم يكن في جوهره سبباً من أسباب الانحراف. وحتى يقف الشباب المسلم على طبيعة التصوف فإننا نعرض فيما يلي للصوفية بصورة عامة، ثم إلى ما تفرع عنها كالتيجانية والختمية والسنوسية والشاذلية. ثم نعرض لمن تأثر بها بقدر أو بآخر مثل: الديوبندية، والتبليغ، والنورسية، ومع أن المهدية هي نسيج وحدها في تصوراتها إلا أنها على الرغم من نفيها للصوفية فقد دخلت إليها من باب آخر، وأيًّا كان مكان دراستها فإننا نختم بهذه الجماعات التي تأثرت بالصوفية والله المستعان.

٢٧ـ الصوفية

التعريف:

التصوُّف حركة(*) دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس، والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف(*) والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات(*) الوثنية(*): الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مقدمة مهمة:

● خلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين حتى وفاة الحسن البصري، لم تعرف الصوفية لا باسمها ولا برسمها وسلوكها، بل كانت التسمية الجامعة: المسلمين، المؤمنين، أو التسميات الخاصة مثل: الصحابي، البدري، أصحاب البيعة(*)، التابعي.

لم يعرف ذلك العهد هذا الغلو(*) العملي التعبُّدي أو العلمي الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية نحو التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبي(*) ﷺ في أكثر من مناسبة، ومنها قوله للرهط الذين سألوا عن عبادته ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وقوله ﷺ للحولاء بنت نويت التي طوَّقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملوا، وأحبُّ العمل إلى الله أدْوَمُه وإن قل**».

ـ **وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون**، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعي على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد(*)، والتصدي للبدع والأهواء مثلما تصدى ابن مسعود رضي الله عنه لبدعة(*) الذكر الجماعي بمسجد

الكوفة وقضى عليها، وتصدِّيه لأصحاب معضّد بن يزيد العجلي لما اتخذوا دوراً خاصة للعبادة في بعض الجبال وردهم عن ذلك.

● **ظهور العُبّاد**: في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، ومن أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية، وإراقة بعض الدماء الزكية، فآثروا اعتزال المجتمع تصوُّناً عما فيه من الفتن، وطلباً للسلامة في دينهم، يضاف إلى ذلك، أيضاً، فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وانغماس بعض المسلمين فيها، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة، إذ كانت بداية الانحراف عن المنهج(*) الأول في جانب السلوك.

- ففي الكوفة ظهرت جماعة من أهلها اعتزلوا الناس وأظهروا الندم الشديد بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وسموا أنفسهم بالتوَّابين أو البكَّائين. كما ظهرت طبقة من العبَّاد غلب عليهم جانب التشدد في العبادة والبعد عن المشاركة في مجريات الدولة، مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة، واشتغالهم بالكتاب والسنة تعلماً وتعليماً، بالإضافة إلى صدعهم بالحق وتصديهم لأهل الأهواء. كما ظهر فيهم الخوف الشديد من الله تعالى، والإغماء والصعق عند سماع القرآن الكريم مما استدعى الإنكار عليهم من بعض الصحابة وكبار التابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم رضي الله عنهم، وبسببهم شاع لقب العُبَّاد والزُهَّاد والقُرَّاء في تلك الفترة. ومن أعلامهم: عامر بن عبدالله بن الزبير، وصفوان بن سليم، طلق بن حبيب العنزي، عطاء السلمي، الأسود بن يزيد بن قيس، وداود الطائي، وبعض أصحاب الحسن البصري.

● **بداية الانحراف**: كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً، ثم ما يلبث أن يتسع مع مرور الأيام، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم، مالك بن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية، وعبدالواحد بن زيد، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيبٍ للنفس بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياحة في البراري والصحارى، وترك الزواج. يقول مالك بن دينار: «لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب». وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والشطحات المستنكرة ما لم

يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

ـ وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيلُه يروِّضون أنفسهم على هجر النوم، وإدامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق.

ـ وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربه، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفةً لقول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ـ يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: «في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام(*)، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي (ت ٢٠٠هـ) تلميذ عبدالواحد بن زيد، تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر(*)، وبنى دويرة للصوفية ـ وهي أول ما بني في الإسلام ـ أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع ـ وصار لهم حال من السماع والصوت ـ إشارة إلى الغناء ـ وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين».

● ومنذ ذلك العهد أخذ التصوف عدة أطوار أهمها:

ـ البداية والظهور: ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثُّر بالفلسفة(*) اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان(*) أهل الكتاب، وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول مَن تسمَّى به. على أقوال ثلاثة:

١ ـ قول شيخ الإسلام ابن تيمية ومن وافقه: أن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي (ت ١٥٠هـ) أو (١٦٢هـ) بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان معاصراً لسفيان الثوري (ت ١٥٥هـ) قال عنه سفيان: «لولا أبو هاشم ما عُرِفت دقائق الرياء». وكان معاصراً لجعفر الصادق، وينسب إلى الشيعة(*) الأوائل، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية.

٢ ـ يذكر بعض المؤرخين أن عبدك ـ عبدالكريم أو محمد ـ المتوفى (سنة ٢١٠هـ) هو أول من تسمى بالصوفي، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي في **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة(*) الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام، لا يحل لأحد منها إلا

القوت، على أن أئمة الهدى ذهبوا إلى أن الدنيا لا تحل إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

٣ ـ يذهب ابن النديم في الفهرست إلى أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق والمتوفى (سنة ٢٠٨هـ) أول من تسمى بالصوفي، والشيعة تعده من أكابرهم، والفلاسفة ينسبونه إليهم.

ـ وقد تنازع العلماء، أيضاً، في نسبة الاشتقاق على أقوال كثيرة أرجحها:

١ ـ ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصُّوف، إذ كان شعار رهبان(*) أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية، مما يبطل محاولة نسبة الصوفية أنفسهم لأهل الصُّفَّة من أصحاب رسول(*) الله ﷺ، أو محاولة نسبة أنفسهم إلى علي بن أبي طالب والحسن البصري وسفيان الثوري رضي الله عنهم جميعاً، وهي نسبة تفتقر إلى الدليل ويعوزها الحجة والبرهان.

٢ ـ الاشتقاق الآخر ما رجحه أبو الريحان البيروني ٤٤٠هـ وفون هامر حديثاً وغيرهما من أنها مشتقة من كلمة سوف SOPH اليونانية والتي تعني الحكمة. ويدلِّل أصحاب هذا الرأي على صحته بانتشاره في بغداد وما حولها بعد حركة الترجمة النشيطة في القرن الثاني الهجري، بينما لم تعرف في الفترة نفسها في جنوب وغرب العالم الإسلامي. ويضاف إلى الزمان والمكان التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان، إذ تظهر عند الفئتين أفكار وحدة الوجود والحلول(*) والإشراق(*) والفيض(*). كما استدلوا على قوة هذا الرأي بما ورد عن كبار الصوفية مثل السهروردي ـ المقتول ردة ـ بقوله: «وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغورثيين وقعت إلى أخي أخميم «ذي النون المصري»، ومنه نزلت إلى سيارستري وشيعته «أي سهل التستري» وأضافوا إلى ذلك ظهور مصطلحات أخرى مترجمة عن اليونانية في ذلك العصر، مثل: الفلسفة(*)، الموسيقا، الموسيقار، السفسطة(*)، الهيولى.

● **طلائع الصوفية**: ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف وهي:

● **الطبقة الأولى**: وتمثل التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس، والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول من الرسول(*) ﷺ وصحابته، بل وعن عبّاد القرن السابق له، ولكنه كان يغلب على أكثرهم الاستقامة على العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن

بعضهم ـ مثل الجنيد ـ بعض العبارات التي عدها العلماء من الشطحات، ومن أشهر رموز هذا التيار:

ـ **الجنيد**: هو أبو القاسم الخراز المتوفى (٢٩٨هـ) يلقبه الصوفية بسيد الطائفة، ولذلك يعد من أهم الشخصيات ويعتمد المتصوفة على أقواله وآرائه وبخاصة في التوحيد والمعرفة والمحبة. وقد تأثر بآراء ذي النون النوبي؛ فهذبها، وجمعها ونشرها من بعده تلميذه الشبلي، ولكنه خالف طريقة ذي النون والحلاّج والبسطامي في الفناء(*)؛ إذ كان يُؤْثر الصحو(*) على السكر(*)، وينكر الشطحات، ويؤثر البقاء على الفناء، فللفَناءِ عنده معنى آخر، وقد أنكر على المتصوفة سقوط التكاليف(*). وقد تأثر الجنيد بأستاذه الحارث المحاسبي والذي يعد أول من خلط الكلام(*) بالتصوف، وبخاله السري السقطي (ت٢٥٣هـ).

وهناك آخرون تشملهم هذه الطبقة أمثال: أبو سليمان الداراني، عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العني (ت ٢٠٥هـ)، وأحمد بن أبي الحواري، الحسن بن منصور بن إبراهيم أبو علي الشطوي الصوفي. وقد روى عنه البخاري في صحيحه، والسري بن المغلس السقطي أبو الحسن (ت ٢٥٣هـ)، سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٧٣هـ)، معروف الكرخي أبو محفوظ (ت ٢٠٠هـ)، وقد أتى مِن بعدهم مَن سار على طريقتهم مثل: أبي عبدالرحمن السلمي (٤١٢هـ) ومحمد بن الحسين الأزدي السلمي، ومحمد بن الحسن بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصري الصوفي (٣٦٨هـ) شيخ الخطيب البغدادي.

ـ **ومن أهم السمات الأخرى لهذه الطبقة**: بداية التميز عن جمهور المسلمين والعلماء، وظهور مصطلحات(*) تدل على ذلك بشكل مهَّد لظهور الطرق من بعد، مثل قول بعضهم: علمُنا، مذهبنا(*)، طريقنا، قال الجنيد: «علمنا مشتبك مع حديث رسول(*) الله ﷺ» وهو انتساب محرم شرعاً، إذ يفضي إلى البدعة(*) والمعصية، بل وإلى الشرك، أيضاً، وقد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقتهم أن يَخرُجَ من ماله، وأن يُقلَّ من غذائه، وأن يترك الزواج ما دام في سلوكه.

ـ كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه(*) والتحذير من تحصيلهما في الوقت الذي اقتدى أكثرهم بسلوكيات رهبان(*) ونُسَّاك أهل الكتاب، إذ حدث الالتقاء ببعضهم، مما زاد في البعد عن سمت الصحابة وأئمة التابعين. ونتج عن ذلك اتخاذ دور للعبادة غير المساجد؛ يلتقون فيها للاستماع للقصائد الزهدية أو قصائد ظاهرها الغزل بقصد مدح النبي(*) ﷺ مما سبَّب العداء الشديد بينهم وبين الفقهاء، كما ظهرت فيهم ادعاءات

الكشف(*) والخوارق وبعض المقولات الكلامية. وفي هذه الفترة ظهرت لهم تصانيف كثيرة في مثل: كتاب أبي طالب المكي، **قوت القلوب وحلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، وكتب الحارث المحاسبي. وقد حذر العلماء الأوائل من هذه الكتب لاشتمالها على الأحاديث الموضوعة والمنكرة، واشتمالها على الإسرائيليات وأقوال أهل الكتاب. سئل الإمام أبو زرعة عن هذه الكتب فقيل له: في هذه عبرة؟ قال: من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة.

● ومن أهم هذه السمات المميزة لمذاهب(*) التصوف والقاسم المشترك للمنهج(*) المميز بينهم في تناول العبادة وغيرها ما يسمونه «الذوق»، والذي أدى إلى اتساع الخرق عليهم، فلم يستطيعوا أن يحموا نهجهم الصوفي من الاندماج أو التأثر بعقائد وفلسفات(*) غير إسلامية، مما سهَّل على اندثار هذه الطبقة وزيادة انتشار الطبقة الثانية التي زاد غلوها(*) وانحرافها.

● **الطبقة الثانية**: خلطت الزهد بعبارات الباطنية(*)، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات: الوحدة، والفناء(*)، والاتحاد(*)، والحلول(*)، والسكر(*)، والصحو(*)، والكشف(*)، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم، مما زاد العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية، مما زاد في انحرافها، فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف حتى الآن.

● **ومن أهم أعلام هذه الطبقة**: أبو اليزيد البسطامي (ت ٢٦٣هـ)، ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ)، الحلاج (ت ٣٠٩هـ) أبو سعيد الخزار (٢٧٧ ـ ٢٨٦هـ)، الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ)، أبو بكر الشبلي (٣٣٤هـ) وسنكتفي هنا بالترجمة لمن كان له أثره البالغ فيمن جاء بعده إلى اليوم مثل:

ـ **ذو النون المصري**: وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي(*) الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، توفي (سنة ٢٤٥هـ) أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبدالرحمن الجامي. ويؤكد الشيعة(*) في كتبهم ويوافقهم ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن

خلكان أنه كان من الملامتية(*) الذين يخفون تقواهم عن الناس، ويظهرون استهزاءهم بالشريعة(*)، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة.

ويعدُّه كُتَّاب الصوفية المؤسسَ الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف(*) وأن للشريعة(*) ظاهراً وباطناً. ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرَّف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله، وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية الباطنية(*) وإخوان الصفا(*) بسبب صِلاته القوية بهم؛ إذ تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم(*) الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد(*)، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية(*) أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته، مما مكَّنه من تعلم فنون التنجيم(*) والسحر والطلاسم التي اشتغل بها. ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب(*) الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات، ولذلك كان له مذهبه الخاص في المعرفة والفناء(*) متأثراً بالغنوصية(*).

ـ **أبو يزيد البسطامي**: طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان، ولد في بسطام من أصل مجوسي(*)، وقد نسبت إليه أقوال شنيعة يشكك الكثير من الباحثين في صدق نسبتها إليه مثل قوله: «خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح فيّ: يا من أنت أنا، فقد تحققت بمقام الفناء في الله»، «سبحاني ما أعظم شأني» وهي أقوال لا تُغفَر لصاحبها، سواءً أكان في حالة سكر(*) أم صحو(*)، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعده من أصحاب هذه الطبقة ويشكك في صدق نسبتها إليه، إذ كانت له أقوال تدل على تمسكه بالسنة. ومن علماء أهل السنة والجماعة(*) من يضعه مع الحلاج والسهروردي في طبقة واحدة.

ـ **الحكيم الترمذي**: أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى (سنة ٣٢٠هـ) أول من تكلم في ختم الولاية، وألف كتاباً في هذا أسماه **ختم الولاية**. كان سبباً لاتهامه بالكفر وإخراجه من بلده ترمذ، يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «تكلم طائفة من الصوفية في «خاتم الأولياء» وعظَّموا أمره كالحكيم الترمذي، وهو من غلطاته، فإن الغالب على كلامه الصحة بخلاف ابن عربي فإنه كثير التخليط». [**مجموع الفتاوى** ١/ ٣٦٣]. وينسب إليه أنه قال: «للأولياء(*) خاتم كما أن للأنبياء(*) خاتماً»، مما مهد الطريق أمام فلاسفة الصوفية أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن هود والتلمساني للقول بخاتم الأولياء(*)، وأن مقامه يفضل مقام خاتم الأنبياء(*).

● **الطبقة الثالثة:**

وفيها اختلط التصوف بالفلسفة(*) اليونانية، وظهرت أفكار الحلول(*) والاتحاد(*) ووحدة الوجود، على أن الموجود الحق هو الله، وما عداه صور زائفة وأوهام وخيالات موافقة لقول الفلاسفة، كما أثرت في ظهور نظريات الفيض(*) والإشراق(*) على يد الغزالي والسهروردي. وبذلك تعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التي مر بها التصوف والتي تعدت به مرحلة البدع العملية إلى البدع العلمية التي بها يخرج التصوف عن الإسلام بالكلية. ومن أشهر رموز هذه الطبقة: الحلاج (ت ٣٠٩هـ)، السهروردي (ت ٥٨٧هـ)، ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، ابن الفارض (٦٣٢هـ) ابن سبعين (ت ٦٦٧هـ).

- **الحلاَّج**: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤ - ٣٠٩هـ) ولد بفارس حفيداً لرجل زرادشتي، ونشأ في واسط بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمي بالكفر(*) وقتل مصلوباً لتهم أربع وُجِّهت إليه:

١ - اتصاله بالقرامطة.

٢ - قوله «أنا الحق».

٣ - اعتقاد أتباعه ألوهيته.

٤ - قوله في الحج، إذ يرى أن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها.

وقد كان في شخصية الحلاج الكثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيداً ومغالياً. له كتاب **الطواسين** الذي أخرجه وحققه المستشرق الفرنسي ماسنيون.

● يرى بعض الباحثين أن أفراد الطائفة في القرن الثالث الهجري كانوا على علم باطني واحد، منهم من كتمه ويشمل أهل الطبقة الأولى بالإضافة إلى الشبلي القائل: «كنت أنا والحسين بن منصور - الحلاج - شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت»، ومنهم من أذاع وباح به ويشمل الحلاج وطبقته فأذاقهم الله طعم الحديد، على ما صرَّحت به المرأة وقت صلبه بأمر من الجنيد حسب رواية المستشرق الفرنسي ماسنيون.

● **ظهور الطرق:**

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهمي الصوفي الإيراني (٣٥٧ - ٤٣٠هـ) تلميذ أبي عبدالرحمن السلمي أوّل هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلاً عن طريق الوراثة.

● يعد القرن الخامس امتداداً لأفكار القرون السابقة، التي راجت من خلال مصنفات أبي عبدالرحمن السلمي، المتوفى (٤١٢هـ) والتي يصفها ابن تيمية بقوله: «يوجد في كتبه

من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ما ينتفع بهِ في الدين(*)، ويوجد فيه من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له، وبعض الناس توقَّف في روايته» [**مجموع الفتاوى** ١/ ٥٧٨]، فقد كان يضع الأحاديث لصالح الصوفية.

● ما بين النصف الثاني من القرن الخامس وبداية السادس في زمن أبي حامد الغزالي الملقَّب بحجَّة الإسلام (ت ٥٠٥هـ) أخذ التصوف مكانه عند من حسبوا على أهل السنة(*).

وبذلك انتهت مرحلة الرواد الأوائل أصحاب الأصول غير الإسلامية، ومن أعلام هذه المرحلة التي تمتد إلى يومنا هذا:

ـ **أبو حامد الغزالي**، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الملقب بحجة الإسلام (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) ولد بطوس من إقليم خراسان، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب(*) مثل: علم الكلام(*) والفلسفة(*)، والباطنية(*)، والتصوف، مما أورثه حيرة وشكًّا دفعه للتقلُّب بين هذه المذاهب الأربعة السابقة أثناء إقامته في بغداد، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولازم نظام الملك، درس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس، ومنها إلى الحجاز، ثم عاد إلى موطنه. وقد ألف عدداً من الكتب منها: **تهافُت الفلاسفة**، و**المنقذ من الضلال**، وأهمها **إحياء علوم الدين**. ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف(*) في المعرفة، التي تسلمت راية التصوف من أصحاب الأصول الفارسية إلى أصحاب الأصول السنية، ومن جليل أعماله هدمُه للفلسفة اليونانية، وكشفه لفضائح الباطنية في كتابه **المستظهري** أو **فضائح الباطنية**. ويحكي تلميذه عبدالغافر الفارسي آخرَ مراحل حياته، بعد ما عاد إلى بلده طوس، قائلاً: «وكانت نهاية أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ اللذين هما حجة الإسلام» ا. هـ. وذلك بعد أن صحب أهل الحديث في بلده من أمثال: أبي سهيل محمد بن عبدالله الحفصي الذي قرأ عليه صحيح البخاري، والقاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي الذي سمع عليه سنن أبي داود [**طبقات السبكي** ٤/ ١١٠].

ـ وفي هذه المرحلة ألّف كتابه **إلجام العوام عن علم الكلام**، الذي ذم فيه علم الكلام(*) وطريقته، وانتصر لمذهب(*) السلف ومنهجهم(*) فقال: «الدليل على أن مذهب السلف هو الحق: أن نقيضه بدعة(*)، والبدعة مذمومة وضلالة، والخوض من جهة العوام في التأويل(*) والخوض بهم من جهة العلماء بدعة مذمومة، وكان نقيضه هو الكف عن ذلك سنة محمودة» ص [٩٦].

ـ وفيه، أيضاً، رجع عن القول بالكشف(*) وإدراك خصائص النبوة(*) وقواها، والاعتماد في التأويل(*) أو الإثبات على الكشف الذي كان يراه قبل مرحلة إلجام العوام.

● يمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، إذ انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبدالقادر الجيلاني، المتوفى سنة (٥٦١هـ)، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً، حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي، ويزعم أتباعه أنه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ على الرغم من عدم لقائه بالحسن البصري، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى، وتصرفه في الكون حيًّا أو ميتاً، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة. ومن هذه الأقوال أنه قال مرة في أحد مجالسه: «قدمي هذه على رقبة كل ولي(*) لله»، وكان يقول: «من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له»، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الشرك وادعاء الربوبية.

ـ يقول السيد محمد رشيد رضا: «يُنقل عن الشيخ الجيلاني من الكرامات وخوارق العادات ما لم ينقل عن غيره، والنقاد من أهل الرواية لا يحفلون بهذه النقول إذ لا أسانيد لها يحتج بها» [**دائرة المعارف الإسلامية** ١١/ ١٧١].

● كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت ٥٤٠هـ) ويطلق عليها البطائحية نسبةً إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وينسج حوله كُتَّاب الصوفية ـ كدأبهم مع من ينتسبون إليهم ـ الأساطير والخرافات، بل ويرفعونه إلى مقام الربوبية. ومن هذه الأقوال: «كان قطب الأقطاب(*) في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال» [**طبقات الشعراني** ص ١٤١، **قلادة الجواهر** ص ٤٢].

ـ وقد تزوج الرفاعي العديد من النساء، ولكنه لم يعقب، ولذلك خلفه على المشيخة من بعده علي بن عثمان (ت ٥٨٤هـ) ثم خلفه عبدالرحيم بن عثمان (ت ٦٠٤هـ)، ولأتباعه أحوال وأمور غريبة ذكرها الحافظ الذهبي ثم قال: «لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء».

ـ وفي هذا القرن ظهرت شطحات وزندقة(*) السهروردي شهاب الدين أبي الفتوح محيي الدين بن حسن (٥٤٩ ـ ٥٨٧هـ)، صاحب مدرسة الإشراق(*) الفلسفية التي أساسها

الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر، ولذلك اتهمه علماء حلب بالزندقة(*) والتعطيل(*) والقول بالفلسفة(*) الإشراقية، مما حدا بهم أن يكتبوا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي محضراً بكفره(*) وزندقته فأمر بقتله ردة، وإليه تنسب الطريقة السهروردية ومذاهبها في الفيض(*) أو الظهور المستمر. ومن كتبه: **حكمة الإشراق**(*)، **هياكل النور، التلويحات العرشية، والمقامات**.

● تحت تأثير تراكمات مدارس الصوفية في القرون السالفة أعاد ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين بعثَ عقيدة الحلاج، وذي النون المصري، والسهروردي.

● في القرن السابع الهجري دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي الطائي الأندلسي أحد رؤوس الصوفية حتى لُقِّب بالشيخ الأكبر.

ـ **محيي الدين بن عربي**: الملقب بالشيخ الأكبر (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) رئيس مدرسة وحدة الوجود، يعد نفسه خاتم الأولياء(*)، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق، إذ مات ودفن، وله فيها الآن قبر يُزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلّى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يوصلها بعضهم إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة لا يزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية ومكتبات تركيا الأخرى، وأشهر كتبه: **روح القدس**(*)، **وترجمان الأشواق**(*)، وأبرزها: **الفتوحات المكية وفصوص الحكم**.

ـ **أبو الحسن الشاذلي (٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ)**: صاحبَ ابن عربي مراحل الطلب ـ طلب العلم ـ ولكنهما افترقا، إذ فضّل أبو الحسن مدرسة الغزالي في الكشف(*)، بينما فضل ابن عربي مدرسة الحلاج وذي النون المصري، وقد أصبح لكلتا المدرستين أنصارهما إلى الآن داخل طرق الصوفية، مع ما قد تختلط عند بعضهم المفاهيم فيهما، ومن أشهر تلاميذ مدرسة أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ) أبو العباس المرسي (ت ٦٨٦هـ)، وإبراهيم الدسوقي، وأحمد البدوي (ت ٦٧٥هـ). ويلاحظ على أصحاب هذه المدرسة إلى اليوم كثرة اعتذارها وتأويلها(*) لكلام ابن عربي ومدرسته.

● وفي القرن السابع ظهر، أيضاً، جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية بتركيا (ت ٦٧٢هـ).

● أصبح القرنان الثامن والتاسع الهجري ما هما إلا تفريع وشرح لكتب ابن عربي وابن

الفارض وغيرهما، ولم تظهر فيه نظريات جديدة في التصوف. ومن أبرز سمات القرن التاسع اختلاط أفكار كلتا المدرستين. وفي القرن الثامن ظهر محمد بهاء الدين النقشبندي مؤسس الطريقة النقشبندية (ت ٧٩١هـ). وكذلك القرن العاشر ما كان إلا شرحاً أو دفاعاً عن كتب ابن عربي، فزاد الاهتمام فيه بتراجم أعلام التصوف، والتي اتسمت بالمبالغة الشديدة. ومن كتّاب تراجم الصوفية في هذا القرن: عبدالوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) صاحب **الطبقات الصغرى والكبرى**.

● وفي القرون التالية اختلط الأمر على الصوفية، وانتشرت الفوضى بينهم، واختلطت فيهم أفكار كلتا المدرستين وبدأت مرحلة الدراويش.

ـ ومن أهم ما تتميز به القرون المتأخرة ظهور ألقاب شيخ السجادة، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، والخليفة، والبيوت الصوفية التي هي أقسام فرعية من الطرق نفسها مع وجود شيء من الاستقلال الذاتي يمارس بمعرفة الخلفاء، كما ظهرت فيها التنظيمات والتشريعات المنظمة للطرق تحت مجلس وإدارة واحدة وقد بدأ المجلس بفرمان أصدره محمد علي باشا والي مصر يقضي بتعيين محمد البكري خلفاً لوالده شيخاً للسجادة البكرية، وتفويضه في الإشراف على جميع الطرق والتكايا والزوايا والمساجد التي بها أضرحة. كما له الحق في وضع مناهج التعليم التي تعطى فيها. وذلك كله في محاولة لتقويض سلطة شيخ الأزهر وعلمائه، وقد تطورت نظمه وتشريعاته ليعرف فيما بعد بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر.

ومن أشهر رموز هذه القرون المتأخرة:

ـ عبدالغني النابلسي (١٠٥٠ ـ ١١٤٣هـ).

ـ أبو السعود البكري المتوفى (١٨١٢م) أول من عرف بشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر بشكل غير رسمي.

ـ أبو الهدى الصيادي الرفاعي (١٢٢٠ ـ ١٢٨٧هـ).

ـ عمر الفوتي الطوري السنغالي الأزهري التيجاني (ت ١٢٨١هـ)، ومما يحسن ذكره له أنه اهتم بنشر الإسلام بين الوثنيين(*)، وكوّن لذلك جيشاً، وخاض به حروباً مع الوثنيين، واستولى على مملكة سيغو وعلى بلاد ماسينه. ومن مؤلفاته: **سيوف السعيد**، **سفينة السعادة**، **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**.

ـ محمد عثمان الميرغني (ت ١٢٦٨هـ) ستأتي ترجمة له في مبحث الختمية.

ـ أبو الفيض محمد بن عبدالكبير الكتاني، فقيه متفلسف، من أهل فاس بالمغرب، أسس الطريقة الكتانية (١٢٩٠ ـ ١٣٢٧هـ)، انتقد عليه علماء فاس بعض أقواله ونسبوه إلى فساد الاعتقاد. ومن كتبه: **حياة الأنبياء**، **لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية**.

ـ أحمد التيجاني (ت ١٢٣٠هـ) ستأتي ترجمة له في مبحث التيجانية.

ـ حسن رضوان (١٢٣٩ ـ ١٣١٠هـ) صاحب أرجوزة **روض القلوب المستطاب في التصوف**.

ـ صالح بن محمد بن صالح الجعفري الصادقي (١٣٢٨ ـ ١٣٩٩هـ) انتسب إلى الطريقة الأحمدية الإدريسية بعد ما سافر إلى مصر والتحق بالأزهر، وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، والشيخ يوسف الدجوي، ومن كتبه: **الإلهام النافع لكل قاصد**، **القصيدة التائية**، **الصلوات الجعفرية**.

الأفكار والمعتقدات:

● مصادر التلقي:

ـ **الكشف**(*): ويعتمد الصوفية الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، بل تحقيق غاية عبادتهم، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية منها:

١ ـ **النبي**(*) ﷺ: ويقصدون به الأخذ عنه يقظة أو مناماً.

٢ ـ **الخضر عليه الصلاة والسلام**: كثرت حكايتهم عن لقياه، والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية، وكذلك الأوراد، والأذكار والمناقب.

٣ ـ **الإلهام**: من الله تعالى مباشرة، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي، إذ يعتقدون أن الولي(*) يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى، بينما الرسول أو النبي يأخذه من الملك الذي يوحي(*) به إليه(*).

٤ ـ **الفراسة**: والتي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها.

٥ ـ **الهواتف**: من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، مناماً أو يقظة أو في حالة بينهما بواسطة الأذن.

٦ ـ **الإسراءات والمعاريج**: ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولاتها هناك، والإتيان منها بشتى العلوم والأسرار.

٧ ـ **الكشف الحسي**: بالكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر.

٨ ـ **الرؤى والمنامات**: وتعد من أكثر المصادر اعتماداً عليها، إذ يزعمون أنهم يتلقَّون فيها عن الله تعالى، أو عن النبي ﷺ، أو عن أحد شيوخهم لمعرفة الأحكام الشرعية.

ـ **الذوق**: وله إطلاقان:

١ ـ الذوق العام الذي ينظم جميع الأحوال والمقامات، ويرى الغزالي في كتابه **المنقذ من الضلال** إمكان السالك أن يتذوَّق حقيقة النبوة، وأن يدرك خاصيتها بالمنازلة.

٢ ـ أما الذوق الخاص فتتفاوت درجاته بينهم حيث يبدأ بالذوق ثم الشرب.

ـ **الوجد**: وله ثلاث مراتب:

١ ـ التواجد.

٢ ـ الوجد.

٣ ـ الوجود.

ـ **التلقي عن الأنبياء غير النبي، ﷺ، وعن الأشياخ المقبورين.**

● تتشابه عقائد الصوفية وأفكارهم وتتعدد بتعدد مدارسهم وطرقهم، ويمكن إجمالها فيما يلي:

ـ يعتقد المتصوفة في الله تعالى عقائد شتى؛ منها الحلول(*) كما هو مذهب(*) الحلاج، ومنها وحدة الوجود حيث عدم الانفصال بين الخالق والمخلوق، ومنهم من يعتقد بعقيدة الأشاعرة والماتريدية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته.

ـ والغلاة(*) منهم يعتقدون في الرسول(*) ﷺ، أيضاً، عقائد شتى؛ فمنهم من يزعم أن الرسول ﷺ لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف، كما قال البسطامي: «خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله». ومنهم من يعتقد أن الرسول محمداً ﷺ هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خُلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه. ومنهم من لا يعتقد ذلك بل يرده ويعتقد ببشريته ورسالته، ولكنهم مع ذلك يستشفعون ويتوسلون به، ﷺ، إلى الله تعالى على وجه يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة(*).

ـ وفي الأولياء(*) يعتقد الصوفية عقائد شتى؛ فمنهم من يفضِّل الولي على النبي(*)، ومنهم يجعلون الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون. ولهم تقسيمات للولاية؛ فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال(*) والنجباء(*)، إذ يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير. ومنهم من لا يعتقد ذلك، ولكنهم، أيضاً، يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم في حياتهم أو بعد مماتهم.

وكل هذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين(*) والتقوى، وعمل الصالحات، والعبودية الكاملة لله والفقر إليه، وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئاً، فضلاً عن أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢١].

ـ يعتقدون أن الدين شريعة وحقيقة، والشريعة هي الظاهر من الدين وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار.

ـ التصوف في نظرهم طريقة وحقيقة معاً.

ـ لابد في التصوف من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه.

ـ لابد من الذكر والتأمل الروحي وتركيز الذهن في الملأ الأعلى، وأعلى الدرجات لديهم هي درجة الولي.

ـ يتحدث الصوفيون عن العلم اللَّدُنّي الذي يكون في نظرهم لأهل النبوة(*) والولاية(*)، كما كان ذلك للخضر عليه الصلاة والسلام، إذ أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

ـ **الفناء**(*): يعد أبو يزيد البسطامي أول داعية في الإسلام إلى هذه الفكرة، وقد نقلها عن شيخه أبي علي السندي حيث الاستهلاك في الله بالكلية، وحيث يَختفي نهائيًّا عن شعور العبد بذاته ويفنى المشاهد فينسى نفسه وما سوى الله، ويقول القشيري: الاستهلاك بالكلية يكون «لمن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً» (مقام جمع الجمع) وهو: «فناء العبد عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق».

إن مقام الفناء حالة تتراوح فيها تصورات السالك بين قطبين متعارضين هما التنزيه(*) والتجريد من جهة والحلول(*) والتشبيه(*) من جهة أخرى.

● **درجات السلوك**:

ـ هناك فرق بين الصوفي والعابد والزاهد إذ إن لكل واحد منهم أسلوباً ومنهجاً وهدفاً.

وأول درجات السلوك حبُّ الله ورسوله، ودليله الاقتداء برسول الله ﷺ.

ثم الأسوة الحسنة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثم التوبة: وذلك بالإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إليها، وإبراء صاحبها إن كانت تتعلق بآدمي.

ـ **المقامات**: «هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الثاني» ولابد للانتقال من جهاد(*) وتزكية. وجعلوا

الحاجز بين المريد وبين الحق سبحانه وتعالى أربعة أشياء هي: المال، والجاه، والتقليد(*)، والمعصية.

ـ **الأحوال**: «إنها النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة، ثم تمر تاركة عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تنسُّم أريجه». قال الجنيد: «الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم».

والأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، ويعبِّرون عن ذلك بقولهم: «الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود».

ـ **الورع**: أن يترك السالك كل ما فيه شبهة، ويكون هذا في الحديث والقلب والعمل.

ـ **الزهد**: وهو يعني أن تكون الدنيا على ظاهر يده، وقلبه معلق بما في يد الله. يقول أحدهم عن زاهد: «صدق فلان، قد غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره». قد يكون الإنسان غنيًّا وزاهداً في الوقت ذاته إذ إن الزهد لا يعني الفقر، فليس كل فقير زاهداً، وليس كل زاهد فقيراً، والزهد على ثلاث درجات:

١ ـ ترك الحرام، وهو زهد العوام.

٢ ـ ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

٣ ـ ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو زهد العارفين.

ـ **التوكل**: يقولون: التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية إن كان للثقة في الله نهاية، ويقول سهل التستري: «التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد».

ـ **المحبة**: يقول الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «فعلامة المحبة الموافقة للمحبوب والتجاري مع طرقاته في كل الأمور، والتقرب إليه بكل صلة، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه».

ـ **الرضا**: يقول أحدهم: «الرضا بالله الأعظم، هو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل» ويقول آخر: «الرضا آخر المقامات، ثم يقتفي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال».

ـ **يطلقون الخيال** لفهم كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، حتى يصل السالك إلى اليقين وهو على ثلاث مراتب:

١ ـ علم اليقين: وهو يأتي عن طريق الدليل النقلي من آيات وأحاديث ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾. [التكاثر: ٥].

٢ ـ عين اليقين: وهو يأتي عن طريق المشاهدة والكشف(*): ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

﴿ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧].

٣ ـ حق اليقين: وهو ما يتحقق عن طريق الذوق: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٥، ٩٦].

ـ وأما في الحكم والسلطان والسياسة فإن المنهج(*) الصوفي هو عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السلاطين؛ لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد.

ـ ولعل أخطر ما في الشريعة الصوفية هو منهجهم في التربية، إذ يستحوذون على عقول الناس ويلغونها، وذلك بإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس، ثم بالتهويل والتعظيم بشأن التصوف ورجاله، ثم بالتلبيس على الشخص، ثم الزج به إلى علوم التصوف شيئاً فشيئاً، ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج.

● **مدارس الصوفية:**

ـ **مدرسة الزهد**: وأصحابها من النُّسَّاك والزُّهَّاد والعُبَّاد والبكَّائين، ومن أفرادها: رابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار.

ـ **مدرسة الكشف(*) والمعرفة**: وهي تقوم على اعتبار أن المنطق العقلي وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات، إذ يتطور المرء بالرياضة النفسية حتى تنكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطبقة في نفسه تتراءى فوق مرآة القلب، وزعيم هذه المدرسة: الإمام أبو حامد الغزالي.

ـ **مدرسة وحدة الوجود**: زعيم هذه المدرسة محيي الدين بن عربي: «وقد ثبت عن المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به، فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق، فالوجود الحق وهو واحد، فليس ثم شيء هو له مثل؛ لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان».

ـ **مدرسة الاتحاد(*) والحلول(*)**: وزعيمها: الحلاج، ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي والنصراني، إذ يتصور الصوفي عندها أن الله قد حل(*) فيه وأنه قد اتحد(*) هو بالله، فمن أقوالهم: «أنا الحق» و«ما في الجبة إلا الله» وما إلى ذلك من الشطحات التي تنطلق على ألسنتهم في لحظات السكر(*) بخمرة الشهود على ما يزعمون.

● **طرق الصوفية:**

ـ **الجيلانية**: تنسب إلى عبدالقادر الجيلاني (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ) المدفون في بغداد، إذ تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرُّك به، اطلع على كثير من علوم عصره، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات(*)، على نحو ما ذكرنا من قبل.

وقد ساهمت طريقته في إقامة المراكز الإسلامية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام في أفريقيا، ووقفت حاجزاً منيعاً في وجه المد الأوربي الزاحف إلى المغرب العربي.

ـ **الرفاعية**: تنسب إلى أحمد الرفاعي (٥١٢ ـ ٥٨٠هـ) من بني رفاعة إحدى قبائل العرب، وجماعته يستخدمون السيوف، ودخول النيران في إثبات الكرامات. قال عنهم الشيخ الألوسي في **غاية الأماني في الرد على النبهاني**: «وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين(*) والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة (*) إلا ومنهم مصدرها، وعنهم موردها ومأخذها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله، وعبادة مشايخهم، وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات» ١/ ٣٧٠.

وتتفق الرفاعية مع الشيعة(*) في أمور عدة منها: إيمانهم بكتاب الجفر(*)، واعتقادهم في الأئمة الاثني عشر، وأن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر، بالإضافة إلى مشاركتهم الحزن يوم عاشوراء، وغير ذلك.

هذا على الرغم مما ورد عن شيخ طريقتهم ـ الشيخ أحمد الرفاعي ـ من الحض الشديد على السنة واجتناب البدعة، ومنها قوله: «ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلا سلط الله عليهم العدو، وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها إلا رزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم».

وللرفاعية انتشار ملحوظ في غرب آسيا.

ـ **البدوية**: وتنسب إلى أحمد البدوي (٥٩٦ ـ ٦٣٤هـ) ولد بفاس، حج ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، إذ يقام له كغيره من أولياء الصوفية احتفال بمولده سنويًّا يمارس فيه الكثير من البدع والانحرافات العقدية من دعاء واستغاثة وتبرك وتوسل مما يؤدي إلى الشرك المخرج من الملة. وأتباع طريقته منتشرون في بعض محافظات مصر، ولهم فيها فروع كالبيُّومية والشنَّاوية وأولاد نوح والشعبية، وشارتهم العمامة الحمراء.

ـ **الدسوقية**: تنسب إلى إبراهيم الدسوقي (٦٣٣ ـ ٦٧٦هـ) المدفون بمدينة دسوق في مصر، يدعي المتصوفة أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم تدبير الأمور في هذا الكون.

ـ **الأكبرية**: نسبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي، وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود والصمت والعزلة والجوع والسهر، ولها ثلاث صفات: الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والرضا بالقضاء.

ـ **الشاذلية**: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ) ولد بقرية عمارة قرب

مرسية في بلاد المغرب، وانتقل إلى تونس، وحج عدة مرات، ثم دخل العراق ومات أخيراً في صحراء عيذاب بصعيد مصر في طريقه إلى الحج، قيل عنه: «إنه سهّل الطريقة على الخليقة» لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها؛ فليس فيها كثير مجاهدة، انتشرت طريقته في مصر واليمن وبلاد العرب، وأهل مدينة مخا يدينون له بالتقدير والاعتقاد العميق في ولايته، وانتشرت طريقته كذلك في مراكش وغرب الجزائر، وفي شمال أفريقيا وغربها بعامة.

ـ **البكداشية**: كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة، وهي لا تزال منتشرة في ألبانيا، كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف السني، وقد كان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول، وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم.

ـ **المولوية**: أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ) والمدفون بقونية، أصحابها يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفي حلب وفي بعض أقطار المشرق.

ـ **النقشبندية**: تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (٦١٨ ـ ٧٩١هـ) وهي طريقة سهلة كالشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

ـ **الملامتية**: مؤسسها أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار المعروف بالقصار (ت ٢٧١هـ) أباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها ومحاربة نقائصها، وقد ظهر الغلاة منهم في تركيا حديثاً بمظهر الإباحية والاستهتار، وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية.

ـ وهناك طرق كثيرة غير هذه: كالقنائية، والقيروانية، والمرابطية، والبشبشية، والسنوسية، والمختارية، والختمية. . . وغيرها، ولا شك أن كل هذه الطرق طرق بدعية.

● **شطحات الصوفية:**

سلك بعضهم طريق تحضير الأرواح(*) معتقداً بأن ذلك من التصوف، كما سلك آخرون طريق الشعوذة والدجل، وقد اهتموا ببناء الأضرحة وقبور الأولياء(*) وإنارتها وزيارتها والتمسُّح بها، وكل ذلك من البدع(*) التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ـ يقول بعضهم بارتفاع التكاليف ـ إسقاط التكاليف(*) ـ عن الولي(*)؛ أي أن العبادة تصير لا لزوم لها بالنسبة إليه؛ لأنه وصل إلى مقام لا يحتاج معه إلى القيام بذلك؛ ولأنه لو

اشتغل بوظائف الشرع وظواهره انقطع عن حفظ الباطن وتشوش عليه بالالتفات عن أنواع الواردات الباطنية إلى مراعاة الظاهر.

ـ ويُنقل عن الغزالي انتقاده لمن غلبهم الغرور، ويعدِّد فرقهم:

١ ـ فرقة اغتروا بالزي والهيئة والمنطق(*).

٢ ـ وفرقة ادعت علم المعرفة، ومشاهدة الحق، ومجاوزة المقامات والأحوال.

٣ ـ وفرقة وقعت في الإباحة، وطووا بساط الشرع، ورفضوا الأحوال، وسووا بين الحلال والحرام.

٤ ـ وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا والهة بحب الله، وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأيدينا، وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب.

ـ ومذهب الوحدة المطلقة لم يكن له وجود في الإسلام بصورته الكاملة قبل ابن عربي، فهو الواضع لدعائمه والمؤسس لمدرسته والمفصل لمعانيه ومراميه، وله فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرهما.

ـ أما الحلاج فيعد صاحب مدرسة الاتحاد(*) والحلول(*)، وله أقوال منها:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بَدَنا
فإذا أبصرْتني أبصرتَه ... وإذا أبصرتَه أبصرْتنا

وقوله:

مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة في الماء الزلال
فإذا مسَّك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال

ـ يستخدم الصوفيون لفظ (الغوث والغياث) وقد أفتى ابن تيمية كما جاء في كتاب **مجموع الفتاوى** ص ٤٣٧: «فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله، فهو غوث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل».

ـ لقد أجمعت كل طرق الصوفية على ضرورة الذكر، وهو عند النقشبندية لفظ الله مفرداً، وعند الشاذلية لا إله إلا الله، وعند غيرهم مثل ذلك مع الاستغفار والصلاة على النبي، وبعضهم يقول عند اشتداد الذكر: هو هو، بلفظ الضمير. وفي ذلك يقول ابن تيمية في كتاب **مجموع الفتاوى** ص ٢٢٩: «وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد».

ويقول في ص ٢٢٨، أيضاً: «من قال: يا هو يا هو، أو هو هو، ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره القلب، والقلبُ قد يهتدي وقد يضل».

ـ قد يأتي بعض المنتسبين إلى التصوف بأعمال عجيبة وخوارق، وفي ذلك يقول ابن تيمية ص ٤٩٤: «وأما كشف الرؤوس، وتفتيل الشعر، وحمل الحيات؛ فليس هذا من شعار أحد من الصالحين، ولا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا شيوخ المسلمين، ولا من المتقدمين، ولا من المتأخرين، ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي، وإنما ابتُدع هذا بعد موت الشيخ بمدة طويلة».

ـ ويقول، أيضاً، في ص ٥٠٤: «وأما النذر للموتى من الأنبياء(*) والمشايخ وغيرهم أو لقبورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذرُ شركٍ ومعصية لله تعالى».

ـ وفي ص ٥٠٦ من الكتاب نفسه: «وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشايخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه».

ـ ويقول في ص ٥٠٥ من الكتاب نفسه أيضاً: «وأما مؤاخاة الرجال والنساء الأجانب، وخلوتهم بهن، ونظرهم إلى الزينة الباطنة، فهذا حرام باتفاق المسلمين، ومن جعل ذلك من الدين فهو من إخوان الشياطين».

ـ في مقام الفناء(*) عن شهود ما سوى الرب ـ وهو الفناء عن الإرادة ـ يقول ابن تيمية ص ٣٣٧ من كتابه: «وفي هذا الفناء قد يقول: أنا الحق، أو سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، إذا فنى بمشهوده عن شهوده، وبموجوده عن وجوده، وفي مثل هذا المقام يقع السكر(*) الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشق الصور. ويُحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليه فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال المحرمة، بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل أمراً محرماً. وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة».

ـ أما في مقام الفناء(*) عن وجود السوي فيقول ص ٣٣٧ من الكتاب أيضاً: «الثالث: فناء عن وجود السوى، بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه، لا به ولا بغيره، وهذا القول للاتحادية الزنادقة(*) من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوي ونحوهم، الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات، وأنه لا وجود لغيره، لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به لكنهم يريدون أنه عين الموجودات، فهذا كفر(*) وضلال».

● **تجاوزات بعض المنتسبين إلى الصوفية في الوقت الحاضر:**

ـ من أبرز المظاهر الشركية التي تؤخذ على الصوفية ما يلي:

١ ـ الغلو(*) في الرسول.

٢ ـ الحلول(*) والاتحاد(*).

٣ ـ وحدة الوجود.

٤ ـ الغلو في الأولياء.

٥ ـ الادعاءات الكثيرة الكاذبة، كادعائهم عدم انقطاع الوحي(*) وما لهم من المميزات في الدنيا والآخرة.

٦ ـ ادعاؤهم الانشغال بذكر الله عن التعاون لتحكيم شرع الله(*) والجهاد(*) في سبيله، مع ما كان لبعضهم من مواقف طيبة ضد الاستعمار مثل الأمير عبدالقادر الجزائري.

٧ ـ كثيراً ما يتساهل بعض المحسوبين على التصوف في التزام أحكام الشرع.

٨ ـ طاعة المشايخ والخضوع لهم، والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم، والتمسح بأضرحتهم بعد مماتهم.

٩ ـ تجاوزات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان، في هيئة ما يسمونه الذكر، وهو هزّ البدن والتمايل يميناً وشمالاً، وذكر كلمة الله في كل مرة مجرَّدة، والادعاء بأن المشايخ مكشوفٌ عن بصيرتهم، ويتوسلون بهم لقضاء حوائجهم، ودعاؤهم بمقامهم عند الله في حياتهم وبعد مماتهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ إن المجاهدات الصوفية إنما ترجع إلى زمن سحيق في القدم من وقت أن شعر الإنسان بحاجة إلى رياضة نفسه ومغالبة أهوائه.

ـ لا شك أن ما يدعو إليه الصوفية من الزهد، والورع والتوبة والرضا... إنما هي أمور من الإسلام، وأن الإسلام يحثُّ على التمسك بها والعمل من أجلها، ولكن الصوفية في ذلك يخالفون ما دعا إليه الإسلام، إذ ابتدعوا مفاهيم وسلوكيات لهذه المصطلحات(*) مخالفة لما كان عليه الرسول(*)، ﷺ، وصحابته.

لكن الذي وصل إليه بعضهم من الحلول(*) والاتحاد(*) والفناء(*)، وسلوك طريق المجاهدات الصعبة، إنما انحدرت هذه الأمور إليهم من مصادر دخيلة على الإسلام كالهندوسية والجينية والبوذية والأفلاطونية والزرادشتية والمسيحية(*). وقد عبر عن ذلك كثير من الدارسين للتصوف منهم:

ـ المستشرق ميركس، يرى أن التصوف إنما جاء من رهبانية(*) الشام.

ـ المستشرق جونس، يرده إلى فيدا الهنود.

ـ نيكولسون، يقول بأنه وليدٌ لاتحاد الفكر اليوناني والديانات(*) الشرقية، أو بعبارة أدق: وليد لاتحاد الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة والديانات المسيحية والمذهب(*) الغنوصي(*).

ـ إن السقوط في دائرة العدمية بإسقاط التكاليف(*) وتجاوز الأمور الشرعية إنما هو أمر عرفته البرهمية، إذ يقول البرهمي: «حيث أكون متحداً مع برهماً لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة».

ـ قول الحلاج في الحلول، وقول ابن عربي في الإنسان الكامل يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام.

ـ لقد فتح التصوفُ المنحرفُ باباً واسعاً دخل منه كثير من الشرور على المسلمين مثل التواكل، والسلبية، وإلغاء شخصية الإنسان، وتعظيم شخصية الشيخ، فضلاً عن كثير من الضلالات والبدع(*) التي تُخرج صاحبها من الإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لقد عملت الطرق الصوفية على نشر الإسلام في كثير من الأماكن التي لم تفتحها الجيوش، وذلك بما لديهم من تأثير روحي يسمونه (الجذب)؛ مثل إندونيسيا ومعظم أفريقيا وغيرها من الأقطار النائية.

انتشر التصوف على مدار الزمان وشمل معظم العالم الإسلامي، وقد نشأت فرقهم وتوسعت في مصر والعراق وشمال غرب أفريقيا، وفي غرب ووسط وشرق آسيا.

لقد تركوا أثراً مهماً في الشعر والنثر والموسيقى وفنون الغناء والإنشاد، وكانت لهم آثار في إنشاء الزوايا والتكايا.

لقد كان للروحانية الصوفية أثر في جذب الغربيين الماديين إلى الإسلام، ومن أولئك مارتن لنجز الذي يقول: «إنني أوربي وقد وجدت خلاص روحي ونجاتها في التصوف». على أن اهتمام الغربيين ومراكز الاستشراق في الجامعات الغربية والشرقية بالتصوف يدعو إلى الريبة، فبالإضافة إلى انجذاب الغربيين إلى روحانية التصوف وإعجابهم بالمادة الغزيرة التي كتبت عن التصوف شرحاً وتنظيراً، فإن هناك أسباباً أخرى لاهتمام المستشرقين والمؤسسات الأكاديمية والغربيين بصفة عامة بالتصوف، من هذه الأسباب:

ـ إبراز الجانب السلبي الاستسلامي الموجود في التصوف وتصويره على اعتبار أنه

الإسلام.

- موافقة التصوف للرهبانية(*) المسيحية(*) واعتباره امتداداً لهذا التوجه.

- ميل منحرفي المتصوفة إلى قبول الأديان(*) جميعاً، واعتبارها وسيلة للتربية الروحية، وقد وُجِد في الغرب من يعتبر نفسه متصوفاً، ويستعمل المصطلحات(*) وبعض السلوكيات الإسلامية دون أن يكون مسلماً، وذلك من بين أتباع اليهودية والمسيحية والبوذية وغيرها من الأديان.

- تجسيم الصراع بين فقهاء الإسلام ومنحرفي المتصوفة على أنها هي السمة الغالبة في العقيدة والفقه الإسلاميين.

- تراجعت الصوفية وذلك ابتداءً من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ولم يعد لها ذلك السلطان الذي كان لها فيما قبل، وذلك بالرغم من دعم بعض الدول الإسلامية للتصوف كعامل مُثبِّط لتطلعات المسلمين في تطبيق الإسلام الشمولي.

ويتضح مما سبق:

أن التصوف عبر تاريخه الطويل هو انحرافٌ عن منهج(*) الزهد الذي يحضّ الإسلام سلوكَ سبيله والمقترن بالعلم والعمل والجهاد(*) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونفع الأمة ونشر الدين(*). ولذا رفضه الرسول(*) الكريم من بعض أصحابه، ثم زاد هذا الانحراف عندما اختلط التصوف بالفلسفات(*) الهندية واليونانية والرهبانية(*) النصرانية في العصور المتأخرة، وتفاقم الأمر عندما أصبحت الصوفية تجارة للمشعوذين والدجالين ممن قلت بضاعتهم في العلم وقصر سعيهم عن الكسب الحلال. وقد أدرك أعداء الإسلام ذلك فحاولوا أن يُشوِّهوا الإسلام من الداخل من خلال التصوف، ويقضوا على صفاء عقيدة التوحيد التي يمتاز بها الإسلام، ويجعلوا المسلمين يركنون إلى السلبية حتى لا تقوم لهم قائمة.

مراجع للتوسع

١ - **التصوف الإسلامي**، أحمد توفيق عياد، الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

٢ - **المنقذ من الضلال** لحجة الإسلام الغزالي، مع أبحاث في التصوف، د. عبدالحليم محمود، مطبعة حسان، القاهرة.

٣ - **مجموع فتاوى ابن تيمية**، المجلد ١١ عن التصوف، والمجلد ١٠ عن السلوك، طبعة ١٣٩٨هـ.

٤ - **الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا**، د. حسن عيسى عبدالظاهر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥ ـ **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**، د. عرفان عبدالحميد فتاح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦ ـ **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، أبو العلا عفيفي.

٧ ـ **الصوفية الإسلامية**، نيكلسون، ترجمة شريبة.

٨ ـ **إحياء علوم الدين**، للإمام الغزالي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

٩ ـ **الفتوحات المكية**، للشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن عربي، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ.

١٠ ـ **كتاب الطواسين** للحلاج، نشره لويس ماسنيون، باريس ١٩١٣م.

١١ ـ **أخبار الحلاج**، نشره لو. م سيراب، نوينسام س ش.

١٢ ـ **ديوان الحلاج**، نشره لويس ماسنيون، باريس ١٩٣١م.

١٣ ـ **كتاب اللمع**، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق د. عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٠م.

١٤ ـ **الرسالة القشيرية**، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٥٧م.

١٥ ـ **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، أرنولد رينولدز نيكلسون، مجموع مقالات ترجمها الدكتور أبو العلا عفيفي، القاهرة ١٩٤٧م.

١٦ ـ **المذاهب الصوفية ومدارسها**، عبدالحكيم عبدالغني قاسم.

١٧ ـ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، عبدالرحمن عبدالخالق.

١٨ ـ **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، عرضاً ونقداً**، صادق سليم صادق.

١٩ ـ **أبو حامد الغزالي والتصوف**، عبدالرحمن دمشقية.

٢٠ ـ **دراسات حول التصوف**، إحسان إلهي ظهير.

٢١ ـ **الصوفية**، محمد العبدة، طارق عبدالحليم.

٢٢ ـ **المذاهب والأفكار في التصور الإسلامي**، محمد الحسن.

٢٣ ـ **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**، عبدالله الأمين.

٢٤ ـ **التصوف والأدب**، زكي مبارك، د. عبدالرحمن بدوي.

٢٥ ـ **تاريخ التصوف**، د. عبدالرحمن بدوي.

المراجع الأجنبية

- Nicholson. R. A. Studies in Islamic Mysticism, Combridge 1961.
- Spencer Trimingham. T. The Sufi Orders of Islam, Oxford 1971.
- Arberry. A.J. An Introduction to the History of Sufism, Oxford 1942.
- Nicholson: Literary History of the Arabs.
- Macdonald: Development of Moslem Theology.
- Sufism: An Account of the Mystics of Islam, London 1956.
- Fazlur Rahman: Islam, London 1966.
- Encyclopedia of Religion and Ethics 1908. The Articles: Soul-Pantheism Sufis.
- Encyclopedia of Islam. The New Edition. The Articles: Al-Hallaj-ibn-Arabi Al-Bistami-Asceticism.

ما تفرع عنها من طرق:

● الشاذلية ● التيجانية ● السنوسية
● الختمية ● البريلوية

٢٨ - الشاذلية

التعريف :

طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد «الله» أو مضمراً «هو».

التأسيس وأبرز الشخصيات :

● **أبو الحسن الشاذلي**: اختلف في نسبه، فمريدوه وأتباعه ينسبونه إلى الأشراف ويصلون بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ كعادة أهل كل طريقة صوفية، وبعضهم ينسبه إلى الحسين، وبعضهم إلى غيره.

ـ ذكره الإمام الذهبي في العبر فقال: «الشاذلي: أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية وله عبارات في التصوف توهم، ويتكلف له في الاعتذار عنها، وعنه أخذ أبو العباس المرسي، وتوفي الشاذلي بصحراء عيذاب متوجهاً إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة ٦٥٦هـ»، (عيذاب على طريق الصعيد بمصر).

ـ تتلمذ أبو الحسن الشاذلي في صغره على أبي محمد عبدالسلام بن بشيش، في المغرب، وكان له أكبر الأثر في حياته العلمية والصوفية.

ـ ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة، وهناك ارتقى منازل عالية، كما تزعم الصوفية.

ـ رحل بعد ذلك إلى مصر وأقام بالإسكندرية، حيث تزوج وأنجب أولاده شهاب الدين أحمد وأبا الحسن علياً، وأبا عبدالله محمداً وابنته زينب، وفي الإسكندرية أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وانتشر صيته على أنه من

أقطاب(*) الصوفية الكبار.

ـ تروي كتب الصوفية كثيراً من كراماته(*) وأقواله البعيدة عن التصديق، التي تنطوي على مخالفة صريحة لعقيدة الإسلام وللكتاب والسنة، اللذين هما أساس دعوته كما يقول عن نفسه، ومن هذه الكرامات(*) والأقوال:

ـ ينقل الدكتور عبدالحليم محمود نقلاً عن **درّة الأسرار**: «لما قدم المدينة زادها الله تشريفاً وتعظيماً، وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه، عريان الرأس، حافي القدمين، يستأذن على رسول الله، ﷺ فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: يا علي، ادخل».

وهذا مخالف للعقيدة. ويقول عن نفسه: «لو لا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد إلى يوم القيامة» وهذا ادعاءٌ لعلم الغيب وشرك بالله تعالى.

ـ للشاذلي أوراد تسمى **حزب الشاذلي** ورسالة **الأمين** في آداب التصوف رتَّبها على أبواب، وله **السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل** وللإمام تقي الدين ابن تيمية رد على حزبه.

● **أبو العباس المرسي**: أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، من أهل الإسكندرية، لا يُعرف تاريخ ولادته وأهله من مرسية بالأندلس، توفي سنة (٦٨٦هـ ـ ١٢٨٧م).

ـ يعد خليفة أبي الحسن الشاذلي وصار قطباً(*) بعد موته، حسب ما يقول الصوفية، وله مقام كبير ومسجد باسمه في مدينة الإسكندرية.

ـ قال عن نفسه: «والله لو حُجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين».

ـ وكان يدعي صحبة الخضر واللقاء معه.

ـ وكان له تأويل(*) باطني(*) مثل ما كان لشيخه أبي الحسن، ومثال ذلك ما ذكره تلميذه ابن عطاء الله السكندري: سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦] أي: ما نُذهب من ولي(*) لله إلا ونأتي بخير منه أو مثله. وهذا إلحادٌ(*) بيِّنٌ في آيات الله تعالى.

ثم خلف على مشيخة الشاذلية بعد أبي العباس المرسي ياقوتُ العرش، وكان حبشيًّا، وسمي بالعرش؛ لأن قلبه لم يزل تحت العرش كما تقول الصوفية وما في الأرض إلا جسده.

وقيل: لأنه كان يسمع أذان حملة العرش. هذا ما جاء في **طبقات الشعراني**، وهو من خرافات الصوفية التي لا تقف عند حد.

الأفكار والمعتقدات:

● تشترك كل الطرق الصوفية في أفكار ومعتقدات واحدة، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته، ونستطيع أن نُجمِل أفكار الطريقة الشاذلية في نقاط محددة، مع العلم أن هذه النقاط كما سنرى قد تفسر لدى الصوفية غير التفسير المعهود لدى عامة العلماء والفقهاء، وهذه النقاط هي:

ـ **التوبة**: وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله تعالى.

ـ **الإخلاص**: وينقسم لديها إلى قسمين:

١ ـ إخلاص الصادقين.

٢ ـ إخلاص الصِّدِّيقين.

ـ **النية**: وتعد أساس الأعمال والأخلاق(*) والعبادات.

ـ **الخلوة**: أي اعتزال الناس، فهذا من أسس التربية الصوفية. وفي الطريقة الشاذلية يدخل المريد الخلوة لمدة ثلاثة أيام قبل سلوك الطريق.

ـ **الذكر**: والأصل فيه ذكر الله تعالى، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار. والذكر المشهور لدى الشاذلية هو ذكر الاسم المفرد لله أو مضمراً (هو هو). وهذا الذكر بهذه المثابة بدعة(*)، وقد مر بنا ما قاله عنه ابن تيمية بأنه ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، وأن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان تامًّا مفيداً مثل: لا إله إلا الله، والله أكبر.

ـ **الزهد**: وللزهد تعاريف متعددة عند الصوفية منها:

١ ـ فراغ القلب مما سوى الله، وهذا هو زهد العارفين.

٢ ـ وهو أيضاً ـ عندهم ـ الزهد في الحلال وترك الحرام.

ـ **النفس**: ركزت الشاذلية على أحوال للنفس هي:

١ ـ النفس مركز الطاعات إن زكَتْ واتقت.

٢ ـ النفس مركز الشهوات في المخالفات.

٣ ـ النفس مركز الميل إلى الراحات.

٤ ـ النفس مركز العجز في أداء الواجبات.

لذلك يجب تزكيتها حتى تكون مركز الطاعات فقط.

ـ **الورع**: وهو العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة.

ـ **التوكل**: وهو صرف القلب عن كل شيء إلا الله.

ـ **الرضى**: وهو رضى الله عن العبد.

ـ **المحبة**: وهي في تعريفهم: سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام.

ـ وللحب درجات لدى الشاذلية وأعلى درجاته ما وصفته رابعة العدوية بقولها:

أحبك حبَّين: حب الهوى ... وحبًّا لأنك أهل لذاك

ـ **الذوق**: ويعرِّفونه بأنه تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة في الكرامات(*) وخوارق العادات، ويعدونه طريق الإيمان بالله والقرب منه والعبودية له. لذلك يفضل الصوفية العلوم التي تأتي عن طريق الذوق على العلوم الشرعية من الفقه والأصول وغير ذلك، إذ يقولون: علم الأذواق لا علم الأوراق. ويقولون: إن علم الأحوال يتم عن طريق الذوق، ويتفرع منه علوم الوجد(*) والعشق والشوق.

ـ **علم اليقين**: وهو معرفة الله تعالى معرفة يقينية، ولا يحصل هذا إلا عن طريق الذوق، أو العلم اللدني أو الكشف(*) . . . إلخ.

● ومع ذلك فإن الشاذلي يقول بأن التمسك بالكتاب والسنة هو أساس طريقته، فمن أقواله: «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة».

ـ ويقول، أيضاً: «كل علم يسبق إليك فيه الخاطر، وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارمِ به، وإن كان حقًّا، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، ﷺ، واقتدِ به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده».

● وكذلك فإن الصوفية عامة يرون ـ ومنهم الشاذلية ـ أن علم الكتاب والسنة لا يؤخذان إلا عن طريق شيخ أو مربٍّ أو مرشد، ولا يتحقق للمريد العلم الصحيح حتى يطيع شيخه طاعة عمياء في صورة: «المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي مُغسِّله». لذلك يُنظر إلى الشيخ نظرة تقديسية ترفعه عن مرتبته الإنسانية.

ـ **السماع**: وهو سماع الأناشيد والأشعار الغزلية الصوفية. وقد نقل عن أحد أعلام التصوف قوله: «الصوفي هو الذي سمع السماع وآثره على الأسباب». ونقل عن الشعراني عن الحارث المحاسبي قوله: «مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن»، و«إنه من أسرار الله تعالى في الوجود».

ـ وقد أفرد كُتّاب التصوف للسماع أبواباً منفصلة في مؤلفاتهم، لما له من أهمية خاصة عندهم.

ـ يكثر في السماع الأشعار التي تصل إلى درجة الكفر(*) والشرك، كرفع الرسول(*) ﷺ إلى مرتبة عالية لم يقل بها أحد من أصحابه، ولا هي موجودة في كتاب ولا سنة، فضلاً عن الإكثار من الاستغاثة لا المناجاة كما يقول البعض:

يا كتاب الغيوب ... قد لجأنا إليك

يا شفاء القلوب ... الصلاة عليك

● وهناك أفكار واعتقادات كثيرة يجدها القارىء في كتب التصوف مبتدعة(*) دخلت الفكر الإسلامي عن طريق الفلسفات(*) اليونانية والهندية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

كانت المذاهب(*) الصوفية كلها عبارة عن مدارس تربوية تدعو إلى تزكية النفس وإلى الزهد في الدنيا والعمل الصالح، إلا أن هذه المدارس دخلتها الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية، وحتى النصرانية واليهودية وغيرها من الفلسفات، وذلك أثناء حركة الترجمة في القرن الرابع الهجري؛ فتأثرت الصوفية بها، وبدأ الانحراف في هذه المدارس عن الطريق الإسلامي السوي.

فقد أخذت الصوفية من الفلسفة(*) الهندية مراحل ترقِّي الإنسان إلى الفناء(*) أو النرفانا(*)، وذلك بتطهير نفسه بالجوع والزهد وترك الدنيا حتى يصل إلى السعادة الحقيقية.

وأخذت الصوفية الرهبانية(*) من النصرانية المنحرفة، وهو الانقطاع عن الناس والعزلة عن الخلق والزهد.

ومن الفلسفة اليونانية نظرية الفيض(*) الإلهي، والاتحاد(*) والحلول(*) عند بعض الصوفية.

ولو تتبع المدقق في المذاهب الصوفية لوجد العجب من المصطلحات والمعلومات البعيدة كل البعد عن تعاليم الشريعة الإسلامية(*) الواضحة البينة.

أماكن الانتشار:

مركز الشاذلية الأول هو مصر وبخاصة مدينة الإسكندرية، وطنطا، ودسوق بمحافظة كفر الشيخ، ثم انتشرت في باقي البلاد العربية. وأهم مناطق نشاطها سوريا والمغرب العربي، ولها وجود إلى الآن في ليبيا وفي السودان في الوقت الحاضر.

يتضح مما سبق:

أن الشاذلية طريقة صوفية تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى شاذلة في المغرب بشمال أفريقيا. وتشترك هذه الطريقة مع غيرها من الطرق الصوفية في كثير من الأفكار والمعتقدات، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته. ومجمل أفكار هذه الطريقة: التوبة، الإخلاص، النية، الخلوة، الذكر، الزهد، النفس، الورع، التوكل، الرضى، المحبة، الذوق، علم اليقين، السماع. ولهذه الألفاظ معانٍ تختلف بدرجات متفاوتة عن المعاني الشرعية.

أما علم القرآن والسنة فلا يؤخذان عند الشاذلي إلا عن طريق شيخ أو مُربٍّ أو مرشد، وهو ما يستوجب على السالك الطاعة العمياء لهم. ويؤخذ على الشاذلية ما يؤخذ على الطرق الصوفية من مآخذ انحرفت بسالكيها عن الطريق الإسلامي السوي.

مراجع للتوسع

- **المدرسة الشاذلية الحديثة ـ إمامها أبو الحسن الشاذلي**، للدكتور عبدالحليم محمود.
- **دراسات في التصوف**، إحسان إلهي ظهير، لاهور، باكستان ١٤٠٩هـ.
- **المذاهب الصوفية ومدارسها**، عبدالحكيم عبدالغني قاسم، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٩م.
- **التصوف في ميزان البحث والتحقيق**، عبدالقادر حبيب الله السندي، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
- **الطبقات الكبرى**، للشعراني، مكتبة القاهرة ١٣٩٠هـ.
- **لطائف المنن**، ابن عطاء الله السكندري، مطبعة حسان، القاهرة.
- **من أعلام التصوف الإسلامي**، طه عبدالباقي سرور، دار نهضة مصر.
- **سير أعلام النبلاء**، للإمام الذهبي، ط. بيروت.
- **جامع الرسائل**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **الاستقامة**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. جامعة الإمام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٩ـ التيجانية

التعريف:

التيجانية: طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي(*)، ﷺ، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي، ﷺ، قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وقد عاش ما بين ١١٥٠ ـ ١٢٣٠هـ (١٧٣٧ ـ ١٨١٥م) وكان مولده في قرية عين ماضي من قرى الصحراء بالجزائر حاليًّا.

ـ حفظ القرآن الكريم ودرس شيئاً من الحديث.

ـ درس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة ووهران.

ـ أنشأ طريقته عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمعون، وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها خرجت الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعامة.

ـ أبرز آثاره التي خلَّفها لمن بعده زاويته التيجانية في فاس، وكتابه **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني** الذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم.

من مشاهيرهم بعد المؤسس:

ـ علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي وقد توفي في المدينة النبوية.

ـ محمد بن المشري الحسني السابحي السباعي (ت ١٢٢٤هـ) صاحب كتاب **الجامع لما افترق من العلوم** وكتاب **نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء**.

ـ **أحمد سكيرج العياشي** (١٢٩٥ ـ ١٣٦٣هـ) ولد بفاس، ودرس في مسجد القرويين، وعين مدرساً فيه، تولى القضاء، وزار عدداً من مدن المغرب، وله كتاب **الكوكب الوهاج**، وكتاب **كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب**.

ـ **عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي**: ولد سنة (١٧٩٧م) في قرية الفار من بلاد ديمار بالسنغال حاليًّا. تلقى علومه في الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين(*)، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين. وقد كانت وفاته سنة (١٢٨٣هـ) وخلفه من بعده اثنان من أتباعه، وأهم مؤلفاته **رماح حزب الرحيم على نحور**

حزب الرجيم الذي كتبه سنة ١٢٦١ ـ ١٨٤٥م.

ـ محمد الحافظ بن عبداللطيف بن سالم الشريف الحسني التيجاني المصري (١٣١٥ ـ ١٣٩٨هـ) وهو رائد التيجانية في مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التيجانية بالقاهرة. وله كتاب **الحق في الحق والخلق**، وله **الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرّط**، **وشروط الطريقة التيجانية**، كما أسس مجلة **طريق الحق** سنة ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠م.

الأفكار والمعتقدات:

● من حيث الأصل هم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى إيماناً يداخله كثير من الشركيات.

● ينطبق عليهم ما ينطبق على الطرق الصوفية بعامة من حيث التمسك بمعتقدات المتصوفة وفكرهم وفلسفتهم ومن ذلك إيمانهم بوحدة الوجود، انظر جواهر المعاني ١/ ٢٥٩، وإيمانهم بالفناء(*) الذي يطلقون عليه اسم (وحدة الشهود(*)) انظر كذلك **جواهر المعاني** ١/ ١٩١.

● يقسمون الغيب إلى قسمين: غيب مطلق استأثر الله بعلمه، وغيب مقيد وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض. وعلى الرغم من أن هذا في عمومه قد يشاركهم فيه غيرهم من المسلمين إلا أنهم يتوسعون في نسبة علم الغيب إلى مشايخهم.

ـ يزعمون بأن مشايخهم يكشفون(*) عن بصائرهم، فهم يقولون عن شيخهم أحمد التيجاني «ومن كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر بمقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار المضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات» (انظر **الجواهر** ١/ ٦٣).

● يدعي زعيمهم أحمد التيجاني بأنه قد التقى بالنبي(*)، ﷺ، لقاءً حسيًّا ماديًّا، وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه قد تعلم من النبي، ﷺ، صلاة (الفاتح لما أغلق).

ـ صيغة هذه الصلاة: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم) ولهم في هذه الصلاة اعتقادات نَسوق منها ما يلي:

ـ أن الرسول(*)، ﷺ، قد أخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات.

ـ أن الرسول، ﷺ، قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن قراءة القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه كان من الأذكار. (انظر **الجواهر** ١/ ١٣٦).

ـ أن الفضل لا يحصل بها إلا بشرط أن يكون صاحبها مأذوناً بتلاوتها، وهذا يعني تسلسل نسب الإذن حتى يصل إلى أحمد التيجاني الذي تلقاه عن رسول الله ـ كما يزعم.

ـ أن هذه الصلاة هي من كلام الله تعالى بمنزلة الأحاديث القدسية، (انظر **الدرة الفريدة** ٤/١٢٨).

ـ أن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كان أكثر ثواباً من العارف الذي لم يذكرها، ولو عاش ألف ألف سنة.

ـ من قرأها مرة كُفِّرت بها ذنوبه، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في الكون.. إلخ (انظر كتاب **مشتهى الخارف الجاني** ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

● يلاحظ عليهم شدة تهويلهم للأمور الصغيرة، وتصغيرهم للأمور العظيمة، على حسب هواهم، مما أدى إلى أن يفشو التكاسل بينهم والتقاعس عن أداء العبادات والتهاون فيها، وذلك لما يشاع بينهم من الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد منهم.

● يقولون بأن لهم خصوصيات ترفعهم عن مقام الناس الآخرين يوم القيامة ومن ذلك:

ـ أن تخفف عنهم سكرات الموت.

ـ أن يظلهم الله في ظل عرشه.

ـ أن لهم برزخاً يستظلون به وحدهم.

ـ أنهم يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوها في الزمرة الأولى مع المصطفى، ﷺ، وأصحابه المقربين.

● يقولون بأن النبي(*)، ﷺ، قد نهى أحمد التيجاني عن التوجه بالأسماء الحسنى، وأمره بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق وهذا مخالف لصريح الآية الكريمة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ـ يقولون بأن النبي، ﷺ، قد أمر أحمد التيجاني بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق، وأنه لم يأمر بها أحداً قبله، وفي ذلك افتراء بأن النبي، ﷺ، قد كتم عن الأمة المسلمة شيئاً مما أوحي إليه من ربه، وقد ادخره حتى حان وقت إظهاره، إذ باح به لشيخهم أحمد التيجاني.

● هم كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي، ﷺ، وعباد الله الصالحين، ويستمدون منه ومنهم ومن الشيخ عبدالقادر الجيلاني ومن أحمد التيجاني ذاته، وهذا مما نهى عنه شرع الله الحكيم.

● يتردد في كتبهم كثير من ألقاب الصوفية كالنجباء(*) والنقباء(*) والأبدال(*) والأوتاد(*)، وتترادف لديهم كلمتا الغوث(*) والقطب(*) (الذي يقولون عنه بأنه ذلك

الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود!!).

● يقولون بأن أحمد التيجاني هو خاتم الأولياء(*)، مثلما أن النبي، ﷺ، خاتم الأنبياء.

● يقول أحمد التيجاني «من رآني دخل الجنة». ويزعم أن من حصل له النظر إليه في يومي الجمعة والاثنين دخل الجنة. ويؤكد على أتباعه بأن النبي، ﷺ، ذاته قد ضمن له ولهم الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عقاب.

● ينقلون عن أحمد التيجاني قوله: «إن كل ما أعطيه كل عارف بالله أعطي لي».

● وكذلك قوله: إن طائفة من أصحابه لو وزنت أقطاب(*) أمة محمد ما وزنوا شعرة فرد من أفرادهم، فكيف به هو!!

● وقوله: «إن قَدَميَّ هاتين على رقبة كل ولي من لدن خلق الله آدم إلى النفخ في الصور».

● لهم ورد يقرؤونه صباحاً ومساءً، ووظيفة تقرأ في اليوم مرة صباحاً أو مساء، وذكر ينعقد بعد العصر من يوم الجمعة على أن يكون متصلاً بالغروب، والأخيران الوظيفة والذكر يحتاجان إلى طهارة مائية، وهناك العديد من الأوراد الأخرى لمناسبات مختلفة.

● من أخذ ورداً فقد ألزم نفسه به، ولا يجوز له أن يتخلى عنه وإلا هلك وحلت به العقوبة العظمى(١)!!

● نصَّب أحمد التيجاني نفسه في مقام النبوة(*) يوم القيامة، إذ قال: «يوضع لي منبر من نور يوم القيامة، وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعوركم» (انظر **الإفادة الأحمدية** ص ٧٤).

الجذور الفكرية والعقائدية:

● مما لا شك فيه أنه قد استمد معظم آرائه من الفكر الصوفي وزاد عليها شيئاً من

---

(١) تلقت الندوة رسالة مطولة ممن سمى نفسه الحاج عبدالله التيجاني ينكر بعض النقاط السابقة. كما يقدم تفسيرات لبعض ما ذكر عن التيجاني أو التيجانية. ومن جملة ما حاول تبريره وإثباته إمكانية الرؤية الفعلية للرسول، ﷺ، في الحياة الدنيا، وعلى الرغم مما في رسالة الحاج عبدالله من سعي جاد لتبرير سلوكيات التيجانية فهي لم تورد ما يدل على أن معالجة الموسوعة لهذه الطريقة فيها أي تحامل يخرج عن تبيان الحق وتوضيح الطريق الصحيح لأتباع الرسول، ﷺ، والذي نرجوه من الحاج عبدالله وجميع فرق المسلمين التي انحرفت عن منهج الله الشامل الكامل الصافي أن تراجع نفسها وتستغل ما وهبها الله من طاقات في الرجوع إلى الحق واكتشاف طريق النجاة، بدلاً من الدفاع عن رأي زيد أو عمرو، فكل يؤخذ من قوله ويرد وكل عرضة لإغواء الشيطان واتباع الهوى إلا الأنبياء المعصومين.

أفكاره.

● وقد نهل من كتب عبدالقادر الجيلاني وابن عربي والحلاج وغيرهم من أعلام المتصوفة.

● وخلال فترة تشكله قبل تأسيس الطريقة قابل عدداً من مشايخ الصوفية وأخذ إذناً وأوراداً عنهم وأبرز تلك الطرق القادرية والخلوتية.

● واستفاد من كتاب **المقصد الأحمد في التعريف بسيدي أبي عبدالله أحمد** تأليف أبي محمد عبدالسلام بن الطيب القادري الحسيني والمطبوع بفاس سنة ١٣٥١هـ.

● كان لانتشار الجهل أثر كبير في ذيوع طريقته بين الناس.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت هذه الحركة(*) من فاس وما زالت تنتشر حتى صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من أفريقيا.

● صاحب كتاب التيجانية علي بن محمد الدخيل الله يقدر في عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها بما يزيد على عشرة ملايين نسمة.

ويتضح مما سبق:

أن التيجانيين مبتدعون في عباداتهم، وكل بدعة(*) ضلالة؛ لأنهم ذهبوا إلى تخصيص أدعية بذاتها غير واردة في الشرع، وألزموا الناس بعبادات معينة في أوقات مخصوصة لا تستند إلى أساس، فضلاً عن أن لهم معتقدات تخرج بمن يعتنقها عن الملة(*) كالقول بالحلول(*) والاتحاد(*).

مراجع للتوسع

ـ **الهداية الهادية إلى الطائفة التيجانية**، الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ـ دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء، ط ٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

ـ **كتاب مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني**، محمد الخضر ابن سيدي عبدالله بن مايابي الجكني الشنقيطي ـ طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر.

ـ **التيجانية**، علي بن محمد الدخيل الله، نشر وتوزيع دار طيبة ـ الرياض ـ دار مصر للطباعة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ـ **الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية**، عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي ـ ط٤، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

- **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس، التيجاني**، وبهامشه **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**، قام بجمعه علي حرازم (وهو في جزءين) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- **المقتصد الأحمد في التعريف بسيدنا أبي عبدالله أحمد**، أبو محمد عبدالسلام بن الطيب القادري الحسيني - المطبعة الحجرية بفاس - طبع سنة ١٣٥١هـ.
- **الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة**، محمد بن عبدالواحد السوسي النظيفي، طبعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- **بغية المستفيد بشرح منية المريد**، محمد العربي السائح - دار العلوم للجميع - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- **أقوى الأدلة والبراهين على أن أحمد التيجاني خاتم الأقطاب المحمديين بيقين**، جمعه حسين حسن الطائي التيجاني، دار الطباعة المحمدية - القاهرة.
- **أعداد مجلة** طريق الحق، وهي خاصة بالطريقة التيجانية - تصدر بالقاهرة.
- **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، عبدالرحمن عبدالخالق، الطبعة الثانية - مكتبة ابن تيمية، الكويت.

٣٠ـ السنوسية

التعريف:

السنوسية دعوة إسلامية إصلاحية صوفية(*) تصدت للاحتلال الإيطالي في ليبيا، وعمت مراكزها الدينية شمال إفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلاد الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسست الدعوة السنوسية في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، بعد شعور مؤسسها بضعف المسلمين وتأخرهم دينيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا، فأنشأ حركته(*) التجديدية على أساس الكتاب والسُّنة. ومن أبرز شخصياتها:

ـ الشيخ محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢هـ ـ ١٢٧٦هـ (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩م)، وهو المؤسس للدعوة السنوسية، وتنسب السنوسية لجده الرابع.

وُلد في مستغانم في الجزائر، ونشأ في بيت علم وتُقًى. وعندما بلغ سن الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب، ثم أخذ يجول في البلاد العربية يزداد علماً فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن، ثم رجع إلى مكة وأسس فيها أول زاوية لما عُرِف فيما بعد بالحركة السنوسية.

وله نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: **الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية**، **وإيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**.

ـ الشيخ المهدي محمد بن علي السنوسي ١٢٦١ ـ ١٣١٩هـ (١٨٤٤ ـ ١٩٠٢م) خلف والده في قيادة الدعوة السنوسية وعمره اثنا عشر عاماً.

ـ الشيخ أحمد الشريف السنوسي ـ ابن عم المهدي ـ ولد سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) عاصر هجمة الاستعمار(*) الأوروبي على شمال إفريقيا وهجوم إيطاليا على ليبيا فاستنجد في عام ١٩١٧م بالحكومة العثمانية، فلم تنجده خوفاً منه على مركزها الديني. وقد وقف مع (مصطفى كمال أتاتورك) ظنًّا منه أنه حامي الدين ـ كما كان يطلق عليه ـ ولصد الهجمة الغربيَّة على تركيا. . ولما تبين له مقاصده الحقيقية المعادية للإسلام غادر الشيخ أحمد تركيا إلى دمشق عام ١٩٢٣م، وعندما شعرت فرنسا بخطره على حكومة الانتداب طلبته فهرب بسيارة عبر الصحراء إلى الجزيرة العربية.

ـ الشيخ عمر المختار ١٢٧٥ ـ ١٣٥٠هـ (١٨٥٦ ـ ١٩٣١م) وهو البطل المجاهد، أسد القيروان، الذي لم تحل السنوات السبعون من عمره بينه وبين الجهاد(*) ضد الإيطاليين المستعمرين لليبيا، إذ بقي عشر سنوات يقاتل قوى استعمارية أكبر منه بعشرات المرات ومجهزة بأضخم الأسلحة في ذلك العصر، إلى أن تمكن منه الاستعمار(*) الإيطالي الغاشم، ونفَّذ فيه حكم الإعدام، وذلك في يوم الأربعاء السادس عشر من أيلول (سبتمبر) ١٩٣١م ويرجى أن يكون شهيداً في سبيل الله.

الأفكار والمعتقدات:

● السنوسية حركة صوفية(*) تصدت للاحتلال الإيطالي في ليبيا على أساس الكتاب والسُّنة.

ـ تأثَّر السنوسيُّ بالإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وبحركته السلفية(*) في مجال العقيدة بوجه خاص.

ـ وتأثر السنوسيُّ، أيضاً، بالتصوف السُنيِّ الصحيح الخالي من البدع والخرافات، كالتوسل بالأموات والصالحين، ووضع منهجاً متكاملاً للارتقاء بالمسلم.

ـ تتشدد السنوسية في أمور العبادة، وتتحلى بالزهد في المأكل والملبس. وقد أوجب السنوسيون على أنفسهم الامتناع عن شرب الشاي والقهوة والتدخين.

ـ تدعو السنوسية إلى الاجتهاد(*) ومحاربة التقليد(*). وعلى الرغم من أن السنوسيَّ مالكيُّ المذهب، إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره.

ـ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن أسلوب العنف واستعمال القوة.

ـ الاهتمام بالعمل اليدويِّ الجاد من تعاليم السنوسية. وكان السنوسي يقول دائماً: «إن الأشياء الثمينة توجد في غرس شجرة وفي أوراقها». لذلك ازدهرت الزراعة والتجارة في الواحات الليبية حيث توجد مراكز الدعوة السنوسية.

ـ «الجهاد(*) الدائم في سبيل الله ضد المستعمرين الصليبيين وغيرهم»، هذا هو الشعار الدائم للسنوسية. وقد دفع ثمن ذلك آلاف في جهادهم ضد الاستعمار الإيطالي ـ يرجى ألا يحرموا أجر الشهادة في سبيل الله.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن تربية السنوسي الإسلامية وقوة إخلاصه وحماسته للإسلام فضلاً عن ذكائه

وصلابته - كل ذلك كان من الدوافع الأساسية للحركة السنوسية بشكل عام.

● أما المؤثِّرات والجذور الفكرية والسلوكية التي أثرت في دعوته فنجملها فيما يلي:

- تأثره الشديد بتعاليم الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، وخاصة أفكارهم السلفية في مجال العقيدة، وقد اكتسب هذا التأثر أثناء زيارته للحجاز لأداء فريضة الحج عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٧م) التي كانت نقطة البداية للحركة السنوسية. وأخذ السنوسيُّ من الصوفية أساليب البيعة(*) ودرجات التزكية الروحية مثل درجة المنتسب ثم درجة الإخوان ثم درجة الخواص.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- تعد واحة (جغبوب) في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس مركز الدعوة السنوسية، ففي هذه القرية كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة، ثم يرسلون إلى جميع أجزاء أفريقيا الشمالية، دعاة للإسلام.

● وقد بلغت زوايا السنوسية الفرعية ١٢١ زاوية تتلقى من زاويتهم الرئيسية التعليمات والأوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع أمر الدعوة السنوسية التي أصبحت تضم المسلمين من جميع الأجناس.

● وانتشرت الدعوة السنوسية في أفريقيا الشمالية كلها، وقد امتدت زواياها من مصر إلى مراكش. ووصلت جنوباً إلى الصحراء في السودان والصومال، وغرباً إلى الجزائر، وكذلك انتشرت الدعوة السنوسية في خارج أفريقية، إذ وصلت إلى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى.

● وقد استطاعت السنوسية أن تنشر الإسلام في القبائل الوثنيَّة(*) الإفريقية، وتؤسس المدارس التعليمية والزوايا. ولم يقتصر التعليم على الذكور بل امتد التعليم إلى النساء والأطفال من الجنسين، واستعانت الدعوة بالنساء لنشر الإسلام بين نساء القبائل الوثنية.

ويتضح مما سبق:

أن السنوسية حركة أو دعوة إسلامية إصلاحية صوفية(*) ظهرت في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري، ومنها انتشرت إلى شمال أفريقيا والسودان والصومال وبعض البلاد العربية. وقد تأثرت هذه الحركة الدعوية بالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية وأبي حامد الغزالي والشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته السلفية(*) في مجال العقيدة. كما تأثرت هذه الحركة بالتصوف السُّنِّي الصحيح الخالي من البدع والخرافات كالتوسل بالأموات

والصالحين، ولها منهج متكامل للارتقاء بالمسلم. ومؤسس هذه الحركة هو محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢ ـ ١٢٧٦هـ الذي تأثر بالمذهب المالكي إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره. وتعتمد الحركة في الدعوة إلى الله على أسس الحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن العنف. وهي تهتم بالعمل اليدوي الجاد والجهاد(*) الدائم في سبيل الله ضد المستعمرين والصليبيين وغيرهم.

مراجع للتوسع:

- **الإسلام في القرن العشرين**، عباس محمود العقاد.
- **حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث**، جمال الدين عبد الرحيم مصطفى.
- **محاضرات عن الحركات الإصلاحية** ـ جمال الدين الشيَّال.
- **محاضرات عن تاريخ العالم الإسلامي المعاصر**، د. عبد الفتاح منصور.
- **محمد بن عبد الوهاب**، أحمد عبد الغفور عطار.
- **قادة فتح المغرب العربي**، محمود شيت خطاب.
- **حاضر العالم الإسلامي**، لوثروب ستودارد ـ تعليق شكيب أرسلان.
- **الأعلام**، للزركلي.
- **الإسلام في النظرية والتطبيق**، المهدية مريم جميلة.

٣١ـ الختمية

التعريف:

الختمية طريقة صوفية، تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات، مثل: الغلوّ(*) في شخص الرسول، ﷺ، وادعاء لقياه، وأخذ تعاليمهم وأورادهم وأذكارهم التي تميزوا بها عنه مباشرة. هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعيّ، وأخذهم من أدب الشيعة(*) وجدالهم، ومحاولة المعاصرين منهم ربط الطائفة بالحركة الشيعيَّة المعاصرة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس الطريق: محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب ويلقب (بالختم) إشارة إلى أنه خاتم الأولياء، ومنه اشتق اسم الطريقة الختمية كما تسمى الطريقة، أيضاً، الميرغنية ربطا لها بطريقة جد المؤسس عبد الله الميرغني المحجوب.

ـ وُلد محمد عثمان الميرغنى (الختم) بمكة عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٨٣م، وتلقَّى العلوم الشرعيَّة على يد علمائها، وغلب عليه الاهتمام بالتصوف شأن أفراد أسرته جميعا، فانخرط في عدة طرق: القادرية، الجنيدية، النقشبندية، الشاذلية، وطريقة جدِّه الميرغنية، كما تتلمذ على الشيخ أحمد بن إدريس، وأخذ تعاليم الطريقة الإدريسية، ومن هذه الطرق جميعاً استمد تعاليم طريقته الختمية.

ـ أوفده شيخه أحمد بن إدريس لنشر الطريقة الإدريسية الشاذلية في السودان، وقد لاقى نجاحاً محدوداً في شمال السودان وشرقه.

ـ بعد وفاة الشيخ أحمد بن إدريس ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م تنافس الميرغني ومحمد بن عليّ السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية) على خلافة الشيخ، وبتأييد من بعض أتباع الشيخ كسب الميرغني المنافسة والتأييد، واستطاع أن يكون طريقته الختمية وينشيء لها عدة زوايا في مكة وجدة والمدينة والطائف.

ـ بعث الميرغني بأبنائه إلى عدة جهات: جنوب الجزيرة ومصر والسودان للدعوة للطريقة الختمية ونشرها.

ـ ألَّف عدة كتب في التفسير والتوحيد، وعدة دواوين شعرية يغلب عليها جميعاً الطابع الصوفي في لغتها ومضمونها. من أهم هذه الكتب: **تاج التفاسير**، **النفحات المكِّية واللمحات الحقِّية في شرح أساس الطريقة الختمية**، **النور البراق في مدح النبي المصداق**، ديوان **النفحات المدنية في المدائح المصطفوية**، ديوان **مجمع الغرائب والمفرقات من لطائف الخرافات الذاهبات**، **مجموعة فتح الرسول**، **مولد النبي المسمى بالأسرار الربانية**.

ـ على إثر خلاف مع بعض العلماء في مكة، رحل محمد عثمان الميرغني وذهب إلى الطائف، إذ أقام هناك حتى وفاته عام ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٣م.

● **الحسن بن محمد عثمان (الختم):**

وُلد في مدينة بارا بغرب السودان عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٦م من امرأة تزوجها والده بتلك المدينة خلال رحلته إلى السودان التي أشرنا لها من قبل، التحق بوالده في مكة وتلقى تعليمه بها. بعث به والده إلى السودان لنشر الطريقة الختمية. لقي الحسن نجاحاً كبيراً في دعوته في شمال السودان وشرقه خاصة. أصبح الحسن شيخ الطريقة في السودان وأسَّس قرية الختمية بالقرب من مدينة كسلا في شرق السودان، كمركز للطائفة، وأصبح له مكانة كبيرة في تلك الأنحاء فاقت مكانة والده مؤسس الطريقة، وظل الحسن شيخاً للطريقة حتى وفاته عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.

● **محمد عثمان تاج السر بن الحسن بن محمد عثمان (الختم):**

● أصبح شيخ الطريقة بعد وفاة والده، وخلال فترة تولِّيه زعامة الطائفة ظهرت الحركة المهدية في السودان. فعارضها محمد عثمان تاج السر معارضةً شديدة، وقاد أتباعه من الختمية لمقاومتها، وخاضوا عدة معارك ضد جيوش المهدية في شرق السودان. وانتهى الأمر بهزيمته وفراره إلى مصر، إذ ظل بها حتى وفاته عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م.

● **علي الميرغني بن محمد عثمان تاج السر ١٨٨٠ـ١٩٦٨م:**

ولد بجزيرة مسّاوي مركز مروي بشمال السودان عام ١٨٨٠م، انتقل مع والده إلى مدينة كسلا، وحينما اضطر والده إلى الهجرة إلى مصر إثر هزيمته على يد جيوش المهدية، تركه والده مع عمه تاج السر الحسن في سواكن، ثم لحق بأبيه وبقي في مصر حتى مجيء جيش الغزاة الإنجليز للسودان، إذ اختاره الإنجليز لمرافقتهم في غزوهم للسودان للقضاء على دولة المهدية. وحينما تمَّ للإنجليز الاستيلاء على السودان وهزيمة المهدية، اتخذوه

صنيعة لهم وأطلقوا عليه الألقاب ومنحوه الأوسمة والمكافآت نظير خدماته لهم. واعترفوا به زعيما لعموم طائفة الختمية في السودان. واستفادوا منه في القضاء على المشاعر الدينية التي حركت الثورة(*) المهدية من ناحية، وفي كسب ولاء السودانيين من ناحية أخرى.

ـ وحينما بدأت الحركة المهديَّة تظهر من جديد على يد أحد أبناء المهدي، وبمباركة الإنجليز، شعر علي الميرغني بخطورة الموقف لا سيما أن الإنجليز أرادوا ضرب الطائفتين (الختمية والأنصار) والاستفادة من العداء التقليدي بينهما والصراع بين زعيميهما. نتيجة لذلك تحول ولاء زعيم الختمية نحو مصر، وأصبح راعيا فيما بعد للحركة السياسية التي كانت تدعو إلى الوحدة بين مصر والسودان، وظل يحرك الأحداث السياسية من وراء ستار ويلعب دوراً خطيراً فيها حتى وفاته عام ١٩٦٨م.

● **محمد عثمان بن علي الميرغني:**

وُلد عام ١٩٣٦م، تولَّى زعامة الطريقة بعد وفاة والده عام ١٩٦٨م، وهو الزعيم الحالي للختمية. وخلافاً لوالده الذي كان يحرِّك الأحْداث السياسيَّة ويشارك فيها من وراء ستار، انخرط محمد عثمان في العمل السياسي، مستنداً إلى ولاء اتباعه، وأصبح زعيماً للطائفة وللحزب(*) الاتحادي الديمقراطي الذي تزعَّمه. وقد استغل ولاء أتباعه لخدمة الحزب، بينما الحزب يضم كثيراً من العلمانيين واليساريين، بل حتى النصارى الذين تولوا مناصب عليا فيه، ومن ثم اتخذ الحزب مواقف لا تتلاءم مع انتماء الطائفة الديني كتحالفه مع الشيوعيين، وعقد اتفاقية من طرف واحد مع المتمردين، وأخيراً قيادته للتجمع الديمقراطي الذي يضم خليطاً من العلمانيين واليساريين المناهضين لشرع الله والموالين لحركة التمرد التي تحارب الإسلام.

الأفكار والمعتقدات:

● الختمية طائفةٌ صوفية تتمسك بمعتقدات الصوفية وأفكارهم وفلسفاتهم.

تبنَّوا فكرة وحدة الوجود(*) التي نادى بها من قبل محيي الدين بن عربي وتلامذته، وقالوا بفكرة النور المحمدي والحقيقة المحمدية وعبّروا عن ذلك نظما ونثرا وبسطوها لأتباعهم في مدائحهم ومناجاتهم وأذكارهم وأورادهم، واستخدموا مصطلحات الوحدة والتجلي والانبجاس والظهور والفيض(*) وغيرها من المصطلحات الفلسفية الصوفية. واستشهدوا بما استشهد به أصحاب هذه النظريات من آيات أوّلوها، وأحاديث وضعوها وأفكار انتحلوها.

● أسبغوا على الرسول، ﷺ، من الأوصاف ما لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى، وذهبوا إلى أن حقيقته لا تدرك، ويعجز الوصف عن بيان ذاته. ومن ثم جعلوه، ﷺ، غاية فنائهم ومنتهى سيرهم. كما توجهوا بدعائهم واستغاثاتهم ورفعوا شكاواهم إليه، سائلين الرسول أن يفك ضيقهم وينصرهم على أعدائهم، مخاطبين له، ﷺ، بأنه مزيل للغمّ والكرب مفرج للهمّ والضيق.

● ادعى مشايخ الطريقة بأنهم لقوا الرسول، ﷺ، ورأوه عيانا، وأنه يحضر احتفالاتهم بمولده، ﷺ، وأنهم تلقوا منه أسس الطريقة وأورادها وتعاليمها.

ـ فمؤسس الطريقة يدّعى أنه وضع راتبه بإذن من الرسول، ﷺ، وأنه هو الذي أمره بتصنيف المولد، وأن يجعل إحدى قافيته هاءً والأخرى نوناً، وبشّره بأنه يحضر قراءته، وأن الدعاء عنده مستجاب في ختمه وعند ذكر ولادته، ﷺ.

ـ كما يزعم، أيضاً، أن الرسول، ﷺ، أوصى رضوان بأن يعمر جنانا ومساكن له ولأبنائه وصحبه وأتباعه وأتباع أتباعه إلى يوم القيامة، وأمر مالكاً بأن يعمر في النار مواضع لأعدائه.

● يدعي مشايخ الختمية بأنهم المدخل للحضرات الإلهية، وأن مقامهم برزخ بين النبوة(*) والولاية(*)، ويدّعون أن لهم التصرف في الكون، وأنهم يغيثون من يلتجىء إليهم ويحتمي بحماهم، فيزيلون كربات المكروبين وهمّ المهمومين، وأنهم الوسيلة للسعادة في الدنيا والنجاة من العذاب يوم الدين.

● يدعي مؤسس الطريقة، بأنه خاتم الأولياء، وأنه أعظم من كل الأولياء السابقين، وأن مكانته تأتي بعد مكانة الرسول، ﷺ.

● يقول مؤسس الطريقة، أيضاً: «إن من رآني أو رأى من رآني إلى خمسة لا تمسه النار»! ويزعم أن الرسول، ﷺ، أخبره بذلك.

كما يدعي أن الرسول، ﷺ، قال له: «من صحبك ثلاثة أيام لا يموت إلا وليّا»، وحينما قدم المدينة قال له الرسول، ﷺ: «إن من زارني في سنتك هذه والتي قبلها والتي بعدها فعندنا مقبول».

● للطريقة الختمية أوراد وأذكار وآداب معيّنة في الذكر والدعاء ميّزوا بها أنفسهم وركزوا عليها دون غيرها.

ـ كما يهتمون بإقامة احتفالات معيّنة وإحياء مناسبات خاصة: كإحياء ذكرى مولد النبي، ﷺ، والاحتفاء بمولد ووفاة مشايخ الطريقة، وإقامة ما يعرف لديهم بليالي الذكر أو

الحولية، ويمارسون في كل ذلك طقوسا خاصة في الزيِّ، والذكر والإنشاد.

ـ أذكار الطريقة وأورادها بعيدة كل البعد عن الأذكار الواردة في القرآن أو المأثورة عن الرسول، ﷺ. كما يخصصون أوراداً وأذكاراً معينة بأيام وأوقات خاصة من غير دليل شرعي أو سند من أثر. كما يغلب على أورادهم وأذكارهم السجع المتكلف الذي يصرف الذهن عن التوجُّه إلى الله في صدق وإخلاص. كما أن بعض أورادهم تشتمل على ألفاظ أعجمية وأسماء غريبة لروحانيات يخاطبونها ـ كما يزعمون ـ ويسعون إلى السيطرة عليها وتسخيرها لخدمتهم في مناصرة أتباعهم، وإلحاق الأذى بخصومهم.

● للختمية بيعة(*) خاصة يردد فيها المريد من بين ما يردد من أقوال: «اللهم إني تبت إليك، ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخا لي في الدنيا والآخرة، فثبتني اللهم على محبته وعلى طريقته في الدنيا والآخرة».

● للختمية خلوة للعبادة، يطلبون فيها من المريد أن يطلب المدد من الرسول، ﷺ، وجبريل، ومشايخ الطريقة، كما يطلبون منه استحضار صورة السيد محمد عثمان (الختم) حتى تظهر منه روحانيته. ثم يظهر نور من جهة القلب ويظل هكذا ـ كما يزعمون ـ حتى تظهر للمريد روحانية النبيِّ، ﷺ.

● هناك ارتباط وثيق بين فكر الختمية وفكر الشيعة(*)، كما يحاول المعاصرون منهم الربط بين طائفتهم وبين الحركة الشيعية المعاصرة.

ـ يربط مشايخ الطريقة نسبهم بأئمة الشيعة الاثني عشرية، ويعدون أنفسهم من سلالتهم، علماً بأن الإمام الثاني عشر عند الشيعة ـ وحسب مقولتهم ـ اختفى أو غاب وهو صغير لم يتجاوز الثالثة أو الخامسة من عمره.

ـ تبنت الطائفة فكر الشيعة حول آل البيت وارتباطهم بقضية الإمامة واستحقاقهم لها، كما استندوا إلى أدب الشيعة وحججهم وبراهينهم لإثبات أحقية أهل البيت بالولاية والإمامة سعياً منهم لإثبات هذا الحق لمشايخهم.

ـ وقع بعض الختمية المعاصرين فيما وقع فيه الشيعة من تجريح للصحابة واتهامهم بأنهم كتموا بعض الأحاديث الدالة على ولاية علي ـ رضي الله عنه ـ كما يزعمون. وفسروا أحداث التاريخ الإسلامي بمثل ما فسره به الشيعة، من الادعاء بأن هناك مؤامرات حيكت من أجل إبعاد أهل البيت من تولِّي السلطة والإمامة.

ـ ربط الختمية المعاصرون تاريخ طائفتهم ومستقبلها بتاريخ الحركة الشيعية، عن طريق الربط بين أصول التصوف والتشيُّع من ناحية، وعن طريق ربط حركة البعث الإسلامي

وقصرها على الطائفتين المؤمنتين بولاية أهل البيت (الشيعة والختمية) ـ كما يزعمون ـ من ناحية أخرى.

الجذور الفكرية والعقائدية:

يحدِّد مؤسس الطريقة محمد عثمان الميرغني المصادر التي استمد منها أصول طريقته قائلاً: «اعلم أن طريقتنا هذه مجتمعة من خمسة حروف نقشها (نقش جم) تنقش من الفؤاد التصوف جم، فالنون نقشبندية، والقاف قادرية، والشين شاذلية، والجيم جنيدية، والميم ميرغنية، وهي محتوية على أسرار هذه الطرق الخمس وبعض أورادها».

● يتضح من تحليل معتقداتهم وأفكارهم أنهم استفادوا من ذلك التراث الصوفي الفلسفي الغنوصي(*) الذي بدأه الحلاج، وعدّل فيه وزاد عليه وطوَّره تلامذته كابن سبعين وابن الفارض، وعبروا عنه في نظرياتهم عن الفناء(*) والحلول(*) والاتحاد(*) ووحدة الوجود(*).

● استمد الختمية ـ المعاصرون منهم خاصةً ـ كثيراً من أفكارهم من فكر الشيعة(*) ومعتقداتهم واستفادوا من أدب الشيعة وما استندوا إليه من جدل(*) حول الإمامة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ بدأت الطريقة من مكة والطائف، وأرست لها قواعد في جنوب وغرب الجزيرة العربية، كما عبرت إلى السودان ومصر.

ـ تتركز قوة الطريقة من حيث الاتباع والنفوذ الآن، في السودان، لا سيما في شمال السودان وشرقه، وأطراف من إرتيريا المتاخمة للسودان، ومصر.

يتضح مما سبق:

أن الختمية طريقة صوفية تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات المنحرفة والتي من أبرزها الغلو(*) في شخص الرسول، ﷺ، والقول بالحلول ووحدة الوجود. هذا فضلاً عن ارتباطها الوثيق ـ في العصر الحاضر ـ بالفكر والمعتقد الشيعي خاصة فيما يتعلق بأقوال الشيعة وجدلهم حول الإمامة، وينتشر أتباع هذه الطريقة حاليًا في مصر وفي السودان وبخاصة في الشمال والشرق، وأطراف إرتيريا المتاخمة للسودان.

مراجع للتوسع:

ـ **مجموعة النفحات الربانية**، المشتملة على سبع رسائل ميرغنية، مصر، مصطفى الحلبي، ط ثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ومن أهم ما تشتمل عليه:

(أ) النفحات المكية واللمحات الحقية في شرح أساس الطريقة الختمية، محمد عثمان الميرغني المكِّي.

(ب) لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة، جعفر الصادق بن محمد عثمان.

(جـ) شرح الراتب المسمى بالأسرار المترادفة، محمد عثمان الميرغني المكِّي.

- **النور البراق في مدح النبي المصداق**، محمد عثمان الميرغني، القاهرة مكتبة القاهرة د. ت.
- **تاج التفاسير**، محمد عثمان الميرغني بيروت، دار المعرفة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **ديوان النفحات المدنية في المدائح المصطفوية**، محمد عثمان الميرغني، ملحق بالنور البراق.
- **مجموعة فتح الرسول**، محمد عثمان الميرغني، مصر، مصطفى الحلبي ١٣٦٧/ هـ/ ١٩٤٨م.
- **ديوان مجمع الغرائب والمفارقات من لطائف الخرافات الذاهبات**، محمد عثمان الميرغني، مصر، مصطفى الحلبي ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
- **مولد النبيِّ المسمى بالأسرار الربانية**، محمد عثمان الميرغني، الخرطوم، المكتبة الإسلامية، ط أولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- **الديوان الكبير المسمى رياض المديح**، جعفر بن محمد عثمان الميرغني، بيروت، المكتبة الثقافية.
- **طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها**، أحمد محمد أحمد جلي، بيروت، دار خضر للنشر والتوزيع، ط. أولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- **الختمية: العقيدة والتاريخ والمنهج**، محمد أحمد حامد محمد خير الخرطوم، دار المأمون، ط. ثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **تاج الأولياء والأولياء**، علي زين العابدين، دار مكتبة الهلال، ط. أولى ١٩٨٤م.
- **مجموع الأوراد الكبير**، محمد عثمان الميرغني، مصر، مصطفى الحلبي ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٣٢ـ البريلوية

التعريف:

البريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي في ولاية أترابرديش بالهند أيام الاستعمار(*) البريطاني. وقد اشتهرت بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء(*) بعامة، والنبي، ﷺ، بخاصة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الفرقة أحمد رضا خان بن تقي علي خان، وقد كان من ١٢٧٢ـ١٣٤٠هـ الموافق ١٨٦٥ ـ ١٩٢١م، ولقد سمى نفسه عبد المصطفى، وهذا لا يجوز في الإسلام؛ لأن العبودية لله وحده. ولد في بلدة بريلي بولاية أترابرديش وتتلمذ على يد الميرزا غلام قادر بيك.

ـ زار مكة المكرمة، وقرأ على بعض المشايخ فيها عام ١٢٩٥هـ، وكان نحيلاً حاد المزاج، مصاباً بالأمراض المزمنة، دائم الشكوى من الصداع وآلام الظهر، شديد الغضب، حاد اللسان، مع فطنة وذكاء، ومن أبرز كتبه **أنباء المصطفى**، **وخالص الاعتقاد**، **ودوام العيش**، **والأمن والعلى لناعتي المصطفى**، **ومرجع الغيب والملفوظات**، وله ديوان شعر **حدائق بخش**.

● ديدار علي: بريلوي، ولد سنة ١٢٧٠هـ في نواب بور بولاية ألور وتوفي في أكتوبر ١٩٣٥م، ومن مؤلفاته **تفسير ميزان الأديان وعلامات الوهابية**.

● نعيم الدين المراد آبادي ١٣٠٠ ـ ١٣٦٧هـ الموافق ١٨٨٣ ـ ١٩٤٨م وهو صاحب المدرسة التي سماها الجامعة النعيمية. ويلقب بصدر الأفاضل، ومن كتبه: **الكلمة العليا في عقيدة علم الغيب**.

● أمجد علي بن جمال الدين بن خدابخش: ولد في كهوسي، وتخرج في المدرسة الحنفية بجونبور سنة ١٣٢٠هـ، وكان موته سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م، وله كتاب: **بهار شريعت**.

● حشمت علي خان: ولد في لكهنو، وفرغ من دراسته سنة ١٣٤٠هـ، وكان يسمي نفسه كلب أحمد رضا خان معتزاً بهذه التسمية، وله كتاب: **تجانب أهل السنة**، ويلقب بـ (غيظ المنافقين)، وكان موته سنة ١٣٨٠هـ.

● أحمد يارخان: ١٩٠٦ ـ ١٩٧١م، كان شديد التعصب للفرقة، ومن مؤلفاته **جاء الحق وزهق الباطل، سلطنت مصطفى**.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقد أبناء هذه الطائفة بأن الرسول(*)، ﷺ، لديه قدرة يتحكم بها في الكون، يقول أمجد علي: «إن النبي، ﷺ، نائب مطلق لله سبحانه وتعالى، وإن العالم كله تحت تصرفاته، فيفعل ما يشاء، يعطي ما يشاء لمن يشاء، ويأخذ ما يشاء، وليس هناك أحد مصرّف لحكمه في العالمين، سيد الآدميين، ومن لم يجعله مالكاً له حرم من حلاوة السنة».

● وأن محمداً، ﷺ، والأولياء من بعده لديهم قدرة على التصرف في الكون يقول أحمد رضا خان: »ياغوث «أي يا عبد القادر الجيلاني» إن قدرة «كن» حاصلة لمحمد من ربه، ومن محمد حاصلة لك، وكل ما يظهر منك يدل على قدرتك على التصرف، وأنك أنت الفاعل الحقيقي وراء الحجاب».

● لقد غالوا في نظرتهم إلى النبي، ﷺ، حتى أوصلوه إلى قريب من مرتبة الألوهية ـ والعياذ بالله ـ يقول أحمد رضا خان في حدائق بخش ٢/ ١٠٤: «أي يا محمد، ﷺ، لا أستطيع أن أقول لك الله، ولا أستطيع أن أفرق بينكما، فأمرك إلى الله هو أعلم بحقيقتك».

● كما بالغوا في إضفاء الصفات التي تخالف الحقيقة على النبي، ﷺ، حتى جعلوه عالماً للغيب، يقول أحمد رضا خان في كتابه **خالص الاعتقاد** ص٣٣: «إن الله تبارك وتعالى أعطى صاحب القرآن سيدنا ومولانا محمد، ﷺ، جميع ما في اللوح المحفوظ».

● لديهم عقيدة اسمها (عقيدة الشهود)، إذ إن النبي، ﷺ، في نظرهم حاضر وناظر لأفعال الخلق الآن في كل زمان ومكان، يقول أحمد يارخان في كتابه **جاء الحق** ١/ ١٦٠: «المعنى الشرعي للحاضر والناظر هو أن صاحب القوة القدسية يستطيع أن يرى العالم مثل كفه من مكان وجوده، ويسمع الأصوات من قريب ومن بعيد، ويطوف حول العالم في لمحة واحدة ويعين المضطرين، ويجيب الداعين».

● ينكرون بشرية النبي، ﷺ، ويجعلونه نوراً من نور الله. يقول أحمد يارخان في كتابه **مواعظ نعيمية** ص١٤: «إن الرسول، ﷺ، نور من نور الله، وكل الخلائق من نوره» ويقول أحمد رضا خان في أشعاره «ما قيمة هذا الطين والماء إذا لم يكن النور الإلهي حل في صورة البشر».

● يحثون أتباعهم على الاستغاثة بالأنبياء(*) والأولياء(*)، ومن يستنكر عليهم ذلك يرمونه بالإلحاد(*)، يقول أمجد علي في كتابه **بهار شريعت** ١/ ١٢٢: «إن المنكرين

للاستمداد بالأنبياء والأولياء وبقبورهم، ملحدون».

● يشيدون القبور ويعمرونها ويجصصونها وينيرون فيها الشموع والقناديل وينذرون لها النذور، ويتبركون بها ويقيمون الاحتفالات لأجلها، ويضعون عليها الزهور والورود والأردية والستائر، ويدعون أتباعهم للطواف حول الضريح تبركاً به.

● لديهم غلو(*) شديد في تقديس شخصية عبد القادر الجيلاني، ويعظمون باقي الأولياء من أئمة المتصوفة وينسبون إليهم أفعالاً خيالية خارقة للعادات متسمة بالنسيج الخرافي الأسطوري.

● ويقولون بالإسقاط وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من الصلاة والصيام وغيرها، ومقدار الصدقة عن كل صلاة أو صيام تركه الميت هو مقدار صدقة الفطر المعروفة، وقد يعمدون إلى الحيلة في ذلك إذ يوزعون مقداراً يغطي سنة واحدة، ثم يستردون ذلك هبة، ومن ثم يعيدون توزيعه، ويكررون ذلك بعدد السنين التي تركت فيها تلك الفريضة.

● أعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي الشريف إذ ينفقون فيه الأموال الطائلة، وهو يوم مقدس مشهود لديهم، ينشدون فيه الأناشيد التي تمجد الرسول، ﷺ، من خلال القصص الخرافية، ويقرؤون فيه كتاب **سرور القلوب في ذكر المولد المحبوب** الذي ألفه أحمد رضا خان ملأه بالأساطير والخيالات.

● الأعراس: وهي تعني زيارة القبور والاجتماع عليها من مثل عرس الشيخ الشاه وارث في بلدة ديوه، وعرس الخواجة معين الدين جشتي، إذ يجتمع له الملايين ويختلط فيه الرجال بالنساء، وتحصل فيه بعض المفاسد المحرّمة شرعاً.

ـ إن من يترك الصوم والصلاة يجد له خلاصاً، أما الطامة الكبرى والمصيبة العظمى في نظرهم فإنما تقع على من يتخلف عن الاحتفال بالمولد أو الفاتحة أو العرس. وهم يكفّرون المسلمين من غير البريلويين لأدنى سبب ولم يتركوا تجمعاً إسلاميًّا ولا شخصية إسلامية من وصف الكفر، وكثيراً ما يرد في كتبهم بعد تكفير(*) أي شخص عبارة «ومن لم يكفره فهو كافر»، وقد شمل تكفيرهم الديوبنديين والندويين وزعماء التعليم والإصلاح ومحرري الهند من الاستعمار(*). كما شمل الشيخ إسماعيل الدهلوي وهو من علماء الهند ممن حاربوا البدع والخرافات، ومحمد إقبال والرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق وعدداً من وزرائه.

ـ وهم يكفرون شيخ الإسلام ابن تيمية، وينعتونه بأنه مختل وفاسد العقل(*) ويدرجون معه تلميذه ابن القيم.

ـ يكرهون الإمام محمد بن عبد الوهاب، ويرمونه بأشنع التهم وأسوأ الألفاظ، وما

ذلك إلا لأنه وقف أمام الخرافات موقفاً حازماً داعياً إلى التوحيد الخالص.

● يعملون دائما على شق صفوف المسلمين، وتوهين قوتهم، وإضعافهم، وإدخالهم في متاهات من الخلافات التي لا طائل تحتها. فمن ذلك إصرارهم على بدعة تقبيل الإبهامين عند الأذان ومسح العينين بهما، واعتبار ذلك من الأمور الأساسية ولا يتركها - في نظرهم - إلا من كان عدواً لرسول الله، ﷺ. ويزعمون أن من يفعل ذلك لن يرمد أبداً، انظر مؤلفهم **منير العينين في تقبيل الإبهامين**.

الجذور الفكرية والعقائدية:

تصنف هذه الفرقة من حيث الأصل ضمن جماعة أهل السنة الملتزمين بالمذهب الحنفي، وهذا خطأ، إذ يرى بعض الدارسين أن أسرة مؤسس الفرقة كانت شيعية ثم أظهرت تسننها تقية(*)، لكنهم مزجوا عقائدهم بعقائد أخرى، ودأبوا على الاحتفال بالمولد النبوي على غرار الاحتفالات بعيد رأس السنة الميلادية. وهم يغلون في شخصية النبي، ﷺ، بما يوازي الخرافات المنسوبة إلى عيسى عليه الصلاة والسلام.

● وبسبب عيشهم ضمن القارة الهندية ذات الديانات المتعددة فلقد انتقلت أفكار من الهندوسية والبوذية لتمازج عقيدتهم الإسلامية.

● لقد أضفوا على النبي(*)، ﷺ، وعلى الأولياء(*) صفات تماثل تلك الصفات التي يضفيها الشيعة(*) على أئمتهم المعصومين في نظرهم.

● كما انتقلت إليهم عقائد غلاة المتصوفة والقبوريين وشركياتهم ونظرياتهم في الحلول(*) والوحدة والاتحاد(*) حتى صارت هذه الأمور جزءاً من معتقداتهم.

هذا ويؤخذ على البريلوية:

● التطرف الشديد والغلو في الرسول(*)، ﷺ، ومزج ذلك بعقائد المشركين.

● مجانبتهم الصواب في هجومهم وافتراءاتهم على شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلى الإمام محمد بن عبد الوهاب، وعلى كل دعاة التوحيد الخالص من أفاضل علماء الأمة الإسلامية.

● إطلاق العنان لألسنتهم في تكفير(*) المسلمين لمجرد مخالفتهم في الرأي.

● سعيهم الدؤوب لتفريق كلمة المسلمين وتوهين قوتهم.

● على الرغم مما سبق فإن هذه الفرقة ونظيراتها تحتاج إلى من ينير لها الطريق بالحكمة والموعظة الحسنة، ويزيل عن أعين أصحابها ومريديها أوهام الجهل والخرافة

والتخلف حتى تكون على الجادة المستقيمة، كما حصل بالفعل في بعض الأماكن.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انطلقت الدعوة من بريلي بولاية أوترابرديش بالهند، لتنتشر في القارة الهندية كلها (الهند والباكستان وبنجلاديش وبورما وسريلانكا).

● لهم وجود في إنجلترا، كما لهم نفوذ في جنوب أفريقيا وكينيا وموريشيوس وعدد من البلدان في قارة أفريقيا.

ويتضح مما سبق:

أن البريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية إبان الاستعمار(*) البريطاني، وهم يغلون(*) في الأنبياء(*) والأولياء(*)، ويحاربون دعاة التوحيد الخالص، ويعتقدون أن الرسول، ﷺ، له قدرة يتحكم بها في الكون، وأنه، ﷺ، والأولياء من بعده لهم قدرة على التصرف في الكون، ولديهم عقيدة اسمها عقيدة الشهود فيعتقدون أن النبي، ﷺ، حاضر وناظر لأعمال الخلق في كل زمان ومكان، وهم ينكرون بشريته، ﷺ، ويحثون أتباعهم على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء ويشيدون القبور ويعمرونها وينيرونها بالشموع والقناديل.

مراجع للتوسع:

- **البريلوية: عقائد وتاريخ**، إحسان إلهي ظهير ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان.
- **البريلوية**، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ـ كلية أصول الدين.
- **الأمن والعلى لناعتي المصطفى**، أحمد رضا خان ـ قادري بكدبو ـ بريلي ـ الهند.
- **أنباء المصطفى**، أحمد رضاخان ـ مطبعة صبح صادق ـ بديوان الهند ١٣١٨هـ.
- **أنوار رضا**، جماعة من المؤلفين ـ لاهور ـ ١٣٩٧هـ.
- **بهار شريعت**، أمجد علي الأعظمي ـ دلهي ـ الهند.
- **تجانب أهل سنت**، حشمت علي خان ـ بريس بيلي بهيت ـ الهند ١٣٦١هـ.
- **جاء الحق وزهق الباطل**، أحمد يارخان نعيمي ـ كانفور ـ الهند.
- **حدائق بخش**، أحمد رضا خان ـ مراد آباد ـ الهند.

- **خالص الاعتقاد**، أحمد رضا خان - بريلي - الهند ١٣٢٨هـ.
- **سلطنت مصطفى**، أحمد يارخان - كانفور - الهند.
- **مجلة صراط مستقيم**، محمود أحمد ميرفوري - برمنجهام - بريطانيا - أغسطس ١٩٨٠م.
- **ملفوظات**، أحمد رضاخان - لاهور - باكستان.
- **الكوكبة الشهابية في كفريات أبي الوهابية**، أحمد رضان خان - عظيم آباد - الهند - ١٣١٦هـ.
- **تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر**، أحمد سعيد - طبعة سكر - باكستان.

جماعات متأثرة بالصوفية

● الديوبندية ● المهدية ● جماعة التبليغ والدعوة
● النورسية

٣٣ـ الديوبندية

التعريف:

تنسب الديوبندية إلى جامعة ديوبند ـ دار العلوم ـ في الهند.

فهي مدرسة فكرية عميقة الجذور طبعت كلَّ خريج منها بطابعها العلمي الخاص، حتى أصبح ينسب إليها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسس جامعة ديوبند مجموعة من علماء الهند بعد أن قضى الإنجليز على الثورة(*) الإسلامية في الهند(*) عام ١٨٥٧م، فكان تأسيسها ردَّ فعل قويٍّ، لوقف الزحف الغربي ومدنيته الماديَّة على شبه القارة الهندية لإنقاذ المسلمين من مخاطر هذه الظروف، خاصة أن دلهي العاصمة قد خرِّبت بعد الثورة، وسيطر عليها الإنجليز سيطرة كاملة، وخاف العلماءُ أن يُبْتَلَع دينُهم، فأخذ الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وتلميذه الشيخ محمد قاسم النانوتوي وأصحابهما برسم الخطط للمحافظة على الإسلام وتعاليمه. فرأوا أن الحل بإقامة المدارس الدينية، والمراكز الإسلامية. وهكذا أسست المدرسة الإسلامية العربية بديوبند كمركز للدين والشريعة في الهند في عصر حكومة الإنجليز.

ـ وقد بدأت دار العلوم بمدرسة دينية صغيرة بقرية ديوبند تأسست في ١٥ المحرم ١٢٨٣هـ الموافق ٣٠ أيار (مايو) ١٨٦٦م، ثم أصبحت من أكبر المعاهد الدينية العربية في شبه القارة الهندية.

ـ وفي عام ١٢٩١هـ تم إنشاء البناء الخاص بالجامعة، بعد بقائها تسع سنوات بدون بناء وكانت الدروس تلقى في ساحة المسجد الصغير وفي الهواء الطلق.

ومن أبرز شخصيات هذه المدرسة الفكرية:

● الشيخ محمد قاسم ولد بناتوتة سنة ١٢٤٨هـ، ورحل إلى سهارنبور في صغر سنه. وقرأ المختصرات على الشيخ محمد نواز سهارنبوري. ثم سافر إلى دهلي، وقرأ على الشيخ مملوك على النانوتوي سائر الكتب الدراسية، وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، وأخذ الطريقة ـ أي تعاليم الطريقة الصوفية ـ عن الشيخ الحاج إمداد الله العمري التهانوي المهاجر المكي، وكان الشيخ محمد قاسم ضمن من قام ضد الاحتلال(*) البريطاني في الثورة المشهورة سنة ١٢٧٣هـ. وفي ١٥ المحرم ١٢٧٣هـ أسس مدرسة دار العلوم بديوبند وتحمل مسؤولية إدارتها وشاركه في تربية طلابها رفيقه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. وقد لخص الشيخ محمد قاسم أهدافها بقوله: «إن غرضنا من التعليم هو إيجاد جيل يكون بلونه وعنصره هندياً، يتنور قلبه وعقله بنور الإسلام، وتموج نفسه بالعواطف الإسلامية، ثقافة وحضارة وسياسة».

وذلك ردًّا على قول اللورد ميكالي الإنجليزي «إن الفرصة من خطتنا التعليمية هو إنشاء جيل من الهند، يكون هندي النسل واللون، وأوروبي الفكر والذهن».

● الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي: أحد أعلام الحنفية وأئمتهم في الفقه والتصوف قرأ على كبار مشايخ عصره حتى برع وفاق أقرانه في المنقول والمعقول واستفاد منه خلق كثير. وهو أحد الذين بايعوا الشيخ إمداد الله المهاجر المكي تلك البيعة المبتدعة على التزام طريقته في التصوف. وقد كان زميلاً ومعاوناً للشيخ محمد قاسم النانوتوي في إدارة مدرسة دار العلوم بديوبند. وللشيخ الكنكوهي مؤلفات عديدة منها **مجموعة فتاواه** في عدة مجلدات، توفي عام ١٣٢٣هـ.

● الشيخ حسين أحمد المدني والملقب بشيخ الإسلام: ولد في التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٦هـ، وتلقى مبادىء العلوم في تانده من مديرية فيض آباد الهند وطن آبائه. وفي سنة ١٣٠٩هـ سافر إلى دار العلوم الديوبندية وفيها تعلم الحديث عن الشيخ محمود حسن الديوبندي الذي لازمه مدة طويلة، وكذلك تلقى من الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وبايع(*) على الطريقة(*) على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الذي أجازه على البيعة(*) والإرشاد والتلقين. ولا شك أن هذا السلوك سلوك مبتدع لم يعرف عن السلف الصالح.

ـ سافر الشيخ حسين أحمد المدني إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، بصحبة والده أيام

الحرب العالمية فأسره ولاة الأمر ـ الشريف حسين بعد خروجهم على الدولة العثمانية ـ وتم ترحيله بصحبة شيخه محمد حسن الديوبندي إلى مصر ثم إلى مالطا أسرى لمدة ثلاث سنين وشهرين. وفي عام ١٣٣٨هـ أفرج عنه ثم عاد إلى الهند وقام بتدريس الحديث وإلقاء المحاضرات والخطب الحماسية ضد الاحتلال(*) الإنجليزي، فتم القبض على الشيخ حسين المدني مرة أخرى في جمادى الآخرة ١٣٦١هـ، وسجن لمدة سنتين وعدة أشهر في سجن مراد آباد وسجن إله آباد إلى أن أطلق سراحه في السادس من رمضان ١٣٦٣هـ. استمر في جهاده(*) بالتعليم ومناهضة الاحتلال إلى أن وافاه الأجل في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧هـ. ومن مؤلفاته: **نقش حيات** في مجلدين، وكتاب **الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب**.

● محمد أنور شاه الكشميري: أحد كبار فقهاء الحنفية وأساطين مذهبهم ـ في شبه القارة الهندية ـ تخرج في جامعة ديوبند وولي التدريس في المدرسة الأمينية بدلهي، ثم شغل مشيخة الحديث في جامعة ديوبند. في عام ١٣٤٦هـ تولى رئاسة التدريس ومشيخة الحديث في جامعة دابهيل كجرات. ويعد الكشميري من أبرز علماء عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع. بالإضافة إلى أنه كان أحد الذين لعبوا دوراً مهمًّا في القضاء على فتنة القاديانية في شبه القارة الهندية. توفي عام ١٣٥٢هـ وقد ترك مؤلفات عديدة.

● ومن أعلام الديوبندية الحديثة:

ـ الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، رئيس جامعة ندوة العلماء في لكنهو ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية... وهو عالم داعية طبقت شهرته آفاق العالم الإسلامي.

● والشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ـ سبقت ترجمته في مبحث المذهبية ـ.

الأفكار والمعتقدات:

● ترجح الديوبندية مذهب الإمام أبي حنيفة يرحمه الله في الفقه والفروع، ومذهب أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد والأصول، وتنتسب في الصوفية إلى طرق النقشبندية الجشتية والقادرية السهروردية طريقاً وسلوكاً، ومما لا شك فيه أن هذا السلوك مبتدع انحرف برواد مدرسة ديوبند بعيداً عن منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والسلوك والاتباع، على الرغم

شبه القارة الهندية إلى اليوم.

● ويمكن تلخيص أفكار ومبادىء المدرسة الديوبندية بما يلي:

ـ المحافظة على التعاليم الإسلامية، والإبقاء على شوكة الإسلام وشعائره.

ـ نشر الإسلام ومقاومة المذاهب(*) الهدَّامة والتبشيريّة.

ـ نشر الثقافة الإسلامية ومحاربة الثقافة الإنجليزية الغازية.

ـ الاهتمام بنشر اللغة العربية؛ لأنها وسيلة الاستفادة من منابع الشريعة الإسلامية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● القرآن والسُنة هما أساسها العقائدي والفكري وذلك على أساس:

ـ مذهب(*) أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد.

ـ مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان في الفقه(*) والفروع.

ـ سلاسل الطرق الصوفية من النقشبندية والجشتية والقادرية والسهروردية في السلوك والاتباع.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لم تمض سوى فترة قصيرة على تأسيس دار العلوم بديوبند حتى اشتهرت وتقاطرت إليها قوافل طلاب العلوم الإسلامية من أطراف شبه القارة الهندية.

● وقد لعبت دارُ العلوم دوراً مهماً في نشر الثقافة الإسلامية خارج الهند، وقد انتشرت المدارس الشرعية التابعة لدار العلوم في أقطار عديدة منها الهند وباكستان.

● ومعلومٌ أن أغلب رجال جماعة التبليغ المشهورة في الهند والعالم الإسلامي، هم من خريجي دار العلوم مثل الشيخ محمد يوسف مؤلف كتاب **حياة الصحابة**، والشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة.

● بالنسبة لندوة العلماء في لكنهو بالهند فإنَّ أغلب علمائها من خريجي دار العلوم أيضاً، ومنهم رئيسها الحالي العلاّمة الداعية أبو الحسن الندوي.

ويتضح مما سبق:

إن الديوبندية مدرسة فكريَّة أسسها مجموعة من علماء الهند ونمت حتى أصبحت من أكبر المعاهد الدينية العربية للأحناف في الهند. ومن أعلامها المعاصرين الشيخ أبو الحسن

علي الحسني الندوي. ومن أهداف هذه المدرسة المحافظة على التعاليم الإسلامية ونشر الإسلام ومقاومة المذاهب(*) الهدَّامة ومحاربة الثقافة الأجنبية والاهتمام بنشر اللغة العربية باعتبارها أداة فهم الشريعة الغراء. وترجِّح الديوبندية المذهب الحنفي في مجال الفقه والعقيدة الماتريدية في مجال الاعتقاد والطرق الجشتية والسهروردية والنقشبندية والقادرية والصوفية في مجال السلوك والاتباع مما يبعدها عن النهج السوي والصراط المستقيم منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والسلوك والاتباع.

مراجع للتوسع:

مراجع الديوبندية:

- **جامعة ديوبند رسالتها وإنجازاتها لعدد من العلماء**.
- **جامعة دار العلوم بديوبند تاريخها وخدماتها**.
- **مائة وسبعة عشر عاماً للجامعة الإسلامية ـ دار العلوم بديوبند ـ الهند ـ في ضوء خدماتها العلمية والدعوية والاجتماعية**.
- (هذه المطبوعات من نشر مكتب الاحتفال المئوي للجامعة الإسلامية ـ دار العلوم ـ ديوبند ـ الهند).
- **أرواح ثلاثة** «أردو» نجم الدين حفقاتي مطبعة كتب خانه مظهري كراجي.
- **الشهاب الثاقب** «أردو» حسين أحمد مدني ـ مطبعة مكتبة مدينة لاهور.
- **عقائد وكمالات ديوبند** «أردو» مولانا الله يار ـ مطبعة مكتبة رشيدية لاهور.
- **نقش حيات** «أردو» حسين أحمد مدني ـ مطبعة الأشاعت كراجي.
- **مقدمة مسلك علماء ديوبند** «أردو» مولانا يوسف بنوري ـ مطبعة الأشاعت كراجي.
- **سوانح قاسمي** ـ مناظر أحسن كيلاني، مكتبة رحمانية لاهور.
- **شمائم إمدادية** حاج إمداد الله المهاجر المكي.
- **مقالات حكمت**، أشرف علي تهانوي ـ إدارة التأليف.
- **المهند على المفند** ـ أحمد سهارنفوري ـ مكتبة المدينة لاهور.
- **نشر الطيب**، أشرف علي تهانوي.
- **كرامات إمدادية** ـ أشرف تهانوي.
- **جريدة الداعي** من إصدار الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند الهند العدد ١٧ ـ ١٨ السنة ١٦ العدد ١٠ السنة ١٧.

كتب ورسائل لغير الديوبنديين:

- **دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة** ـ صلاح الدين مقبول أحمد.
- **دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب** ـ أبو المكرم بن عبد الجليل في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها ـ مكتبة دار السلام ـ الرياض.
- **الديوبندية** ـ سيد طالب الرحمن ـ نازكوبرنترز راولبندي «باكستان».

٣٤ـ المهدية

التعريف:

المهدية واحدة من أبرز حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي. وهي ذات مضمون ديني سياسي شابته بعض الانحرافات العقائدية والفكرية. ولا يزال أحفاد المهدي وأنصاره يسعون لأن يكون لهم دور في الحياة الدينية والسياسية في السودان.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

المؤسس:

● محمد أحمد المهدي بن عبد الله ١٢٦٠ ـ ١٣٠٢هـ (١٨٤٥ ـ ١٨٨٥م)، وُلد في جزيرة لبب جنوب مدينة دنقلة، يقال بأن نسبه ينتهي إلى الأشراف. حفظ القرآن وهو صغير، ونشأ نشأة دينية متتلمذاً على الشيخ محمود الشنقيطي، سالكاً الطريقة السمَّانية القادرية الصوفية، متلقياً عن شيخها محمد شريف نور الدائم.

ـ فارق محمدٌ شيخه لِما لاحظه عليه من تهاون في بعض الأمور، وانتقل إلى الشيخ القرشيِّ وَدْ الزين في الجزيرة وجدد البيعة(*) على يديه. ويلاحظ أن شيخيه الأول والثاني من أشهر مشايخ الطرق الصُّوفية آنذاك.

ـ في عام ١٨٧٠م استقر في جزيرة أبا، إذ يقيم أهله والتزم أحد الكهوف مستغرقاً في التأمل والتفكير.

ـ وفي عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م توفي شيخه القرشي، إذ قام المهدي بتشييد ضريحه وتجصيصه وبناء القبة عليه، وصار خليفته من بعده، إذ توافد عليه المبايعون مجددين الولاء(*) للطريقة في شخصه.

ـ في عام ١٨٨١م أصدر فتواه بإعلان الجهاد(*) ضد الكفار والمستعمرين الإنجليز، وأخذ يعمل على بسط نفوذه في جميع أنحاء غرب السودان.

ـ اعتكف أربعين يوماً في مغارة بجزيرة أبا، وفي غرة شعبان ١٢٩٨هـ/ ٢٩ يونيو ١٨٨١م أعلن للفقهاء والمشايخ والأعيان أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

ـ قابل قوة الحكومة التي أرسلت لإخماد حركته في ١٦ رمضان ١٢٩٨هـ/ أغسطس ١٨٨١م وأحرز عليها انتصاراً دعم موقفه ودعواه.

ـ هاجر إلى جبل ماسة ورفع رايته هناك، وعين له أربعة من الخلفاء هم:

١ ـ عبد الله التعايشي: صاحب الراية الزرقاء ولقبه بأبي بكر.

٢ ـ علي وَدْ حلو: صاحب الراية الخضراء ولقبه بعمر بن الخطاب.

٣ ـ محمد المهدي السنوسي: رئيس الطريقة السنوسية ذات النفوذ الكبير في ليبيا، فقد عرض عليه المهدي منصب الخليفة عثمان بن عفان، لكن السنوسيَّ تجاهله ولم يرد عليه.

٤ ـ محمد شريف: وهو ابن عم المهدي الذي جعل له الراية الحمراء ولقبه بعلي بن أبي طالب.

ـ في عام ١٨٨٢م قابل الشلالي الذي أراد أن ينفذ إرادة جيجلر نائب الحكمدار عبدالقادر حلمي، وقد لاقى الشلالي حتفه في هذه المعركة.

ـ في نوفمبر ١٨٨٣م التقى مع هكس الذي لاقى حتفه أيضاً بعد يومين من بداية المعركة.

ـ التقى جيش المهدي بجيش غوردون في الخرطوم، وفي ٢٦ يناير ١٨٨٥م اشتدت المعركة وقُتِل غوردون الذي جُزَّ رأسُه وبُعِثَ به إلى المهدي الذي كان يأمل إلقاء القبض عليه حيًّا ليبادل به أحمد عرابي الذي أُجبر على مغادرة مصر إلى المنفى. وكان سقوط الخرطوم بين يدي المهدي آنذاك إيذاناً بانتهاء العهد العثماني على السودان.

ـ من يومها لم يبق للمهدي منافس، إذ قام بتأسيس دولته مبتدئاً ببناء مسجده الخاص الذي تم الانتهاء من بنائه في ١٧ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ.

ـ قلَّد القضاءَ للشيخ محمد أحمد جبارة ولقبه بقاضي الإسلام.

ـ وفي يوم ٩ رمضان ١٣٠٢هـ/ ٢٢ يونيو ١٨٨٥م توفي المهدي بعد أن أسس أركان دولته الوليدة، ودفن في المكان الذي قبض فيه. وجدير بالذكر أن هذه الدولة لم تدم طويلاً ففي عام ١٨٩٦م قضى اللورد كتشنر الذي كان سرداراً لمصر على هذه الدولة ونسف قبة المهدي ونبش قبره وبعث هيكله وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني انتقاماً لمقتل غوردون.

شخصيات أخرى:

● عبد الله التعايشي: ولد في دار التعايشة في دارفور، وجاء المهدي في الحلاويين بالجزيرة وهو يشيد قبة على شيخه القرشي وبايعه، وهو الذي قوّى في نفس المهدي ادعاءه

المهدية، وقد احتل عبد الله المكانة الأولى في حياة المهدي إذ كان رجل التطبيق والإدارة والتنفيذ.

- بعد موت المهدي صار عبد الله الخليفة الأول، وذلك بناء على وصية من المهدي ذاته، إذ كان يقول عنه: «هو مني وأنا منه».

- عندما تسلم منصب الخلافة(*) تفرّغ لبث الدعوة وجعل أخاه الأمير يعقوب مكانه الذي كان قد بوّأه إيّاه المهدي.

- كتب إلى السلطان عبد الحميد وتطلع إلى بسط نفوذ المهدية إلى نجد والحجاز وغربي السودان.

● عبد الرحمن النجومي: من القادة العسكريين، وقد سار على رأس جيش كبير في ٣ رمضان ١٣٠٦هـ/ ٣ مايو ١٨٨٩م متقدماً نحو الشمال لملاقاة الجيش المصري لكنه رجع دون أن يحقق تقدماً أو نصراً.

● الشاعر الصوفي الحسين الزهراء ١٨٣٣ ـ ١٨٩٥م: من رجال المهدية، حاول أن يربط بين فلسفة ابن سينا الإشراقية وبين العقيدة المهدية.

● حمدان أبو عنجة: كان قائد جيش المهدي أمام هكس الذي التقى به خارج الأبيض.

أبناء المهدي وأحفاده:

● عبد الرحمن بن محمد أحمد المهدي ١٨٨٥ ـ ١٩٥٦م وُلد في أم درمان وتلقى تعليماً دينيًّا، وعندما شبَّ سعى لتنظيم المهدية بعد أن انفرط عقدها، وصار في عام ١٩١٤م زعيماً روحيًّا للأنصار. وفي عام ١٩١٩م بعثت به الحكومة لتهنئة ملك بريطانيا بانتصار الحلفاء، إذ قام بتقديم سيف والده هدية للملك الذي قبله ثم أعاده إلى عبد الرحمن طالباً منه أن يحتفظ به لديه نيابة عن الملك وليدافع به عن الإمبراطورية. وقد شكّل هذا اعترافاً ضمنيًّا بالطائفة واعترافاً بزعامته لها. وقد أنشأ عبد الرحمن أيام الاستعمار(*) الإنجليزي على السودان (حزب الأمة) وهو حزب المهدية السياسي.

● الصديق بن عبد الرحمن: توفى عام ١٩٦١م.

● الهادي بن عبد الرحمن: قتل في عام ١٩٧١م.

● وقد انقسم حزب الأمة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم برئاسة الصادق بن الصديق بن عبد الرحمن وهو أقوى الأقسام حاليًّا في السودان.

ـ قسم برئاسة أحمد بن عبد الرحمن.

ـ قسم برئاسة ولي الدين عبد الهادي.

● المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية أقيم في بيت المهدي بالخرطوم في الفترة من ٢٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر ١٩٨١م، وقد ألقى أحمد بن عبد الرحمن المهدي كلمة في هذا الحفل.

الأفكار والمعتقدات:

● إن شخصية المهدي القوية، والمعتقد الديني الذي يدعو إليه، والسخط العام الذي كان سائداً ضد الولاة الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهظة على الناس، وتفشي الرشوة والمظالم، وسيطرة الأتراك والإنجليز، كان لذلك كله دور مهم في تجمع الناس حول هذه الدعوة بهدف التخلص من الوضع المزري الذي هم فيه إذ وجدوا في المهدي المنقذَ والمخلِّصَ.

● دعا المهدي إلى ضرورة العودةِ مباشرة إلى الكتاب والسُّنة دون غيرهما من الكتب التي يرى أنها تبعد بخلافاتها وشرورها عن فهم المسلم البسيط العادي.

● أوقف العمل بالمذاهب الفقهية المختلفة، وحرم الاشتغال بعلم الكلام(*)، وفتح باب الاجتهاد(*) في الدين، وأقر كذلك كتاب **كشف الغمة** للشعراني، **والسيرة الحلبية**، وتفسير **روح البيان** للبيضاوي، **وتفسير الجلالين**.

● ألغى جميع الطرق الصوفية وأبطل جميع الأوراد داعياً الجميع إلى نبذ الخلافات والالتفاف حول طريقته المهدية مؤلفاً لهم ورداً يقرأونه يوميًّا، ومن هذا الباب دخلت مرة أخرى في بوتقة الصوفية وانصهرت فيها، وداخلتها الأخطاء العقدية كقول المهدي بأنه معصوم وأنه المهدي المنتظر.

● لما تحركت الحكومة لضرب المهدية في جزيرة أبا كتب المهدي خمس رايات رفع عليها شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى أربعة منها كتب على كل واحدة منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة المتصوفة وهم: الجيلاني، والرفاعي، والدسوقي، والبدوي. أما الخامسة فقد كتب عليها(محمد المهدي خليفة رسول الله) وعلى ذلك فهو يزعم أنه الإمام، والمهدي، وخليفة رسول الله.

● أبرز ما في دعوته إلحاحه الشديد على موضوع الجهاد(*) والقوة والفتوة.

● يزعم المهدي بأن مهديته قد جاءته بأمر من رسول الله، ﷺ، إذ يقول: «وقد جاءني في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب(*) والخضر عليه السلام وأمسك بيدي، ﷺ،

وأجلسني على كرسيه وقال لي: أنت المهدي المنتظر ومن شكَّ في مهديتك فقد كفر(*)».

● نسب إلى نفسه العصمة، وذكر بأنه معصوم نظراً لامتداد النور الأعظم فيه من قبل خالق الكون إلى يوم القيامة!!.

● كان يلح على ضرورة التواضع وعدم البطر وتشديد النكير على الانغماس في الملاذ والبذخ والنعمة، ويعمل على التقريب بين طبقات المجتمع، وقد عاش حياته يلبس الجبة المرقعة هو وأتباعه، لكن أحفاده من بعده عاشوا في ترف ونعيم.

● حرَّم الاحتفال بالأعراس والختان وأي احتفال يدعو إلى النفقة والإسراف.

● يَسَّرَ الزواج بتخفيف المهور، وبساطة الولائم، وتحريم الرقص والغناء، وضرب الدفوف.

● منع البكاء على الأموات، وحرّم الاشتغال بالرُّقى(*) والتمائم(*)، وحارب شرب الدخان وزراعته والاتجار به، وشدد في تحريمه.

● أقام حدود الشريعة في أتباعه كالقصاص وحيازة خمس الغنائم ومصادرته أموال السارقين والخمارين، وصك العملة باسمه ابتداء من فبراير ١٨٨٥م جمادي الأولى ١٣٠٢هـ.

● أقام في المنطقة التي امتد إليها نفوذه نظاماً إسلاميًا، ونظم الشؤون المالية وعين الجباة لجمع الزكاة، وكانت مالية الدولة التي أقامها مكونة مما يجبى من زكاة وجبايات.

● في العاشر من ربيع الأول عام ١٣٠٠هـ تطلع المهدي إلى عالمية الدعوة، إذ أعلن أن الرسول، ﷺ، قد بشَّره بأنه سيصلي في الأبيض ثم في بربر ثم في المسجد الحرام بمكة المكرمة فمسجد المدينة فمسجد القاهرة وبيت المقدس وبغداد والكوفة(*).

● بعض الانتقادات الموجهة لاجتهادات المهدي:

- لقد كفَّر المهدي من خالفه أو شك في مهديته ولم يؤمن به.
- سمّى الزمان الذي قبله زمان الجاهلية(*) أو الفترة.
- جعل المتهاون في الصلاة كالتارك لها جزاؤه أن يقتل حدًّا.
- أفتى بأن من يشرب التنباك يؤدب حتى يتوب أو يموت.
- جعل المذاهب الفقهية والطرق الصوفية مجرد قنوات تصب في بحره العظيم!!.
- منع حيازة الأرض لأنها لا تملك إذ إنها محجوزة لبيت المال.
- نهى عن زواج البالغة بلا ولي ولا مهر.
- منع النساء من لبس الحلى من الذهب والفضة وهي مباحة شرعاً.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثر المهدي بالشيعة(*) في ادعائه المهدية التي ستملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وفي التأكيد على أهمية نسبه الممتد إلى الحسن بن علي، وفي فكرة العصمة والإمام المعصوم(١).

ـ أخذ عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب قوله بضرورة الأخذ عن الكتاب والسُّنَّة مباشرة، وفتح باب الاجتهاد(*)، ومحاربته لبناء القبور، مع أنه بنى قبة لشيخه.

● كان للفكر الصوفي دور مهم في رسم شخصية المهدي وطريقته.

● أخذ عن جمال الدين الأفغاني، وعن الإمام محمد عبده ـ اللذين كان على صلة بأفكارهما ـ الدعوة إلى تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار(*) الأوروبي وتوحيدها وضرورة تطبيق الشريعة(*) في حياة المسلمين.

● كان المهدي قريباً من الأحداث الجارية في مصر، وبالذات حركة أحمد عرابي الداعي إلى التحرير والاستقلال عن السيطرة الإنجليزية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● ابتدأ المهدي دعوته من جزيرة أبا التي لا تزال مركزاً قويًّا للمهدية إلى الآن، وقد وثق صلته بالقبائل في مختلف أنحاء السودان.

● تطلع المهدي وخليفته التعايشي لنقل المهدية إلى خارج السودان لكن هذا الأمل تلاشى بسقوط طوكر عام ١٨٩١م.

● لا يزال للمهدية أنصار كثيرون يجمعهم حزب(*) الأمة الذي يسهم في الأحداث السياسية الحالية في السودان. كما أن لهم تجمعاً وأنصاراً في أمريكا وبريطانيا يعملون على

---

(١) **تنبيه**: لاصلة البتة بين عقيدة المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة كما دلت عليها الأحاديث المستفيضة، بل المتواترة تواتراً معنوياً، وبينها عند الشيعة، إذ يعتقد أهل السنة والجماعة كما يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ بحق ـ:
«أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حق وهو محمد بن عبدالله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقاً وإرشاداً للناس». (لمزيد من التفصيل راجع كتاب: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر. للعلاّمة الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد، وكتاب: المهدي حقيقة لا خرافة للدكتور محمد بن أحمد إسماعيل المقدم.).

نشر أفكارهم ومعتقداتهم بين أبناء الجاليات الإسلامية بعامة والسودانيين بخاصة.

ويتضح مما سبق:

أن الثورة(*) المهدية استطاعت أن تصهر السودانيين في بوقتة واحدة، وجعلت منهم شعباً واحداً جاهد مع قائده وزعيمه الروحي وحقق انتصارات باهرة على أعدائه. وقد أسقطت المهدية المذهبية، وألغت الطرق الصوفية، وأعلنت أنها سلفية(*) تدعو إلى عقيدة السلف في التوحيد والاجتهاد(*) وفق المصالح المتجددة. وقد اعتبرت الجهاد(*) ضد الكفار مقدماً على الفرائض الأخرى. وهي تعد من أبرز حركات اليقظة في العالم الإسلامي. وقد شابت اجتهادات الحركة بعض الانحرافات العقدية، وكساها المهديُّ بمسحة من الصُّوفية بهدف تحريك ضمائر أتباعه وربط ولاء شعبه بألوان من الرياضات، فقد كان للطرق الصوفية في عهده جذور ضاربة في نفوس شعبه لا يمكن إغفالها.

مراجع للتوسع:

- **محمد أحمد المهدي**، توفيق أحمد البكري ـ لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٤٤م.
- **المهدي والمهدوية**، د. أحمد أمين بك ـ إصدار دار المعارف بمصر.
- **دراسات في تاريخ المهدية**، مطبوعات قسم التاريخ ـ جامعة الخرطوم ـ أعده للنشر الدكتور عمر عبد الرازق النقر ـ ١٩٨٢م.
- **سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي**، إسماعيل عبد القادر الكردفاني ـ تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ـ ط٢ ـ دار الجيل، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **الموسوعة الحركية** «في جزءين» فتحي يكن ـ ط٢ ـ دار البشير ـ الأردن ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الفكر الصوفي**، د. عبد القادر محمود ـ ط١ ـ مطبعة المعرفة ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م.
- **الإسلام في القرن العشرين** ـ عباس محمود العقاد.
- **السودان عبر القرون** ـ د. مكي شبيكة ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان بدون تاريخ.
- **تاريخ السودان وجغرافيته**، تأليف نعوم شقير.
- **دائرة معارف القرن العشرين**، محمد فريد وجدي.
- **منشورات المهدي**، موجودة في الإدارة المركزية في وزارة الداخلية بالخرطوم بأصولها ـ وقد نشرتها الداخلية السودانية مصورة عن أصل مطبوع بمطبعة الحجر في أم درمان سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م في جزءين كبيرين بعنوان **منشورات الإمام المهدي عليه السلام**.
- **يسألونك عن المهدية**، الصادق المهدي.
- **المهدية** ـ شريط كاسيت الدكتور محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم.

٣٥ـ جماعة التبليغ والدعوة

التعريف:

جماعة التبليغ جماعة إسلامية أقرب ما تكون إلى جماعة وعظ وإرشاد منها إلى جماعة منظمة. تقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام لكل من تستطيع الوصول إليه، ملزمةً أتباعها بأن يقتطع كل واحد منهم جزءاً من وقته لتبليغ الدعوة ونشرها بعيداً عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية، ويلجأ أعضاؤها إلى الخروج للدعوة ومخالطة المسلمين في مساجدهم ودورهم ومتاجرهم ونواديهم، وإلقاء المواعظ والدروس والترغيب في الخروج معهم للدعوة. وينصحون بعدم الدخول في جدل(*) مع المسلمين أو خصومات مع الحكومات.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس هو الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ١٣٠٣ ـ ١٣٦٤هـ، ولد في كاندهلة، قرية من قرى سهارنفور بالهند، تلقى تعليمه الأَوَّلي فيها، ثم انتقل إلى دهلي، إذ أتم تعليمه في مدرسة ديوبند التي هي من أكبر مدارس الأحناف في شبه القارة الهندية، وقد تأسست عام ١٢٨٣هـ ـ ١٨٦٧م.

ـ تلقى تعليمه الأولي على يد أخيه الذي يكبره سنًّا وهو الشيخ محمد يحيى الذي كان مدرساً في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور.

ـ الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ١٨٢٩ ـ ١٩٠٥م، وقد بايعه الشيخ محمد إلياس على الطريقة سنة ١٣١٥هـ.

ـ جدد البيعة علي الشيخ خليل أحمد السهارنفوري أحد أئمة الديوبندية.

ـ اتصل بالشيخ عبد الرحيم الرائي فوري واستفاد من علمه وتربيته.

ـ أخذ بعض علومه عن الشيخ أشرف على التهانوي ١٢٨٠ ـ ١٣٦٤هـ ١٨٦٣ ـ ١٩٤٣م، وهو الملقب لديهم بـ(حكيم الأمة).

ـ أخذ عن الشيخ محمود الحسن ١٢٦٨ ـ ١٣٣٩هـ ١٨٥١ ـ ١٩٢٠م وهو من كبار علماء مدرسة ديوبند ومشايخ جماعة التبليغ.

● **من رفاقه المقربين:**

ـ الشيخ عبد الرحيم شاه الديوبندي التبليغي: قضى مدة كبيرة في أمر التبليغ مع الشيخ محمد إلياس ومع ابنه الشيخ محمد يوسف من بعده.

ـ الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي: زوج أخت محمد إلياس ومعتمده الخاص، قضى مدة طويلة من حياته في قيادة الجماعة ومرافقة الشيخ المؤسس.

ـ الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي: مدير دار العلوم لندوة العلماء لكنهو الهند، وهو كاتب إسلامي كبير على صلة وثيقة بالجماعة.

الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧ ـ ١٩٦٥م وهو ابن الشيخ محمد إلياس وخليفته من بعده، ولد في دهلي، تنقل كثيراً في طلب العلم أولاً، وفي نشر الدعوة ثانياً، زار السعودية عدة مرات حاجاً، والباكستان بشطريها، كانت وفاته في لاهور، نقل جثمانه بعدها ليدفن بجانب والده في نظام الدين بدهلي.

ـ ألف الشيخ **أماني الأخبار** وهو شرح **معاني الآثار** للطحاوي، وكتابه الشهير **حياة الصحابة** كما خلف ولداً اسمه الشيخ محمد هارون وهو يسير على منهجه وطريقته.

ـ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ١٣١٥ ـ ١٣٦٤هـ وهو ابن عم الشيخ محمد يوسف وزوج أخته، وهو الذي أشرف على تربيته وتوجيهه، ويصفونه بأنه ريحانة الهند، وبركة العصر. كان شيخ الحديث والمشرف الأعلى لجماعة التبليغ، وليس له نشاط في صفوف الجماعة حالياً.

ـ الشيخ محمد يوسف البنوري: مدير المدرسة العربية بنيوتاون كراتشي، وشيخ الحديث فيها، ومدير شهرية بالأوردية، ومن كبار علماء ديوبند وجماعة التبليغ.

ـ المولوي غلام غوث الهزاروي: من علماء الجماعة، كان عضواً في البرلمان المركزي.

ـ المفتي محمد شفيع الحنفي: وهو (المفتي الأعظم بباكستان) كان مديراً لمدرسة دار العلوم لاندهي كراتشي، وخليفة (حكيم الأمة) أشرف على التهانوي، ومن علماء جماعة التبليغ.

ـ الشيخ منظور أحمد النعماني: من علماء الجماعة، ومن أصحاب الشيخ زكريا، وصديق للأستاذ أبي الحسن الندوي، ومن علماء ديوبند.

ـ إنعام الحسن: هو الأمير الثالث للجماعة إذ تولاها بعد وفاة الشيخ محمد يوسف ولايزال في منصبه إلى الآن، كان صديقاً للشيخ محمد يوسف في دراسته ورحلاته فهما

متقاربان في السن متماثلان في الحركة والدعوة.

ـ الشيخ محمد عمر بالنبوري: من المرافقين للشيخ إنعام ومن مستشاريه المقربين.

ـ الشيخ محمد بشير: أمير الجماعة في الباكستان، ومركزهم الرئيسي فيها رايوند بضواحي لاهور.

ـ الشيخ عبد الوهاب: من كبار المسؤولين في المركز ذاته بالباكستان.

ـ الشيخ إبراهيم عزت: إمام مسجد أنس بن مالك بحي الزمالك بالقاهرة وأمير الجماعة في مصر، توفي يرحمه الله عام ١٩٨١م أثناء رحلة العمرة، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة.

الأفكار والمعتقدات:

● قرر المؤسس لهذه الجماعة ستة مبادىء جعلها أساس دعوته، ويحصرون الحديث فيها في مؤتمراتهم وبياناتهم العامة:

ـ الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ـ إقامة الصلاة ذات الخشوع.

ـ العلم والذكر.

ـ إكرام المسلمين.

ـ الإخلاص.

● تقوم طريقتهم في نشر الدعوة كما يلي:

ـ تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما، إذ يأخذ كل واحد منهم فراشاً بسيطاً وما يكفيه من الزاد والمصروف على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.

ـ عندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها ينظمون أنفسهم أولاً بحيث يقوم بعضهم بتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة أو (البيان) كما يسمونه.

ـ إذا حان موعد البيان التقوا جميعاً لسماعه، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله، وبعد صلاة الفجر يقسمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة وبعضاً من قصار السور. حلقات حلقات. ويكررون ذلك عدداً من الأيام.

ـ قبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس للخروج معهم لتبليغ الدعوة، إذ يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً. . . أو شهراً. . كل بحسب طاقته

وإمكاناته ومدى تفرغه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].
والعدد الأمثل للخروج أن يكون يوماً في الأسبوع وثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً في السنة وأربعة أشهر في العمر كله.

ـ يرفضون إجابة الدعوة إلى الولائم التي توجه إليهم من أهل البلدة أو الحي؛ حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وليكون عملهم خالصاً لوجه الله تعالى.

ـ لا يتعرضون إلى فكرة (إزالة المنكرات) معتقدين بأنهم الآن في مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية، وأن القيام بهذا العمل قد يضع العراقيل في طريقهم وينفّر الناس منهم.

ـ يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد فرداً فرداً فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائياً.

ـ إن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية ولصقله عملياً؛ إذ يحس بأنه قدوة، وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه.

● يرون بأن التقليد(*) في المذاهب(*) واجب، ويمنعون الاجتهاد معللين ذلك بأن شروط المجتهد الذي يحق له الاجتهاد مفقودة في علماء هذا الزمان.

● تأثروا بالطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الهند، وعليه فإنه تنطبق عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة مثل:

ـ لا بد لكل مريد من شيخ يبايعه، ومن مات وليس في عنقه بيعة(*) مات ميتة جاهلية(*). وكثيراً ما تتم البيعة للشيخ في مكان عام، إذ تُنشر على الناس أردية واسعة مربوط بعضها ببعض مرددين البيعة بشكل جماعي، ويُفعل ذلك في جمع غفير من النساء كذلك.

ـ المبالغة في حب الشيخ، والمغالاة كذلك في حُبِّ الرسول، ﷺ، مما يخرجهم في بعض الأحيان عن حدود الأدب الذي يجب التزامه حيال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

ـ إقامة المنامات مقام الحقائق حتى تكون هذه المنامات قاعدة تنبني عليها أمور تترك أثرها على مسيرة الدعوة.

ـ يعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان في القلوب.

ـ ترد على ألسنتهم أسماء أعلام المتصوفة مثل عبد القادر الجيلاني المولود في جيلان عام ٤٧٠هـ، والسهروردي، وأبو منصور الماتريدي ت ٣٣٢هـ، وجلال الدين الرومي المولود عام ٦٠٤هـ صاحب كتاب المثنوي.

تقوم طريقتهم على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، وقد استطاعوا أن يجتذبوا إلى رحاب الإيمان كثيراً من الذين انغمسوا في الملذات والآثام وحوّلوهم إلى العبادة والذكر والتلاوة.

ـ لا يتكلمون في السياسة، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشكلاتها وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي أن تترك السياسة، ولعل هذه النقطة هي جوهر الخلاف بينهم وبين الجماعة الإسلامية التي ترى ضرورة التصدي لأعداء الإسلام في القارة الهندية.

● بعض الملاحظات والمآخذ عليهم:

ـ إنهم يتوسعون توسعاً أفقيًا كميًا لا نوعيًا إذ إن تحقيق التفوق النوعي يحتاج إلى رعاية ومتابعة وعلم، وهذا ما تفتقده هذه الدعوة؛ ذلك لأن الشخص الذي يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى، وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنها.

ولذلك فإن تأثيرهم لا يدوم طويلاً أمام التيار المادي الجارف؛ إذ لا بد لمن غرس غرسة أن يتعهدها.

ـ لا يضمهم تنظيم واحد متسلسل، بل هناك صلات بين الأفراد وبين الدعاة تقوم على التفاهم والمودة.

ـ يؤولون أحاديث الجهاد(*) على «الخروج» مما يكاد ينسي الجهاد(*) في سبيل الله، كما يتساهلون كثيراً في رواية الأحاديث الضعيفة مع الإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين.

ـ يلجؤون إلى النوم والأكل في المساجد تقليلاً للنفقة، وينتقدهم البعض لهذا المسلك، وبخاصة في البلاد الأجنبية، ولكن هذا المسلك لا يعيبهم طالما أنهم لا يغادرون المساجد إلا بعد أن تكون أكثر نظافة وأحسن ترتيباً.

ـ لا يكفي عملهم لإقامة أحكام الإسلام في حياة الناس، ولا يكفي لمواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام التي تجند طاقاتها كافة لحرب الإسلام والمسلمين.

ـ أسلوبهم يترك أثره بشكل واضح على رواد المساجد من المسلمين، أما أولئك الذين يحملون أفكاراً وإيديولوجيات(*) معينة فإن تأثيرهم عليهم يكاد يكون معدوماً.

ـ يقال عنهم بأنهم قد أخذوا بعضاً من الإسلام وتركوا بعضاً منه، وهذه التجزئة لحقائق الإسلام تتنافى مع طبيعته الواحدة الشمولية ومنطقهم دائماً يقول: السياسة أن تترك السياسة، ولكنهم على الرغم من ذلك لم ينجوا من ضربات المتسلطين وقد حظر نشاطهم في أكثر من بلد.

ومع ذلك ينبغي ألا يغفل ما لها من حسناتٍ وفضائل، فقد دخل على أيديهم خلق كثير إلى الإسلام، وترك آخرون من المسلمين على أيديهم سبل الغواية والرذيلة، بل استطاعوا أن يخترقوا قبل غيرهم الستار الحديدي الذي فرضته الشيوعية على بعض البلاد.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إنها جماعة إسلامية، مصادرها الرئيسية كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وعقيدة مؤسسيها وكبار علمائها ودعاتها في شبه القارة الهندية هي عقيدة الماتريدية نفسها. على أن مذهبهم الفقهي هو المذهب الحنفي.

● تأثروا بالمتصوفة وبخاصة الطريقة الجشتية والقادرية والنقشبندية والسهروردية في الهند، ويقيمون اعتباراً خاصاً لأعلام المتصوفة في التربية والتوجيه.

● هناك من يعتقد بأنهم قد أخذوا أفكارهم عن جماعة النور في تركيا.

● يعتمدون في اجتماعاتهم في البلاد العربية على القراءة من **رياض الصالحين**، وفي البلاد الأعجمية على القراءة من **حياة الصحابة، وتبليغي نصاب** والأخير مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة.

● يطالبهم كثير من العلماء السلفيين بالإقلاع عن اللجوء إلى كتابة التمائم(*) المملوءة بالطلاسم وترك الأوراد والأذكار البدعية، وترك اعتماد الرؤى والأحلام مصدراً من مصادر الاستدلال والاهتمام بالعلم الشرعي وبخاصة علم التوحيد.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت دعوتهم في الهند، وانتشرت في الباكستان وبنجلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي، إذ صار لهم أتباع في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والحجاز.

ـ انتشرت دعوتهم في معظم بلدان العالم في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، ولهم جهود مشهود لها في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا.

ـ مركزهم الرئيسي في نظام الدين بدهلي، ومنه يديرون شؤون الدعوة في العالم.

● التمويل المالي يعتمدون فيه على الدعاة أنفسهم، وهناك تبرعات متفرقة غير منظمة تأتي من بعض الأثرياء مباشرة أو بابتعاث الدعاة على حسابهم الخاص.

ويتضح مما سبق:

أن جماعة التبليغ هي: إحدى الجماعات المنتسبة للسنة، إذ تستمد منهجها من كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وتعد سندًا عاطفيًا واجتماعيًا لمسلمي شبه القارة الهندية، وهي رمز من رموز الدعوة إلى الله في أوروبا والأمريكتين. وتقوم الدعوة عند هذه الجماعة، على

أساس الكلمة الطيبة والخشوع في الصلاة والعلم والذكر وإكرام المسلمين والإخلاص والخروج في سبيل الدعوة. ويمتاز دعاتها بالزهد، ولكنهم يعتقدون أن التصوف (بمفهومه القائم) هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان.

مراجع للتوسع:

- **حياة الصحابة**، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ـ دار القلم ـ دمشق ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- **الموسوعة الحركية**، فتحي يكن ـ دار البشير ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- **جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها**، ميان محمد أسلم الباكستاني، وهو بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ للعام الدراسي ١٣٩٦/ ١٣٩٧هـ.
- **الطريق إلى جماعة المسلمين**، حسين بن محسن بن علي بن جابر ـ دار الدعوة ـ الكويت ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- **مشكلات الدعوة والداعية**، فتحي يكن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **السراج المنير**، الدكتور تقي الدين الهلالي.
- **الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية**، الدكتور صادق أمين ـ جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان ـ الأردن، ١٩٧٨م.
- **حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب**، سعد بن عبدالرحمن الحصين، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
- **رأي آخر في جماعة التبليغ** ـ سعد الحصين، بحث مقدم إلى ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ـ البحرين ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٦ـ حركة طلاب النور «النورسية» في تركيا

التعريف:

حركة طلاب النور: جماعة دينية إسلامية هي أقرب في تكوينها إلى الطرق الصوفية منها إلى الحركات(*) المنظمة. ركز مؤسسها على الدعوة إلى حقائق الإيمان والعمل على تهذيب النفوس مُحْدِثاً تياراً إسلامياً في محاولة منه للوقوف أمام المد العلماني الماسوني الكمالي الذي اجتاح تركيا عقب سقوط الخلافة(*) العثمانية واستيلاء كمال أتاتورك على دفة الحكم فيها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس هو الشيخ سعيد النورسي ١٨٧٣ ـ ١٩٦٠م ولد من أبوين كرديين في قرية نورس القريبة من بحيرة وان في مقاطعة هزان بإقليم بتلس شرقي الأناضول، تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ولما شبّ ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة وناقش علماء عصره واتسعت شهرته حتى لقب بـ (سعيد المشهور).

ـ في الثامنة عشرة من عمره أَلَمَّ بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية، وعرف الرماية والمصارعة وركوب الخيل، فضلاً عن حفظه القرآن الكريم، آخذاً نفسه بالزهد والتقشف.

ـ في عام ١٨٩٢م ذهب الشيخ سعيد النورسي إلى «ماردين»، وفيها بدأ دعوته الإرشادية التربوية من خلال المسجد الجامع بالمدينة، فوشي به إلى واليها الذي نفاه إلى «تبليس».

ـ في عام ١٨٩٤م ذهب النورسي إلى مدينة «وان» وعمل فيها بالتدريس، بالإضافة إلى مطالعة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، وتعمق فيها، وألف في بعضها مما حدا بأهل العلم في مدينة «وان» أن يطلقوا عليه لقب «بديع الزمان» اعترافاً بسعة علمه، وقوة ذكائه.

ـ انتقل إلى استانبول عام ١٨٩٦م لتأسيس الجامعة الزهراء لتكون على شاكلة الجامع الأزهر بمصر، وصادف أن كان هناك الشيخ بخيت شيخ المطيعي مفتي مصر

(١٣٣٣-١٣٣٩هـ) الذي أبدى إعجابه الشديد ببديع الزمان.

ـ عندما دخل الحلفاء إستانبول محتلين كان في مقدمة المجاهدين ضدهم.

ـ في عام ١٩٠٨م وبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد بتآمر من جمعية الاتحاد والترقي التي رفعت شعار (الوحدة ـ الحرية ـ الإصلاح) لتخفي وراءه دسائسها ومؤامراتها على الإسلام والمسلمين، أيد بديع الزمان جمعية (الاتحاد المحمدي)، التي استخدمت نفس شعارات الاتحاديين ولكن بالمفهوم الإسلامي كشفا لخدعهم التي يتسترون خلفها وتجلية لحقيقتهم الماسونية.

ـ أرسل الماسونيون (قرّه صو) اليهودي لمقابلته، لكنه ما لبث أن خرج من عنده وهو يقول: «لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني في الإسلام بحديثه».

ـ في عام ١٩١١م/١٣٢٧هـ انتقل إلى سوريا وأقام في دمشق وألقى في المسجد الأموي خطبته التي عرفت باسم الخطبة الشامية، وضح فيها أسباب تقدم أوربا وتخلف المسلمين بما يلي:

١ ـ اليأس الذي بلغ بالمسلمين مبلغه.

٢ ـ فساد الأخلاق وفقدان الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.

٣ ـ انتشار العداوة والبغضاء بين صفوف المسلمين.

٤ ـ فقدان روابط المحبة والتعاون والتكافل بين المسلمين.

٥ ـ الاستبداد المنتشر انتشار الأمراض السارية.

٦ ـ تقديم المصالح الشخصية على المصالح العامة.

ـ في الحرب العالمية الأولى شكل فرع الأنصار لمساعدة الجيش التركي وأصبح ضابطاً فيها، وفي الأمسيات كان يلقي على تلاميذه وعساكره دروساً في علوم القرآن.

ـ قبض عليه الروس ونفوه إلى سيبيريا، لكنه استطاع أن يهرب ويعود إلى إستانبول عن طريق ألمانيا فبلغاريا فتركيا. حيث استقبله الخليفة وشيخ الإسلام وطلبة العلم فيها استقبالا حافلا، ومنحته الدولة وسام الحرب، بالإضافة إلى تعيينه عضواً في «دار الحكمة الإسلامية» كأعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية. كان عام ١٩٢٣م بداية مرحلة جديدة في حياة النورسي الفكرية، أطلق عليها النورسي نفسه بعد ذلك مرحلة «سعيد الجديد» التي نشط فيها في تأليف رسائل النور لبث صيحات التوجيه والإرشاد للحفاظ على الإيمان وبخاصة بين صفوف الشباب.

ـ حينما أعلن مصطفى كمال أتاتورك ١٨٨٠ ـ ١٩٣٨م العصيان بالأناضول حاول

استدراج بديع الزمان إلى جانبه إذ عرض عليه قصراً فخماً ومناصب عليا، لكنه رفض كل ذلك منصرفاً عن السياسة كلياً جاعلاً شعاره «أعوذ بالله من الشيطان والسياسة»، عاكفاً على العبادة والتربية وصقل النفوس.

ـ لقد كان العلمانيون الذين حكموا تركيا بعد زوال الخلافة يخشون من دعوته ويعارضونها أشد المعارضة، فما كان منهم إلا أن استغرقوا حياته بالسجن والتعذيب والانتقال من سجن إلى منفى، ومن منفى إلى محاكمة.

ـ أصدرت المحاكم ضده أحكاماً بالإعدام عدة مرات لكنهم كانوا يعدلون عن تنفيذ هذا الحكم خوفاً من ثورة أتباعه وأنصاره.

ـ عاش آخر عمره في إسبارطة منعزلاً عن الناس، وقبل ثلاثة أيام من وفاته اتجه إلى أورفبا دون إذن رسمي، إذ عاش فيها يومين فقط فكانت وفاته في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ، الموافق ٢٣ آذار ١٩٦٠م.

الأفكار والمعتقدات:

● فكر هذه الجماعة هو ما كتبه المؤسس ذاته حتى إنك لا تكاد تجد ذِكراً لآخرين تركوا إضافات مهمة على فكرها.

● اتخذت الجماعة من كتاب الله وسنة رسوله نبراسا لها تهتدي بهديهما وتعمل لهما.

● قامت هذه الدعوة لإيقاظ العقيدة الإسلامية في نفوس أتباعها فكان عليها أن تواجه الظروف القاسية بتكتيك يناسب هذه الظروف التي كان مجرد الانتماء إلى الإسلام فيها يعد جريمة يعاقب عليها القانون.

● كان بديع الزمان متواضعاً زاهداً يتحرز عن مواطن الشبهة، وكان شعاره الدائم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

● التخلي عن السياسة واعتبارها من وساوس الشيطان، وذلك إثر عدة مواجهات ومصادمات بين بديع الزمان ومصطفى كمال الذي كان يحاول استدراج الشيخ إلى صفه وقد غادر سعيد النورسي أنقره عام ١٩٢٣م إلى وان تاركاً السياسة خلف ظهره. ووصِف هذا التاريخ بأنه فاصل بين مرحلتين: سعيد القديم وسعيد الجديد.

● قال بديع الزمان للمحكمة عندما كان مسجوناً في سجن اسكشير: «لقد تساءلتم هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية وإنني أقول لكم: إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة، إن كثيرين هم أولئك الذين يدخلون الجنة بغير طريقة ولكن أحداً لا يدخل الجنة بغير إيمان».

● وقال: «أقسم بالله أنني سأكرس نفسي للقرآن باذلاً حياتي مهما كانت مكائد الوزير البريطاني القذرة». ويقصد به وزير المستعمرات البريطاني غلادستون الذي قال آنذاك: «طالما أن القرآن مع المسلمين فسيبقون في طريقنا، ولذلك يجب علينا أن نبعده عن حياتهم».

ـ من أقواله: «لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام.. إنني لا أعترف إلا على ملة الإسلام.. إنني أقول لكم وأنا أقف أمام البرزخ الذي تسمونه السجن إنني في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة».

ـ وله كذلك: «كما أنه لا يناسب الشيخ الوقور أن يلبس لباس الراقصين؛ فكذلك لا يناسب إستانبول أن تلبس أخلاق أوربا».

● إن التهم الرئيسية التي كانت توجه إلى بديع الزمان في المحاكمات يمكن تلخيصها فيما يلي:

ـ العمل على هدم الدولة العلمانية والثورة(*) الكمالية.

ـ إثارة روح التدين في تركيا.

ـ تأليف جمعية(*) سرية.

ـ التهجم على مصطفى كمال أتاتورك.

لكنه كان يتصدى لهذه التهم بمنطق بليغ من الحجة والبرهان حتى أصبحت هذه المحاكمات مجال دعاية له تزيد في عدد أتباعه.

● لقد كرس المؤسس نشاطه ودعوته على مقاومة المد العلماني الذي تمثل في:

ـ إلغاء الخلافة(*) العثمانية.

ـ استبدال القوانين الوضعية(*) ـ والقانون السويسري المدني تحديداً ـ بالشريعة الإسلامية(*).

ـ إلغاء التعليم الديني.

ـ منع الكتابة بالحروف العربية وفرضها بالحروف اللاتينية.

ـ تغيير الأذان من الكلمات العربية إلى الكلمات التركية.

ـ فرض النظرية الطورانية(*) وأن «الترك أصل الحضارات».

ـ إلزام الناس بوضع القبعة غطاء للرأس، وإلزام النساء بالسفور، ورفع الحجاب.

ـ جعل يوم الأحد يوم العطلة الرسمية بدلاً من يوم الجمعة.

ـ ارتداء الجبة السوداء والعمامة البيضاء مقصور على رجال الدين.

ـ ترجمة القرآن إلى اللغة التركية وذلك عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م وتوزيعه في المساجد.

ـ تحريم الاحتفال بعيدي الأضحى والفطر وإلغاء التقويم الهجري وإحداث تغييرات في نظام المواريث.

ـ الاتجاه نحو الغرب ومحاكاته في عاداته وتقاليده واهتماماته.

ـ طمس العقيدة الإسلامية في نفوس الناس بعامة والناشئة بخاصة.

● يمتاز معظم شباب هذه الجماعة بالعفة والنظافة، شباب قابض على دينه في عصر شاعت فيه الفتن والإغراءات والانحلال.

● هذا وثمة بعض المآخذ على هذه الجماعة:

ـ إنهم لم يستطيعوا تأسيس عمل إسلامي منظم يستطيع التصدي للمكر اليهودي الذي كان متغلغلاً في معظم نواحي الحياة السياسية المعادية للإسلام والمسلمين إذ ذاك. لكن الإنصاف يقتضينا أن نقر بأن الظروف المحيطة بنشأة هذه الجماعة لم تكن لتسمح لها بالظهور في غير الشكل الذي ظهرت فيه.

ـ إن اشتراك بديع الزمان مع آخرين في تأليف جمعية الاتحاد المحمدي ليس أكثر من رد فعل سرعان ما انفرطت حلقاته فضلاً عن استعداء الاتحاديين(*) عليه وتركيزهم الكيد والتآمر للقضاء عليه وعلى دعوته.

ـ إن تخلي هذه الجماعة عن السياسة واتخاذ سعيد النورسي شعار أعوذ بالله من الشيطان والسياسة وذلك منذ عام ١٩٢٣م قد ترك أثراً سلبياً على أتباعها إذ وقع بعضهم فريسة لأحزاب(*) علمانية.

ـ يأخذ البعض على الشيخ تخليه عن مساندة الشيخ سعيد الكردي الذي قام بثورة ضد مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٥م واقفاً إلى جانب الخلافة(*)، وقد حدثت معارك رهيبة بينه وبين الكماليين في منطقة ديار بكر سقط فيها آلاف من المسلمين، بينما يرى أتباعه أن هذا الموقف من النورسي يعبر عن فطنته وبعد نظره.

ـ ويأتي هذا الموقف انطلاقاً من فكره في وجوب جهاد(*) النفس أولاً ثم الدعوة إلى تنوير الأفكار، وقد نادت الجماعة بإصلاح القلوب وعدم الدخول في معارك داخلية مع المخالفين المسلمين سواء كانوا حكاماً أو محكومين والتزام طريق الدعوة السلمية والتطور التدريجي، ولا يلجأ إلى الجهاد المسلح إلا ضد العدو الخارجي من الكفار والزنادقة.

ـ لدى بعض أفراد جماعة النور ـ مؤخراً ـ شعور بالانعزالية والاستعلاء وهذا يفقدهم القدرة على التغلغل بين طبقات الشعب المسلم لدعوته وتوعيته.

● تفرقت هذه الجماعة بعد موت المؤسس وانقسمت إلى ثلاثة أقسام رئيسة متنافرة:

● قسم التحق بحزب(*) السلامة.

● وقسم التزم الحياد.

● وقسم ثالث عادى حزب السلامة (حزب الرفاه) متحالفاً مع حزب العدالة الذي يرأسه ديميريل ويملك هذا القسم كل وسائل الدعم والتأييد. وهناك محاولة واسعة لتخريب أفكار شبابه. ومن ذلك مجموعة يني آسيا جي لر مصدرو صحيفة يني آسيا التي اشتركت مع صحيفة أخرى اسمها يني نسل في التشهير بحزب السلامة حزب الرفاه وبزعيمه نجم الدين أربكان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ ليست جماعة النور إلا واحدة من الجماعات الإسلامية التي تنتسب لأهل السنة على العقيدة الماتريدية عقيدة تركيا والدولة العثمانية.

ـ سلكت الجماعة طريق التربية، وعملت على حفظ الإيمان في النفوس، وعليه فإنها تُشَبه بالطرق الصوفية من بعض الوجوه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ بدأت جماعة النور في المنطقة الكردية في ـ بارلا ـ غربي شرقي الأناضول، وامتدت إلى أرض روم وإسبارطة وما حولها ثم انتقلت إلى إستانبول.

ـ وصلت هذه الدعوة إلى كل الأراضي التركية واكتسحت كل التنظيمات القائمة على أرضها آنذاك.

ـ بلغ عدد أعضائها في حياة مؤسسها ما يزيد على النصف مليون شخص.

ـ لهذه الجماعة أنصار في كل من الباكستان والهند. وكذلك لها نشاط في أمريكا يتمثل في الطلاب الأتراك من أتباع هذه المدرسة الذين أسسوا معهداً باسم «معهد رسائل النور».

مراجع للتوسع:

ـ **بديع الزمان** (نظرة عامة عن حياته وآثاره)، مصطفى زكي عاشور.

ـ **النورسي** (حياته وبعض آثاره)، د. محمد سعيد رمضان البوطي.

ـ **الموسوعة الحركية** «جزءان»، فتحي يكن، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ـ **العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا**، عبدالكريم مشهداني، منشورات

المكتبة الدولية بالرياض، مكتبة الخافين بدمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا**، مصطفى محمد، طبع في ألمانيا الغربية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- **المثنوي العربي النورسي**، تحقيق إحسان قاسم الصالحي - العراق.

- **المثنوي النوري**، للنورسي، ترجمة الدكتور محمد عبدالسلام كفافي مع الشرح والدراسة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م.

- مقال عن بديع الزمان النورسي، **مجلة الأمة**، بقلم الدكتور عماد الدين خليل، عدد ذي الحجة ١٤٠٥هـ.

- **الرجل الصنم كمال أتاتورك**، تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الشركة المتحدة، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م.

- قام الشيخ سعيد بتأليف أكثر من (١٣٠) رسالة يعالج فيها مختلف المشكلات الدينية والروحية والنفسية والعقلية انطلاقاً من القرآن وتفسيره، وقد قام الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بترجمة عدد من هذه الرسائل إلى اللغة العربية منها:

١ - **قطوف أزاهير النور**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.

٢ - **الحشر**، دار الكتاب، بغداد، ١٩٨٣م.

٣ - **الآية الكبرى**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.

٤ - **الإنسان والإيمان**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥ - **حقائق الإيمان**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤م.

٦ - **زهرة النور**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤م.

٧ - **الملائكة**، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٤م.

٨ - **الشكر**، مكتبة القدس، بغداد، ١٩٨٤م.

٩ - **الشيوخ**، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٤م.

١٠ - **الإيمان وتكامل الإنسان**، مكتبة القدس، بغداد، ١٩٨٤م.

١١ - وللشيخ سعيد النورسي كذلك:

١ - **إشارات الإعجاز في مظان المجاز** (وهو أول مؤلف له باللغة العربية)..

٢ - **الصيقل الإسلامي**.

٣ - **التفكير الإيماني**.

٤ - **ذو الفقار**.

٥ ـ **رائد الشباب**.

٦ ـ **الخطبة الشامية**.

٧ ـ **الخطوات الست** (يتحدث فيه عن مؤامرات الإنجليز ودسائسهم، وقد أسهم هذا الكتاب في إشعال الثورة في النفوس ضد الإنجليز مما عجل بطردهم).

الفصل السابع

جماعات غالية

● مقدمة عامة ● جماعة التكفير والهجرة

مقدمة عامـة

الإسلام هو دين استمرار الحياة بكل آلامها في ظل استشراف أعظم الآمال فيها، وهو أمل العقيدة الصافية، والوجود الإنساني الكريم. وهو دين الوسطية، ودين المزاوجة الحقيقية بين المادة والروح، والمثال والواقع، والأهداف والوسائل. إنه دين التوازن الذي لا غلو(*) فيه، ولا تشدد معه، ولا تنطع في رحابه. وأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة، كما أن الإسلام وسط بين الديانات الأخرى، فدين الله تعالى وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وتتجلى وسطية أهل السنة(*) في سائر أبواب الدين(*) سواء في التلقي أو الاعتقاد أو السلوك والأخلاق(*) والمنهاج. وهذه الوسطية التي يتميز بها أهل السنة(*) حازوها بسبب اهتمامهم بالعلم والفقه في دين الله، مع العدل والإنصاف مع الآخرين.

والغلو ومجاوزة الحد من مظاهر الانحراف التي وقعت من بعض طوائف أهل القبلة في القديم والحديث، وكان لظهور هذا الغلو جملة أسباب منها:

١ ـ الجهل بدين الله واتباع المتشابه وسوء فهم نصوص الشرع.

٢ ـ الطعن في سلف الأمة ورد فهمهم وفقههم.

٣ ـ مقابلة الجفاء والتفريط الواقع من الطرف الآخر.

ولقد كان لظهور الغلو والغالين، أسوأ الأثر على الإسلام والمسلمين وكان لا بد لهذه الموسوعة أن توقف الشباب المسلم على أهم الجماعات الغالية حتى يختط كل مسلم لنفسه طريق الوسطية في ظل الشريعة الإسلامية بلا إفراط ولا تفريط.

٣٧ـ جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)

التعريف:

● جماعة المسلمين كما سمت نفسها، أو جماعة التكفير والهجرة كما أطلق عليها إعلاميًا، هي جماعة إسلامية غالية نهجت نهج الخوارج في التكفير(*) بالمعصية، نشأت داخل السجون المصرية في بادىء الأمر، وبعد إطلاق سراح أفرادها، تبلورت أفكارها، وكثر أتباعها في صعيد مصر، وبين طلبة الجامعات خاصة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تبلورت أفكار ومبادىء جماعة المسلمين التي عرفت بجماعة التكفير والهجرة في السجون المصرية وخاصة بعد اعتقالات سنة ١٩٦٥م التي أعدم على إثرها سيد قطب وإخوانه بأوامر من جمال عبد الناصر ـ حاكم مصر آنذاك.

● لقد رأى المتدينون المسلمون داخل السجون من ألوان العذاب ما تقشعر من ذكره الأبدان، وسقط الكثير منهم أمامهم شهداء بسبب التعذيب، دون أن يعبأ بهم القساة الجبارون. في هذا الجو الرهيب ولد الغلو ونبتت فكرة التكفير(*) ووجدت الاستجابة لها.

● في سنة ١٩٦٧م طلب رجال الأمن من جميع الدعاة المعتقلين تأييد رئيس الدولة جمال عبد الناصر فانقسم المعتقلون إلى فئات:

ـ فئة سارعت إلى تأييد الرئيس ونظامه بغية الإفراج عنهم والعودة إلى وظائفهم، وزعموا أنهم يتكلمون باسم جميع الدعاة، وهؤلاء كان منهم العملاء وثبت أنهم طابور خامس داخل الحركة الإسلامية، وثمة نوع آخر ليسوا عملاء بالمعنى وإنما هم رجال سياسة التحقوا بالدعوة بغية الحصول على مغانم كبيرة.

ـ أما جمهور الدعاة المعتقلين فقد لجؤوا إلى الصمت ولم يعارضوا أو يؤيدوا باعتبار أنهم في حالة إكراه.

ـ بينما رفضت فئة قليلة من الشباب موقف السلطة وأعلنت كفر(*) رئيس الدولة ونظامه، بل اعتبروا الذين أيدوا السلطة من إخوانهم مرتدين عن الإسلام، ومن لم يكفرهم فهو كافر، والمجتمع بأفراده كفار لأنهم موالون للحكام وبالتالي لا ينفعهم صوم ولا صلاة. وكان إمام هذه الفئة ومهندس أفكارها الشيخ علي إسماعيل.

ومن أبرز شخصيات هذا الجماعة:

● الشيخ علي إسماعيل: كان إمام هذه الفئة من الشباب داخل المعتقل، وهو أحد خريجي الأزهر، وشقيق الشيخ عبد الفتاح إسماعيل أحد الاثنين اللذين تم إعدامهما مع الأستاذ سيد قطب، وقد صاغ الشيخ علي مبادىء العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أطر شرعية حتى تبدو وكأنها أمور شرعية لها أدلتها من الكتاب والسنة، ومن حياة الرسول، ﷺ، في الفترتين: المكية والمدنية، متأثراً في ذلك بأفكار الخوارج(*)؛ إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته من تلك الأفكار التي كان ينادي بها.

- شكري أحمد مصطفى (أبو سعد) من مواليد قرية الحواتكة بمحافظة أسيوط ١٩٤٢م، أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين الذين اعتقلوا عام ١٩٦٥م لانتسابهم لجماعة الإخوان المسلمين، وكان عمره وقتئذ لا يتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً.

- تولى قيادة الجماعة داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ علي إسماعيل.

- في عام ١٩٧١م أفرج عنه، وبعد أن حصل على بكالوريوس الزراعة بدأ التحرك في مجال تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته. ولذلك تمت مبايعته أميراً للمؤمنين وقائداً لجماعة المسلمين - على حد زعمهم - فعين أمراء للمحافظات والمناطق واستأجر العديد من الشقق كمقار سرية للجماعة بالقاهرة والإسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي.

- في سبتمبر ١٩٧٣م أمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية واللجوء إلى المغارات الواقعة بدائرة أبي قرقاص بمحافظة المنيا بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض، تطبيقاً لمفاهيمهم الفكرية حول الهجرة(*).

- في ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣م اشتبه في أمرهم رجال الأمن المصري فتم إلقاء القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة في قضية رقم ٦١٨ لسنة ٧٣ أمن دولة عليا.

- في ٢١ إبريل ١٩٧٤م عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣م صدر قرار جمهوري بالعفو عن شكري مصطفى وجماعته، إلا أنه عاود ممارسة نشاطه مرة أخرى، ولكن هذه المرة بصورة مكثفة أكثر من ذي قبل، إذ عمل على توسيع قاعدة الجماعة، وإعادة تنظيم صفوفها، وقد تمكن من ضم أعضاء جدد للجماعة من شتى محافظات مصر، كما قام بتسفير مجموعات أخرى إلى خارج البلاد بغرض التمويل، مما مكن لانتشار أفكارهم في أكثر من دولة.

ـ هيأ شكري مصطفى لأتباعه بيئة متكاملة من النشاط، وشغلهم بالدعوة والعمل والصلوات والدراسة، وبذلك عزلهم عن المجتمع، إذ أصبح العضو يعتمد على الجماعة في كل احتياجاته، ومن ينحرف من الأعضاء يتعرض لعقاب بدني، وإذا ترك العضو الجماعة اعتُبِرَ كافراً، إذ اعتبر المجتمع خارج الجماعة كله كافراً. ومن ثم يتم تعقبه وتصفيته جسديًّا.

ـ على الرغم من أن شكري مصطفى كان مستبداً في قراراته، إلا أن أتباعه كانوا يطيعونه طاعة عمياء بمقتضى عقد البيعة(*) الذي أخذ عليهم في بداية انتسابهم للجماعة.

ـ وكما هو معلوم وثابت أن هذه الجماعة جوبهت بقوة من قبل السلطات المصرية وبخاصة بعد مقتل الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري السابق، وبعد مواجهات شديدة بين أعضاء الجماعة والسلطات المصرية تم القبض على المئات من أفراد الجماعة وتقديمهم للمحاكمة في القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م التي حكمت بإعدام خمسة من قيادات الجماعة على رأسهم شكري مصطفى، وماهر عبد العزيز بكري، وأحكام بالسجن لمدد متفاوتة على باقي أفراد الجماعة.

ـ في ٣٠ مارس ١٩٧٨م صبيحة زيارة السادات للقدس تم تنفيذ حكم الإعدام في شكري مصطفى وإخوانه.

ـ بعد الضربات القاسية التي تلقتها الجماعة اتخذت طابع السرية في العمل، الأمر الذي حافظت به الجماعة على وجودها حتى الآن، ولكنه وجود غير مؤثر ولا ملحوظ لشدة مواجهة تيار الصحوة الإسلامية من أصحاب العقيدة والمنهج(*) السلفي(*) لهم بالحوار والمناظرات سواء كان داخل السجون والمعتقلات أم خارجها، مما دفع الكثير منهم إلى العودة إلى رشده والتبرؤ من الجماعة.

● ماهر عبد العزيز زناتي (أبو عبد الله) ابن شقيقة شكري مصطفى ونائبه في قيادة الجماعة بمصر، وكان يشغل منصب المسؤول الإعلامي للجماعة، أعدم مع شكري في قضية الشيخ محمد حسين الذهبي رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م. وله كتاب **الهجرة**.

الأفكار والمعتقدات:

● إن التكفير(*) عنصر أساسي في أفكار ومعتقدات هذه الجماعة.

ـ فهم يكفرون كل من ارتكب كبيرة(*) وأصر عليها، ولم يتب منها، وكذلك يكفرون(*) الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل، ويكفرون المحكومين؛ لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم، أيضا، بإطلاق ودون تفصيل، أما العلماء فيكفرونهم؛ لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك، كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم

يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ويبايع(*) إمامهم. أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال دمه، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين(*).

- وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع(*) حتى ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس(*) أو بالمصلحة المرسلة(*) أو بالاستحسان(*) ونحوها فهو في نظرهم مشرك كافر.

- والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر(*) وجاهلية(*) لتقديسها لصنم التقليد(*) المعبود من دون الله، فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين(*).

- قول الصحابي وفعله ليس بحجة ولو كان من الخلفاء الراشدين.

● والهجرة(*) هي العنصر الثاني في فكر الجماعة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية. والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية - في رأيهم - كما عاش الرسول، ﷺ، وصحابته الكرام في الفترة المكية.

- يجب على المسلمين في هذه المرحلة الحالية من عهد الاستضعاف الإسلامي أن يمارسوا المفاصلة الشعورية(*) لتقوية ولائهم للإسلام من خلال جماعة المسلمين - التكفير والهجرة - وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفوا عن الجهاد(*) حتى تكتسب القوة الكافية.

● لا قيمة عندهم للتاريخ الإسلامي؛ لأن التاريخ هو أحسن القصص الوارد في القرآن الكريم فقط.

● لا قيمة، أيضاً، لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد؛ لأن كبار علماء الأمة في القديم والحديث - في زعمهم - مرتدون عن الإسلام.

● قالوا بحجية الكتاب والسنة فقط، ولكن كغيرهم من أصحاب البدع الذين اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه، وما خالفها تحايلوا في رده أو رد دلالته.

● دعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطيء لحديث «نحن أمة أمية...»، فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد إسلامية كانت أو غير إسلامية؛ لأنها مؤسسات الطاغوت(*) وتدخل ضمن مساجد الضرار.

- أطلقوا أن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام، فما العلم إلا ما يتلقونه في حلقاتهم الخاصة.

● قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعات بالمساجد؛ لأن المساجد كلها ضرار وأئمتها كفار إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى ولا يصلون فيها، أيضاً، إلا إذا كان الإمام منهم.

● يزعمون أن أميرهم شكري مصطفى هو مهدي هذه الأمة المنتظر، وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته ما لم يحقق على يد محمد، ﷺ، من ظهور للإسلام على جميع الأديان(*).

ـ وعليه فإن دور الجماعة يبدأ بعد أن تدمّر الأرض بمن عليها بحرب كونية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي تنقرض بسببها الأسلحة الحديثة كالصواريخ والطائرات وغيرها ويعود القتال كما كان في السابق رجلاً لرجل بالسلاح القديم من سيوف ورماح وحراب . . .

● ادَّعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة، والاجتهاد(*) المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سلفاً وخلفاً.

ـ وأهم كتاب كشف عن أسرار دعوتهم وعقيدتهم هو ـ **ذكرياتي مع جماعة المسلمين** ـ التكفير والهجرة ـ لأحد أعضاء الجماعة عبد الرحمن أبو الخير الذي تركهم فيما بعد.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن قضية تكفير المسلم قديمة، ولها جذورها في تاريخ الفكر الإسلامي منذ عهد الخوارج(*). وقد تركت آثاراً علمية وعملية لعدة أجيال. وقد استيقظت هذه الظاهرة لأسباب عدة ذكرها العلماء، ويمكن إجمالها فيما يلي:

ـ انتشار الفساد والفسق والإلحاد(*) في المجتمعات الإسلامية دونما محاسبة من أحد، لا من قبل الحكام ولا من قبل المجتمعات الإسلامية المسحوقة تحت أقدام الطغاة والظالمين.

ـ محاربة الحركات(*) الإسلامية الإصلاحية من قبل حكام المسلمين، وامتلاء السجون بدعاة الإسلام واستخدام أقسى أنواع التعذيب، مع التلفظ بألفاظ الكفر(*) من قبل المعذبين والسجانين.

ـ ظهور وانتشار بعض الكتب الإسلامية التي ألفت في هذه الظروف القاسية وكانت تحمل بذور هذا التفكير، واحتضان هذا الفكر من هذه الجماعة ـ التكفير والهجرة ـ وطبعه بطابع الغلو(*) والعنف.

ـ ويعد أساس جميع ما تقدم: ضعف البصيرة بحقيقة الدين(*) والاتجاه الظاهري في

فهم النصوص والإسراف في التحريم والتباس المفاهيم وتميع عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة(*) لدى بعض قادة الحركة الاسلامية، بالإضافة إلى اتباع المتشابهات وترك المحكمات وضعف المعرفة بالتاريخ والواقع وسنن الكون والحياة ومنهج(*) أهل السنة والجماعة.

أماكن الانتشار:

انتشرت هذه الجماعة في معظم محافظات مصر وفي منطقة الصعيد على الخصوص، ولها وجود في بعض الدول العربية مثل اليمن والأردن والجزائر... وغيرها.

يتضح مما سبق:

أن هذه الجماعة هي جماعة غالية أحيت فكر الخوارج(*) ، بتكفير كل من ارتكب كبيرة(*) وأصر عليها، وتكفير(*) الحكام بإطلاق ودون تفصيل؛ لأنهم لا يحكمون بشرع الله. وتكفر المحكومين لرضاهم بهم بدون تفصيل، وتكفر العلماء لعدم تكفيرهم أولئك الحكام. كما أن الهجرة(*) هي العنصر الثاني في تفكير هذه الجماعة، ويقصد بها اعتزال المجتمع الجاهلي عزلة مكانية وعزلة شعورية، وتتمثل في اعتزال معابد الجاهلية(*) (يقصد بها المساجد) ووجوب التوقف والتبين بالنسبة لآحاد المسلمين بالإضافة إلى إشاعة مفهوم الحد الأدنى من الإسلام. ولا يخفى مدى مخالفة أفكار ومنهج هذه الجماعة لمنهج أهل السنة والجماعة(*) في مصادر التلقي والاستدلال وقضايا الكفر(*) والإيمان وغير ذلك مما سبق بيانه.

مراجع للتوسع:

(١) **كتب ورسائل الجماعة**: (مخطوطات غير مطبوعة).

- **رسالة الحجيات** شكري مصطفى «أبو سعد».
- **رسالة التوسمات** شكري مصطفى «أبو سعد».
- **كتاب الخلافة** شكري مصطفى «أبو سعد».
- **رسالة الهجرة** ماهر البكري «أبو عبدالله».
- **رسالة إجمال تأويلهم والرد عليها** «أبو عبدالله».
- **ذكرياتي مع جماعة المسلمين ـ التكفير والهجرة** ـ عبد الرحمن أبو الخير الكويت ١٩٨٠م.

(ب) كتب ورسائل لغير الجماعة:

- **الأصولية في العالم العربي** - ريتشارد جرير دكمجيان دار الوفاء - المنصورة.
- **ظاهرة الغلو في التكفير**، د. يوسف القرضاوي دار الاعتصام القاهرة.
- **الحكم وقضية تكفير المسلم**، سالم البهنساوي - الكويت ١٩٨١م.
- **دعاة لا قضاة**، حسن الهضيبي، القاهرة ١٩٧٧م.
- **الغلو في الدين** - عبد الرحمن اللويحق المطيري.
- **ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة** - عبدالله القرني.
- **الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو** - محمد سرور بن نايف زين العابدين.
- **التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته** - نعمان السامرائي.
- **تحكيم القوانين** - محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
- **حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة** - إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- **الإيمان الأوسط** - ابن تيمية.
- **أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** اللالكائي.
- **التكفير والهجرة وجهاً لوجه** - رجب مختار مذكور.
- **مناظرة الشيخ الألباني مع جماعة التكفير بالأردن** - (كاسيت).
- **مناقشة كتاب حد الإسلام وحد الإيمان** - محمد بن إسماعيل المقدم (كاسيت) «سلسلة قضايا الكفر والإيمان».

الفصل الثامن

جماعات تدعو لإعادة الخلافة

● مقدمة عامة ● حزب التحرير ● الجماعة الإسلامية في مصر

مقدمة عامة

تمثل الخلافة(*) الإسلامية في وجدان كثير من المسلمين، أملاً إسلامياً عظيماً، ويعني الرجوع إليها في نظر دعاة عودة الخلافة مفاهيم عديدة منها:

١ ـ إصلاح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها من ربط بين الدين(*) والدولة وجعل إمام المسلمين قائد مسيرة حياتهم الإيمانية والعلمية.

٢ ـ تأكيد صلاحية الإسلام كدين ودولة للتعامل مع مستجدات الحياة، بل وتأكيد انتصارات المسلمين، وبيان ذلك أن الفتوحات الإسلامية العظيمة لم تتم إلا في ظل الخلافة الإسلامية.

٣ ـ إثبات الهوية الذاتية للأمة الإسلامية.

٤ ـ تأكيد أن الإسلام بطابعه المتميز والمتفرد يحتاج إلى سلطان يزع به الله ما لا يمكن أن يزع بالقرآن تحقيقاً لسيادة العقيدة وارتفاع لواء الإسلام، وعلو شأن الدولة الإسلامية.

وإذا كانت الخلافة تجسد كل هذه المعاني في ذهن أنصارها فقد كان لزاماً علينا أن نقدم في هذه الموسوعة(*) عرضاً لأفكار بعض أنصارها من خلال حزب(*) التحرير والجماعة الإسلامية في مصر.

فهل يستطيع فكرهما أن يحقق أهداف إعادة الخلافة(*) الإسلامية؟ هذا ما نترك استخلاصه لقارىء الموسوعة.

٣٨ـ حزب التحرير

التعريف:

حزب(*) التحرير حزب سياسي إسلامي يدعو إلى تبني مفاهيم الإسلام وأنظمته وتثقيف الناس به والدعوة إليه والسعي جديًّا لإقامة دولة الخلافة(*) الإسلامية معتمداً الفكر أداة رئيسة في التغيير. وقد صدرت عنه اجتهادات شرعية عديدة كانت محل انتقاد جمهرة علماء المسلمين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني ١٣٢٦ ـ ١٣٩٧هـ، ١٩٠٨ ـ ١٩٧٧م فلسطيني، من مواليد قرية إجزم قضاء حيفا بفلسطين. تلقى تعليمه الأولي في قريته ثم التحق بالأزهر ثم دار العلوم بالقاهرة، وعاد ليعمل مدرساً فقاضياً في عدد من مدن فلسطين.

ـ إثر نكبة ١٩٤٨م غادر وطنه مع أسرته إلى بيروت.

ـ عُين بعد ذلك عضواً في محكمة الاستئناف الشرعية في بيت المقدس، ثم مدرساً في الكلية الإسلامية في عَمَّان.

ـ في عام ١٩٥٢م أسس حزبه وتفرغ لرئاسته ولإصدار الكتب والنشرات التي تعد في مجموعها المنهل الثقافي الرئيسي للحزب. تنقل بين الأردن وسوريا ولبنان إلى أن كانت وفاته في بيروت وفيها دفن.

● بعد وفاة النبهاني، ترأس الحزب عبدالقديم زلوم وهو من مواليد مدينة الخليل بفلسطين، وهو عالِم من خريجي الأزهر، وصاحب كتاب **هكذا هُدِمَتْ الخلافة** وكتاب **الأموال في دولة الخلافة**.

● بناء على طلب تقدم به كل من: علي فخر الدين، طلال البساط، مصطفى صالح، مصطفى النحاس ومنصور حيدر، فقد تأسس فرع للحزب في لبنان بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٣٧٨هـ.

● الشيخ أحمد الداعور: من قلقيلية بفلسطين وهو عالِم من خريجي الأزهر، وكان مسؤولاً عن فرع الحزب(*) في الأردن، ألقي القبض عليه عام ١٩٦٩م إثر محاولة الحزب الاستيلاء على الحكم، وحكم عليه بالإعدام ثم ألغي هذا الحكم.

● الشيخ عبدالعزيز البدري من علماء بغداد وداعية إسلامي مشهور قتله حزب البعث.

● المحامي الأستاذ عبد الرحمن المالكي من دمشق وهو صاحب كتاب **السياسة الاقتصادية المثلى** وكتاب **نظام العقوبات**.

● الأستاذ غانم عبده المقيم في عمّان حاليًّا وصاحب كتاب **نقض الاشتراكية الماركسية**.

● في شهر أغسطس ١٩٨٤م أعلن عن تقديم ٣٢ شخصاً من المنتمين إلى حزب التحرير إلى المحاكمة في مصر وذكر أن زعماء هؤلاء الذين وجهت إليهم تهمة العمل على قلب نظام الحكم هم: عبد الغني جابر سليمان (مهندس)، صلاح الدين محمد حسن (دكتوراه في الكيمياء). ويقيمان في النمسا، والفلسطيني كمال أبو لحية (دكتوراه في الإلكترونيات). ويقيم في ألمانيا الاتحادية آنذاك، وعلاء الدين عبد الوهاب حجاج (بجامعة القاهرة).

الأفكار والمعتقدات:

● تقوم غايتهم على استئناف الحياة الإسلامية عن طريق إقامة الدولة الإسلامية في البلدان العربية أولاً ثم الخلافة(*) الإسلامية، ويتم حمل الدعوة بعد ذلك إلى البلدان غير الإسلامية عن طريق الأمة المسلمة.

● الميزة الرئيسية التي يتصف بها الحزب هي التركيز الكبير على الناحية الثقافية والاعتماد عليها في إيجاد الشخصية الإسلامية أولاً والأمة الإسلامية آخراً، ويحرص الحزب أشد الحرص على تنمية هذه الناحية لدى المنتسبين إليه.

● يركز الحزب على إعادة الثقة بالإسلام عن طريق العمل الثقافي من ناحية، والعمل السياسي من ناحية أخرى:

ـ العمل الثقافي: «ويكون بتثقيف الملايين من الناس تثقيفاً جماعيًّا، بالثقافة الإسلامية، وهذا يوجب على الحزب أن يتقدم أمام الجماهير ويتصدى لمناقشتهم وأسئلتهم وشكوكهم ليظفر بتأييدهم حتى يصهرهم بالإسلام». من كتاب **مفاهيم أساسية** ص ٨٧).

ـ العمل السياسي: «ويكون برصد الحوادث والوقائع، وجعل هذه الحوادث والوقائع تنطق بصحة أفكار الإسلام وأحكامه وصدقها فتحصل الثقة لدى الجماهير بذلك». نداء حار ص٩٦

● يفلسف الحزب(*) طريقة وصوله إلى تحقيق أهدافه بما يراه من أن أي مجتمع إنما يعيش الناس فيه داخل جدارين سميكين: جدار العقيدة والفكر، وجدار الأنظمة التي تعالج علاقات الناس وطريقتهم في العيش، فإذا أريد قلب هذا المجتمع من قبل أهله أنفسهم فلا بد أن يركز هجومه على الجدار الخارجي (أي مهاجمة الأفكار) مما يؤدي إلى صراع فكري،

إذ يحصل الانقلاب الفكري ثم السياسي، ويصر الحزب في دعوته على قاعدة «أصلح المجتمع يصلح الفرد ويستمر إصلاحه».

● يقسم الحزب مراحل عملية التغيير إلى ثلاث مراحل على النحو التالي:

ـ المرحلة الأولى: الصراع الفكري، ويكون بالثقافة التي يطرحها الحزب.

ـ المرحلة الثانية: الانقلاب الفكري، ويكون بالتفاعل مع المجتمع عن طريق العمل الثقافي والسياسي.

ـ المرحلة الثالثة: تسلم زمام الحكم، ويكون عن طريق الأمة، تسلماً كاملاً.

ـ ويرى أنه لا بد له في المرحلة الثالثة من طلب النصرة من رئيس الدولة، أو رئيس كتلة، أو قائد جماعة، أو زعيم قبيلة، أو من سفير، أو ما شاكل ذلك.

● حدد الحزب أولاً مدة ثلاثة عشر عاماً من تاريخ تأسيسه للوصول إلى الحكم، ثم مددها ثانياً إلى ثلاثة عشر عاماً من تاريخ تأسيسه للوصول إلى الحكم، ثم مددها ثالثاً إلى ثلاثة عقود من الزمان (٣٠ سنة) مراعاة للظروف والضغوط المختلفة، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث على الرغم من مضي المدتين.

● يغفل الحزب الأمور الروحية وينظر إليها نظرة فكرية إذ يقول: «ولا توجد في الإنسان أشواق روحية ونزعات جسدية، بل الإنسان فيه حاجات وغرائز لا بد من إشباعها». «فإذا أُشبعت هذه الحاجات العضوية والغرائز بنظام من عند الله كانت مسيَّرة بالروح، وإذا أُشبعت بدون نظام أو بنظام من عند غير الله كان إشباعاً ماديًّا يؤدي إلى شقاء الإنسان».

● يرى الشيخ تقي الدين أن الصعوبات التي تعترض قيام الدولة الإسلامية هي:

ـ وجود الأفكار غير الإسلامية وغزوها للعالم الإسلامي (الغزو الفكري).

ـ قيام البرامج التعليمية على الأساس الذي وضعه المستعمر واستمرار تطبيقها.

ـ وجود نوع من الإكبار لبعض المعارف الثقافية واعتبارها علوما عالمية.

ـ كون المجتمع في العالم الإسلامي يحيا حياة غير إسلامية.

ـ بُعْد الشقة بين المسلمين وبين الحكم الإسلامي، إذ لا تنفذه أي دولة تنفيذاً كاملاً في سياسة الحكم وسياسة المال خاصة، إذ يؤثر هذا البعد فيجعل تصور المسلمين للحياة الإسلامية ضعيفاً.

ـ وجود حكومات في البلاد الإسلامية تقوم على أساس ديمقراطي(*)، وتطبق النظام الرأسمالي كله على الشعب، وترتبط بالدول الأجنبية وتقوم على الإقليمية.

ـ وجود رأي عام منبثق عن الوطنية والاشتراكية بعيداً عن مفاهيم الإسلام.

● يُحرّم الحزب(*) على أعضائه الاعتقاد بعذاب القبر، وبظهور المسيح الدجال، ومن يعتقد هذا في نظرهم يكون آثماً.

● يرى زعماء الحزب عدم التعرض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ذلك لديهم من معوقات العمل المرحلي الآن، فضلاً عن أن هذا الأمر والنهي إنما هما من مهمات الدولة الإسلامية عندما تقوم.

● للحزب دستور مؤلف من ١٨٧ مادة معدٌّ للدولة الإسلامية المتوقعة، وقد شُرح هذا الدستور شرحاً مفصلاً، وعلى الرغم من أن هذا الدستور لم يطبق تطبيقاً فعليًا فقد وجه إليه النقد بأنه لا يفي بتصور واحتياجات دولة الإسلام المعاصرة.

هذا ويأخذ الدارسون على الحزب عدة أمور منها:

أولًا: قضايا دعوية:

- تركيزه على النواحي الفكرية والسياسية، وإهماله النواحي التربوية والروحية.
- انشغال أفراد الحزب بالجدل(*) مع الاتجاهات الإسلامية الأخرى كافة.
- إعطاء العقل(*) أهمية زائدة في بناء الشخصية وفي الجوانب العقائدية.
- اعتماد الحزب على عوامل خارجية في الوصول إلى الحكم، عن طريق طلب النصرة التي قد يكون فيها تورط غير متوقع.
- تخليه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاليًا حتى تقوم الدولة الإسلامية التي تنفذ الأحكام بقوة السلطان.
- يتصور القارىء لفكر الحزب(*) أن همه الأول هو الوصول إلى الحكم.
- المحدودية في الغايات والاقتصار على بعض غايات الإسلام دون بعضها الآخر.
- تصوُّر أن مرحلة التثقيف ستنقلهم إلى مرحلة التفاعل فمرحلة تسلم الحكم، وهذا مخالف لسنة الله في امتحان الدعوات، ومخالف للواقع المحفوف بآلاف المعوقات.
- معاداة جميع الأنظمة التي يتحركون فوق أرضها مما ورطهم في حملات اعتقالات دائمة ومستمرة، ولعل السرية الشديدة وطموحهم للوصول إلى الحكم هو السبب في تخوف الأنظمة منهم وملاحقتهم دون هوادة. وإن كانت الملاحقة قد شملت كل التوجهات الإسلامية في معظم بلدان العالم الإسلامي.

ثانياً: قضايا فقهية:

- قام الحزب بإصدار فتاوى وإعطاء أحكام فقهية غريبة عن الفقه والحس الإسلاميَّيْنِ

وألزم أتباعه بتبني هذه الأحكام والعمل على نشرها، ومن ذلك:

- قوله بجواز عضوية غير المسلم، وعضوية المرأة في مجلس الشورى.
- إباحته النظر إلى الصور العارية.
- إباحته تقبيل المرأة الأجنبية بشهوة وبغير شهوة فضلاً عن مصافحتها.
- قوله بجواز أن تلبس المرأة الباروكة أو البنطال وأنها لا تكون ناشزة إذا لم تطع زوجها في التخلي عن ذلك.
- قوله بجواز أن يكون القائد في الدولة المسلمة كافراً.
- قوله بجواز دفع الجزية من قبل الدولة المسلمة للدولة الكافرة.
- قوله بجواز القتال تحت راية شخص عميل تنفيذاً لخطة دولة كافرة مادام القتال قتالاً للكفار.
- قوله بسقوط الصلاة عن رجل الفضاء المسلم.
- قوله بسقوط الصلاة والصوم عن سكان القطبين.
- قوله بالسجن عشر سنوات لمن تزوج بإحدى محارمه حرمة مؤبدة.
- قوله بأن الممرات المائية بما فيها قناة السويس ممرات عامة لا يجوز منع أية قافلة من المرور فيها.
- قوله بجواز الركوب في وسائل المواصلات (البواخر والطائرات..) التي تملكها شركات أجنبية مع تحريم هذا الركوب إن كانت مملوكة لشركات أصحابها مسلمون؛ لأن الأخيرة ليست أهلاً للتعاقد في نظره.
- تفسيره ملكية الأرض بمعنى زراعتها، والذي يهملها ولا يزرعها لمدة ثلاث سنوات تؤخذ منه وتعطى لغيره، ولا يجوز تأجير الأرض للزراعة عندهم إطلاقاً.
- يرون أن كنز المال حرام ولو أخرجت زكاته.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- كانت للمؤسس أفكار قومية إذ أصدر سنة ١٩٥٠م كتاباً بعنوان **رسالة العرب** وانعكس هذا على ترتيب أولويات إقامة الدولة الإسلامية في البلدان العربية أولاً ثم الإسلامية.
- كان النبهاني في بداية أمره على صلة بالإخوان المسلمين في الأردن، يلقي محاضرته في لقاءاتهم، ويثني على دعوتهم وعلى مؤسسها الشيخ حسن البنا، لكنه ما لبث أن أعلن عن قيام حزبه مستقلاً فيه تأسيساً وتنظيراً.
- ناشده الكثيرون العدول عن هذه الدعوة، ومن أولئك الأستاذ سيد قطب حين زيارته

للقدس عام ١٩٥٣م فقد ناقشه كثيراً ودعاه إلى توحيد الجهود لكنه أصر على موقفه.
ـ وكانت حجته دائماً ردًّا على المطالبين بتوحيد الحركات(*) الإسلامية، أن الاختلاف هو الأصل في فهم النصوص الظنية الدلالة في الإسلام، وأن الوحدة التي فرضها الإسلام هي الوحدة السياسية في كيان واحد وليست الوحدة في الرأي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ ركز الحزب نشاطه في البداية على الأردن وسوريا ولبنان، ثم امتد نشاطه إلى مختلف البلدان الإسلامية، وأخيراً وصل نشاطه إلى أوربا وخاصة النمسا وألمانيا.
ـ كانت للحزب صحيفة أسبوعية تصدر في الأردن اسمها **الراية**، ثم صودرت وأعقبها صدور **الحضارة** في بيروت وقد توقفت أيضاً.
ـ يسمي الحزب الأقطار التي يعمل فيها باسم الولايات، ويقود التنظيم في كل ولاية لجنة خاصة به تسمى لجنة الولاية وتتشكل من ٣ ـ ١٠ أعضاء.
ـ تخضع لجان الولايات لمجلس القيادة السري.

ويتضح مما سبق:

أن حزب التحرير حزب(*) سياسي إسلامي يدعو إلى إقامة دولة الخلافة(*) الإسلامية، ويرى أنه لا يمكن تغيير المجتمع وقلبه إلا من خلال مهاجمة فكره، إذ يحدث الانقلاب الفكري ثم السياسي. ويؤخذ على هذا الحزب مخالفة عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة(*) في تقديم العقل(*) على النصوص الشرعية موافقة لأهل الكلام من المعتزلة وغيرهم مما دفعه لإنكار عذاب القبر وظهور المسيح الدجال، بالإضافة إلى إهماله الجوانب التربوية وتخليه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن تقوم الدولة الاسلامية، وإصداره فتاوى غريبة عن الفقه والحس الإسلاميين.

مراجع للتوسع:

● من كتب الحزب:

ـ الفكر الإسلامي، هكذا هدمت الخلافة، نظام الإسلام، النظام الاقتصادي في الإسلام، نظام الحكم في الإسلام، الدستور الإسلامي، نقطة الانطلاق، التكتل الحزبي، مفاهيم سياسية لحزب التحرير، كتاب التفكير، كتاب الخلافة، سرعة البديهة، نقد النظرية الاشتراكية، الشخصية الإسلامية، نداء حار إلى العالم الإسلامي.

● **كتب لغير الحزب:**

- **الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية**، د. صادق أمين - جمعية عمال المطابع - عَمَّان - ١٩٧٨م.
- **الموسوعة الحركية** جزءان، فتحي يكن - ط ١ دار البشير - عمان - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الطريق إلى جماعة المسلمين**، حسين بن محسن بن علي جابر - ط١ - دار الدعوة - الكويت - ١٤٠٥هـ/ ١٩٦٩م.
- **الموسوعة الفلسطينية**، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية - طبع في مطابع ميلانو ستامبا الإيطالية - ط١ - دار الدعوة - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **الفكر الإسلامي المعاصر**، غازي التوبة، ط١ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **مشكلات الدعوة والداعية**، فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٣ - ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **الدوسية**، (وهي الأمور التي يتبناها الحزب).
- **نص نقد مشروع الدستور الإيراني** المطروح للمناقشة في لجنة الخبراء ونص الدستور الإسلامي المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله اللذان قدمهما حزب التحرير إلى آية الله الخميني ولجنة الخبراء ٧ شوال ١٣٩٩هـ/ ٣٠ آب ١٩٧٩م.

٣٩ـ الجماعة الإسلامية بمصر

التعريف:

هي جماعة إسلامية نشأت في الجامعات المصرية تدعو إلى الجهاد(*): الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين لإقامة الدولة الإسلامية وإعادة المسلمين إلى الإسلام، ثم الانطلاق لإعادة الخلافة(*) الإسلامية من جديد. ويطلق عليها إعلاميًا اسم «جماعة الجهاد»، إلا أنها تختلف عن جماعات الجهاد من حيث الهيكل التنظيمي وأسلوب الدعوة والعمل بالإضافة إلى بعض الأفكار والمعتقدات.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● نشأت الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية في أوائل السبعينات على شكل جمعيات دينية إبان فترة ركود الحركة الإسلامية، لتقوم ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية البسيطة في محيط الطلاب. ومع ذلك فإنها كانت قليلة العدد ضعيفة المجهود في هذا الوقت الذي كانت تسيطر فيه الاتجاهات الماركسية والقومية الناصرية على الحياة الجامعية وخصوصاً في جامعات القاهرة ـ عين شمس ـ الإسكندرية ـ أسيوط.

● نمت هذه الجماعة الدينية داخل الكليات الجامعية، واتسعت قاعدتها، وتطور مفهومها ونظرتها للعمل الإسلامي، فاجتمع نفر من القائمين على هذا النشاط واتخذوا اسم: «الجماعة الإسلامية» ووضعوا لها بناءً تنظيميًا يبدأ من داخل كل كلية من حيث وجود مجلس للشورى على رأسه أمير وينتهي بمجلس شورى الجامعات وعلى رأسه الأمير العام «أمير أمراء الجماعة الإسلامية».

● في أعقاب حرب رمضان ١٣٩٣هـ أكتوبر ١٩٧٣م اتخذ العمل الإسلامي داخل الجامعات المصرية بُعداً أوسع، واستطاعت الجماعة الإسلامية قيادة الحركة الطلابية، والفوز بثقة الأغلبية الصامتة من جماهير الطلاب في انتخابات الاتحادات الطلابية، وذلك في كل الجامعات المصرية تقريباً.

● ومن هنا زادت وتعددت أنشطة الجماعة الإسلامية الثقافية والتربوية من اللقاءات والندوات والمعسكرات بل زاد الاهتمام بحلول المشكلات الاجتماعية للطلاب وتعدى الأمر أسوار الجامعات فزاد الاهتمام بمشكلات المجتمع اليومية.

● في عام ١٩٧٧م انشق بعض قيادات الجماعة بعد انضمامهم لجماعة الإخوان المسلمين التي بدأت تعاود نشاطها في ذلك الوقت مما أدى إلى وجود تيار للجماعة الإسلامية يمثله الإخوان وذلك في بعض كليات جامعتي القاهرة والإسكندرية، ولكنه قليل العدد محدود التأثير، بينما التيار الآخر للجماعة الإسلامية والأكثر عدداً وتأثيراً يمثله التيار السلفي(*) وكان مستحوذاً على كل الجامعات تقريباً الذي استطاع تحجيم نفوذ العلمانيين والنصارى في الصعيد بوجه خاص.

● كان للجماعة العديد من المواقف السياسية برزت في موقفها من معاهدة كامب ديفيد وزيارة الشاه وبعض وزراء الكيان الصهيوني لمصر فأقامت المؤتمرات والمسيرات ووزعت المنشورات خارج أسوار الجامعة للتنديد بذلك والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية(*) مما أدى إلى تدخل الحكومة في سياسات الاتحادات الطلابية، فأصدرت لائحة جديدة لاتحادات الطلاب تعرف بلائحة ١٩٧٩م التي قيدت الحركة الطلابية. وازداد الضغط الإعلامي والأمني على قيادات الجماعة واشتدت مطاردتهم في جامعات الصعيد بوجه خاص، حيث تم اعتقال بعض قيادتهم وفصلهم من الجامعة.

● في عام ١٩٧٩م التقى كرم زهدي ـ عضو مجلس شورى الجماعة ـ بالمهندس محمد عبدالسلام فرج العضو في إحدى فصائل تنظيم الجهاد وعضو مجلس شورى الجماعة فيما بعد وصاحب كتاب **الفريضة الغائبة** الذي عرض على كرم زهدي فكرة الجهاد(*) وأن الحاكم قد كفر(*) وخرج عن الملة(*) فوجب الخروج عليه وخلعه وتغيير النظام، وأن لتنظيمه تشكيلاته المتفرعة، ثم عرض عليه فكرة اشتراكهم مع التنظيم للتخطيط لإقامة الدولة الإسلامية.

● عرض كرم زهدي الفكرة على مجلس شورى الجماعة في صعيد مصر الذي يرأسه الدكتور ناجح إبراهيم فوافق المجلس على أن يكون هناك مجلس شورى عام ومجلس شورى القاهرة، وعلى أن يتولى إمارة الجماعة أحد العلماء العاملين الذين لهم مواقفهم الصلبة ضد الطاغوت(*) (الدكتور/ عمر عبدالرحمن). وقد تم إقرار تشكيل الجناح العسكري وجهاز الدعوة والبحث العلمي والتجنيد وتطبيق القوانين الإسلامية وكذلك جهاز الدعم اللازم للحركة(*) في مجالاتها المتعددة. ومن هذه اللحظةانفصلت الجماعة عن توجهات التيار السلفي في الدعوة بشكل عام تحت مسمى الجماعة الإسلامية.

● اختير الشيخ الدكتور/ عمر عبد الرحمن أميراً للجماعة. وهو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع أسيوط، وقد سبق اعتقاله أثناء حكم جمال عبدالناصر واتهم في قضية قتل السادات بتهمة إمارة الجماعة «تنظيم(*) الجهاد» والإفتاء بحل دم

السادات إلا أن المحكمة برأته مما نسب إليه، وكذلك برأته من قضية الانتماء لتنظيم الجهاد، ومن ثم واصل نشاطه الدعوي متنقلاً بين المحافظات مشاركاً في المؤتمرات والندوات، عارضاً فكر الجماعة محمساً الشباب للجهاد(*) والخروج على نظام الحكم مما أدى إلى اعتقاله في العديد من المرات وتحديد إقامته بمنزله بالفيوم بعد أن اتهم بالتجمهر وتحريض المصلين على التجمهر بعد صلاة الجمعة، لكن محكمة أمن الدولة برأته، أيضاً، مما نسب إليه وحفظت القضية وأخيراً استطاع السفر إلى أمريكا ليقيم في ولاية نيوجرسي حيث يكثر أتباعه، ومما ينسب إليه: الفتيا بقتل فرج فودة الكاتب العلماني، وضرب حركة السياحة في مصر وتفجير مركز التجارة العالمي، الذي حكم عليه بالسجن في أمريكا بسببه.

● في ٦ أكتوبر ١٩٨١م إذ قام الجناح العسكري للجماعة بقيادة الملازم أول خالد أحمد شوقي الإسلامبولي وبصحبة زملائه عبد الحميد عبد السلام الضابط السابق بالجيش المصري والرقيب متطوع القناص حسين عباس محمد بطل الرماية وصاحب الرصاصة الأولى القاتلة والملازم أول احتياط عطا طايل حميده رحيل، بقتل أنور السادات أثناء احتفالات انتصارات أكتوبر بمدينة نصر بالقاهرة. وقد نسب للجماعة الإعداد لخطة تستهدف إثارة القلاقل والاضطرابات وللاستيلاء على مبنى الإذاعة والتليفزيون والمنشآت الحيوية بمحافظات مصر. وفي تلك الأثناء، وخلال هذه الأحداث قبض عليهم جميعاً، وقدموا للمحاكمة التي حكمت عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص، كما تم تنفيذ الحكم في زميلهم المهندس محمد عبدالسلام فرج صاحب كتاب **الفريضة الغائبة** بالإعدام شنقاً، وبعد حادث اغتيال أنور السادات حاكم مصر ظهرت الجماعة على الساحة بقوة.

● المقدم عبود عبد اللطيف الزمر: الضابط بسلاح المخابرات الحربية وعضو تنظيم الجهاد بالقاهرة الذي انضم مؤخراً إلى الجماعة الإسلامية بعد إزالة الخلافات في بعض وجهات النظر داخل سجن ليمان طرة بالقاهرة. ويذكر أنه اعترض أولاً على خطة قتل السادات لعدم مناسبة الوقت إلا أنه وافق أخيراً عليها لظروف خاصة، وقد حكم عليه فيما عرف بقضية تنظيم(*) الجهاد بأربعين سنة سجناً.

● في ٨ أكتوبر ١٩٨١م قام بعض أفراد الجناح العسكري للجماعة الإسلامية بمهاجمة مديرية أمن أسيوط ومراكز الشرطة واحتلال المدينة ودارت بينهم وبين قوات الأمن المصرية معركة حامية قتل فيها العديد من كبار رجال الشرطة والقوات الخاصة وانتهت بالقبض عليهم وعلى رأسهم الدكتور ناجح إبراهيم وكرم زهدي وعصام دربالة، والحكم عليهم فيما عرف في وقتها بقضية تنظيم الجهاد بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة ٢٥ عاماً.

● في بداية عام ١٩٨٤م وبعد الإفراج عن الكثير من أعضاء الجماعة من غير المتهمين في قضايا التنظيم، أعيد تنظيم الجماعة برئاسة محمد شوقي الإسلامبولي، ومن ثم زاد نشاطها في الدعوة إلى الله في المساجد ومن خلال اللقاءات والندوات والمعسكرات وبخاصة بين الشباب والطلبة في المدارس والجامعات في معظم محافظات مصر مستغلة الكسب الإعلامي لأحداث ١٩٨١م، داعية إلى الخروج على الحاكم وقتال الطائفة الممتنعة عن إقامة شرائع الإسلام، وقد دفع ذلك كله قوات الأمن المصرية إلى الصدام الدائم معهم، وإلقاء القبض على الكثير منهم وتعرضهم للتعذيب والتضييق الشديد، بل وصل الأمر إلى استخدام سياسة التصفية الجسدية ضدهم، مما أوجد بين أفراد الجماعة ردود فعل عنيفة راح ضحيتها الكثير من ضباط وجنود الشرطة وغيرهم.

● كان للجماعة دورها في الجهاد(*) الأفغاني، إذ قدمت العديد من الشهداء على أرض أفغانستان، من أبرزهم الشيخ علي عبدالفتاح أمير الجماعة بالمنيا سابقاً، ومن هناك أصدرت الجماعة مجلة **المرابطون**، وأقامت قواعد عسكرية لها.

ـ تنسب إلى الجماعة محاولات اغتيال بعض الوزراء ومسؤولي الحكومة والشرطة ومن أبرزهم الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصري والدكتور فرج فودة الكاتب العلماني، وذلك ردًّا على أسلوب الحكومة في التصفية الجسدية والعقاب الجماعي لأفراد الحركة(*) الإسلامية.

الأفكار والمعتقدات:

تبلورت معظم أفكار الجماعة الإسلامية في صورة كتب ورسائل داخل سجن ليمان طره ومن أهمها كتاب:

● **ميثاق العمل الإسلامي**: وهو دستور الجماعة ويمكن تلخيص ما ورد فيه من الأفكار فيما يلي:

ـ غايتنا: رضا الله تعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه، ﷺ.

ـ عقيدتنا: عقيدة السلف الصالح جملةً وتفصيلاً.

ـ فهمنا: نفهم الإسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنته، ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم.

ـ هدفنا:

١ ـ تعبيد الناس لربهم.

٢ ـ إقامة خلافة(*) على نهج النبوة(*).

ـ طريقنا: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد[*] في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الركون وتستوعب ما سبقها من تجارب.

ـ زادنا: تقوى وعلم، يقين وتوكل، شكر وصبر، زهد في الدنيا وإيثار للآخرة.

ـ ولاؤنا[*]: لله ورسوله وللمؤمنين.

ـ عداؤنا: للظالمين. على أن الكفر[*] منه أكبر وأصغر، وكذا الظلم منه أكبر وأصغر، فيوالى من عنده ظلم أصغر على قدر ما عنده من خير، ويعادى على قدر ما عنده من ظلم.

اجتماعنا: لغاية واحدة، بعقيدة واحدة، تحت راية فكرية واحدة.

● **الفريضة الغائبة، حكم قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام**، إذ يعتقدون:

ـ أن الجهاد[*] هو القتال أي المواجهة والدم، ولايقتصر الجهاد على الوسائل السلمية مثل الكتابة والخطابة والإعداد بتربية الأمة العلمية والفكرية أو بمزاحمة السياسيين في أحزابهم وأساليبهم السياسية، بل إن الاهتمام بالهجرة[*] يعد من الجبن والتخاذل ولن ينتصر المسلمون إلا بقوة السلاح وعلى المسلمين أن ينخرطوا في الجهاد مهما قل عددهم. وفي هذا الرأي تحجيم لمفهوم الجهاد في الإسلام ومن الأولى تسميته قتالاً أو خروجاً[١]، لأن الجهاد محمود في كل حال، بينما القتال ليس بمحمود في كل حال بل يختلف بحسب من يخرج عليه، وحسب اختلاف قصد الخارج. وفي القرآن الكريم ما يدل على ذلك، فالله لم يسم الحرب بين المؤمنين جهاداً بل سماها قتالاً، وكذا بوب العلماء أبواب قتال البغاة ووضعوا لها أحكاماً تختلف عن أحكام الجهاد[*].

ـ الطوائف المنتسبة للإسلام الممتنعة عن التزام بعض شرائعه تقاتل حتى تلتزم ما تركته من الشرائع، وكذلك قتال من عاونهم من رجال الشرطة ونحوهم وإن خرجوا مجبرين يقتلوا ويبعثوا على نياتهم.

ـ القتال ليس فقط لمن داهمنا في ديارنا واستولى على جزء من أرض الإسلام ولكنه

---

(١) وقد خالفوا بذلك أصلاً مؤداه أنه إذا ظهر من الإمام كفر بواح عليه من الله تعالى البرهان وجب الخروج عليه. ولكن هذا الخروج لا يطلق لآحاد الرعية، يقول إمام الحرمين الجويني في **غياث الأمم** ص١١٥، ١١٦: «ولكن هذا الخروج لا يطلق للآحاد من الأمة في أطراف البلاد أن يثوروا، فإنهم إن فعلوا ذلك اصطلموا وأبيروا وكان ذلك سبباً في زيادة المحن وإثارة الفتن. ولكن إن اتفق رجل مطاع ذو أتباع وأشياع، ويقوم محتسباً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وانتصب لكفاية المسلمين ما دفعوا إليه، فليمض في ذلك قدماً على الشرط المقدم، في رعاية المصالح والنظر في المناجح، وموازنة ما يدفع ويرتفع بما يتوقع». اهـ.

أيضاً لمن يقف بالسيف والسلطان في وجه دعوتنا رافضاً التخلية بيننا وبين الناس ندعوهم لدين الله ونحكمهم بشرع الله، لأن الاستعمار(*) هو العدو البعيد والحكام الكفرة هم العدو القريب فهم أولى من قتال العدو البعيد.

ـ قتال أي طائفة على وجه الأرض تحكم الناس بغير شرع الله كافرة كانت أو منتسبة للإسلام.

وعلى ذلك يرون حتمية المواجهة كما في رسالتهم **حتمية المواجهة** للأسباب الآتية:

ـ خلع الحاكم الكافر المبدِّل لشرع الله.

ـ قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام.

ـ إقامة الخلافة(*) وتنصيب خليفة للمسلمين.

ـ تحرير البلاد واستنقاذ الأسرى ونشر الدين(*).

● يحكمون على الديار المصرية وما شابهها بأنها ليست بدار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون أهلها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحق، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحق وعلى ذلك لا يكفرون الأمة إنما يكفرون الحكام الذين يبدلون ويعطلون شرائع الإسلام، وعليه لا يحرِّمون تولي الوظائف الحكومية مثل جماعة التكفير.

● يوجبون الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لآحاد الرعية بمراحله الثلاث، ولكن يؤخذ عليهم في ذلك عدم مراعاة الضوابط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وميلهم للاستعجال والقاعدة: «من تعجل الأمر قبل أوانه عوقب بحرمانه».

● تعارض الجماعة مشاركة الاتجاه الإسلامي في الحكومات العلمانية المعادية للإسلام إذ إن هذه المشاركة تترك مفاسد كثيرة وتوقع الجماهير العريضة في الحيرة والتضليل والشك، إذ إنها تدلل على شرعية الحكومة التي تصدر وتطبق القوانين الوضعية(*).

الجذور الفكرية:

● تعد الجماعة الإسلامية القرآن الكريم والسُّنة النبوية مصدري أفكارها، لذا فإنها تكثر من الاستشهاد بآيات الجهاد والأحاديث التي تحث على الجهاد.

● وكذلك تلجأ الجماعة إلى فتاوى العلماء وأبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) الذي ملئت كتاباتهم بأقواله وفتاواه.

● وكذلك تلجأ الجماعة الإسلامية إلى الوقائع التاريخية وأقوال العلماء أمثال ابن

القيم والقاضي عياض وابن كثير والنووي وسيد قطب لتدلل على أفكارها ومبادئها.

● ويؤخذ على الجماعة غلوها(*) في استخدام مصطلح الجهاد(*) وحصره في القتال فقط، في حين أن الجهاد في التصور الإسلامي الصحيح له معنى أوسع من معنى الحرب والقتال فقط، فهو يشمل كل سبل (الدعوة إلى الدين الحق) كما يقول الشريف الجرجاني في **التعريفات** ط١ القاهرة ١٩٣٨م.

وفي الحديث الشريف الذي رواه الترمذي: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**».

أماكن الانتشار:

● تتركز القوة الرئيسية للجماعة الإسلامية في الصعيد المصري وخاصة في محافظة أسيوط، ولها أنصار في كل المدن والجامعات المصرية. كما انتشر كثير من أتباعها في الدول الأخرى نتيجة لمطاردتهم من قبل الحكومة المصرية.

ويتضح مما سبق:

أن الجماعة الإسلامية تعد الجهاد هو الدواء الناجح والعلاج الناجع لإعادة الخلافة(*) الإسلامية للمسلمين، وترى أن إقامة الدولة الإسلامية، ومن ثم الخلافة، فرض عين، وتقول: إن حكام المسلمين الذين يرفضون تطبيق شريعة الله كفار يجب الخروج عليهم. ولا تكفر هذه الجماعة الأمة مثل جماعة التكفير والهجرة، وتعتقد أن الجهاد هو القتال، وهو قمة العبادة في الإسلام، أما الجهاد بالوسائل السلمية فقط فهو جبن وغباء.

ومن الجدير بالذكر أن هناك مجموعات أخرى عرفت باسم «تنظيم الجهاد» ودعت للخروج على الحاكم بالجهاد المسلح لتغيير نظام الحكم مثل «تنظيم الفنية العسكرية» عام ١٩٧٤م بقيادة صالح سرية وكارم الأناضولي وكذلك تنظيم «جهاد الإسكندرية» عام ١٩٧٦م، أو «تنظيم(*) سالم الرحال الأردني»، وليس لهذه التنظيمات علاقة بالجماعة الإسلامية.

مراجع للتوسع:

● مؤلفات ورسائل للجماعة:

ـ **كلمة حق** ـ د. عمر عبد الرحمن.

ـ **أصناف الحكام وأحكامهم** ـ د. عمر عبد الرحمن.

- **الفريضة الغائبة** ـ محمد عبد السلام.
- **ميثاق العمل الإسلامي** ـ د. ناجح إبراهيم، عاصم عبد الماجد ـ عصام الدين دربالة.
- **الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام** ـ عصام الدين دربالة.
- **حتمية المواجهة** ـ لجنة الأبحاث بالجماعة.
- **العذر بالجهل** ـ لجنة الأبحاث بالجماعة.
- **الذب عن الصحابة** ـ طلعت فؤاد.
- **شحذ الهمة في جمع شمل الأمة** ـ رفاعي طه.
- **الرد على فكر التكفير** ـ لجنة الأبحاث.
- **الرد على شبهات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ـ عبد الآخر حماد.
- **من نحن وماذا نريد؟** ـ لجنة الأبحاث.
- **أإله مع الله؟ إعلان الحرب على مجلس الشعب** ـ لجنة الأبحاث.
- **سلسلة الطريق إلى الله** ـ ناجح إبراهيم ـ كرم زهدي.
- **منهج جماعة الجهاد الإسلامي** ـ عبود الزمر.

● مجلات تصدرها الجماعة:

- مجلة **كلمة حق**.
- مجلة **صوت الأزهر**.
- مجلة **المسلمات**.
- مجلة **المرابطون**.

- **الجماعة الإسلامية ـ فكرة ومنهاجاً** ـ طلعت فؤاد قاسم «أبو طلال الأنصاري» «شريط فيديو».

● مؤلفات ورسائل لغير الجماعة:

- **العمدة في إعداد العدة** عبد القادر عبد العزيز.
- **تحصيل الزاد في تحقيق الجهاد** ـ د. سعيد عبد العظيم.
- **الشهادة** ـ صلاح أبو إسماعيل.
- **الغلو في الدين** ـ عبد الرحمن اللويحق المطيري.
- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ـ ياسر برهامي.
- **من قتل السادات** ـ حسين أبو اليزيد.

● أشرطة كاسيت:

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** - سيد سعد الدين الغباشي.
- **مراحل تشريع الجهاد** - د. محمد بن أحمد إسماعيل المقدم.

● مجـلات:

- مجلة **المجاهد** - أفغانستان.
- مجلة **صوت الدعوة** - تصدرها دار الهدى السلفية الإسكندرية العدد السادس.

الفصل التاسع

جماعات عنصرية

- أمة الإسلام في الغرب (البلاليون)
- الفراخانية

٤٠ـ أمة الإسلام في الغرب (البلاليون)

التعريف:

«أمة الإسلام»، حركة ظهرت بين السود في أمريكا، وقد تبنت الإسلام بمفاهيم خاصة غلبت عليها الروح العنصرية، وعرفت فيما بعد باسم (البلاليين) بعد أن صححت كثيراً من معتقداتها وأفكارها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الحركة والاس د. فارد Wallace D. Fard وهو شخص أسود غامض النسب، ظهر فجأة في ديترويت عام ١٩٣٠م داعياً إلى مذهبه بين السود، وقد اختفى بصورة غامضة في يونيو ١٩٣٤م.

● إليجابول Elijah Pool أو إليجا محمد ١٨٩٨ ـ ١٩٧٥م التحق بالحركة(*) وترقى في مناصبها حتى صار رئيساً لها وخليفة لفارد من بعده، زار السعودية عام ١٩٥٩م وتجول في تركيا وأثيوبيا والسودان والباكستان يرافقه ابنه والاس محمد الذي كان يقوم بالترجمة.

● مالكم إكس (مالك شباز): كان رئيساً للمعبد رقم ٧ بنيويورك. خطيب ومفكر قام برحلة إلى الشرق العربي وحج عام ١٩٦٣م، ولما عاد تنكر لمبادىء

الحركة العنصرية وخرج عليها وشكل فرقة عرفت باسم (جماعة أهل السنة). وقد اغتيل في ٢١ فبراير ١٩٦٥م.

● لويس فرخان Lewis Farrakhan الذي دخل في الإسلام عام ١٩٥٠م، وخلف مالكم إكس على رئاسة معبد رقم ٧ وهو، أيضاً، خطيب وكاتب ومحاضر، وهو على صلة قوية حاليًا بالعقيد القذافي، يدعو إلى قيام دولة مستقلة بالسود في أمريكا ما لم يحصلوا على حقوقهم الاجتماعية والسياسية كاملة.

● والاس و. محمد، الذي تسمى باسم وارث الدين محمد ولد في ديترويت ٣٠ أكتوبر ١٩٣٣م، وعمل رئيساً للحركة(*) في معبد فيلادلفيا ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠م وأدى فريضة الحج عام ١٩٦٧م، كما تكررت زياراته للمملكة العربية السعودية.

ـ انفصل عن الحركة وتخلى عن مبادىء والده عام ١٩٦٤م لكنه عاد إليها قبيل وفاة والده بخمسة أشهر آملاً في إدخال إصلاحات على الحركة من داخلها.

ـ حضر المؤتمر الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في نيويورك بولاية نيوجرسي ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ـ قام بزيارة للمركز الإسلامي بواشنطن في ديسمبر ١٩٧٥م.

ـ حضر على رأس وفد المؤتمر الإسلامي المنعقد في كندا عام ١٩٧٧م، وفي كل مرة منها كان يعلن عن صدق توجهه الإسلامي؛ وأنه سيسعى إلى تغيير المفاهيم الخاطئة في جماعته.

ـ زار المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٦م وتركيا وعدداً من بلاد الشرق، وكان يقابل كبار الشخصيات في البلاد التي يزورها.

ـ أعلن في عام ١٩٧٥م عن الشخصيات التي سيعتمد عليها في رئاسته للجماعة والذين من أبرزهم:

* مساعداه الخاصان كريم عبد العزيز والدكتور نعيم أكبر.

* المتحدث باسم المنظمة: عبد الحليم فرخان.

* مستشارون للنواحي الثقافية: د. عبد العليم شباز، د. فاطمة علي، فهمية سلطان.

* الأمين العام: جون عبد الحق.

* رئيس القيادة العسكرية: إليجا محمد الثاني.

● ريموند شريف: صار وزيراً للعدل بعد أن كان قائداً أعلى لحرس الحركة(*) المسمى ثمرة الإسلام Fruit of Islam ، ويرمز إليه بالرمز F. O. I. الذي تأسس منذ عام ١٩٣٧م.

● أمينة رسول: مسؤولة عن جهاز تطوير المرأة M. G. T..

● د. ميكل رمضان: الممثل لجميع لجان المساجد ورئيس لجنة التوجيه.

● ثيرون مهدي: الذي انضم للحركة عام ١٩٦٧م رئيساً لهيئة اكتشاف الفساد والآفات الاجتماعية بين أفراد الحركة التي تشكلت عام ١٩٧٦م تحت اسم Blight Arrest Pioneer Patrol ويرمز إليها بـ B.A.P.P. وهي بديلة عن الـ F.O.I..

● إبراهيم كمال الدين: المشرف على هيئة فرقة الأرض الحديثة N.E.T. New Earth Team للإشراف على مشروع الإسكان في الناحية الجنوبية من شيكاغو.

● سلطان محمد: أحد أحفاد إليجا محمد: يقال بأنه على فهم جيد للإسلام، وهو إمام في واشنطن، وكان يدرس الإسلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد توفي عام ١٤١٠هـ في الرياض.

● محمد علي كلاي: الملاكم العالمي المعروف: يقال بأن مالكم اكس هو الذي اجتذبه إلى الحركة، كما أنه كان أحد أعضاء المجلس الذي أنشأه والاس محمد بعد تسلمه رئاسة الحركة من أجل التخطيط للأمور المهمة في الجماعة.

الأفكار والمعتقدات:

لا بد من ملاحظة أن أفكار هذه الحركة(*) قد تطورت تدريجيًّا متأثرة بشخصية الزعيم الذي يدير أمورها، ولذا فإنه لا بد من تقسيم تطور الحركة إلى ثلاث فترات (انظر مادة الفرخانية).

أولاً: في عهد والاس د. فارد:

● عرفت المنظمة(*) منذ تأسيسها باسم «أمة الإسلام» (Nation of Islam) كما عرفت باسم آخر هو (أمة الإسلام المفقودة المكتشفة)، وبرزت أهم أهدافها فيما يلي:

- التأكيد على الدعوة إلى الحرية(*) والمساواة والعدالة والعمل على الرقيِّ بأحوال الجماعة.

- التركيز على تفوق العنصر الأسود وأصالته، والتأكيد على انتمائهم إلى الأصل الأفريقي والتهجمُ على البيض ووصفهم بالشياطين.

ـ العمل على تحويل أتباعها من التوراة(*) والإنجيل(*) إلى القرآن مع استمرار الأخذ من الكتاب المقدس(*) في بعض الأفكار.

أنشأ زعيمها منظمتين: واحدة للنساء أطلق عليها اسم (تدريب البنات المسلمات Training Muslim Girls)، ويرمز لها بالرمز (T. M. G.)، وأخرى للرجال أسماها (ثمرة الإسلام) بغية إيجاد جيش قوي يحمي الحركة ويدعم مركزها الاجتماعي والسياسي.

ثانياً: في عهد اليجا محمد:

● أعلن إليجا محمد أن الإله(*) ليس شيئاً غيبياً، بل يجب أن يكون متجسداً في شخص، وهذا الشخص هو فارد الذي حل فيه الإله، وهو جدير بالدعاء والعبادة. وقد أدخل بذلك مفاهيم باطنية(*) على فكر جماعته.

● اتخذ لنفسه مقام النبوّة(*)، وصار يتصف بلقب رسول(*) الله Messenger of Allah.

● حرم على أتباعه القمار وشرب الخمور والتدخين والإفراط في الطعام والزنى، ومنع اختلاط المرأة برجل أجنبي عنها، وحثهم على الزواج داخل أبناء وبنات الحركة ومنعهم من ارتياد أماكن اللهو والمقاهي العامة.

● الإصرار على إعلاء العنصر الأسود واعتباره مصدراً لكل معاني الخير، مع الاستمرار في ازدراء العرق الأبيض، ووصفه بالضعة والدونيّة، ولا شك أن الاكتتاب في الحركة مقصور على السود دون البيض بشكل قطعي لا مجال لمناقشته إطلاقاً.

● لا يؤمن إليجا محمد إلا بما يخضع للحس، وعليه فإنه لا يؤمن بالملائكة ولا يؤمن كذلك بالبعث الجسماني إذ إن البعث لديه ليس أكثر من بعث عقلي للسود الأمريكيين.

● لا يؤمن بختم الرسالة عند النبي(*) محمد، ﷺ، ويعلن أنه هو خاتم الرسل(*) إذ ما من رسول إلا ويأتي بلسان قومه، وهو أي ـ اليجا محمد ـ قد جاء نبياً يوحى إليه من قبل فارد بلسان قومه السود.

● يؤمن بالكتب السماوية، لكنه يؤمن بأن كتاباً خاصًّا سوف ينزل على قومه السود، والذي سيكون بذلك الكتاب السماوي الأخير للبشرية.

● الصلاة على عهده عبارة عن قراءة للفاتحة أو آيات أخرى ودعاء مأثور مع التوجه نحو مكة واستحضار صورة فارد في الأذهان، وهي خمس مرات في اليوم.

● صيام شهر ديسمبر من كل عام عوضاً عن صوم رمضان.

● يدفع كل عضو عُشْر دخله للحركة.
● ألّف عدداً من الكتب التي تبين أفكاره، منها:
- **رسالة إلى الرجل الأسود** (في أمريكا) Message to the Black Man.
- **منقذنا قد وصل** Our Saviour Has Arrived.
- **الحكمة العليا** Supreme Wisdom.
- **سقوط أمريكا** The Fall of America.
- **كيف تأكل لتعيش** How to Eat to Live.
● أنشأ صحيفة تنطق بلسانهم أسماها **محمد يتكلم** Muhammad Speaks.

ثالثاً: في عهد وارث الدين محمد:

● في ٢٤ نوفمبر ١٩٧٥م، اختار وارث الدين اسماً جديداً للمنظمة هو (البلاليون) نسبة لبلال الحبشي مؤذن رسول الله، ﷺ.
● ألغى وارث الدين في ١٩ يونيو ١٩٧٥م قانون منع البيض من الانضمام إلى الحركة، وفي ٢٥ فبراير ١٩٧٦م ظهر في قاعة الاحتفالات عدد من البيض المنضمين إليهم جنباً إلى جنب مع السود.
● العلم الأمريكي صار يوضع إلى جانب علم المنظمة بعد أن كان ذلك العلم يمثل الرجل الأبيض ذا العيون الزرقاء، الشيطان القوقازي.
● في ٢٩ أغسطس ١٩٧٥م صدر قرار بضرورة صوم رمضان والاحتفال بعيد الفطر.
● وفي ١٤ نوفمبر ١٩٧٥م تحول اسم الصحيفة من **محمد يتكلم** إلى **بلاليان نيوز** Bilalian News ثم أصبحت **الجريدة الإسلامية** The Muslim Jouranl.
● أعلن أن لقبه هو الإمام الأكبر بدلاً من رئيس الرؤساء، كما أنه غير كلمة رؤساء المعابد إلى كلمة إمام وقد حصر اهتمامه في الأمور الدينية، بينما وزع الأمور الأخرى على القياديين في الحركة.
● تم إعداد المعابد لتكون صالحة لإقامة الصلاة.
● أصدر في ٣ أكتوبر ١٩٧٥م أمراً بأن تكون الصلاة على الهيئة الصحيحة المعروفة لدى المسلمين خمس مرات في اليوم.
● التأكيد على الخلق الإسلامي والأدب والذوق وحسن الهندام ولبس الحشمة بالنسبة للمرأة.

● يقوم الدعاة في الحركة(*) بزيارة السجون لنشر الدعوة بين المساجين، وقد لاحظت سلطات الأمن أن السجين الأسود الذي يعرف عنه التمرد وعدم الطاعة داخل السجن يصبح أكثر استقامة وانضباطاً بمجرد دخوله في الإسلام، ومن هنا فإن السلطات تُسَرُّ بقيام الدعاة بدعوتهم هذه بين المسجونين.

● تصحيح المفاهيم الإسلامية، التي اعتنقتها الحركة منذ أيام فارد واليجا محمد بطريقة خاطئة، ومحاولة تصويبها.

● إن الأمور التي ذكرناها سابقاً لا تدل على أن الحركة(*) قد توجهت توجهاً إسلاميًّا صحيحاً تماماً، لكنها تدل على أن هناك تحسناً نوعيًّا قد طرأ على أفكار ومعتقدات الحركة قياساً على ما كانت عليه في عهد من سبقه. وهي لا تزال بحاجة إلى إصلاحات عقائدية وتطبيقية حتى تكون على الجادة الإسلامية.

● لقد اضطربت الأمور كثيراً بين قادة الحركة وكانت محصلة هذا الاضطراب أن أعلن وارث الدين في ٢٥ مايو ١٩٨٥م حل الجماعة وترك كل شعبة من شعبها تعمل بشكل منفرد، وفي كل يوم هناك جديد حول المصير الذي ستؤول إليه الحركة.

● هناك محاولات يقوم بها العقيد القذافي ومحاولات يقوم بها حكام إيران بغية احتواء الحركة وتسييرها وفق الأهواء الخاصة بكل منهما، وهناك شخصيات جديدة تظهر وزعامات تختفي وانقسامات قد تهدد الجميع.

● لقد عرفت الجماعة بعدد من الأسماء كان من آخرها أمة الإسلام في الغرب The Nation of Islam in the West.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● قامت هذه الحركة على أنقاض حركتين قويتين ظهرتا بين السود هما:

ـ الحركة المورية التي دعا إليها الزنجي الأمريكي تيموثي نوبل درو علي Timothy Drew Ali ١٨٨٦ ـ ١٩٢٩م الذي أسس حركته سنة ١٩١٣م، وهي دعوة فيها خليط من المبادىء الاجتماعية والعقائدية الدينية المختلفة وهم يعدون أنفسهم مسلمين لكن حركتهم أصيبت بالضعف إثر وفاة زعيمها.

ـ منظمة ماركوس جارفي Marcus Garvey ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠م الذي أسس منظمة سياسية للسود سنة ١٩١٦م تحت اسم Universal Negro Improvement Associtation وتتصف هذه الحركة بأنها نصرانية لكن على أساس جعل المسيح(*) أسود وأمه سوداء وقد أبعد زعيمها عن أمريكا سنة ١٩٢٥م مما أدى كذلك إلى اندثار هذه الحركة.

● لهذا يمكن أن يقال بأن هذه الحركة تنظر إلى الإسلام على أنه إرث روحي يمكن أن ينقذ السود من سيطرة البيض، ويدفع بهم إلى تشكيل أمة خاصة متميزة لها حقوقها ومكاسبها ومكانتها.

● تأثر المؤسس الرئيسي للحركة اليجا محمد بما في التوراة(*) والإنجيل(*) من أفكار بالإضافة إلى ما أخذه من الإسلام وإفرازات التمييز العنصري في الولايات المتحدة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يبلغ عدد السود في أمريكا أكثر من ٣٥ مليون نسمة منهم حوالي مليون مسلم.

● كانوا يسمون مساجدهم معابد Temples ولهم الآن ثمانون شعبة في مختلف المدن الأمريكية كما أن مدارسهم قد بلغت أكثر من ٦٠ معهداً في شتى أنحاء أمريكا، وتخصص الحصة الأولى كل يوم لتعليم الدين الإسلامي.

● يتركز المسلمون السود في ديترويت وشيكاغو وواشنطن ومعظم المدن الأمريكية الكبيرة ويحلمون بقيام دولة مستقلة، وهم يناصرون قضايا السود بعامة.

ويتضح مما سبق:

● أن أمة الإسلام في الغرب، حركة(*) مذهبية فكرية، ادعت انتسابها للإسلام، ولكنها أفرغته أمداً طويلاً من جوهره ومضمونه، ذلك أنها في عهدها الأول، وإن كانت قد دعت إلى تحويل أتباعها صوب القرآن الكريم إلا أنها أبقت على فكرة الاستمرار في الأخذ من التوراة والإنجيل. وفي عهدها الثاني اتبعت المفاهيم الباطنية(*) وقالت إن الإله(*) ليس شيئاً غيبيا وإنما يجب أن يتجسد شخصاً معيناً هو فارد الذي حل فيه الإله فعلاً كما يزعمون، وذهبت إلى عدم ختم الرسالة بمحمد، ﷺ، وبشرت بنزول كتاب سماوي على السود، وجعلت الصيام في شهر ديسمبر بديلاً عن صوم رمضان. وفي عهدها الثالث اتخذت هذه المنظمة اسماً جديداً هو: «البلاليون» نسبة إلى بلال الحبشي مؤذن الرسول، ﷺ. وقد أمر وارث الدين محمد بأن تكون الصلاة على الهيئة الصحيحة المعروفة، مع تصحيح المفاهيم الإسلامية السابقة لديهم، وبدأ الاتجاه الحقيقي لهم صوب الإسلام بمفهومه الحق.

مراجع للتوسع:

- **المسلمون الزنوج في أمريكا**، تأليف دكتور ج. أريك لنكولن ترجمة عمر الديراوي ـ دار العلم للملايين ـ ط١ بيروت ـ ١٩٦٤م.
- **الإسلام في أمريكا**، محمد يوسف الشواربي ـ لجنة البيان العربي ـ القاهرة ـ ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
- **منظمة إليجا محمد الأمريكية**، تأليف د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ـ ط١ ـ دار الشروق ـ جدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية**، عبدالله أحمد الداري ـ ط١ ـ مطبعة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ـ جدة ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الفرق الباطنية المعاصرة في الولايات المتحدة**، بلال فيليبس ـ رسالة ماجستير بكلية التربية بجامعة الملك سعود ـ الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- **المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية**، محمود أحمد شاكر ـ المكتب الإسلامي ـ ط١ ـ بيروت ـ ١٣٩٧هـ.
- **المسلمون في أوروبا وأمريكا**، د. علي المنتصر الكتاني ـ دار إدريس ـ ط١ ـ الرباط ـ ١٣٩٦هـ.
- مجلة: **المسلمون**، ٢٠/ ٩/ ١٤٠٥هـ ـ ٨/ ٦/ ١٩٨٥م.
- مجلة **المستقبل** ـ العدد ٤٢٢ في ٢٣ آذار ١٩٨٥م.
- جريدة **الجزيرة** السعودية عدد ١٦٨٣ في ١٢ المحرم ١٣٩٧هـ ـ ٢ يناير ١٩٧٧م.
- جريدة **أخبار العالم الإسلامي** عدد ٤٧٠ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٦هـ تصدر عن رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة وكذلك عدد ٥١٠ ـ ٢٠/ ١/ ١٣٩٧هـ.
- مجلة **المجتمع**، الكويت ـ عدد ٤٢٨ في ٢٨/ ٣/ ١٣٩٩هـ ـ ٣٠ مارس ١٩٧٩م.

٤١ـ الفراخانية

تعريف:

● هي إحدى الفرق الباطنية(*) السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية التي مازالت تتبع منهج اليجا محمد.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ولد مؤسسها لويس والكت لعائلة تشتغل بالتمثيل والغناء، وأصولها من جزر البحر الكاريبي.

ـ في عام ١٩٥٦م دخل في فرقة أليجا محمد الذي ادعى النبوة(*)، وأن معلمه فرد محمد هو الله المتجسد. ولما فتح مالكوم معبد محمد للإسلام رقم ١١ في بوسطن عين له لويس أكس واعظاً ومديراً.

ـ ألَّف لويس أكس بعض الأغاني والمسرحيات التي عرضت في جميع المعابد لأهميتها في بيان تعاليم أليجا محمد مما أكسبه شهرة واسعة.

ـ لما فصل أليجا محمد مالكوم أكس عين لويس في منصب الناطق الأول باسم الفرقة ولقبه بفراح خان ثم جعله واعظاً في أكبر المعابد وأخطرها، معبد محمد للإسلام رقم ٧ الذي كان يديره مالكوم قبل طرده.

ـ ولكن بعد هلاك أليجا محمد وتولي ولاس الزعامة عزل فراح خان من جميع مناصبه وجعله في منصب صوري في شيكاغو، وأثناء هذه الفترة كان لويس ينكر نبوة أليجا وألوهية فرد محمد تماشيا مع إنكار ولاس لهما.

ـ ولكن فرح خان استقال من ذلك المنصب ومن الفرقة إثر انسحاب المتنبيء سايلس في عام ١٩٧٧م.

ـ وعاد إلى نيويورك وجمع أتباعه السابقين تحت الدعوة إلى العودة إلى تعاليم أليجا الأصلية، وفتح له معابد في نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلوس وجمع أتباعاً فيها. وجعل لويس فراح خان شيكاغو مركزاً رسمياً لفرقته، وأصدر جريدة الفرقة التي سماها **النداء الأخير**، لإعادة بناء أمة الإسلام بالعودة إلى تعاليم أليجا محمد.

ـ أخذ فراح خان يتجول في الولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء المحاضرات في الجامعات والتحدث في جميع مناسبات السود وكثر ظهوره في التليفزيون والإذاعة.

ـ ولما كانت دعوته إلى إعادة بناء منظمة اليجا (أمة الإسلام) وإحياء تعاليمه صافية خالية من دعاوى خاصة لنفسه ـ كما فعل المتنبىء (سايلس) فقد استجاب له معظم أفراد أسرة أليجا.

ـ في عام ١٩٨١م أعاد نظام توزيع الأسماء المقدسة وافترض على الجميع أن يكتب كل شخص في الفرقة (رسالة المخلِّص) يشهد فيها أن لا إلهٰ إلا الله الذي جاء في صورة السيد فرد محمد وأن المكرم أليجا محمد رسول الله.

ـ اكتسب فراح خان شهرة كبيرة بمساندته للقس(*) الأسود جيسي جاكسون في حملاته الانتخابية.

الأفكار والمعتقدات:

● **عقائد الفراخانية:**

أثبت فراح خان تعاليم أليجا محمد كلها، ما عدا تغييرات بسيطة، دأب أن يذكر في آخر صفحة من جميع أعداد جريدة الفرقة **النداء الأخير** بابين تحت عنواني **ماذا يريد المسلمون وماذا يعتقد المسلمون؟!**، يضمنهما أهداف الفرقة الأليجية ومعتقداتها حرفيًّا كما كانت ترد في كل عدد من أعداد جريدة **محمد يتكلم** في عهد اليجا، كما يذكر في كل عدد مقالات أليجا المنقولة من أعداد **محمد يتكلم** القديمة.

● بعض عقائد الأليجية الأساسية التي أحياها فراح خان:

ـ أن الله قد خلق نفسه.

ـ أن جميع السود آلهة ويولد بينهم إله مطلق كل ٢٥ ألف سنة.

ـ أحد الآلهة السود المسمى يعقوب قد خلق الإنسان الأبيض نتيجة لبعض التجارب الوراثية.

ـ أن محمد بن عبد الله، ﷺ، أُرسل للعرب فقط وأليجا أرسله الله إلى سود أمريكا وأنه آخر المرسلين.

ـ ويعتقد فراح خان أنه هو المقصود بالحواري بطرس المعروف في المسيحية(*).
ويعتقد أنه لا يملك قوة الإحياء ولكن بواسطة صوت أليجا محمد سوف يحيي الأمة بأسرها.

ـ الإنسان الأبيض شيطان.

ـ الإنسان الأسود هو الذي ألَّف جميع الكتب السماوية.

ـ معظم تعاليم القرآن موجهة إلى الرسول أليجا محمد والسود في أمريكا.

ـ لا قيامة للأجساد بعد الموت، والبعث والقيام عبارة عن يقظة روحية لمن هم نيام من السود في قبور الأوهام، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة أليجا وإلهه والإيمان بهما.

ـ يقولون إذا كان العرب يعتقدون أن محمداً خاتم النبيين(*) يقيناً فيمكن أن نجتمع ونتناقش في الأدلة حتى نصل إلى كلمة سواء. إلا أنكم أيها العرب عنصريون ولم تتجاوزوا هذا الجانب من طبيعتكم التي تماثل طبيعة الإنسان الأبيض الذي هو شيطان، أنتم واليهود والبيض كلكم شياطين.

إضافات فراح خان:

ـ أما معتقدات فراح خان الجديدة حول أليجا فإنه ألَّه أليجا كما ألَّه المسيحيون عيسى، بل ادعى فراح خان أن أليجا هو عيسى المسيح.

ـ وادعى أن أليجا لم يمت بل بعثه الله حيًّا مع أن أليجا أنكر البعث الجسدي إنكاراً شديداً مطلقاً.

ـ يقول فراح خان: «إنما أنا هنا لأشهد أن المكرم أليجا محمد قد رفع، وأن عيسى الذي كنتم تبحثون عنه وتنتظرون عودته كان بين ظهرانيكم لمدة أربعين سنة، ولكنكم لم تعلموا من هو».

ـ ويقول: «إن المكرم أليجا محمد حيٌّ وهو مع الإله(*) سوية وعودته وشيكة الحدوث، وأشهد أن أحد إخوانكم أليجا من بينكم قد رفع إلى مقام محمود على يمين الإله، وجعل رب العالمين فيه السلطة التامة على طاقات الطبيعة».

ـ ويقول: «قد علّمنا المكرم أليجا محمد أننا (الرجل الأسود): مالك الأرض وخالقها وصفوة كائناته وإله الكون كله، فإن لم يكن المكرم أليجا محمد إلهاً فلا يمكن أن نصل إلى درجة الألوهية، وإن لم يبعث حيًّا فلا أمل فينا أن نبعث أحياء من موتنا الذهني والروحي والسياسي والاجتماعي».

نماذج من تأويلات فراح خان:

ـ بنى لويس فراح خان دعاويه في أليجا على تأويل(*) آيات قرآنية وفقرات من الكتاب المقدس تأويلاً عجيباً منها:

ـ يقول فراح خان ممهداً لدعواه إن أليجا محمد هو عيسى ابن مريم وذلك تأويلاً للآية ٤٤ من سورة آل عمران.

ـ أوّل مريم البتول إلى رمز يقصد به السود في أمريكا، إذ قال: أين نبحث عن عيسى هذا إن العبارة سوف تحمل بتول هي المفتاح لاكتشاف السر فإن كلمة (بتول) كما نفهمها في عالم المادة تعني امرأة لم يمسها رجل، ولكن كلمة (بتول) في الكتاب المقدس ترمز إلى أناس لم يلقحهم الإله(*)، والسود في أمريكا هم أناس بتوليون كما هو واضح من تصرفاتنا.

ـ وانتهت به تأويلاته إلى القول برفع أليجا اعتماداً على الآيتين ١٥٧، ١٥٨ من سورة النساء.

ـ ويقول: «أعلم أنكم تظنون أن أليجا محمد قد مات ولكنني أقف لكي أشهد للعالم أنه حي وبصحة جيدة وهو ذو نفوذ».

«إنني شاهد له وإننا شهداء له. وهو مكتوب في القرآن: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . . . إلخ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وفي مكان آخر يقول القرآن ﴿ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ أنه مات، وهذا هو مكر الله فوق مكر أعداء الله الأشرار في إشارة إلى قوله تعالى في الآية ١٥٧ من سورة النساء.

محاولات لإصلاح فكر فراح خان:

قام بزيارة إلى المملكة العربية السعودية، وعُقد لقاء بينه وبين بعض المسؤولين عن الدعوة في المملكة. وقد وعد خيراً وأظهر توجهاً للفهم وللمراجعة. ولكن عندما عاد إلى أمريكا بقيت نفس أفكاره وسلوكياته دون تغيير يذكر. وإن كان قد أصبح أقل إعلاناً لها، والذي يظهر أن الرجل غير مخلص ويبحث عن الزعامة وتتجاذبه عوامل عديدة. نسأل الله له ولكل ضال الهداية والعودة إلى الطريق المستقيم.

مراجع للتوسع:

ـ ينظر إلى مراجع البحث السابق «أمة الإسلام في الغرب ـ البلاليون».

الفصل العاشر

الحركات الباطنية والمناوئة للإسلام

● مقدمة عامة ● اليزيدية ● القرامطة ● الإسماعيلية ● النصيرية ● الدروز ● الحشاشون ● البابية والبهائية ● القاديانية ● الحزب الجمهوري في السودان ● الأحباش ● الأنصار ● الخمينية ● أمل

مقدمة عامة

كثرت الفرق الهدامة في دين اليهود والنصارى، واتجهت أنظارهم إلى الإسلام، فوجهوا سهام الفرقة والتفريق نحوه، واصطنعوا لأنفسهم نفراً من المسلمين، سوّغوا لهم الكيد لهذا الدين والنيل منه، تحت دعاوى ظاهرها التمسك بهذا الدين وباطنها هدم أصوله، من خلال تفسيرات باطنية(*) مدمرة، وتأويلات لا أساس لها من الدين(*) الخالص.

وهكذا نشأت الفرق والحركات الباطنية(*) المناوئة للإسلام والتي دأبت على تمزيق الدين وبذر بذور الخلاف فيه، بعد أن ظل المسلمون زمناً طويلاً لا يعرفون للمذاهب(*) الهدامة لدى غير أهل السنة(*) سبيلاً، ولا للفرق المدمرة لإجماع المسلمين ووحدتهم طريقاً.

وتنقسم هذه الفرق في الحقيقة إلى فرق ظاهرة وفرق خفية، وهدفها في الحالتين النيل من سبيل أهل السنة والجماعة(*)، والخروج على المسلّمات الجوهرية والأركان الأساسية للعقيدة الدينية. وهكذا ظهرت من الفرق الظاهرة فرق باطنية مناوئة للإسلام مثل اليزيدية والقرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدروز والحشاشين والبابية والبهائية والقاديانية

والحزب الجمهوري والأحباش والأنصار والخمينية وحركة أمل. ولقد كانت هذه الفرق ـ وستبقى ما بقيت اتجاهاتها ـ أداة للنيل من عقيدة التوحيد؛ لاتصال عنصر النفاق فيهم سلفا وخلفا، ودوراناً في فلك الدعوة النصرانية اليهودية التي تريد تفرق الإسلام إلى فرق عقدية وجماعات مذهبية مثل طوائف اليهود وفرق النصارى، وتحقيقاً لأهداف العلمانيين والماديين والشيوعيين المناوئين للإسلام وجميع ذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩].

وحتى تتضح أبعاد عقيدة هذه الفرق الضالة فإننا نقدم للشباب المسلم هذه الدراسة الموجزة عن كل فرقة من هذه الفرق المشار إليها آنفاً، راجين أن تتكشف أمامهم سبل الحق، حتى يصدروا أحكامهم عليهم وهم موقنون أنّه لا سبيل للنجاة إلا بالاعتصام التام بحبل الله المتين ودينه المبين وطريقه المستقيم، على ما كان عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة الصالح.

٤٢ـ اليزيدية

التعريف:

اليزيدية: فرقة منحرفة نشأت سنة ١٣٢هـ إثر انهيار الدولة الأموية. كانت في بدايتها حركة(*) سياسية لإعادة مجد بني أمية، ولكن الظروف البيئية وعوامل الجهل انحرفت بها فأوصلتها إلى تقديس يزيد بن معاوية وإبليس الذي يطلقون عليه اسم (طاووس ملك) وعزازيل.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● البداية: عندما انهارت الدولة الأموية في معركة الزاب الكبير (أو الأعلى) شمال العراق سنة ١٣٢هـ هرب الأمير إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد إلى شمال العراق وجمع فلول الأمويين داعياً إلى أحقية يزيد في الخلافة(*) والولاية، وأنه السفياني المنتظر الذي سيعود إلى الأرض ليملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

ويرجع سبب اختيارهم لمنطقة الأكراد ملجأ لهم إلى أن أم مروان الثاني ـ الذي سقطت في عهده الدولة الأموية ـ كانت من الأكراد.

● عدي بن مسافر: كان في مقدمة الهاربين من السلطة العباسية، فقد رحل من لبنان إلى الحكارية من أعمال كردستان، وينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم، ولقبه شرف الدين أبو الفضائل لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه التصوف، ولد سنة ١٠٧٣م أو ١٠٧٨م وتوفي بعد حياة مدتها تسعون سنة، ودفن في لالش في منطقة الشيخان بالعراق.

● صخر بن صخر بن مسافر: المعروف بالشيخ أبي البركات رافق عمه عدياً وكان خليفته ولما مات دفن بجانب قبر عمه في لالش.

● عدي بن أبي البركات: الملقب بأبي المفاخر المشهور بالكردي، توفي سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٧م.

● خلفه ابنه شمس الدين أبو محمد المعروف بالشيخ حسن: المولود سنة ٥٩١هـ/ ١١٥٤م وعلى يديه انحرفت الطائفة اليزيدية من حب يزيد وعدي بن مسافر إلى تقديسهما والشيطان إبليس، وتوفي سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م بعد أن ألف كتاب **الجلوة لأصحاب الخلوة** وكتاب **محك الإيمان** وكتاب **هداية الأصحاب** وقد أدخل اسمه في الشهادة كما نجدها اليوم عند بعض اليزيدية.

● الشيخ فخر الدين أخو الشيخ حسن: انحصرت في ذريته الرئاسة الدينية والفتوى.

● شرف الدين محمد بن الشيخ فخر الدين: قتل عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م وهو في طريقه إلى السلطان عز الدين السلجوقي.

● زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد: الذي سافر إلى مصر وانقطع إلى طلب العلم والتعبد فمات في التكية العدوية بالقاهرة سنة ٧٢٥هـ.

● بعد ذلك أصبح تاريخهم غامضاً بسبب المعارك بينهم وبين المغول والسلاجقة والفاطميين.

● ظهر خلال ذلك الشيخ زين الدين أبو المحاسن: الذي يرتقي نسبه إلى شقيق عدي أبي البركات، عين أميراً لليزيدية على الشام ثم اعتقله الملك سيف الدولة قلاوون بعد أن أصبح خطراً لكثرة مؤيديه، ومات في سجنه.

● جاء بعده ابنه الشيخ عز الدين، وكان مقره في الشام، ولقب بلقب أمير الأمراء، وأراد أن يقوم بثورة(*) أموية فقبض عليه عام ٧٣١هـ ومات في سجنه، أيضاً.

● استمر الحكام في اضطهاد اليزيديين، وبقيت منطقة الشيخان في العراق محط أنظارهم، وكان كتمان السر من أهم ما تميزت به هذه الفرقة.

● استطاع آخر رئيس للطائفة الأمير بايزيد الأموي أن يحصل على ترخيص بافتتاح مكتب للدعوة اليزيدية في بغداد سنة ١٩٦٩م بشارع الرشيد بهدف إحياء عروبة الطائفة الأموية اليزيدية ووسيلتهم إلى ذلك نشر الدعوة القومية مدعمة بالحقائق الروحية والزمنية وشعارهم عربي أموي القومية، يزيدي العقيدة.

● وآخر رئيس لهم هو الأمير تحسين بن سعد أمير الشيخان.

● ونستطيع أن نجمل القول بأن الحركة قد مرّت بعدة أدوار هي:

- الدور الأول: حركة أموية سياسية، تتبلور في حب يزيد بن معاوية.

- الدور الثاني: تحول الحركة إلى طريقة عدوية أيام الشيخ عدي بن مسافر الأموي.

- الدور الثالث: انقطاع الشيخ حسن ست سنوات، ثم خروجه بكتبه مخالفاً فيها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

- الدور الرابع: خروجهم التام من الإسلام وتحريم القراءة والكتابة ودخول المعتقدات الفاسدة والباطلة في تعاليمهم.

الأفكار والمعتقدات:

أولًا: مقدمة لفهم المعتقد اليزيدي:

● حدثت معركة كربلاء في عهد يزيد بن معاوية وقتل فيها الحسين بن علي رضي الله

عنهما وكثيرون من آل البيت ـ رضوان الله عليهم جميعاً .

● أخذ الشيعة يلعنون يزيداً ويتهمونه بالزندقة(*) وشرب الخمر .

● بعد زوال الدولة الأموية ، بدأت اليزيدية على شكل حركة(*) سياسية .

● أحب اليزيديون يزيد واستنكروا لعنه بخاصة .

● ثم استنكروا اللعن بعامة .

● وقفوا أمام مشكلة لعن إبليس في القرآن فاستنكروا ذلك ، أيضاً ، وعكفوا على كتاب الله يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن أو لعنة أو شيطان أو استعاذة بحجة أن ذلك لم يكن موجوداً في أصل القرآن ، وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين .

● ثم أخذوا يقدسون إبليس الملعون في القرآن ، وترجع فلسفة هذا التقديس لديهم إلى أمور هي :

ـ لأنه لم يسجد لآدم فهو بذلك ـ في نظرهم ـ يعد الموحد الأول الذي لم ينس وصية الرب بعدم السجود لغيره في حين نسيها الملائكة فسجدوا ، ولأن أمر السجود لآدم كان مجرد اختبار ، وقد نجح إبليس في هذا الاختبار ، فهو بذلك أول الموحدين ، وقد كافأه الله على ذلك بأن جعله طاووس الملائكة ، ورئيساً عليهم ! ! .

ـ ويقدسونه كذلك خوفاً منه لأنه قوي إلى درجة أنه تصدى للإله(*) وتجرأ على رفض أوامره ! ! .

ـ ويقدسونه كذلك تمجيداً لبطولته في العصيان والتمرد ! ! .

● أغوى إبليس آدم بأن يأكل من الشجرة المحرمة فانتفخت بطنه فأخرجه الله من الجنة .

● إن إبليس لم يطرد من الجنة ، بل إنه نزل من أجل رعاية الطائفة اليزيدية على وجه الأرض ! ! .

ثانياً: معتقداتهم:

● جرَّهم اعتبار إبليس طاووس الملائكة إلى تقديس تمثال طاووس من النحاس على شكل ديك بحجم الكفِّ المضمومة وهم يطوفون بهذا التمثال على القرى لجمع الأموال .

● وادي لالش في العراق : مكان مقدس يقع وسط جبال شاهقة تسمى بيت عذري ، مكسوة بأشجار من البلوط والجوز .

● المرجة في وادي لالش : تعد بقعة مقدسة ، واسمها مأخوذ من مرجة الشام ، والجزء الشرقي منها فيه ـ على حد قولهم ـ جبل عرفات ونبع زمزم .

● لديهم **مصحف رش** (أي الكتاب الأسود) فيه تعاليم الطائفة ومعتقداتها.

● الشهادة: أشهد واحد الله، سلطان يزيد حبيب الله.

● الصوم: يصومون ثلاثة أيام من كل سنة في شهر كانون الأول، وهي تصادف عيد ميلاد يزيد بن معاوية.

● الزكاة: تجمع بواسطة الطاووس، ويقوم بذلك القوالون وتجبى إلى رئاسة الطائفة.

● الحج: يقفون يوم العاشر من ذي الحجة من كل عام على جبل عرفات في المرجة النورانية في لالش بالعراق.

● الصلاة: يصلون في ليلة منتصف شعبان، وهي صلاة يزعمون أنها تعوضهم عن صلاة سنة كاملة.

● الحشر والنشر بعد الموت: سيكون في قرية باطط في جبل سنجار، إذ توضع الموازين بين يدي الشيخ عدي الذي سيحاسب الناس، وسوف يأخذ جماعته ويدخلهم الجنة.

● يقسمون بأشياء باطلة ومن جملتها القسم بطوق سلطان يزيد وهو طرف الثوب.

● يترددون على المراقد والأضرحة كمرقد الشيخ عدي والشيخ شمس الدين والشيخ حسن وعبد القادر الجيلاني، ولكل مرقد خدم، وهم يستخدمون الزيت والشموع في إضاءتها.

● يحرمون التزاوج بين الطبقات، ويجوز لليزيدي أن يعدد في الزواج إلى ست زوجات.

● الزواج يكون عن طريق خطف العروس أولاً من قبل العريس، ثم يأتي الأهل لتسوية الأمر.

● يحرمون اللون الأزرق لأنه من أبرز ألوان الطاووس.

● يحرمون أكل الخس والملفوف (الكرنب) والقرع والفاصوليا ولحوم الديكة وكذلك لحم الطاووس المقدس عندهم، لأنه نظير لإبليس طاووس الملائكة في زعمهم، ولحوم الدجاج والسمك والغزلان ولحم الخنزير.

● يحرمون حلق الشارب، بل يرسلونه طويلاً وبشكل ملحوظ.

● إذا رسمت دائرة على الأرض حول اليزيدي فإنه لا يخرج من هذه الدائرة حتى تمحو قسماً منها اعتقاداً منه بأن الشيطان هو الذي أمرك بذلك.

● يحرمون القراءة والكتابة تحريماً دينياً؛ لأنهم يعتمدون على علم الصدر فأدى ذلك

إلى انتشار الجهل والأمية بينهم، مما زاد في انحرافهم ومغالاتهم بيزيد وعدي وإبليس.

● لديهم كتابان مقدسان هما: **الجلوة** الذي يتحدث عن صفات الإله(*) ووصاياه والآخر **مصحف رش** أو **الكتاب الأسود** الذي يتحدث عن خلق الكون والملائكة وتاريخ نشوء اليزيدية وعقيدتهم.

● يعتقدون أن الرجل الذي يحتضن ولد اليزيدي أثناء ختانه يصبح أخاً لأم هذا الصغير وعلى الزوج أن يحميه ويدافع عنه حتى الموت.

● اليزيدي يدعو متوجهاً نحو الشمس عند شروقها وعند غروبها، ثم يلثم الأرض ويعفر بها وجهه، وله دعاء قبل النوم.

● لهم أعياد خاصة كعيد رأس السنة الميلادية وعيد المربعانية وعيد القربان وعيد الجماعة وعيد يزيد وعيد خضر إلياس وعيد بلندة، ولهم ليلة تسمى الليلة السوداء «شفرشك» حيث يطفئون الأنوار ويستحلون فيها المحارم والخمور.

● يقولون في كتبهم: «أطيعوا وأصغوا إلى خدامي بما يلقنونكم به، ولا تبيحوا به قدام الأجانب كاليهود والنصارى وأهل الإسلام؛ لأنهم لا يدرون ماهيته، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها عليكم وأنتم لا تعلمون».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● اتصل عدي بن مسافر بالشيخ عبد القادر الجيلاني المتصوف، وقالوا بالحلول والتناسخ ووحدة الوجود، وقولهم في إبليس يشبه قول الحلاج الذي اعتبره إمام الموحدين.

● يحترمون الدين(*) النصراني، حتى إنهم يقبلون أيدي القسس(*) ويتناولون معهم العشاء الرباني(*)، ويعتقدون بأن الخمرة هي دم المسيح(*) الحقيقي، وعند شربها لا يسمحون بسقوط قطرة واحدة منها على الأرض أو أن تمس لحية شاربها.

● أخذوا عن النصارى «التعميد»(*)، إذ يؤخذ الطفل إلى عين ماء تسمى «عين البيضاء» ليعمد فيها، وبعد أن يبلغ أسبوعاً يؤتى به إلى مرقد الشيخ عدي حيث زمزم فيوضع في الماء وينطقون اسمه عالياً طالبين منه أن يكون يزيديًّا ومؤمناً (بطاووس ملك) أي إبليس.

● عندما دخل الإسلام منطقة كردستان كان معظم السكان يدينون بالزرادشتية فانتقلت بعض تعاليم هذه العقيدة إلى اليزيدية.

● داخلتهم عقائد المجوس(*) والوثنية(*) فقد رفعوا يزيد إلى مرتبة الألوهية، والتنظيم عندهم (الله ـ يزيد ـ عدي).

● (طاووس ملك) رمز وثني لإبليس يحتل تقديراً فائقاً لديهم.

● أخذوا عن الشيعة «البراءة» وهي كرة مصنوعة من تراب مأخوذة من زاوية الشيخ عدي يحملها كل يزيدي في جيبه للتبرك بها، وذلك على غرار التربة التي يحملها أفراد الشيعة الجعفرية. وإذا مات اليزيدي توضع في فمه هذه التربة وإلا مات كافراً.

● عموماً: إن المنطقة التي انتشروا فيها تعج بالديانات المختلفة كالزرادشتية وعبدة الأوثان، وعبدة القوى الطبيعية، واليهودية، والنصرانية، وبعضهم مرتبط بآلهة آشور وبابل وسومر، والصوفية من أهل الخطوة، وقد أثرت هذه الديانات في عقيدة اليزيدية بدرجات متفاوتة، وذلك بسبب جهلهم وأميتهم مما زاد في درجة انحرافهم عن الإسلام الصحيح.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر هذه الطائفة التي تقدس الشيطان في سوريا وتركيا وإيران وروسيا والعراق ولهم جاليات قليلة العدد نسبيا في لبنان وألمانيا وبلجيكا.

● ويبلغ تعدادهم حوالي ١٢٠ ألف نسمة، منهم سبعون ألفاً في العراق والباقي في الأقطار الأخرى، وهم مرتبطون جميعاً برئاسة البيت الأموي.

● هم من الأكراد، إلا أن بعضهم من أصل عربي.

● لغتهم هي اللغة الكردية وبها كتبهم وأدعيتهم وتواشيحهم الدينية.

● لهم مكتب رسمي مصرح به وهو المكتب الأموي للدعوة العربية في شارع الرشيد ببغداد.

ويتضح مما سبق:

أن اليزيدية فرقة إسلامية منحرفة، قدست يزيد بن معاوية وإبليس وعزرائيل، ويترددون على المراقد والأضرحة ولهم عقيدة خاصة في كل ركن من أركان الإسلام، ولهم أعياد خاصة كعيد رأس السنة الميلادية، ويجيزون لليزيدي أن يعدد في الزوجات حتى ست إلى غير ذلك من الأقوال الضالة المضلة.

مراجع للتوسع:

- **اليزيدية**، تأليف سعيد الديوه جي.
- **اليزيديون في حاضرهم وماضيهم**، تأليف عبد الرزاق الحسني.
- **اليزيدية، أحوالهم ومعتقداتهم**، تأليف الدكتور سامي سعيد الأحمد.
- **اليزيدية وأصل عقيدتهم**، تأليف عباس العزَّاوي.

- **اليزيدية ومنشأ نحلتهم**، تأليف أحمد تيمور.
- **اليزيدية**، تأليف صديق الدملوجي.
- **اليزيديون**، تأليف هاشم البناء.
- **ما هي اليزيدية؟ ومن هم اليزيديون؟** تأليف محمود الجندي - مطبعة التضامن ط١ - بغداد ١٩٧٦م.
- **كرد وترك وعرب**، تأليف ادموندز - ترجمة جرجس فتح الله.
- **مباحث عراقية**، تأليف يعقوب سركيس.
- **الأكراد**، تأليف باسيل نيكتن.
- **مجموعة الرسائل والمسائل**، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **رحلتي إلى العراق**، تأليف جيمس بكنجهام - ترجمة سليم طه التكريتي.
- جريدة **التآخي** العراقية، بغداد ١٦/ ٩/ ١٩٧٤م.
- **العراق الشمالي**، تأليف الدكتور شاكر خصباك.
- **تاريخ الموصل**، تأليف سليمان الصايغ.

٤٣ـ القرامطة

التعريف:

القرامطة حركة باطنية(*) هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم(*) السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد(*) والإباحية وهدم الأخلاق(*) والقضاء على الدولة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يتضح لنا تطور الحركة من خلال دراسة شخصياتها الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية، وتركوا أثراً بارزاً على سيرها وتشكلها عبر مسيرة طويلة من الزمن:

ـ بدأ عبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرمطية بنشر المبادىء الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠هـ.

ـ ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبث الدعوة سرًّا.

ـ وفي سنة ٢٧٨هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً سماها دار الهجرة وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم.

ـ هرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة.

ـ استخلف ذكرويه أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج، وهزم في حمص، وسيق ذكرويه إلى بغداد وتوفي سنة ٢٩٤هـ.

ـ التف القرامطة في البحرين حول الحسن بن بهرام، ويعرف بأبي سعيد الجنابي الذي سار سنة ٢٨٣هـ إلى البصرة فهزم.

● قام بالأمر بعده ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام ويعرف بأبي طاهر الذي استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ٣٠ سنة، ويعد مؤسس دولة القرامطة الحقيقي ومنظم دستورها السياسي والاجتماعي، بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الإتاوة ومن أعماله الرهيبة أنه:

ـ فتك هو ورجاله بالحجاج حين رجوعهم من مكة ونهبوهم وتركوهم في القفر حتى هلكوا.

ـ ملك الكوفة أيام المقتدر ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ لمدة ستة أيام استحلها فيهم.

ـ هاجم مكة عام ٣١٩هـ، وفتك بالحجاج، وهدم زمزم، وملأ المسجد بالقتلى، ونزع الكسوة، وقلع باب البيت العتيق، واقتلع الحجر الأسود، وسرقه إلى الأحساء، وبقي الحجر هناك عشرين سنة إلى عام ٣٣٩هـ.

● توفي سليمان فآلت الأمور لأخيه الحسن الأعصم الذي قوي أمره واستولى على دمشق سنة ٣٦٠هـ، ثم توجه إلى مصر ودارت معارك له مع الخلافة الفاطمية، لكن الأعصم ارتد وانهزم القرامطة وتراجعوا إلى الأحساء.

● خلع القرامطة الحسن لدعوته لبني العباس، وأسند الأمر إلى رجلين هما جعفر وإسحاق اللذان توسعا، ثم دب الخلاف بينهما وقاتلهم الأصفر التغلبي الذي ملك البحرين والأحساء وأنهى شوكتهم ودولتهم.

● وللمجتمع القرمطي ملامحه المتميزة إذ تشكلت في داخله أربع طبقات اجتماعية متميزة:

ـ **الطبقة الأولى**: وتسميهم **رسائل إخوان الصفا**(*) «الإخوان الأبرار الرحماء» وتشمل الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين خمس عشرة وثلاثين سنة. وهم على استعداد لقبول الأفكار القرمطية عقيدة وتمثلاً في نفوسهم.

ـ **الطبقة الثانية**: ويعرفون بـ«الإخوان الأخيار الفضلاء» وتشمل من كانت أعمارهم بين الثلاثين والأربعين سنة وهي مرتبة الرؤساء ذوي السياسات، ويكلفون بمراعاة «الإخوان» وتعهدهم وإظهار العطف عليهم ومساعدتهم.

ـ **الطبقة الثالثة**: وتشمل أولئك الذين هم بين الأربعين والخمسين من العمر، ممن يعرفون الناموس الإلهي وفق المفهوم القرمطي، ويتمتعون بحق الأمر والنهي ودعم الدعوة القرمطية ودفع خصومها، وهؤلاء هم الذين ألفوا الرسائل العقائدية القرمطية وعمموها في الآفاق.

ـ **الطبقة الرابعة**: ويطلق على أصحاب هذه الطبقة اسم «المريدون» ثم «المعلمون» ثم «المقربون» إلى الله، وتشمل من تجاوزت أعمارهم الخمسين سنة؛ وهي أعلى المراتب القرمطية، ومن يبلغها يكن في نظر هذه الفرقة من الناموس والطبيعة ويصبح من أهل الكشف(*) اللدني، إذ يستطيع رؤية أحوال القيامة من البعث والنشور والحساب والميزان...

● حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلِموا من سيوفهم.

● ثم أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.

● يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه وأشاعوا أن ذلك يعمل على زيادة الألفة والمحبة (وهذا ما كان عليه المزدكيون الفارسيون من قبل).

● إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى.

● استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.

● يعتقدون في إبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد(*).

● ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاة وضعاف النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات، وأصبح القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض.

● يقولون بالعصمة وأنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:

- الصيام: الإمساك عن كشف السر.
- البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.
- النبي(*): عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.
- القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً.

● يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفرديَّ لكل منهم.

● يقولون بوجود إلهين(*) قديمين أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم فلا هو موصوف ولا غير موصوف.

● يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين.

● يقولون بالرجعة(*) وأن عليًّا يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على

حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.

● يعتقدون بأن الأئمة والأديان(*) والأخلاق(*) ليست إلا ضلالاً.

● يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوسية(*) والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● فلسفتهم مادية(*) تسربت إليها تعاليم الملاحدة والمتآمرين من أئمة الفرس.

● تأثروا بمبادىء الخوارج(*) الكلامية والسياسية ومذاهب الدهرية.

● يتعلقون بمذاهب الملحدين مثل مزدك وزرادشت.

● أساس معتقدهم ترك العبادات والمحظورات وإقامة مجتمع يقوم على الإباحية والشيوع في النساء والمال.

● فكرتهم الجوهرية هي حشد جمهور كبير من الأنصار ودفعهم إلى العمل لغاية يجهلونها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● دامت هذه الحركة(*) قرابة قرن من الزمان، وقد بدأت من جنوبي فارس، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن، وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية. وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين. هذا ومما يلاحظ الآن أن هناك كتابات مشبوهة تحاول أن تقدم حركة القرامطة وغيرها من حركات الردة على أنها حركات إصلاحية وأن قادتها رجال أحرار ينشدون العدالة والحرية(*).

ويتضح مما سبق:

أن هذه الحركة كان هدفها محاربة الإسلام بكل الوسائل، وذلك بارتكاب الكبائر(*) وهتك الأعراض وسفك الدماء والسطو على الأموال وتحليل المحرمات بين أتباعهم حتى يجمعوا عليهم أصحاب الشهوات والمراهقين وأسافل الناس، وتعد عقائدها نفسها عقائد الإسماعيلية مع خلاف في بعض النواحي التطبيقية التي لم يستطع الإسماعيلية تطبيقها خوفاً

من ثورة الناس عليهم. ويخرجهم من حظيرة الإسلام عقائدهم التالية:

أولاً: اعتقادهم باحتجاب الله في صورة البشر.

ثانياً: قولهم بوجود إلهين.

ثالثاً: تطبيقهم مبدأ إشاعة الأموال والنساء.

رابعاً: عدم التزامهم بتعاليم الإسلام في قليل أو كثير.

خامساً: فساد عقيدتهم في الوحي(*) والنبوة(*) والرسالة.

سادساً: انتهاكهم حرمات الإسلام بالاعتداء على الحجيج واقتحام الكعبة ونزع الحجر الأسود ونقله إلى مكان آخر.

سابعاً: إنكارهم للقيامة والجنة والنار.

مراجع للتوسع:

- **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، محمد بن مالك الحمادي اليماني.
- **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، محمد عبد الله عنان.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة.
- **المؤامرة على الإسلام**، أنور الجندي.
- **القرامطة**، عبد الرحمن بن الجوزي.
- **إسلام بلا مذاهب**، الدكتور مصطفى الشكعة.
- **الملل والنحل**، لأبي الفتح الشهرستاني.
- **فضائح الباطنية**، لأبي حامد الغزالي.
- **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر البغدادي.
- **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**، عبد الله الأمين.

٤٤ـ الإسماعيلية

التعريف:

الإسماعيلية فرقة باطنية(*)، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة. وقد مالت إلى الغلوِّ(*) الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفِّرون أعضاءَهَا.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

أولًا: الإسماعيلية القرامطية: (انظر بحث القرامطة من هذا الكتاب).

● كان ظهورهم في البحرين والشام بعد أن شقُّوا عصا الطاعة على الإمام الإسماعيلي نفسه ونهبوا أمواله ومتاعه فهرب من سلمية في سوريا إلى بلاد ما وراء النهر خوفاً من بطشهم. ومن شخصياتهم.

- عبد الله بن ميمون القداح، ظهر في جنوبي فارس سنة ٢٦٠هـ.
- الفرج بن عثمان القاشاني (ذكرويه) ظهر في العراق وأخذ يدعو للإمام المستور.
- حمدان قرمط بن الأشعث (٢٧٨هـ) جهر بالدعوة قرب الكوفة.
- أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج.
- الحسن بن بهرام (أبو سعيد الجنابي) ظهر في البحرين ويعد مؤسس دولة القرامطة.
- ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام (أبو طاهر) حكم ثلاثين سنة، وفي عهده حدث التوسع والسيطرة وقد هاجم الكعبة سنة ٣١٩هـ وسرق الحجر الأسود وأبقاه عنده لأكثر من عشرين سنة.
- الحسن الأعصم بن سليمان استولى على دمشق سنة ٣٦٠هـ.

ثانياً: الإسماعيلية الفاطمية:

● وهي الحركة الإسماعيلية الأصلية وقد مرت بعدة أدوار:

- دور الستر: من موت إسماعيل سنة ١٤٣هـ إلى ظهور عبيد الله المهدي. وقد اختلف في أسماء أئمة هذه الفترة بسبب السرية التي انتهجوها.

ـ بداية الظهور: بدأ الظهور بالحسن بن حوشب الذي أسس دولة الإسماعيلية في اليمن سنة ٢٦٦هـ وامتد نشاطه إلى شمال أفريقيا واكتسب شيوخ كتامة. يلي ذلك ظهور رفيقه علي بن فضل الذي ادعى النبوة(*) وأعفى أنصاره من الصوم والصلاة.

ـ دور الظهور: يبدأ بظهور عبيد الله المهدي الذي كان مقيماً في سلمية بسوريا ثم هرب إلى شمال أفريقيا واعتمد على أنصاره هناك من الكتاميين.

● قتل عبيد الله داعيته أبا عبد الله الشيعي الصنعاني وأخاه أبا العباس لشكهما في شخصيته وأنه غير الذي رأياه في سلمية.

● أسس عبيد الله أول دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بإفريقية (تونس) واستولى على رقادة سنة ٢٩٧هـ وتتابع بعده الفاطميون وهم:

ـ المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل). ٣٣٤ـ٣٤١هـ.

ـ المعز لدين الله (أبو تميم معد) وفي عهده فتحت مصر سنة ٣٦١هـ وانتقل إليها المعز في رمضان سنة ٣٦٢هـ.

ـ العزيز بالله (أبو منصور نزار). ٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ.

ـ الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور). ٣٨٦ ـ ٤١١هـ.

ـ الظاهر (أبو الحسن علي). ٤١١ ـ ٤٢٧هـ

ـ المستنصر بالله (أبو تميم). وتوفي سنة ٤٨٧هـ

● وبوفاته انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى نزارية شرقية ومستعلية غربية والسبب في هذا الانقسام أن الإمام المستنصر قد نص على أن يليه ابنه نزار؛ لأنه الابن الأكبر. لكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحّى نزاراً وأعلن إمامة المستعلي وهو الابن الأصغر كما أنه في الوقت نفسه ابن أخت الوزير. وقام بإلقاء القبض على نزار ووضعه في سجن وسدَّ عليه الجدران حتى مات.

● استمرت الإسماعيلية الفاطميّة المستعلية تحكم مصر والحجاز واليمن بمساعدة الصليحيين والأئمة هم:

ـ المستعلي (أبو القاسم أحمد). ٤٨٧ ـ ٤٩٥هـ.

ـ الآمر (أبو علي المنصور). ٤٩٥ ـ ٥٢٥هـ.

ـ الظافر (أبو المنصور إسماعيل). ٥٤٤ ـ ٥٤٩هـ.

ـ الفائز (أبو القاسم عيسى). ٥٤٩ ـ ٥٥٥هـ.

ـ العاضد (أبو محمد عبد الله). من ٥٥٥هـ حتى زوال دولتهم على يدي صلاح الدين الأيوبي.

ثالثاً: الإسماعيلية الحشاشون:

● وهم إسماعيلية نزارية انتشروا بالشام، وبلاد فارس والشرق، ومن أبرز شخصياتهم:

● الحسن بن الصباح وهو فارسي الأصل، وكان يدين بالولاء للإمام المستنصر قام بالدعوة في بلاد فارس للإمام المستور ثم استولى على قلعة آلموت وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية ـ وهم الذين عرفوا بالحشاشين لإفراطهم في تدخين الحشيش، وقد أرسل بعض رجاله إلى مصر لقتل الإمام الآخر ابن المستعلي فقتلوه مع ولديه عام ٥٢٥هـ. توفي الحسن بن الصباح عام ١١٢٤م.

● كيابزرك آميد توفي سنة ١١٣٥م.

● محمد بن كيابزرك آميد توفي سنة ١١٦٢م.

● الحسن الثاني بن محمد توفي سنة ١١٦٦م.

● محمد الثاني بن الحسن توفي سنة ١٢١٠م.

● الحسن الثالث بن محمد الثاني توفي سنة ١٢٢١م.

● محمد الثالث بن الحسن الثالث توفي سنة ١٢٥٥م.

● ركن الدين خورشاه من سنة ١٢٥٥م إلى أن انتهت دولتهم وسقطت قلاعهم أمام جيش هولاكو المغولي الذي قتل ركن الدين فتفرقوا في البلاد، ولا يزال لهم أتباع إلى الآن.

رابعاً: إسماعيلية الشام:

● وهم إسماعيلية نزارية، لقد أبقوا خلال هذه الفترات الطويلة على عقيدتهم يجاهرون بها في قلاعهم وحصونهم، غير أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة بالرغم من الدور الخطير الذي قاموا به ولا يزالون إلى الآن في منطقة سلمية بالذات وفي مناطق القدموس ومصياف وبانياس والخوابي والكهف.

ـ ومن شخصياتهم (راشد الدين سنان) الملقب بشيخ الجبل، وهو يشبه في تصرفاته الحسن بن الصباح، ولقد كون مذهب(*) السنانية الذي يعتقد أتباعه بالتناسخ(*) فضلاً عن عقائد الإسماعيلية الأخرى.

خامساً: الإسماعيلية البهرة:

● وهم إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب؛ ولذا يسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر.

ـ الإمام الطيب دخل الستر سنة ٥٢٥هـ والأئمة المستورون من نسله إلى الآن لا يعرف عنهم أي شيءٍ، حتى إن أسماءهم غير معروفة، وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفونهم.

● انقسمت البهرة إلى فرقتين:

ـ البهرة الداوودية: نسبة إلى قطب شاه داوود: وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي.

ـ البهرة السليمانية: نسبة إلى سليمان بن حسن وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم.

سادساً: الإسماعيلية الأغاخانية:

● ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وترجع عقيدتهم إلى الإسماعيلية النزارية، ومن شخصياتهم:

ـ حسن علي شاه: وهو الآغا خان الأول: استعمله الإنجليز لقيادة ثورة(*) تكون ذريعة لتدخلهم فدعا إلى الإسماعيلية النزارية، ونفي إلى أفغانستان ومنها إلى بومباي وقد خلع عليه الإنجليز لقب آغاخان، مات سنة ١٨٨١م.

ـ آغا علي شاه وهو الآغاخان الثاني: ١٨٨١م ـ ١٨٨٥م.

ـ يليه ابنه محمد الحسيني: وهو الآغاخان الثالث: ١٨٨٥م ـ ١٩٥٧م، كان يفضل الإقامة في أوربا وقد رتع في ملاذ الدنيا، وحينما مات أوصى بالخلافة من بعده لحفيده كريم مخالفاً بذلك القاعدة الإسماعيلية في تولية الابن الأكبر.

ـ كريم: وهو الآغاخان الرابع: من ١٩٥٧م ولا يزال حتى الآن، وقد درس في إحدى الجامعات الأمريكية.

سابعاً: الإسماعيلية الواقفة:

● وهي فرقة إسماعيلية وقفت عند إمامة محمد بن إسماعيل وهو أول الأئمة المستورين وقالت برجعته بعد غيبته.

الأفكار والمعتقدات:

● ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر وقد حدث خروج على هذه القاعدة عدة مرات.

● العصمة لديهم ليست في عدم ارتكاب المعاصي والأخطاء بل إنهم يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقداتهم.

● من مات ولم يعرف إمام زمانه ولم يكن في عنقه بيعة(*) له مات ميتة جاهلية(*).

● يضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله(*)، ويخصونه بعلم الباطن ويدفعون له خُمس ما يكسبون.

● يؤمنون بالتقية(*) والسرية ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث.

● الإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته.

● الأرض لا تخلو من إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور فإن كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون **حجته** مستوراً، وإن كان الإمام مستوراً فلا بد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين.

● يقولون بالتناسخ(*)، والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبقه من الأئمة.

● ينكرون صفات الله أو يكادون لأن الله ـ في نظرهم ـ فوق متناول العقل(*)، فهو لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفي المطلق فهو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم وليس بالمحدث فالقديم أمره وكلمته والحديث خلقه وفطرته.

من معتقدات البهرة:

● لا يقيمون الصلاة في مساجد عامة المسلمين.

● ظاهرهم في العقيدة يشبه عقائد سائر الفرق الإسلامية المعتدلة.

● باطنهم شيء آخر فهم يصلون ولكن صلاتهم للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب بن الآمر.

● يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين لكنهم يقولون: إن الكعبة هي رمز على الإمام.

● كان شعار الحشاشين «لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح» ووسيلتهم الاغتيال المنظم والامتناع بسلسلة من القلاع الحصينة.

● يقول الإمام الغزالي عنهم «المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة

المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم».

● يعتقدون أن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً بل كان ذلك عن طريق العقل الكلي الذي هو محل لجميع الصفات الإلهية ويسمونه الحجاب، وقد حل العقل الكلي في إنسان هو النبي وفي الأئمة المستورين الذين يخلفونه فمحمد هو الناطق وعلي هو الأساس الذي يفسر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد نشأ مذهبهم في العراق، ثم فروا إلى فارس وخراسان وما وراء النهر كالهند والتركستان فخالط مذهبهم آراء من عقائد الفرس القديمة والأفكار الهندية، وقام فيهم ذوو أهواء زادوا في انحرافهم بما انتحلوا من نحل.

● اتصلوا ببراهمة(*) الهند والفلاسفة الإشراقيين والبوذيين وبقايا ما كان عند الكلدانيين والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات والكواكب والنجوم، واختلفوا في مقدار الأخذ من هذه الخرافات، وقد ساعدتهم سريتهم على مزيد من الانحراف.

● بعضهم اعتنق مذاهب مزدك وزرادشت في الإباحية والشيوعية (القرامطة، مثلاً).

● ليست عقائدهم مستمدة من الكتاب والسنة، فقد داخلتهم فلسفات وعقائد كثيرة أثرت فيهم وجعلتهم خارجين على الإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لقد اختلفت الأرض التي سيطر عليها الإسماعيليون مدًّا وجزراً بحسب تقلبات الظروف والأحوال خلال فترة طويلة من الزمن، وقد غطى نفوذهم العالم الإسلامي، ولكن بتشكيلات متنوعة تختلف باختلاف الأزمان والأوقات:

ـ فالقرامطة سيطروا على الجزيرة وبلاد الشام والعراق وما وراء النهر.

ـ والفاطميون أسسوا دولة امتدت من المحيط الأطلسي وشمال أفريقيا، وامتلكوا مصر والشام، وقد اعتنق مذهبهم أهل العراق وخطب لهم على منابر بغداد سنة ٥٤٠هـ، ولكن دولتهم زالت على يد صلاح الدين الأيوبي يرحمه الله.

ـ والآغاخانية: يسكنون نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكنغو البلجيكي والهند وباكستان وسوريا ومركز القيادة الرئيسي لهم مدينة كراتشي بباكستان.

ـ والبهرة: استوطنوا اليمن والهند والسواحل القريبة المجاورة لهذين البلدين.

ـ وإسماعيلية الشام: امتلكوا قلاعاً وحصوناً في طول البلاد وعرضها ولا تزال لهم بقايا

في مناطق سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف.

ـ والحشاشون: انتشروا في إيران واستولوا على قلعة آلموت جنوب بحر قزوين واتسع سلطانهم، واستقلوا بإقليم كبير وسط الدولة العباسية السنية. امتلكوا القلاع والحصون ووصلوا إلى بانياس وحلب والموصل، وولي أحدهم قضاء دمشق أيام الصليبيين وقد اندحروا أمام هولاكو المغولي.

ـ المكارمة وقد استقروا في نجران بجنوب المملكة العربية السعودية.

ويتضح مما سبق:

أن الإسماعيلية في بدايتها كانت إحدى الفرق الشيعية، ولكنها غلت في أئمتها وتأثرت بمؤثرات كثيرة حتى وصل الأمر إلى أن اعتبرتها معظم الفرق الإسلامية كافرة وخارجة من حظيرة الإسلام، لما أسبغوه على إمامهم من صفات تصل به إلى ما يشبه مقام الألوهية، ولقولهم بالتناسخ(*) وإنكارهم صفات الله سبحانه وتعالى، ولعدم استمدادهم عقيدتهم من خالص الكتاب والسُّنة.

مراجع للتوسع:

ـ **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ الجزء الأول، محمد أبو زهرة.
ـ **إسلام بلا مذاهب** ـ د. مصطفى الشكعة.
ـ **طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها** ـ د. محمد كامل حسين ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م.
ـ **دائرة المعارف الإسلامية** ـ مادة الإسماعيلية.
ـ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة.
ـ **المؤامرة على الإسلام** ـ أنور الجندي.
ـ **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة** ـ محمد عبد الله عنان.
ـ أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية ـ لبرنارد لويس.
ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ـ محمد بن مالك اليماني الحمادي.
ـ فضائح الباطنية ـ لأبي حامد الغزالي.
ـ **الإسماعيلية** ـ إحسان إلهي ظهير.

٤٥ـ النصيرية

التعريف:

النصيرية حركة(*) باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهيًّا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار(*) الفرنسي لسوريا اسم (العلويين) تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية(*) والباطنية(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت ٢٧٠هـ) عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم علي الهادي (العاشر) والحسن العسكري (الحادي عشر) ومحمد المهدي «الموهوم» (الثاني عشر).

ـ زعم أنه البابُ إلى الإمام الحسن العسكري، وأنه وارثُ علمه، والحجة والمرجع للشيعة من بعده، وأن صفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام المهدي.

ـ ادعى النبوة(*) والرسالة(*)، وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى مقام الألوهية.

● خلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب.

● ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني ٢٣٥ ـ ٢٨٧هـ من جنبلا بفارس، وكنيته العابد والزاهد والفارسي، سافر إلى مصر، وهناك عرض دعوته على الخصيبي.

● حسين بن علي بن الحسين بن حمدان الخصيبي: المولود سنة ٢٦٠هـ مصري الأصل جاء مع أستاذه عبد الله بن محمد الجُنبلاني من مصر إلى جنبلا، وخلفه في رئاسة الطائفة، وعاش في كنف الدولة الحمدانية بحلب كما أنشأ للنصيرية مركزين أولهما في حلب ورئيسه محمد علي الجلي والآخر في بغداد ورئيسه علي الجسري.

ـ وقد توفي في حلب وقبره معروف بها وله مؤلفات في المذهب(*) وأشعار في مدح آل البيت وكان يقول بالتناسخ(*) والحلول(*).

● انقرض مركز بغداد بعد حملة هولاكو عليها.

● انتقل مركز حلب إلى اللاذقية وصار رئيسه أبو سعد الميمون سرور بن قاسم الطبراني ٣٥٨ ـ ٤٢٧هـ.

● اشتدت هجمات الأكراد والأتراك عليهم مما دعاهم إلى الاستنجاد بالأمير حسن

المكزون السنجاري ٥٨٣ ـ ٦٣٨هـ ومداهمة المنطقة مرتين. فشل في حملته الأولى ونجح في الثانية، إذ أرسى قواعد المذهب(*) النصيري في جبال اللاذقية.

● ظهر فيهم عصمة الدولة حاتم الطوباني حوالي ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م وهو كاتب **الرسالة القبرصية**.

● وظهر حسن عجرد من منطقة أعنا، وقد توفي في اللاذقية سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م.

● نجد بعد ذلك رؤساء تجمعات نصيرية كتلك التي أنشأها الشاعر القمري محمد بن يونس كلاذي ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م قرب أنطاكية، وعلي الماخوس وناصر نصيفي ويوسف عبيدي.

● سليمان أفندي الأذني: ولد في أنطاكية سنة ١٢٥٠هـ، وتلقى تعاليم الطائفة، لكنه تنصر على يد أحد المبشرين وهرب إلى بيروت، إذ أصدر كتابه **الباكورة السليمانية** يكشف فيه أسرار هذه الطائفة، استدرجه النصيريون بعد ذلك وطمأنوه فلما عاد وثبوا عليه وخنقوه وأحرقوا جثته في إحدى ساحات اللاذقية.

● عرفوا تاريخيا باسم النصيرية، وهو اسمهم الأصلي، ولكن عندما شُكِّل حزب(*) سياسي في سوريا باسم «الكتلة الوطنية» أراد الحزب أن يقرِّب النصيرية إليه ليكتسبهم فأطلق عليهم اسم العلويين وصادف هذا هوى في نفوسهم وهم يحرصون عليه الآن. هذا وقد أقامت فرنسا لهم دولة أطلقت عليها اسم (دولة العلويين) وقد استمرت هذه الدولة من سنة ١٩٢٠م إلى سنة ١٩٣٦م.

● محمد أمين غالب الطويل: شخصية نصيرية، كان أحد قادتهم أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا، ألف كتاب **تاريخ العلويين** يتحدث فيه عن جذور هذه الفرقة.

● سليمان الأحمد: شغل منصباً دينيًا في دولة العلويين عام ١٩٢٠م.

● سليمان المرشد: كان راعي بقر، لكن الفرنسيين احتضنوه وأعانوه على ادعاء الربوبية، كما اتخذ له رسولاً (سليمان الميده) وهو راعي غنم، ولقد قضت عليه حكومة الاستقلال وأعدمته شنقاً عام ١٩٤٦م.

جاء بعده ابنه مجيب، وادعى الألوهية، لكنه قتل، أيضاً، على يد رئيس المخابرات السورية آنذاك سنة ١٩٥١م، ولا تزال فرقة (المواخسة) النصيرية يذكرون اسمه على ذبائحهم.

● ويقال بأن الابن الثاني لسليمان المرشد اسمه (مغيث) قد ورث الربوبية المزعومة عن أبيه.

● واستطاع العلويون (النصيريون) أن يتسللوا إلى التجمعات الوطنية في سوريا، واشتد نفوذهم في الحكم السوري منذ سنة ١٩٦٣م بواجهة محسوبة على أهل السنة، وقاموا بانقلاب ١٦/ ١١/ ١٩٧٠م واستلموا بعده السلطة، وتولوا رئاسة الجمهورية من ١٢ آذار ١٩٧١.

الأفكار والمعتقدات:

● جعل النصيريون علياً إلهاً(*)، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.

● لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت(*) إلا إيناسا لخلقه وعبيده.

● يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي، ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت(*) من الناسوت(*)، ويخطِّئون من يلعنه.

● يعتقد بعضهم أن عليًّا يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده وإذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون إن الرعد صوته والبرق سوطه.

● يعتقدون أن عليًّا خلق محمداً، ﷺ، وأن محمداً خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم:

- المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.
- أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.
- عبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.
- عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.
- قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

● لهم ليلة يختلط فيها الحابل بالنابل كشأن بعض الفرق الباطنية.

● يعظمون الخمرة، ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب لذلك، ويستفظعون قلعها أو قطعها لأنها هي أصل الخمرة التي يسمُّونها «النور».

● يصلون في اليوم خمس مرات لكنها صلاة تختلف في عدد الركعات ولا تشتمل على سجود وإن كان فيها نوع من ركوع أحياناً.

- لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة.
- ليس لهم مساجد عامة، بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

● لهم قدَّاسات شبيهة بقداسات النصارى مثل:

ـ قداس الطيب لك أخ حبيب .
ـ قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور .
ـ قداس الأذان وبالله المستعان .

● لا يعترفون بالحج، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر(*) وعبادة أصنام!! .

● لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا ـ نحن المسلمين ـ وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون .

● الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان .

● يبغضون الصحابة بغضاً شديداً، ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين .

● يزعمون بأن للعقيدة باطناً وظاهراً، وأنهم وحدهم العالمون بباطن الأسرار، ومن ذلك :

ـ الجنابة : هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني .
ـ الطهارة : هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني .
ـ الصيام : هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة .
ـ الزكاة : يرمز لها بشخصية سلمان .
ـ الجهاد : هو صب اللعنات على الخصوم وفُشاة الأسرار .
ـ الولاية : هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها .
ـ الشهادة : هي أن تشير إلى صيغة (ع . م . س) .
ـ القرآن : هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي، وقد قام سلمان «تحت اسم جبريل» . بتعليم القرآن لمحمد .

ـ الصلاة : عبارة عن خمسة أسماء هي : علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، و(محسن) هذا هو (السر الخفي) إذ يزعمون بأنه سِقْطٌ طرحته فاطمة، وذكر هذه الأسماء يجزىء عن الغسل والجنابة والوضوء .

● اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا تجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، ولا يُصلى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون .

● يقول ابن تيمية : «هؤلاء القوم المسمَّون بالنصيرية ـ هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية ـ أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم أعظم من

ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم.. وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم».

● الأعياد: لهم أعياد كثيرة تدل على مجمل العقائد التي تشتمل عليها عقيدتهم ومن ذلك:

- عيد النَّيروز: في اليوم الرابع من نيسان، وهو أول أيام سنة الفرس.

- عيد الغدير، وعيد الفراش، وزيارة يوم عاشوراء في العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين في كربلاء.

- يوم المباهلة أو يوم الكساء: في التاسع من ربيع الأول ذكرى دعوة النبي ﷺ، لنصارى نجران للمباهلة.

- عيد الأضحى: ويكون لديهم في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

- يحتفلون بأعياد النصارى كعيد الغطاس، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد، وعيد الصليب الذي يتخذونه تاريخاً لبدء الزراعة وقطف الثمار وبداية المعاملات التجارية وعقود الإيجار والاستئجار.

- يحتفلون بيوم (دلام) وهو اليوم التاسع من ربيع الأول ويقصدون به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فرحاً بمقتله وشماتة به.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● استمدوا معتقداتهم من الوثنية(*) القديمة، وقدسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكناً للإمام علي.

● تأثروا بالأفلاطونية الحديثة، ونقلوا عنهم نظرية الفيض(*) النوراني على الأشياء.

● بنوا معتقداتهم على مذاهب(*) الفلاسفة المجوس(*).

● أخذوا عن النصرانية، ونقلوا عن الغنوصية(*) النصرانية، وتمسكوا بما لديهم من التثليث(*) والقداسات وإباحة الخمور.

● نقلوا فكرة التناسخ(*) والحلول عن المعتقدات الهندية والآسيوية الشرقية.

● هم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم يتسم بكثير من المعتقدات الشيعية وبالذات تلك المعتقدات التي قالت بها الرافضة(*) بعامة والسبئية(*) (جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي) بخاصة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية، ولقد انتشروا مؤخراً في المدن السورية المجاورة لهم.

● يوجد عدد كبير منهم، أيضاً، في غربي الأناضول، ويعرفون باسم (التختجية والحطابون) فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم (القزل باشيه).

● ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم البكتاشية.

● هناك عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم (العلي إلهية).

● وعدد منهم يعيشون في لبنان.

ويتضح مما سبق:

أن النصيرية فرقة باطنية(*) تؤله علي بن أبي طالب، ظهرت في القرن الثالث للهجرة، وهي فرقة غالية، خلعت ربقة الإسلام، وطرحت معانيه، ولم تستبق لنفسها منه سوى الاسم، ويعتبرهم أهل السنة(*) خارجين عن الإسلام، ولا يصح أن يعاملوا معاملة المسلمين، بسبب أفكارهم الغالية وآرائهم المتطرفة ومن ذلك آراؤهم التي تهدم أركان الإسلام فهم لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة ولهم قداسات شبيهة بقداسات النصارى ولا يعترفون بالحج أو الزكاة الشرعية المعروفة في الإسلام.

مراجع للتوسع:

- **الجذور التاريخية للنصيرية العلوية**، الحسيني عبد الله ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **الملل والنحل**، أبو الفتح الشهرستاني.
- **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد ـ دار الكتب العربية ـ القاهرة.
- رسائل ابن تيمية رسالة في الرد على النصيرية.
- **الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية**، سليمان أفندي الأذني. بيروت، ١٨٦٤م.
- **تاريخ العلويين**، محمد أمين غالب الطويل ـ طبع في اللاذقية عاصمة دولة العلويين عام ١٩٢٤م.
- **خطط الشام**، محمد كرد علي ـ ط دمشق ١٩٢٥ ـ ج٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨ ـ ج٦/ ١٠٧ ـ ١٠٩.

- **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة نصيري.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة ـ ط دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦١م.
- **تاريخ العقيدة النصيرية**، المستشرق رينيه دوسو ـ نشرته مكتبة أميل ليون وبداخله كتاب المجموع بنصه العربي.
- **الأعلام للزركلي**، ٢/ ٢٥٤ بيروت ـ ١٩٥٦م.
- **تاريخ الأدب العربي لبروكلمان**، ٣/ ٣٥٧ ـ ط دار المعارف ـ ١٩٦٢م.
- **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**، د. أحمد محمد الخطيب، مكتب الأقصى، عمان.
- **دراسات في الفرق**، د. صابر طعيمة ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

المراجع الأجنبية:

- L. Massignon Minora, Beyrouth 1963.

٤٦ـ الدروز

التعريف:

فرقة باطنية(*) تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها حتى لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● محور العقيدة الدرزية هو الخليفة الفاطمي: أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بالحاكم بأمر الله ولد سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م وقتل سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م. كان شاذًّا في فكره وسلوكه وتصرفاته، شديد القسوة والتناقض والحقد على الناس، أكثر من القتل والتعذيب دون أسباب تدعو إلى ذلك.

● المؤسس الفعلي لهذه العقيدة هو: حمزة بن علي بن محمد الزوزني ٣٧٥هـ ـ ٤٣٠هـ: وهو الذي أعلن سنة ٤٠٨هـ أن روح الإله(*) قد حلت في الحاكم ودعا إلى ذلك وألف كتب العقائد الدرزية.

● محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، كان مع حمزة في تأسيس عقائد الدروز إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة ٤٠٧هـ مما أغضب حمزة عليه وأثار الناس ضدّه حيث فرَّ إلى الشام وهناك دعا إلى مذهبه(*) وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبّر لقتله سنة ٤١١هـ.

● الحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع: وهو المبشر بدعوة حمزة بين الناس.

● بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف: كان له أكبر الأثر في انتشار المذهب وقت غياب حمزة سنة ٤١١هـ. وقد ألّف كثيراً من نشراتهم مثل: **رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ ورسالة التعنيف والتهجين** وغيرها. وهو الذي أغلق باب الاجتهاد(*) في المذهب(*) حرصاً على بقاء الأصول التي وضعها هو وحمزة والتميمي.

● أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي: صهر حمزة وساعده الأيمن في الدعوة وهو

الذي يليه في المرتبة.

● **ومن الزعماء المعاصرين لهذه الفرقة:**

- كمال جنبلاط: زعيم سياسي لبناني أسس الحزب(*) التقدمي الاشتراكي وقتل سنة ١٩٧٧م.

- وليد جنبلاط وهو زعيمهم الحالي وخليفة والده في زعامة الدروز وقيادة الحزب.

- د. نجيب العسراوي رئيس الرابطة الدرزية بالبرازيل.

- عدنان بشير رشيد رئيس الرابطة الدرزية في أستراليا.

- سامي مكارم الذي ساهم مع كمال جنبلاط في عدة تآليف في الدفاع عن الدروز.

● الناس في الدرزية على درجات ثلاث:

- العقل: وهم طبقة رجال الدين الدارسين له والحفاظ عليه. وهم ثلاثة أقسام: رؤساء أو عقلاء أو أجاويد، ويسمى رئيسهم شيخ العقل.

- الأجاويد: وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها.

- الجهال: وهم عامة الناس.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقدون في ألوهية الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع.

● ينكرون الأنبياء(*) والرسل(*) جميعاً ويلقبونهم بالأبالسة.

● يعتقدون بأن المسيح(*) هو داعيتهم حمزة.

● يبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة.

● يعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها، وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها.

● حج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند.

● ولا يكون الإنسان درزيًّا إلا إذا كتب أو تلا الميثاق الخاص.

● يقولون بتناسخ(*) الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسدٍ أسعد أو أشقى.

● ينكرون الجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويّيْن.

● ينكرون القرآن الكريم ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي ولهم مصحف خاص

بهم يسمى المنفرد بذاته.

● يرجعون عقائدهم إلى عصور متقدمة جدًّا، ويفتخرون بالانتساب إلى الفرعونية القديمة وإلى حكماء الهند القدامى.

● يبدأ التاريخ عندهم من سنة ٤٠٨هـ وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم.

● يعتقدون أن القيامة هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض، وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد، ويفرضون الجزية والذل على المسلمين.

● يعتقدون أن الحاكم أرسل خمسة أنبياء هم حمزة وإسماعيل ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاء.

● يحرمون التزاوج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم، كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة.

● يحرمون البنات من الميراث.

● لا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة.

● لا يقبل الدروز أحداً في دينهم ولا يسمحون لأحد بالخروج منه.

● ينقسم المجتمع الدرزي المعاصر ـ كما هو الحال سابقاً ـ من الناحية الدينية إلى قسمين:

ـ الروحانيين: بيدهم أسرار الطائفة وينقسمون إلى: رؤساء وعقلاء وأجاويد.

ـ الجثمانيين: الذين يعتنون بالأمور الدنيوية وهم قسمان: أمراء وجهال.

● أما من الناحية الاجتماعية فلا يعترفون بالسلطات القائمة إنما يحكمهم شيخ العقل ونوابه وفق نظام الإقطاع الديني.

● يعتقدون ما يعتقده الفلاسفة من أن إلههم خلق العقل الكلي وبواسطته وجدت النفس الكلية وعنها تفرّعت المخلوقات.

● يقولون في الصحابة أقوالاً منكرة منها قولهم: الفحشاء والمنكر هما (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما.

● التستر والكتمان من أصول معتقداتهم فهي ليست من باب التقية(*)، إنما هي مشروعة في أصول دينهم.

● مناطقهم خالية من المساجد ويستعيضون عنها بخلوات يجتمعون فيها ولا يسمحون

لأحد بدخولها.

● لا يصومون في رمضان، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام، وإنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان، ولا يزورون مسجد الرسول، ﷺ، ولكنهم يزورون الكنيسة المريمية في قرية معلولا بمحافظة دمشق.

● لا يتلقى الدرزي عقيدته ولا يبوحون بها إليه ولا يكون مكلفا بتعاليمها إلا إذا بلغ سن الأربعين، وهي سن العقل لديهم.

● يصنف الدروز ضمن الفرق الباطنية(*) لإيمانها بالتقية والقول بالباطن وبسرية العقائد.

● تؤمن بالتناسخ(*) بمعنى أن الإنسان إذا مات فإن روحه تتقمص إنساناً آخر يولد بعد موت الأول، فإذا مات الثاني تقمصت روحه إنساناً ثالثاً وهكذا في مراحل متتابعة للفرد الواحد.

● للأعداد خمسة وسبعة مكانة خاصة في العقيدة الدرزية.

من كتب الدروز:

- لهم رسائل مقدسة تسمى **رسائل الحكمة**، وعددها ١١١ رسالة، وهي من تأليف حمزة وبهاء الدين والتميمي.

- لهم مصحف يسمى **المنفرد بذاته**.

- كتاب **النقاط والدوائر** وينسب إلى حمزة بن علي، ويذهب بعض المؤرخين في نسبته إلى عبد الغفار تقي الدين البعقلي الذي قتل سنة ٩٠٠هـ.

- **ميثاق ولي الزمان**: كتبه حمزة بن علي، وهو الذي يؤخذ على الدرزي حين يعرف بعقيدته.

- **النقض الخفي**: وهو الذي نقض فيه حمزة الشرائع كلها وخاصة أركان الإسلام الخمسة.

- **أضواء على مسلك التوحيد**: د. سامي مكارم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثروا بالباطنية(*) عموماً وخاصة الباطنية اليونانية متمثلة في أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس واعتبروهم أسيادهم الروحانيين.

● أخذوا جُلَّ معتقداتهم عن الطائفة الإسماعيلية.

● تأثروا بالدهريين في قولهم بالحياة الأبدية.

● وقد تأثروا بالبوذية في كثير من الأفكار والمعتقدات، كما تأثروا ببعض فلاسفة الفرس والهند والفراعنة القدامى.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يعيش الدروز اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين.
● غالبيتهم العظمى في لبنان ونسبة كبيرة من الموجودين منهم في فلسطين المحتلة قد أخذوا الجنسية الإسرائيلية وبعضهم يعمل في الجيش الإسرائيلي.
● توجد لهم رابطة في البرازيل ورابطة في أستراليا وغيرهما.
● نفوذهم في لبنان الآن قوي جدًّا تحت زعامة وليد جنبلاط، ويمثلهم الحزب الاشتراكي التقدمي، ولهم دور كبير في الحرب اللبنانية، وعداوتهم للمسلمين لا تخفى على أحد.
● ويبلغ عدد المنتمين إليها حوالي ٢٥٠ ألف نسمة موزعين بين سوريا ١٢١ ألفا، ولبنان ٩٠ ألفا والباقي في فلسطين وبعض دول المهجر.

ويتضح مما سبق:

● أن الدروز فرقة باطنية(*) تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، نشأت في مصر وهاجرت إلى الشام، وينكرون الأنبياء(*) والرسل(*) جميعاً، ويعتقدون أن المسيح هو داعيتهم حمزة، وحسب هذا دليلاً على ضلالهم.

مراجع للتوسع:

- **عقيدة الدروز عرض ونقد**، محمد أحمد الخطيب.
- **أضواء على العقيدة الدرزية**، أحمد الفوزان.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة.
- أصل الموحدين: **الدروز وأصولهم**، أمين طلع.
- **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، مصطفى غالب.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة.
- **الدروز والثورة السورية**، كريم ناشد.
- **طائفة الدروز**، محمد كامل حسين.
- **مذاهب الدروز والتوحيد**، عبد الله النجار.

ـ الدروز: وجودهم، مذهبهم، أبو إسماعيل سليم.
ـ الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، يوسف أبو شقرا.
ـ مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي.
ـ دراسة في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، عبدالله الأمين.

٤٧ـ الحشاشون

التعريف:

الحشاشون: طائفة إسماعيلية فاطمية نزارية مشرقية، انشقت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء مِن نسله. أسسها الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة آلموت في فارس مركزاً لنشر دعوته وترسيخ أركان دولته.

وقد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسية ودينية متعصبة. وكلمة الحشاشين ASSASSIN دخلت بأشكال مختلفة في الاستخدام الأوروبي بمعنى القتل خلسة أو غدراً أو بمعنى القاتل المحترف المأجور.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **الحسن بن الصباح**: ولد بالري عام ٤٣٠هـ ونشأ نشأة شيعية(*) ثم اتخذ الطريقة الإسماعيلية الفاطمية وعمره ١٧ سنة، وفي عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م ذهب إلى إمامه المستنصر بالله حاجًّا، وعاد بعد ذلك لينشر الدعوة في فارس، وقد احتل عدداً من القلاع أهمها قلعة آلموت ٤٨٣هـ التي اتخذها عاصمة لدولته.

ـ في عهده مات الإمام المستنصر بالله ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وقام الوزير بدر الجمالي بقتل ولي العهد الابن الأكبر «نزار» لينقل الإمامة إلى الابن الأصغر «المستعلي» الذي كان في الوقت نفسه ابن أخت الوزير. وبذلك انشقت الفاطمية إلى نزارية مشرقية، ومستعلية مغربية.

ـ أخذ الحسن بن الصباح يدعو إلى إمامة نزار، مدعياً أن الإمامة قد انتقلت إلى حفيدٍ لنزار أحضر سرًّا إلى آلموت، وأنه طفل جرى تهريبه من مصر إلى فارس، أو أن محظية لنزار كانت حاملاً منه أُخذت إلى آلموت، إذ وضعت حملها. وبقي أمر هذا الإمام الجديد طي الكتمان.

ـ توفي الحسن الصباح عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م من غير سليل؛ لأنه كان قد أقدم على قتل ولديه أثناء حياته.

● **كيابزرك آميد**: حكم من ٥١٨هـ/ ١١٢٤م إلى سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م: كان

أول أمره قائداً لقلعة لاماسار لمدة عشرين سنة، وخلال فترة حكمه دخل في عدة معارك مع جيرانه السلاجقة، كما أنه كان أكثر تسامحاً وسياسة من الحسن الصباح.

● **محمد كيابزرك آميد**: حكم من سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م إلى سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م: كان يهتم بالدعوة للإمام، كما كان يفرض الاحترام الخارجي للفرائض الإسلامية، فقد أقدم على قتل كثير من أتباعه ممن اعتقدوا بإمامة ابنه وطرد وعذب آخرين.

● **الحسن الثاني بن محمد**: حكم من ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م إلى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م: أعلن في شهر رمضان ٥٥٩هـ قيام القيامة، وأنهى الشريعة، وأسقط التكاليف وأباح الإفطار، ثم أقدم بعد ذلك على خطوة أخطر وذلك بأن ادعى بأنه من الناحية الظاهرية حفيد لكيابزرك ولكنه في الحقيقة إمام العصر وابن الإمام السابق من نسل نزار.

● **محمد الثاني بن الحسن الثاني**: من ٥٦١هـ/١١٦٦م إلى ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م: طور نظرية القيامة ورسخها، وقد ساعده على ذلك انحلال هيمنة السلاجقة في عهده وضعفهم وظهور التركمان وبداية التوسع التركي.

● **جلال الدين الحسن الثالث بن محمد الثاني**: من ٦٠٧هـ/١٢١٠م إلى ٦١٨هـ/ ١٢٢١م: رفض عقائد آبائه في القيامة، ولعنهم وكفَّرهم، وأحرق كتبهم وجاهر بإسلامه، وقام بوصل حباله مع العالم الإسلامي فقد أرسل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله وإلى السلطان السلجوقي خوارزم شاه والملوك والأمراء يؤكد لهم صدق دعوته إلى التعاليم الإسلامية، ففرحت البلاد الإسلامية بذلك وصار أتباعه يعرفون بالمسلمين الجدد.

● **محمد الثالث بن الحسن الثالث** (وبعض الكتب تسميه علاء الدين محمود): كان حكمه من سنة ١١٢١م إلى سنة ١٢٢٥م: خلف أباه وعمره ٩ سنوات، وظل وزير أبيه حاكماً لآلموت، وقد عاد الناس في عهده إلى المحرمات وارتكاب الخطايا والإلحاد(*). حكم الصبي خمس أو ست سنوات ثم أصيب بلوثة عقلية، فانتشرت السرقة واللصوصية وقطع الطرق والاعتداءات.

● **ركن الدين خورشاه**: ١٢٥٥م/١٢٥٨م: قاد هولاكو حملة سنة ١٢٥٦م وكان هدفه قلاع الإسماعيلية، وما زال يتقدم حتى استسلم له ركن الدين وسلمه قلعة آلموت وأربعين قلعة وحصناً كلها سويت بالأرض، فاستقبله هولاكو بترحاب وزوجه فتاة

مغولية، وفي عام ١٢٥٨م انتهى منه بقتله غيلة، وبذلك انتهت دولة الحشاشين سياسيًّا في فارس.

● **شمس الدين محمد بن ركن الدين:** تقول روايات الإسماعيليين بأن ركن الدين قد أخفى ابنه شمس الدين محمد الذي هرب من بطش هولاكو متنكراً إلى جهة ما بجنوب القوقاز، ثم استقر في قرية أنجودا على الطريق بين أصفهان وهمدان. وبقي فيها إلى أن مات في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة وكان من عقبه سلسلة من الأئمة في القرن التاسع عشر ومنهم ظهرت أسرة أغاخان. انقسم الحشاشون بعد شمس الدين إلى قسمين:

ـ بعضهم نادى بإمامة محمد شاه، واعترفوا به وبالأئمة من نسله حتى انقطعت سلسلتهم في منتصف القرن العاشر الهجري، وكان آخرهم الإمام ظاهر شاه الثالث المعروف (بالدكنى) والذي هاجر إلى الهند وتوفي هناك حوالي سنة ٩٥٠هـ، وانقطع هذا الفرع على الرغم من وجود أتباع له إلى الآن في مصياف والقدموس بسوريا.

ـ وأصحاب الفرع الثاني اعتقدوا بإمامة قاسم شاه، وهؤلاء يشكلون العدد الأكبر من هذه الطائفة، وقد هاجروا إلى أعالي نهر جيحون.

● **الحشاشون في بلاد الشام:**

ـ ظهر لهم في بلاد الشام عدد من القادة مثل بهرام الاسترابادي، والداعي إسماعيل الفارسي، وقد استفادوا من استمالة رضوان بن تتش والي حلب إلى مذهبهم، فوفد إليها عدد كبير من إسماعيلية فارس مما قوى شوكتهم في بلاد الشام.

ـ أبرز شخصياتهم في الشام هو شيخ الجبل سنان بن سليمان بن محمود المعروف برشيد الدين الذي نشأ في البصرة، وتلقى علومه في قلعة آلموت وكان زميلاً لولي العهد الحسن بن محمد الذي أمره بالرحيل إلى بلاد الشام عندما صار الأمر إليه.

ـ انتقل إلى بلاد الشام وجمع الإسماعيلية حوله وصار لهم نفوذ وسلطان، واعترف الناس بإمامته، غير أنهم عادوا بعد موته إلى طاعة الأئمة بآلموت، وقد كان شخصاً مخيفاً، وهم يذكرونه على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق.

ـ خلفه أمراء ضعاف مما سهل إنهاءهم والقضاء عليهم على يد الظاهر بيبرس.

ـ من قلاعهم في بلاد الشام: قلعة بانياس، حصن قدموس، حصن مصياف، الكهف، الخوابي، المنيقة، القليعة.

ـ امتلكوا عدداً من القلاع، وقاوموا الزنكيين، وحاولوا اغتيال صلاح الدين

الأيوبي عدة مرات.

ـ **ومما يؤكد تعاونهم مع الصليبيين:**

١ ـ عدم وقوع صليبي واحد من الغزاة أسيراً في أيديهم أو مقتولاً بسلاح أحدهم.

٢ ـ قاتلهم حاكم الموصل السلجوقي الذي حضر إلى دمشق لمساعدة إخوانه المسلمين في رد هجمات الصليبيين.

٣ ـ قيامهم بتسليم قلعة بانياس ولجوء قائدها إسماعيل إلى الصليبيين، إذ مات عندهم.

٤ ـ اشتراك كتيبة من الإسماعيليين مع الصليبيين في أنطاكية بعد أن احتل نور الدين حلب.

الأفكار والمعتقدات:

● تلتقي معتقداتهم مع معتقدات الإسماعيلية عامة من حيث ضرورة وجود إمام معصوم ومنصوص عليه وبشرط أن يكون الابن الأكبر للإمام السابق.

● كل الذين ظهروا من قادة الحشاشين إنما يمثلون الحجة والداعية للإمام المستور باستثناء الحسن الثاني وابنه فقد ادعيا بأنهما إمامان من نسل نزار.

● إمام الحشاشين بالشام رشيد الدين سنان بن سليمان قال بفكرة التناسخ(*) فضلاً عن عقائد الإسماعيلية التي يؤمنون بها، كما ادعى أنه يعلم الغيب.

● الحسن الثاني بن محمد: أعلن قيام القيامة، وألغى الشريعة(*)، وأسقط التكاليف.

● الحج لديهم ظاهره إلى البيت الحرام وحقيقته إلى إمام الزمان ظاهراً أو مستوراً.

● كان شعارهم في بعض مراحلهم (لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح).

● كانت وسيلتهم الاغتيال المنظم، وذلك عن طريق تدريب الأطفال على الطاعة العمياء والإيمان بكل ما يلقى إليهم، وعندما يشتد ساعدهم يدربونهم على الأسلحة المعروفة ولا سيما الخناجر، ويعلمونهم الاختفاء والسرية وأن يقتل الفدائي نفسه قبل أن يبوح بكلمة واحدة من أسرارهم. وبذلك أعدوا طائفة الفدائيين التي أفزعوا بها العالم الإسلامي آنذاك.

● كانوا يمتنعون في سلسلة من القلاع والحصون، فلم يتركوا في منطقتهم مكاناً

مشرفاً إلا أقاموا عليه حصناً، ولم يتركوا قلعة إلا ووضعوا نصب أعينهم احتلالها.

● يقول عنهم المؤرخ كمال الدين بن العديم: في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م «انخرط سكان جبل السماق في الآثام والفسوق وأسموا أنفسهم المتطهرين، واختلط الرجال والنساء في حفلات الشراب، ولم يمتنع رجل عن أخته أو ابنته، وارتدت النساء ملابس الرجال، وأعلن أحدهم بأن سناناً هوربه».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● أصولهم البعيدة شيعية ثم إسماعيلية.

● كان القتل والاغتيال وسيلة سياسية ودينية لترسيخ معتقداتهم ونشر الخوف في قلوب أعدائهم.

● فكرة التناسخ(*) التي دعا إليها رشيد الدين سنان مأخوذة عن النصيرية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انطلقت دعوتهم من كرمان ويزد إلى أواسط إيران وأصفهان، ثم خوزستان، ثم هضبة الديلم، واستقرت في قلعة آلموت، وشرقاً وصلوا إلى مازندران، ثم قزوين، واحتلوا منطقة رودبار ولاماسار وكوهستان.. واحتلوا كثيراً من القلاع وامتدوا إلى نهر جيحون.

● وصلت دعوتهم إلى سوريا، وامتلكوا القلاع والحصون على طول البلاد وعرضها ومن قلاعهم بانياس ومصياف والقدموس والكهف والخوابي وسلمية.

● كان زوالهم في إيران على يد هولاكو المغولي، وفي سوريا على يد الظاهر بيبرس.

● لهم أتباع إلى الآن في إيران، وسوريا، ولبنان، واليمن، ونجران، والهند وفي أجزاء من أواسط ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي في السابق.

ويتضح مما سبق:

أن الحشاشين جناح من الإسماعيلية (النزارية) اتخذوا القتل وسيلة لهم وقاموا بحركة اغتيالات واسعة شملت كبار الشخصيات المناوئة للإسماعيليين من ملوك وقادة جيوش، وكل من يظهر خصومة لهم، وقد أفتى العلماء باستباحة دمائهم ووجوب تنظيف الأرض من دنسهم وعدم جواز أكل ذبيحتهم أو عقد صداقات معهم.

مراجع للتوسع:

- **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إحسان إلهي ظهير.
- **مشكاة الأنوار**، يحيى بن حمزة العلوي.
- **فضائح الباطنية**، لأبي حامد الغزالي.
- **الحشاشون**، تأليف برنارد لويس وتعريب محمد العزب موسى، دار المشرق العربي الكبير، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **طائفة الإسماعيلية: تاريخها، نظمها، عقائدها**، د. محمد كامل حسين.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة.
- **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، برنارد لويس.

٤٨ـ البابيـة والبهائيـة

التعريف:

البابية والبهائية حركة(*) نبعت من المذهب(*) الشيعي الشيخي(*) سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار(*) الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ١٢٣٥ـ١٢٦٦هـ (١٨١٩ـ١٨٥٠م)**، ففي السادسة من عمره تلقى تعليمه الأولي على يد دعاة الشيخية(*) من الشيعة(*) ثم انقطع عن الدراسة ومارس التجارة.

ـ وفي السابعة عشر من عمره عاد للدراسة واشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحانية وخاصة كتب الحروفيين وممارسة الأعمال الباطنية(*) المتعبة.

ـ في عام ١٢٥٩هـ ذهب إلى بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيخية في زمانه كاظم الرشتي، ويدرس أفكاره وآراء الشيخية. وفي مجالس الرشتي تعرف عليه الجاسوس الروسي كينازد الغوركي، والمدعي الإسلام باسم عيسى النكراني، والذي بدأ يلقي في روعهم أن الميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر، والباب الموصل إلى الحقيقة الإلهية والذي سيظهر بعد وفاة الرشتي، وذلك لما وجده مؤهلاً لتحقيق خطته في تمزيق وحدة المسلمين.

ـ في ليلة الخميس ٥ جمادىٰ الأولى ١٢٦٠هـ ـ ٢٣ مارس ١٨٤٤م أعلن أنه الباب نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفى ١٢٥٩هـ، وأنه رسول(*) كموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم السلام ـ بل وعياذاً بالله ـ أفضل منهم شأناً.

ـ فآمن به تلاميذ الرشتي وانخدع به العامة، واختار ثمانية عشر مبشراً لدعوته أطلق عليهم حروف الحي إلا أنه في عام ١٢٦١هـ قبض عليه فأعلن توبته على منبر مسجد الوكيل بعد أن عاث وأتباعه في الأرض فساداً وتقتيلاً وتكفيراً للمسلمين.

ـ في عام ١٢٦٦هـ ادعى الباب حلول الإلهية في شخصه حلولاً ماديًّا وجسمانيًّا؛ لكن بعد أن ناقشه العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، ولم يصدقوه فقد عرف بالجبن والتنصل عند المواجهة. وحكم عليه بالإعدام هو والزنوزي وكاتب وحيه حسين اليزدي الذي تاب وتبرأ من البابية قبل الإعدام فأفرج عنه وذلك في ٢٧ شعبان سنة ١٢٦٦هـ ٨ يوليو ١٨٥٠م.

● قرة العين واسمها الحقيقي أم سلمى ولدت في قزوين سنة ١٢٣١هـ أو ١٢٣٣هـ أو ١٢٣٥هـ للملا محمد صالح القزويني أحد علماء الشيعة ودرست عليه العلوم، ومالت إلى الشيخية(*) بواسطة عمها الأصغر الملا علي الشيخي، وتأثرت بأفكارهم ومعتقداتهم، ثم رافقت الباب في الدراسة عند كاظم الرشتي بكربلاء حتى قيل إنها مهندسة أفكاره إذ كانت خطيبة مؤثرة، أديبة فصيحة اللسان فضلاً عن أنها جميلة جذابة، إلا أنها إباحية فاجرة طلقها زوجها وتبرأ منها أولادها. كانت تلقب بـ زرين تاج ـ صاحبة الشعر الذهبي ـ بالفارسية ـ.

ـ في رجب ١٢٦٤هـ اجتمعت مع زعماء البابية في مؤتمر بيدشت وكانت خطيبة القوم ومحرضة الأتباع على الخروج في مظاهرات احتجاج على اعتقال الباب، وفيه أعلنت نسخ الشريعة الإسلامية(*).

ـ اشتركت في مؤامرة قتل الشاه ناصر الدين القاجاري، فقبض عليها وحكم بأن تحرق حية، ولكن الجلاد خنقها قبل أن تحرق في أول ذي القعدة ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥٢م.

● **الميرزا يحيىٰ علي**: أخو البهاء والملقب بصبح أزل، أوصى له الباب بخلافته وسمى أصحابه بالأزليين فنازعه أخوه الميرزا حسين البهاء في الخلافة ثم في الرسالة والإلهية وحاول كل منهما دس السم لأخيه. ولشدة الخلافات بينهم وبين الشيعة تم نفيهم إلى أدرنة بتركيا في عام ١٨٦٣م، حيث كان يعيش اليهود، ولاستمرار الخلافات بين أتباع صبح أزل وأتباع البهاء نفى السلطان العثماني البهاء وأتباعه مع بعض أتباع أخيه إلى عكا ونفى صبح أزل مع أتباعه إلى قبرص حتى مات ودفن بها في ٢٩ إبريل ١٩١٢م صباحاً عن عمر يناهز ٨٢ عاماً مخلفاً كتاباً أسماه **الألواح** ـ تكملة البيان بالفارسي ـ **والمستيقظ** ناسخ **البيان** وأوصى بالخلافة لابنه الذي تَنَصّر وانفض من حوله الأتباع.

● **الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود** ١٨١٧م نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب وأنه رسول(*) الله

الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب، وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية.

ـ حاول قتل أخيه صبح أزل، وكان على علاقة باليهود في أدرنة بسالونيك في تركيا، والتي يطلق عليها البهائيون أرض السر التي أرسل منها إلى عكا، فقتل من أتباع أخيه صبح أزل الكثير. وفي عام ١٨٩٢م قتله بعض الأزليين ودفن بالبهجة بعكا وله **الأقدس** الذي نسخ به **البيان والإيقان**، وكانت كتبه تدعو للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين.

● **عباس أفندي: الملقب بـ عبد البهاء** ولد في ٢٣ مايو ١٨٤٤م يوم إعلان دعوة الباب نفسه، أوصى له والده البهاء بخلافته فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة، ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع، وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة على الخلق.

ـ زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بال ١٩١١م، وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية، كما استقبل الجنرال أللنبي لما أتى إلى فلسطين بالترحاب لدرجة أن كرمته بريطانيا بمنحه لقب سير فضلاً عن أرفع الأوسمة الأخرى.

ـ زار لندن وأمريكا وألمانيا والمجر والنمسا والإسكندرية للخروج بالدعوة من حيز الكيان الإسلامي، فأسس في شيكاغو أكبر محفل للبهائية، رحل إلى حيفا ١٩١٣م ثم إلى القاهرة، إذ هلك بها في ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ بعد أن نسخ بعض تعاليم أبيه وأضاف إليها من العهد القديم(*) ما يؤيد أقواله.

● **شوقي أفندي**: خلف جده عبد البهاء وهو ابن الرابعة والعشرين من العمر في عام ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ وسار على نهجه في إعداد الجماعات البهائية في العالم لانتخاب بيت العدالة الدولي، ومات بلندن بأزمة قلبية ودفن بها في أرض قدمتها الحكومة البريطانية هدية للطائفة البهائية.

● في عام ١٩٦٣م تولى تسعة من البهائيين شؤون البهائية بتأسيس بيت العدالة الدولي من تسعة أعضاء أربعة من أمريكا، واثنان من إنجلترا وثلاثة من إيران وذلك برئاسة فرناندو سانت، ثم تولى رئاستها من بعده اليهودي الصهيوني ميسون الأمريكي الجنسية.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جمع الأشياء.

● يقولون بالحلول(*) والاتحاد(*) والتناسخ(*) وخلود الكائنات، وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط على وجه يشبه الخيال.

● يقدسون العدد ١٩، ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهراً وعدد أيام الشهر ١٩ يوماً. وقد تابعهم في هذا الهراء المدعو محمد رشاد خليفة حين ادَّعى قدسية خاصة للرقم ١٩، وحاول إثبات أن القرآن الكريم قائم في نظمه من حيث عدد الكلمات والحروف على ١٩، ولكن كلامه ساقط بكل المقاييس.

● يقولون بنبوة بوذا(*) وكنفوشيوس وبراهما(*) وزاردشت وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس الأول.

● يوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح(*).

● يؤولون القرآن تأويلات باطنية(*) ليتوافق مع مذهبهم.

● ينكرون معجزات الأنبياء(*) وحقيقة الملائكة والجن، كما ينكرون الجنة والنار.

● يحرمون الحجاب على المرأة، ويحللون المتعة، وشيوعية النساء والأموال.

● يقولون إن دين(*) الباب ناسخ لشريعة محمد، ﷺ.

● يؤولون القيامة بظهور البهاء، أما قبلتهم فهي إلى البهجة بعكا بفلسطين بدلاً من المسجد الحرام.

● والصلاة تؤدى في تسع ركعات ثلاث مرات والوضوء بماء الورد، وإن لم يوجد فالبسملة بسم الله الأطهر خمس مرات.

● لا توجد صلاة الجماعة إلا في الصلاة على الميت، وهي ست تكبيرات يقول كل تكبيرة «الله أبهى».

● الصيام عندهم في الشهر التاسع عشر شهر العلا فيجب فيه الامتناع عن تناول الطعام من الشروق إلى الغروب مدة تسعة عشر يوماً «شهر بهائي» ويكون آخرها عيد النيروز ٢١ آذار، وذلك من سن ١١ إلى ٤٢ فقط بعدها يعفى البهائيون من الصيام.

● تحريم الجهاد(*) وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية.

● ينكرون أن محمداً خاتم النبيين، مدعين استمرار الوحي(*) وقد وضعوا كتباً معارضة للقرآن الكريم مليئة بالأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب.

● يبطلون الحج إلى مكة وحجهم حيث دفن بهاء الله في البهجة بعكا بفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الرافضة(*) الإمامية.

● الشيخية(*) أتباع الشيخ أحمد الإحسائي.

● الماسونية العالمية.

● الصهيونية العالمية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تقطن الغالبية العظمى من البهائيين في إيران وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة حيث مقرهم الرئيسي، وكذلك لهم وجود في مصر حيث أغلقت محافلهم بقرار جمهوري رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م، كما أن لهم عدة محافل مركزية في أفريقيا بأديس أبابا وفي الحبشة وكمبالا بأوغندا ولوساكا بزامبيا التي عقد فيها مؤتمرهم السنوي في الفترة من ٢٣ مايو حتى ١٣ يونيو ١٩٨٩م، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا وكذلك المحفل الملى بكراتشي بباكستان. ولهم، أيضاً، حضور في الدول الغربية، فلهم في لندن وفيينا وفرانكفورت محافل، وكذلك بسيدني في أستراليا ويوجد في شيكاغو بالولايات المتحدة أكبر معبد لهم، وهو ما يطلق عليه مشرق الأذكار، ومنه تصدر مجلة **نجم الغرب**، وكذلك في ويلمنت النويز «المركز الأمريكي للعقيدة البهائية»، وفي نيويورك لهم قافلة الشرق والغرب، وهي حركة شبابية قامت على المبادىء البهائية، ولهم كتاب **دليل القافلة وأصدقاء العلم**. ولهم تجمعات كبيرة في هيوستن ولوس أنجلوس وبيركلين بنيويورك، إذ يقدر عدد البهائيين بالولايات المتحدة بحوالي مليوني بهائي ينتسبون إلى ٦٠٠ جمعية. ومن العجيب أن لهذه الطائفة ممثلاً في الأمم المتحدة(*) في نيويورك فيكتور دي أرخو، ولهم ممثل في مقر الأمم المتحدة بجنيف[١] ونيروبي، وممثل خاص لأفريقيا، وكذلك عضو استشاري في

---

(١) اسمه أنطوان بلانكا المدير العام للمقر الأوروبي للأمم المتحدة، وأخيراً عينه الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي ليكون الأمين العام للمؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ـ فيينا ـ ٩٣ ـ ولذا قام بعقد اجتماع تحضيري في المؤسسة الرئيسة للطائفة البهائية في سويسرا، أكاديمية لانديغ.

المجلس الاجتماعي والاقتصادي للأمم المتحدة أيكوسكو Ecosco ، وكذلك في برنامج البيئة للأمم المتحدة Unep ، وفي اليونيسيف Unicef، وكذلك بمكتب الأمم المتحدة للمعلومات U.N. office of public information، ودزي بوس ممثل الجماعات البهائية الدولية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، ورستم خيروف الذي ينتمي إلى المؤسسة الدولية لبقاء الإنسانية.

ويتضح مما سبق:

أن البابية والبهائية من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام بحكم إنكارهم أن رسول الله، ﷺ، هو خاتم الأنبياء(*) والمرسلين، وادعائهم بأن روح الله، عز وجل، حلت في الباب أو البهاء، وإنكارهم للعقوبات الإلهية وموالاتهم المستمرة لليهود وسعيهم الدائب لتهويد المسلمين، وإعلانهم أن كتابهم **البيان** قد نسخ القرآن الكريم.

وقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية مثل مجمع الفقه الإسلامي بمكة ودار الإفتاء المصرية بخروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام،واعتبارها حرباً عليه،وبكفر(*) أتباعهما كفراً بواحاً سافراً لا تأويل فيه. (جريدة المدينة ـ الأحد ١٣٩٩/١١/٢هـ ٢٣ سبتمبر ١٩٧٩م).

مراجع للتوسع:

● **كتب ورسائل للبابيين والبهائيين:**

- **مجلة نجم الغرب** ـ تصدر من المحفل البهائي «مشرق الأذكار» شيكاغو.
- **جريدة الأخبار الآمرية** ـ لسان المحفل البهائي العالمي ـ بفلسطين المحتلة.
- **البيان الفارسي** ـ طبع في إيران والهند.
- **البيان العربي** ـ طبع في الهند والعراق.
- **الإيقان** ـ للبهاء ـ طبع في المحفل الملي بكراتشي ـ موجود نسخة بمكتبة باريس ولندن.
- **بهاء يا إلهي نسائم الرحمن** ـ المحفل الروحاني المركزي البهائي بشمال أفريقيا.
- **مذكرات دلغوركي** ـ صحيفة الشرق الروسية ١٩٢٥م.
- **الفرائد** ـ **لأبي الفضائل الجرفادقاني** ـ مطبعة أمين هندية القاهرة، وأعيد طبعه بالمحفل الملي بكراتشي باكستان.
- **الحجج البهية** ـ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٢٥م ـ وأعيد طبعه في المحفل الروحاني

للبهائية بشمال شرق أفريقيا.

- **مختصر المبادىء الإلهية** ـ المحفل الروحاني المركزي البهائي في شمال شرق أفريقيا.
- **الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية** ـ مؤرخ البهائية ميرزا عبد الحسين إداره القاهرة ١٩٢٤م.
- **خطب عبد البهاء** في أوربا وأمريكا ـ المحفل الروحاني المركزي للبهائية بشمال شرق أفريقيا ـ أديس أبابا ـ الحبشة.
- **دائرة المعارف** للبساتي ـ طبع في طهران.
- **مقالة سائح في البابية والبهائية** لعبد البهاء ـ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.
- **الألواح المباركة** ـ للبهاء ـ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

● **كتب ورسائل لغير البابيين والبهائيين:**

- **مختصر التحفة الاثني عشرية** ـ للسيد محمود شكري الألوسي.
- **خفايا الطائفة البهائية**[1] ـ الدكتور محمد أحمد عوف ـ مطبعة دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢م.
- **البابية عرض ونقد** ـ إحسان إلهي ظهير.
- **البهائية أضواء وحقائق** ـ إحسان إلهي ظهير.
- **هذه هي البهائية** ـ إصدار رابطة العالم الإسلامي.
- **البابيون والبهائيون ماضيهم وحاضرهم** ـ عبد الرازق الحسين.
- **البهائية تاريخها وعقيدتها** ـ عبد الرحمن الوكيل.
- **البيانات** أبو الأعلى المودودي.

(١) به ملحق لنص كتابي **البيان والأقدس** باللغة العربية.

٤٩ـ القاديانية

التعريف:

القاديانية حركة(*) نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار(*) الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد(*) بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة **الأديان** التي تصدر باللغة الإنجليزية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩ ـ ١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين(*) والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفيا للاستعمار مطيعاً له في كل حال، فاختير لدور المتنبىء حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد معروفا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

ـ وممن تصدى له ولدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، إذ ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفر(*) وانحراف نحلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفاء على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في عام ١٩٠٨م مخلفاً أكثر من خمسين كتابا ونشرة ومقالا، ومن أهم كتبه: **إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي، براهين أحمدية، أنوار الإسلام، إعجاز المسيح، التبليغ، تجليات إلهية**.

● نور الدين: الخليفة الأول للقاديانية، وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون. من مؤلفاته: **فصل الخطاب**.

● محمد علي وخوجه كمال الدين: أميرا القاديانية اللاهورية، وهما مُنَظّرا القاديانية وقد قدّم الأول ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية ومن مؤلفاته: **حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام، والدين الإسلامي**. أما الخوجة كمال الدين فله كتاب **المثل الأعلى** في

الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه الأحمدية تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب، ولكنهما يعدان حركة(*) واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس.

● محمد علي: أمير القاديانية اللاهورية، وهو مُنَظِّر القاديانية وجاسوس الاستعمار(*) والقائم على المجلة الناطقة باسم القاديانية، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية. من مؤلفاته: **حقيقة الاختلاف، النبوة(*) في الإسلام** على ما تقدم.

● محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته: **خاتم النبيين**.

● بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته **سيرة المهدي**، **كلمة الفصل**.

● محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني: من مؤلفاته **أنوار الخلافة**، **تحفة الملوك**، **حقيقة النبوة**.

● كان لتعيين ظفر الله خان القادياني كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة، إذ خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركزاً عالميًّا لهذه الطائفة وسموها ربوة استعارة من نص الآية القرآنية ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . [المؤمنون: ٥٠].

الأفكار والمعتقدات:

● بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد، ﷺ.

● يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطىء ويجامع ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ.

● يعتقد القادياني بأن إلهه(*) إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية.

● تعتقد القاديانية بأن النبوة(*) لم تختم بمحمد، ﷺ، بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً.

● يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن.

● يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا مايكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

● يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه **الكتاب المبين** وهو غير القرآن الكريم.

● يعتقدون أنهم أصحاب دين(*) جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

● يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل أفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.

● نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد(*) كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن.

● كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية، كما أن من زوج أو تزوج من غير القاديانيين فهو كافر.

● يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

الجذور الفكرية والعقائدية:

●كانت حركة(*) سير سيد أحمد خان التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة.

● استغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية، واختاروا لها رجلاً من أسرة عريقة في العمالة.

● في عام ١٩٥٣م قامت ثورة(*) شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ، واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي عشرة آلاف من المسلمين، ونجحوا في إقالة الوزير القادياني.

● وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٤ هـ الموافق إبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

● قام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود يرحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة، وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قرارا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

● من موجبات كفر(*) الميرزا غلام أحمد الآتي:

ـ ادعاؤه النبوة(*).

ـ نسخه فريضة الجهاد(*) خدمة للاستعمار.

- إلغاؤه الحج إلى مكة وتحويله إياه إلى قاديان.
- تشبيهه الله تعالى بالبشر.
- إيمانه بعقيدة التناسخ(*) والحلول(*).
- نسبته الولد إلى الله تعالىٰ وادعاؤه أنه ابن الإله!.
- إنكاره ختم النبوة بمحمد، ﷺ، وفتح بابها لكل من هبَّ ودبَّ.

● للقاديانية علاقات وطيدة مع إسرائيل، وقد فتحت لهم إسرائيل المراكز والمدارس ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم وطبع الكتب والنشرات لتوزيعها في العالم.

● تأثرهم بالمسيحية(*) واليهودية والحركات الباطنية(*) واضح في عقائدهم وسلوكهم على الرغم من ادعائهم الإسلام ظاهريا.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان، وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي، ويسعون بمساعدة الاستعمار(*) للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه.

● وللقاديانيين نشاط كبير في أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها ما يزيد على خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.

● هذا وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب(*)، وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارات الشركات والمفوضيات، وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في مخابراتها السرية.

● نشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بجميع الوسائل وخصوصاً الثقافية منها، إذ إنهم مثقفون ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء. ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانية.

ويتضح مما سبق:

أن القاديانية دعوة ضالة، ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها تخالف الإسلام في كل شيء، وينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم.

مراجع للتوسع:

- **القاديانية**، إحسان إلهي ظهير.
- **القاديانية**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، أبو الأعلى المودودي، محمد الخضر حسين.
- **تاريخ القاديانية**، ثناء الله الأمر تسري.
- **سوداء القاديانية**، محمد علي الأمر تسري.
- **فتنة القاديانية**، عتيق الرحمن عتيق (قادياني ـ سابقا).
- **المذهب القادياني**، إلياس برني.

٥٠ـ الحزب الجمهوري في السودان

التعريف:

هو حزب(*) سوداني أسسه محمود محمد طه ليدعو إلى قيام حكومة فيدرالية ديمقراطية(*) اشتراكية(*) تحكم بالشريعة الإنسانية. ومبادىء الحزب(*) مزيج من الأفكار الصوفية الغالية والفلسفات المختلفة مع شيء من الغموض والتعقيد المقصود بغية إخفاء كثير من الحقائق أولاً ولجذب أنظار المثقفين ثانياً.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذا الحزب هو المهندس محمود محمد طه الذي ولد عام ١٩١١م وتخرج في جامعة الخرطوم أيام الإنجليز عندما كان اسمها (كلية الخرطوم التذكارية) عام ١٩٣٦م.

ـ يمتاز بالقدرة على المجادلة والملاحاة.

ـ تعرَّض للسجن في الفترة الأخيرة من حياته، ثم أُفرج عنه بعد ذلك، لكنه قاد نشاطاً محموماً فور خروجه من السجن معترضاً على تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في السودان ومحرضاً الجنوبيين النصارى ضدها، مما أدى إلى صدور حكم بالإعدام ضده مع أربعة من أنصاره بتهمة الزندقة(*) ومعارضة تطبيق الشريعة الإسلامية.

ـ أمهل ثلاثة أيام ليتوب خلالها، لكنه لم يتب، وقد أعدم شنقاً صباح يوم الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ الموافق ١٨/ ١/ ١٩٨٥م، وعلى مرأى من أتباعه الأربعة وهم:

١- تاج الدين عبد الرزاق ٣٥ سنة، العامل بإحدى شركات صناعة النسيج.

٢- خالد بكير حمزة ٢٢ سنة طالب بجامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم.

٣- محمد صالح بشير ٣٦ سنة مستخدم بشركة الجزيرة للتجارة.

٤- عبد اللطيف عمر ٥١ سنة صحفي بجريدة **الصحافة**. وقد أعلنوا جميعاً توبتهم بعد يومين وأنقذوا بذلك رقابهم من حبل المشنقة.

الأفكار والمعتقدات:

● لهذه الحركة(*) أفكار ومعتقدات شاذة تنبو عن الحس الإسلامي، وقد حدد زعيمهم الأهداف التي يسعون إليها فيما يلي:

ـ إيجاد الفرد البشري الحر «الذي يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر ويعمل كما يقول».

ـ إقامة ما يسمى بالمجتمع الصالح «وهو المجتمع الذي يقوم على المساواة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية».

ـ المساواة الاقتصادية: وهي تبدأ بالاشتراكية(*) وتتطور نحو الشيوعية(*) (عندما كان لها طنين ورنين وقبل سقوطها الأخير) ولا ندري ماذا كان سيقول أتباعه بعد سقوط الشيوعية.

ـ المساواة السياسية: وهي تبدأ بالديمقراطية النيابية المباشرة(*) وتنتهي بالحرية(*) الفردية المطلقة، إذ يكون لكل فرد شريعته الفردية (وهذا منتهى الفوضى).

ـ المساواة الاجتماعية: إذ تمحى فوارق الطبقة واللون والعنصر والعقيدة.

ـ محاربة الخوف.. «والخوف من حيث هو الأب الشرعي لكل آفات الأخلاق ومعايب السلوك (ويعني هنا مخافة الله)، ولن تتم كمالات الرجولة للرجل وهو خائف، ولا تتم كمالات الأنوثة للأنثى وهي خائفة في أي مستوى من الخوف وفي أي لون من ألوانه، فالكمال السلامة من الخوف» **رسالة الصلاة، ص ٦٢**.

● نشأ الدين(*) ـ حسب زعمهم ـ من الخوف، إذ يقول: «ولما كان الإنسان الأول قد وجد نفسه في البيئة الطبيعية التي خلقه الله فيها محاطاً بالعداوات من جميع أقطاره فإنه قد سار في طريق الفكر والعمل من أجل الاحتفاظ بحياته، وقد هداه الله بعقله وقلبه إلى تقسيم القوى التي تحيط به إلى أصدقاء وإلى أعداء، ثم قسم الأعداء إلى أعداء يطيقهم وتنالهم قدرته، وإلى أعداء يفوقون طوقه ويعجزون قدرته.. فأما الأعداء الذين يطيقهم وتنالهم قدرته مثل الحيوان المفترس والإنسان العدو فقد عمد في أمرهم إلى المنازلة والمصاولة، وأما الأعداء الكبار والأصدقاء فقد هدته حيلته إلى التزلف إليهم بتقريب القرابين وبإظهار الخضوع وبالتملق، فأما الأصدقاء فبدافع من الرجاء، وأما الأعداء فبدافع من الخوف، وبدأت من يومئذ مراسيم العبادة ونشأ الدين» **رسالة الصلاة ص ٣١**.

● وسيلته إلى تحقيق هذه الأهداف تكون بالعمل على قيام حكومة في السودان ذات نظام جمهوري فيدرالي ديمقراطي اشتراكي.

● زعم أنه تلقى رسالة عن الله كفاحاً بدون واسطة.

● زعم بأن الدين هو الصدأ والدنس، وقد قام في ظل الأوهام والخرافات والأباطيل التي صحبت علمنا بالله وبحقائق الأشياء وبما يمليه علينا الواجب نحو أنفسنا ونحو الله ونحو الجماعة.

● يقول بأن مستوى شريعة الأصول هو مستوى الرسالة الثانية من الإسلام وهي الرسالة التي وظف حياته للتبشير بها والدعوة إليها.

● يزعم أن محمداً، ﷺ، هو وحده الإنسان في سائر أمته إذ كانت له شريعة خاصة قامت على أصول الإسلام وكانت شريعة أمته تقوم على الفروع.

● يشير إلى أن الشيوعية تختلف عن الاشتراكية اختلاف مقدار، فكأن الاشتراكية إنما هي طور مرحلي نحو الشيوعية، ولقد عاش المعصومُ يعني الرسول(*)، ﷺ، الشيوعية في قمتها، كما يذكر ذلك في كتابه **الرسالة الثانية ص ١٤٧**.

● كان الجمهوريون يحرضون على خروج الأخوات الجمهوريات في تشييع الجنائز، وإذا اضطروا للصلاة فإن المرأة الجمهورية هي التي تؤذن في حضور الرجال.

● لا يولمون للزواج الجمهوري، ولا يضحون في مناسبة عيد الأضحى، مخالفة للسنة.

● الشهادتان: يقول زعيمهم في كتابه **الرسالة الثانية** ص ١٦٤، ١٦٥: «فهو حين يدخل من مدخل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يجاهد ليرقى بإتقان هذا التقليد حتى يرقى بشهادة التوحيد إلى مرتبة يتخلى فيها عن الشهادة، ولا يرى إلا أن الشاهد هو المشهود، وعندئذ يقف على الأعتاب ويخاطب كفاحاً بغير حجاب ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

● الصلاة: الصلاة بالمعنى القريب: هي الصلاة الشرعية ذات الحركات المعروفة، والصلاة بالمعنى البعيد: هي الصلة مع الله بلا واسطة، أو هي صلاة الأصالة.

● يرون بأن التكليف في مرحلة من المراحل يسقط عن الإنسان لاكتمال صلاحه، إذ لا داعي للعبادة حينذاك. على نحو ما يقول غلاة الصوفية.

● يقول مؤسس الحزب: «. . . ويومئذ لا يكون العبد مسيراً، إنما هو مخير قد أطاع الله حتى أطاعه الله معارضة لفعله، فيكون حيًّا حياة الله، وقادراً قدرة الله، ومريداً إرادة الله، ويكون الله» ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ـ وهذا هو مذهب الصوفية في وحدة الوجود.

● يقول رئيسهم: إن جبريل تخلف عن النبي(*)، وسار المعصوم بلا واسطة لحضرة الشهود الذاتي، لأن الشهود الذاتي لا يتم بواسطة. . والنبي الذي هو جبريلنا نحن يرقى بنا إلى سدرة منتهى كل منًّا، ويقف هناك كما وقف جبريل حتى يتم اللقاء بين العابد المجرد وبين الله بلا واسطة، فيأخذ كل عابد مجرد، من الأمة الإسلامية المقبلة شريعته الفردية بلا واسطة فتكون له شهادته، وتكون له صلاته وصيامه وزكاته وحجه ويكون في كل أولئك أصيلاً.

● هناك أشياء لا يعتبرونها أصلاً من الإسلام كالزكاة والحجاب والتعدد.

● يرى زعيمهم «بأن اللطائف تخرج من الكثائف، وعلى هذه القاعدة المطردة فإن الإنجيل(*) قد خرج من التوراة(*) كما ستخرج أمة المسلمين من المؤمنين، كما ستخرج الرسالة الأحمدية (أي الجمهورية) من الرسالة المحمدية، كما سيخرج الإخوان من الأصحاب».

● يقول محمود طه عن القرآن الكريم: «القرآن موسيقى علوية، هو يعلمك كل شيء ولا يعلمك شيئاً بعينه، هو ينبه قوى الإحساس ويشحذ أدوات الحس ثم يخلي بينك وبين عالم المادة لتدركه على أسلوبك الخاص، هذا هو القرآن».

● له رأي خاص في معنى الشرك ومعنى التوحيد:

ـ الشرك لديه: «هو الكبت الذي انقسمت به النفس الإنسانية إلى عقل واع وعقل باطن بينهما تضاد وتعارض».

ـ يبيِّن مفهوم التوحيد من وجهة نظره بقوله: «ولا يكون الفكر مسدداً ولا مستقيماً إلا إذا أصاب نقطة التقاء الضدين العقل الواعي والباطن ـ هذا هو التوحيد».

● يقول عن الإسلام: «الإسلام في أصوله يحوي شريعة الإنسان، لكنه في فروعه لا يزال يحوي بعض السمات الملطفة من قانون الغابة».

● يعتقدون بأن الذين كانوا حول النبي هم أصحابه، أما الأتباع الذين يتبعون الدعوة الجمهورية فهم الإخوة معتمدين في ذلك على الحديث الذي رواه ابن ماجه في كتاب الزهد عن أبي هريرة عن النبي، ﷺ، قال: «**لوددنا أنا قد رأينا إخواننا**. قالوا: يا رسول الله أولسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني الذين يأتون من بعدي، وأنا فرطكم على الحوض. . ».

● يقول: « . . . وحين يكون إنجاب الذرية هو نتيجة العلاقة الجنسية بيننا وبين نسائنا تكون ثمرة العلاقة بين الذات القديمة وزوجها الإنسان الكامل ـ المعارف اللدنية ـ فإن انفعال العبودية للربوبية يرفع الحجب التي أنستنا النفس التي هي أصلنا ـ نفس الله تبارك وتعالى ـ وحين يتم اللقاء بين هذين الزوجين الذات الإلهية والإنسان الكامل (الجمهوري والجمهورية) ينبث العلم اللدني في فيض يغمر العبد الصالح من جميع أقطاره، ومن هذا العلم اللدني يوضع رجال ونساء».

ـ ويذكر قائلاً: «فهذا الوضع بين الذات الإلهية والإنسان الكامل ـ انفعال العبودية بالربوبية ـ هو الذي جاء الوضع منه بين الرجال والنساء انفعال الأنوثة بالذكورة، هو ما يسمى بالعلاقة الجنسية».

ـ ويقول، أيضاً: «انفعال الأنوثة بالذكورة، وهو ما يسمى عندنا بالعلاقة الجنسية، وتكون ثمرتها المباشرة تعميق الحياة واجتنابها ووصلها بالله بغير حجاب، وهذه هي ذروة اللذة».

● ويقول في الكتاب ذاته: «وليس لله تعالى صورة فيكونها ولا نهاية فيبلغها، وإنما حظه من ذلك أن يكون مستمر التكوين بتجديد حياة فكره وحياة شعوره في كل لحظة، وإلى ذلك تهدف العبادة».

الجذور الفكرية والعقدية:

● لقد جاءت أفكار هذا الحزب مزيجاً مشوشاً مضطرباً من أديان وآراء ومذاهب كثيرة حديثة وقديمة:

ـ فقد اعتمد مؤسس هذا الحزب على آراء محيي الدين بن عربي في كتابه **فصوص الحكم** مما حمل بعض النقاد على الاعتقاد بأنهم حركة صوفية باطنية(*)، يضاف إلى ذلك أنهم يطلقون البخور ويرقصون في الشوارع على الأنغام الإيقاعية في حلقات الذكر الجمهوري.

ـ يصدر في كثير من آرائه عن فرويد، وداروين.

ـ لعله متأثر بالنصرانية من خلال مناقشته لفكرة الإنسان الكامل الذي سيحاسب الناس بدلاً عن الله. وقد أخذ أفكاره من كتاب **الإنسان الكامل** لمؤلفه عبد الكريم الجبلي.

ـ اعتمد على الأفكار الاشتراكية الماركسية في تحديد معالم فكرة الدولة القادمة التي يدعو إليها.

ـ إنهم يلتقون في كثير من أفكارهم مع البهائية والقاديانية.

ـ على الرغم مما سبق فإنه يصدر كتبه بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية مستدلاً بهما فيما يدعو إليه، لكن ذلك لا يضفي عليها صفة الإسلام قط بل الحقيقة أنها لون من ألوان الردّة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● نشأ هذا الحزب(*) وترعرع في السودان، وأنصاره بلغوا بضع عشرات من الألوف، لكن عددهم انحسر وتقلص كثيراً جدًّا وذلك عقب إعدام زعيمهم، فيهم نسبة لا بأس بها من المثقفين الذين خلا فكرهم من الثقافة الإسلامية الدينية، ومن المتوقع أن ينقرض هذا الحزب تماماً نتيجة لانتشار الصحوة الإسلامية في السودان.

ويتضح مما سبق:

أن الحزب الجمهوري في السودان حزب منحرف عن الإسلام عمد مؤسسه إلى إفراغ المصطلحات الإسلامية من مدلولاتها الشرعية ووظف حياته لهدم الإسلام وتحريف أصوله وسلك طريقاً ينأى بأتباعه عن الدين الصحيح بتلبيس الحق بالباطل مستفيداً من أفكاره، ومستعيناً بمصادر أخرى غير إسلامية من الفلسفات الإغريقية، وتابع غلاة الصوفية في المناداة بوحدة الوجود، وألبسها طابعاً علميًّا لتجد سبيلها إلى نفوس الشباب وبعض المنبهرين ببريق العلم، وانتهى أمره بأن غالى فيه أتباعه واعتقدوه المسيح المنتظر، وأقرهم على ذلك ولم يعترض عليه. ولقد أراح الله المجتمع السوداني من شروره بعد أن استفحل أمره وأنقذ بإعدامه آلاف الشباب الأغرار وأنصاف المثقفين من فتنته.

مراجع للتوسع:

- **أسس دستور السودان**، ـ محمود محمد طه، وهو كتاب نادر الوجود إذ يعملون على إخفائه من الأسواق.
- **تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، محمود محمد طه.
- **طريق محمد**، محمود محمد طه.
- **كتاب رسائل ومقالات**، محمود محمد طه.
- **كتاب الإسلام والفنون**، محمود محمد طه.
- **رسالة الصلاة**، محمود محمد طه.
- لقد أصدر الجمهوريون كذلك كتاب (**الضحية ليست واجبة لا على الأغنياء ولا على الفقراء**).
- **الفكر الجمهوري تحت المجهر**، النور محمد أحمد، مطبوعات اتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية، أمانة الشؤون الثقافية.
- دراسة مفصلة عن **الحزب الجمهوري** في ملفات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٥١ـ الأحباش

التعريف:

طائفة ضالة تنسب إلى عبدالله الحبشي، ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر للدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية(*) بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **عبدالله الهرري الحبشي**: هو عبدالله بن محمد الشيبي العبدري نسباً الهرري موطناً نسبة إلى مدينة هرر بالحبشة، فيها ولد لقبيلة تدعى الشيباني نسبة إلى بني شيبة من القبائل العربية. ودرس في باديتها اللغة العربية والفقه الشافعي على الشيخ سعيد بن عبد الرحمن النوري والشيخ محمد يونس **جامع الفنون**، ثم ارتحل إلى منطقة جُمة وبها درس على الشيخ الشريف، وفيها نشأ شذوذه وانحرافه، إذ بايع(*) على الطريقة التيجانية. ثم ارتحل إلى منطقة داويء من مناطق أرمو ودرس **صحيح البخاري وعلوم القرآن الكريم** على الحاج أحمد الكبير. ثم ارتحل إلى قرية قريبة من داويء فالتقى بالشيخ مفتي السراج ـ تلميذ الشيخ يوسف النبهاني صاحب كتاب **شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق**، ودرس علي يديه الحديث. ومن هنا توغل في الصوفية وبايع على الطريقة الرفاعية. ثم أتى إلى سوريا ثم إلى لبنان من بلاد الحبشة في أفريقيا عام ١٩٦٩م. وذكر أتباعه أنه قدم عام ١٩٥٠م بعد أن أثار الفتن ضد المسلمين، إذ تعاون مع حاكم إندراجي صهر هيلاسيلاسي ضد الجمعيات الإسلامية لتحفيظ القرآن بمدينة هرر سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨م فيما عرف بفتنة بلاد كُلُب، فصدر الحكم على مدير المدرسة إبراهيم حسن بالسجن ثلاثاً وعشرين سنة مع النفي، إذ قضى نحبه في مقاطعة جوري بعد نفيه إليها. وبسبب تعاون عبدالله الهرري مع نظام هيلاسيلاسي، تم تسليم الدعاة والمشايخ إليه وإذلالهم حتى فر الكثيرون إلى مصر والسعودية، ولذلك أطلق عليه الناس هناك صفة «الفتّان» أو «شيخ الفتنة».

ـ منذ أن أتى لبنان وهو يعمل على بث الأحقاد والضغائن ونشر الفتن كما فعل في بلاده من قبل من نشره لعقيدته الفاسدة من شرك وترويج لمذاهب(*) الجهمية في تأويل صفات الله، والإرجاء والجبر والتصوف والباطنية والرفض، وسب للصحابة، واتهام لأم المؤمنين

عائشة بعصيان أمر الله، بالإضافة إلى فتاوى شاذة.

ـ نجح الحبشي مؤخراً في تخريج مجموعات كبيرة من المتبجحين والمتعصبين الذين لا يرون مسلماً إلا من أعلن الإذعان والخضوع لعقيدة شيخهم مع ما تتضمنه من إرجاء(*) في الإيمان، وجبر(*) في أفعال الله، وجهمية(*) واعتزال في صفات الله. فهم يطرقون بيوت الناس ويلحون عليهم بتعلم العقيدة الحبشية، ويوزعون عليهم كتب شيخهم بالمجان.

● **نزار الحلبي**: خليفة الحبشي ورئيس جمعية المشاريع الإسلامية، ويطلقون عليه لقب «سماحة الشيخ»، إذ يعدونه لمنصب دار الفتوى، إذ كانوا يكتبون على جدران الطرق «لا للمفتي حسن خالد الكافر، نعم للمفتي نزار الحلبي» وقد قتل مؤخراً.

● لديهم العديد من الشخصيات العامة، مثل النائب البرلماني عدنان الطرابلسي ومرشحهم الآخر طه ناجي الذي حصل على ١٧٠٠ صوت معظهم من النصارى، إذ وعدهم بالقضاء على الأصولية(*) الإسلامية، لكن لم يكتب له النجاح، وحسان قرقيرا نائب رئيس جمعية المشاريع الإسلامية، وكمال الحوت وعماد الدين حيدر وعبد الله البارودي، وهؤلاء الذين يشرفون على أكبر أجهزة الأبحاث والمخطوطات مثل المؤسسة الثقافية للخدمات ومركز الأبحاث والخدمات، وقد بدأوا أخيراً في تحقيق كتب التراث تحقيقاً جهميًّا أشعريًّا ويحيلون إلى اسم غريب لا يعرفه حتى طلبة العلم فمثلاً يقولون: «قال الحافظ العبدري في دليله» فيدلسون على الناس فيظنون أن الحافظ من مشاهير علماء المسلمين مثل الحافظ ابن حجر أو النووي، وإنما هو في الحقيقة شيخهم ينقلون من كتابه الدليل **القويم** مثلاً.

الأفكار والمعتقدات:

● يزعم الأحباش أنهم على مذهب(*) الإمام الشافعي في الفقه والاعتقاد، ولكنهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن مذهب الإمام الشافعي يرحمه الله. فهم يؤولون(*) صفات الله تعالى بلا ضابط شرعي فيؤولون الاستواء بالاستيلاء كالمعتزلة والجهمية(*).

● يزعم الحبشي أن جبريل هو الذي أنشأ ألفاظ القرآن الكريم وليس الله تعالى؛ فالقرآن عنده ليس بكلام الله تعالى، وإنما هو عبارة عن كلام جبريل، كما في كتابه **إظهار العقيدة السنية** ص٥٩١.

● الأحباش في مسألة الإيمان من المرجئة(*) الجهمية الذين يؤخرون العمل عن الإيمان، ويبقى الرجل عندهم مؤمناً وإن ترك الصلاة وسائر الأركان، (انظر **الدليل القويم** ص٧، **بغية الطالب** ص٥١).

ـ تبعاً لذلك يقللون من شأن التحاكم إلى القوانين الوضعية(*) المناقضة لحكم الله

تعالى فيقول الحبشي: «ومن لم يحكّم شرع الله في نفسه فلا يؤدي شيئاً من فرائض الله ولا يجتنب من المحرمات، ولكنه قال ولو مرة في العمر: لا إله إلا الله، فهذا مسلم مؤمن. ويقال له، أيضاً، مؤمن مذنب» **الدليل القويم** ٩، ١٠ **بغية الطالب** ٥١.

● الأحباش في القدر جبرية(*) منحرفة يزعمون أن الله هو الذي أعان الكافر على كفره وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر. (**النهج السليم** ٧١).

● يحث الأحباش الناس على التوجه إلى قبور الأموات والاستغاثة بهم وطلب قضاء، الحوائج منهم؛ لأنهم في زعمهم يخرجون من قبورهم لقضاء حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إليها، كما يجيزون الاستعاذة بغير الله، ويدعون للتبرك بالأحجار. (**الدليل القويم** ١٧٣ **بغية الطالب** ٨ **صريح البيان** ٥٧، ٦٢). (شريط خالد كنعان/ ب/ ٧٠) ولو قال قائل أعوذ برسول الله من النار لكان هذا مشروعاً عندهم.

● يرجح الأحباش الأحاديث الضعيفة والموضوعة بما يؤيد مذهبهم، بينما يحكمون بضعف الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا تؤيد مذهبهم ويتجلى ذلك في كتاب **المولد النبوي**.

● يكثر الحبشي من سب الصحابة وخاصة معاوية بن أبي سفيان، وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنهم. ويطعن في خالد بن الوليد وغيره، ويقول إن الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه ماتوا ميتة جاهلية. ويكثر من التحذير من تكفير سابِّ الصحابة، لا سيما الشيخين إرضاءً للروافض(*). **إظهار العقيدة السنية** ١٨٢.

● يعتقد الحبشي أن الله تعالى خلق الكون لا لحكمة، وأرسل الرسل لا لحكمة، وأن من ربط فعلا من أفعال الله بالحكمة فهو مشرك.

● كفّر(*) الحبشي العديد من العلماء فحكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه كافر، وجعل من أول الواجبات على المكلف أن يعتقد كفره، ولذلك يحذر أشد التحذير من كتبه، وكذا الإمام الذهبي فهو عنده خبيث، كما يزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجرم قاتل كافر، ويرى أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني كافر، وكذلك الشيخ سيد سابق. فيزعم أنه مجوسي كافر أما الأستاذ سيد قطب فمن كبار الخوارج(*) الكفرة في ظنه. انظر **مجلة منار الهدى الحبشية** عدد (٣ص٢٣٤) **النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعِه فيصل مولوي)** أما ابن عربي صاحب مذهب وحدة الوجود(*) ونظرية الحلول(*) والاتحاد(*) والذي شهد العلماء بكفره فيعده الحبشي شيخ الإسلام. كما يدعو الحبشي إلى الطريقة النقشبندية والرفاعية الصوفية.

● وللحبشي العديد من الفتاوى الشاذة القائلة بجواز التحايل في الدين، وأن النظر والاختلاط والمصافحة للمرأة الأجنبية حلال لا شيء فيه بل للمرأة أن تخرج متعطرة متبرجة ولو بغير رضا زوجها.

● يبيح بيع الصبي الحر وشراءه كما يجيز للناس ترك زكاة العملة الورقية بدعوى أنه لا علاقة لها بالزكاة إذ هي واجبة في الذهب والفضة، كما يجيز أكل الربا ويجيز الصلاة متلبساً بالنجاسة. (**بغية الطالب ٩٩**).

● أثار الأحباش في أمريكا وكندا فتنة تغيير اتجاه القبلة حتى صارت لهم مساجد خاصة، إذ حرفوا القبلة ٩٠ درجة، وصاروا يتوجهون إلى عكس قبلة المسلمين، إذ يعتقدون أن الأرض نصف كروية على شكل نصف البرتقالة، وفي لبنان يصلون في جماعات خاصة بهم بعد انتهاء جماعة المسجد، كما اشتهر عنهم ضرب أئمة المساجد والتطاول عليهم وإلقاء الدروس في مساجدهم لنشر أفكارهم على الرغم منهم. ويعملون على إثارة الشغب في المساجد، كل هذا بمدٍّ وعونٍ من أعداء المسلمين بما يقدمون لهم من دعم ومؤازرة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● مما سبق يتبين أن الجذور الفكرية والعقائدية للأحباش تتلخص في الآتي:
- المذهب(*) الأشعري المتأخر في قضايا الصفات الذي يقترب من منهج الجهمية(*).
- المرجئة(*) والجهمية في قضايا الإيمان.
- الطرق الصوفية المنحرفة مثل الرفاعية والنقشبندية.
- عقيدة الجفر(*) الباطنية.
- مجموعة من الأفكار والمناهج المنحرفة التي تجتمع على هدف الكيد للإسلام وتمزيق المسلمين. ولا يستبعد أن يكون الحبشي وأتباعه مدسوسين من قبل بعض القوى الخارجية لإحداث البلبلة والفرقة بين المسلمين، كما فعل عبد القادر الصوفي ثم المرابطي في إسبانيا وبريطانيا وغيرها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ينتشر الأحباش في لبنان بصورة تثير الريبة، إذ انتشرت مدارسهم الضخمة وصارت حافلاتهم تملأ المدن وأبنية مدارسهم تفوق سعة المدارس الحكومية، علاوة على الرواتب المغرية لمن ينضم إليهم ويعمل معهم، وأصبح لهم إذاعة في لبنان تبث أفكارهم وتدعو إلى مذهبهم، كذلك ينتشر أتباع الحبشي في أوربا وأمريكا، وقد أثاروا القلاقل في كندا وأستراليا

والسويد والدانمارك. كما أثاروا الفتن في لبنان بسبب فتوى شيخهم بتحويل اتجاه القبلة إلى جهة الشمال.

وقد بدأ انتشار أتباع هذا المذهب الضال في مناطق عدة من العالم حيثما وجد لبنانيون في البداية، ثم بعض المضللين ممن يعجب بدعوة الحبشي.

يتضح مما سبق:

أن الأحباش طائفة ضالة، تنتمي إلى الإسلام ظاهراً وتهدم عراه باطناً، وقد استغلت سوء الأوضاع الاقتصادية وما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من فقر وجهل في الدعوة إلى مبادئها الهدامة وإحياء الكثير من الأفكار والمعتقدات الباطلة التي عفّى عليها الدهر مثل قضايا خلق القرآن والخلاف المعروف في قضايا الصفات التي تصدّى لها علماء أهل السنة والجماعة في الماضي والحاضر. وقد تصدّى لهم عدد من علماء أهل السنة والجماعة في عصرنا مثل المحدث الشيخ الألباني وغيره، وأفتى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الفتوى رقم ٢٣٩٢/١ بتاريخ ٣٠/١٠/١٤٠٦هـ التي جاء فيها: «إن طائفة الأحباش طائفة ضالة، ورئيسهم عبد الله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله، فالواجب مقاطعتهم وإنكار عقيدتهم الباطلة وتحذير الناس منهم ومن الاستماع لهم أو قبول ما يقولون».

مراجع للتوسع:

● **كتب ورسائل للأحباش:**

- **المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية**، عبد الله الحبشي.
- **التعقيب الحثيث** عبد الله الحبشي.
- **النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوي**، عبد الله الحبشي.
- **الدليل القويم على الصراط المستقيم**، عبد الله الحبشي.
- **بغية الطالب في معرفة علم الدين الواجب**، عبد الله الحبشي.
- **إظهار العقيدة السنية شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الله الحبشي.
- **كتاب المولد النبوي**، عبد الله الحبشي.
- **صريح البيان**، عبد الله الحبشي.
- **الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية**، كمال أبو المنى «كمال الحوت».
- **التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني**، كمال أبو المنى «كمال الحوت».
- **بهجة النظر**، عبدالله الحبشي.

- مجلة منار الهدى.

● كتب ورسائل ردت عليهم:

- **الرد على الشيخ الحبشي** - الشيخ عثمان الصافي.
- **استواء الله على العرش** - أسامة القصاص.
- **الاستواء بين التنزيه والتشويه** - للأستاذ عوض منصور.
- **إطلاقة الأعنَّة** رسالة منسوبة للشيخ الهاشمي.
- **رسالة الرد على الحبشي في موضوع إعانة الكافرين على كفرهم** عدنان ياسين النقشبندي.
- **عبد الله الحبشي: عقائده وشذوذه**، عبد الرحمن دمشقية.
- **الرد على عبد الله الحبشي**، عبد الرحمن دمشقية.
- **بين أهل السنة وأهل الفتنة**، عبد الرحمن دمشقية.
- **شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة**، عبد الرحمن دمشقية مخطوط ومسجل على شريط كاسيت.
- **الأضواء الساطعة على ما في كتاب [الدليل القويم على الصراط المستقيم] من أفكار زائفة وعقائد زائغة**. الشيخ عثمان بن عبد القادر الصافي.
- **مجلة الفرقان** الكويتية. عدد (٢٣) رجب ١٤١٣هـ يناير ١٩٩٣م - إصدار جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت.
- **مجلة المجتمع** العدد (١٠٢٩) ٢٠ جمادى الآخر ١٤١٣هـ - ١٥ ديسمبر ١٩٩٢م - إصدار جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت.
- **مجلة المجلة** العدد (٦٧٩) ١٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
- **مجلة الشراع** اللبنانية في حوار مع عدنان الطرابلسي نائب البرلمان العدد (٥٧٤)، (٦٣٩) ١/ ٨/ ١٩٩٤م.
- **جريدة المسلمون** العدد (٤٠٧) بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٩٢م، (٤١٠) بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٩٢م.
- **الشرق الأوسط** العدد (٥١١٧) بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٩٢م.
- **الرد على الأحباش** الشيخ محمد ناصر الدين الألباني شريط كاسيت.

٥٢ـ الأنصار

التعريف:

فرقة باطنية(*) عنصرية ظهرت بين السود في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينات الميلادية، وامتدت إلى كندا وأمريكا الوسطى والجنوبية نظراً لقوة أنشطتها. وهي تدَّعي الإسلام والانتساب إلى المهدية في السودان، غير أن عقائدها خليط من النصرانية(*) واليهودية والبوذية والإسلام.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ولد مؤسس هذه الفرقة دوايت يورك Dwight York سنة ١٩٣٥م بمدينة نيويورك، وكان يتعاطى المخدرات، فقضى فترة من عمره في السجن. وهناك تعرف على مبادىء الإسلام ودرس النصرانية واليهودية وغيرها من الأديان(*) والفرق. وبعد إطلاق سراحه في أوائل الستينات، أسلم في مسجد ستايت ستريت Stat St. بحي بروكلين Brooklyn بمدينة نيويورك، وانتحل لنفسه اسم عيسى عبد الله. وبما أن الوضع الاجتماعي في أمريكا كان مشحوناً بالشعور القومي آنذاك، فقد أخذ عيسى يدعو شباب السود في ضواحي نيويورك إلى الإسلام، بطابع قومي، معتمداً في ذلك على تأويل نصوص الإنجيل(*) المتداول، والقرآن الكريم. واتخذ شعاراً لفرقته هلالاً بداخله نجمة داود، وبداخلها صليب فرعون، وقد أطلق على فرقته في بداية الأمر اسم (أنصار الصوفية الخالصة Ansar Pure Sufi) شعاراً للفرقة ثم غير اسم الفرقة إلى النوبيين Nobians انتساباً إلى قبائل النوبة بمصر والسودان، وإبرازاً للاتجاه القومي، ثم غيّر الاسم مرة أخرى إلى جمعية أنصار الله Ansare Allah Community كما فرض على أتباعه في البداية التحلي بقطعة عظم صغيرة في الأذن اليسرى، وارتداء طرابيش سوداء وملابس من غرب أفريقيا، ثم غيّر الزي إلى حلقة فضية في الأنف مع وضع العمامة على الرأس وارتداء الثوب السوداني.

● **النظام الاجتماعي والاقتصادي:**

ـ ألزم عيسى أتباعه بالسكن الجماعي، إذ تتجمع النساء في وحدة خاصة منفصلة

عن وحدة الرجال، ويتجمع الأطفال في وحدة أخرى منفصلة عنهما، وخصص غرفة واحدة في مهجع النساء للاتصال الجنسي بين المتزوجين بالتناوب، وسموا تلك الغرفة (الغرفة الخضراء). وكان عيسى الوحيد الذي يسمح له بحرية الاختلاط مع نساء الفرقة في سكنهن، فكثرت تقريرات العضوات اللاتي انسحبن من الفرقة بسبب دخوله على نساء الغير وحمل عشرات النساء في آن واحد بأولاد له، كما اختار عيسى بعض النساء كملك يمين له، إضافة إلى زوجاته الأربع اللاتي يبدلهن من حين إلى آخر، وحدد عيسى للنساء ما عدا زوجاته وملك يمينه أعمالاً جماعية معينة مثل الطبخ والخياطة وغسل الثياب وجمع معلومات لتأليف كتب تطبع باسمه.

- فرض عيسى على المعتنقين الجدد تسليم جميع ما عندهم من الأموال والممتلكات، وأجبر من كان يعمل منهم أو يدرس في الجامعات بترك العمل والدراسة، كما دعاهم إلى مقاطعة أقربائهم ومفاصلتهم وقطع صلتهم بهم، حتى لا يكون لهم أدنى درجة في الاستقلال المالي أو الفكري، واقتبس عيسى نظام التسوُّل الجماعي من الفرقة الهندوكية (هاري كريشنا Hari Krishan) التي كانت منتشرة بين الشباب البيض حينئذٍ، ففرضه على جميع أتباعه الذكور، إذ ظهروا في زوايا شوارع أحياء نيويورك وممرات مطار كيندي وعربات القطارات يتسولون من طلوع الشمس إلى غروبها، ويسلمون جميع ما يجمعون من التبرعات إلى عيسى، فيتصرف فيها كما يشاء، ومن لم يجمع الحد الأدنى من التبرعات التي عينها عيسى (خمسين دولاراً) حرم آخر النهار من مباشرة زوجته.

الأفكار والمعتقدات:

● زار عيسى السودان في عام ١٩٧٣م، وقابل أهل المهدي، والتقط عدة صور فوتوغرافية لنفسه مع أفراد عائلة المهدي، وعند عودته إلى أمريكا غيّر اسمه إلى عيسى عبد الله المهدي، وادعى أنه من أحفاد محمد أحمد المهدي، مستدلا على ذلك بالصور، كما ادعى أنه حصل على شهادة الدكتوراه في علوم الشريعة خلال الشهور الأربعة التي قضاها هناك. وقد زاره في نيويورك الصادق المهدي وبعض إخوانه الآخرين فصوروا الصادق يعانقه، ويصافحه وأتباعه، ويخطب في معبده تأييداً لدعواه، وغيّر عيسى اسمه مرة أخرى إلى عيسى الهادي المهدي، وأضاف اسمه واسم أمه إلى شجرة نسب المهدي المزعوم.

● أعلن عيسى في أواخر السبعينات أنه مجدد القرن منافساً لابن أليجا محمد

(المعروف بوارث دين محمد) الذي ادعاه آنذاك. وفي أوائل الثمانينات تطرق إلى الألوهية، إذ صرح في كتبه أنه الإله(*) المتجسد.

● يعتقد الأتباع أن الجنس الأبيض ليسوا بشراً على الحقيقة إذ لا أرواح لهم وإنما تلبست بأجسادهم الأرواح الشريرة فهم حسب اعتقاد الأتباع شياطين في صورة آدميين، أما الأنبياء فيعتقدون أنهم جميعاً كانوا من أصحاب البشرة السوداء.

● زعم عيسى أن جبريل جامع مريم البتول فأنجبت منه النبي عيسى (عليه الصلاة والسلام) وهو بدوره لم يرفعه الله إليه إنما توفاه الله في الأرض.

● ينكر أتباع عيسى نسخ التوراة(*) والإنجيل(*) ويقولون بعدم تحريفهما، وأوجب عيسى على أتباعه العمل بتعاليمهما.

● زعم عيسى أنه عثر على الصحف التي أنزلت على آدم وشيث وإبراهيم وإدريس كما ادعى أنه ترجم بعض نصوصها إلى اللغة الإنجليزية.

● زاد في الصلاة أشياء كثيرة، مثل أن يقول المصلي عند التشهد الأخير (اللهم صلى على محمد أحمد خليفة رسول الله، ثم ألغى الصلاة على النبي مدعيا أنه شِرْكٌ وعبادة موجهة إلى الرسول من دون الله تعالى).

● يعتبر الأتباع يوم الجمعة يوم تمهيد للعيد الأسبوعي، وهو يوم السبت فهم يؤدون في السبت بعض الطقوس المقتبسة من طقوس اليهود.

● يعتقد الأنصار أن نعيم الجنة نعيم نفسي، وأن آلام النار آلام نفسية، وليست حقيقية.

● يحرم الأنصار أكل لحوم الإبل والضب، كما لا يجيزون العمل في يوم السبت. كما أنهم يحلون وطء المرأة في دبرها، ويبيحون شرب الخمر لأداء الطقوس الدينية اليهودية.

● لهذه الفرقة صحف ومجلات وأكثر من مائتي كتاب، كلها تنسب إلى عيسى، وهي تتناول أفكار الفرقة واعتقاداتها ومن ضمنها ترجمة للأوراد الراتبة للمهدي السوداني المزعوم، وترجمة وتفسير لبعض أجزاء القرآن.

الانتشار ومواقع النفوذ:

يقع مركز الفرقة في مدينة نيويورك، ولها أحياء كبيرة أخرى في واشنطن وفيلاديلفيا في الولايات المتحدة، وفي مونتريال بكندا وسان وان بجزيرة ترينيداد بأمريكا الوسطى، ولها فروع متوسطة الحجم في جورج تاون وجمهورية غيانا بأمريكا

الجنوبية، وجزيرة سانت فيسانت من جزر البحر الكاريبي.

ويتضح مما سبق:

أن الأنصار فرقة باطنية(*) عنصرية ظهرت بين السود في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الستينات، ومنها امتدت إلى دول مجاورة، وهي تدعي الإسلام والانتساب إلى المهدية في السودان، ويعتقد أتباع هذه الفرقة أن الجنس الأبيض لا أرواح لهم! وأنهم ليسوا بشراً! وقد زعم مؤسس هذه الفرقة أنه الإله(*) المتجسد، وافترى على مريم بهتانا عظيما، فقال إن جبريل جامعها فأنجب منها عيسى عليه السلام، وتنكر هذه الفرقة نسخ التوراة(*) والإنجيل(*)، وتحل وطء المرأة في دبرها، وغير ذلك من الأمور والعقائد الشاذة.

مراجع للتوسع:

- **(الفرق الباطنية المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية/ مخطوطة).**
  رسالة ماجستير باللغة العربية ١٩٨٥م بجامعة الملك سعود بالرياض ـ أبو أمينة بلال فيليبس.

٥٣ـ الخمينية

التعريف:

جاء الخميني بآراء وأفكار خاصة فرضها على الحكومة الإيرانية والتزم بها الشيعة(*) ـ في إيران على الأقل ـ والبعض لم يلتزم بها خارج إيران.. مما دعانا إلى إطلاق الخمينية على بدعته هذه، وقد يكون هذا العنوان مستغرباً ولكنه الواقع الذي فرض نفسه.

الأفكار والمعتقدات:

● من بين الأفكار التي جاء بها الخميني ولم يسبقه فيها أحد من أئمة المذهب(*) الإمامي، فتعد من اجتهاده، وقد تضمنها الدستور الإيراني ما يلي:

● ولاية الفقيه: وتستند هذه الفكرة التي نادى بها الخميني على أساس الاعتقاد بأن الفقيه الذي اجتمعت له الكفاءة العلمية وصفة العدالة، يتمتع بولاية عامة وسلطة مطلقة على شؤون العباد والبلاد، باعتباره الوصي على شؤونهم في غيبة الإمام المنتظر. وهذه الفكرة لم يقل بها علماء المذهب المحدثون ولا القدماء، إذ إنهم خصوا الفقيه العادل الذي بلغ مرتبة الاجتهاد(*) المطلق بالولاية الخاصة. وقد استدلوا جميعاً بدليلين هما:

ـ **الأول**: عدم وجود دليل قطعي مستفاد من آثار الأئمة المعصومين ومروياتهم يدل على وجوب طاعة الفقيه طاعة مطلقة في دائرتي الأحكام الخاصة والعامة سواء بسواء.

ـ **الثاني**: إن إثبات الولاية العامة للفقيه تنتهي لا محالة إلى التسوية بينه وبين الإمام المعصوم، وهذا ما لا تؤيده حجة من عقل(*) أو نقل.

ـ فإن منح الفقيه حق الولاية العامة يؤدي منطقيًّا إلى رفع منزلته إلى مقام الإمام المعصوم، وهو ما ادعاه الخميني لنفسه بدعوى (استمرارية الإمامة والقيادة) العامة في غيبة المهدي. ومما يترتب على القول بولاية الفقيه:

الاستبداد واحتكار السلطة والتشريع والفقه وفهم الأحكام، بحيث يصبح الحاكم معصوماً عن الخطأ، لا أحد من الأمة يخطئه في أمر من الأمور، ولا يعترض عليه ولو كان مجلساً للشورى.

● ادعاء الخميني بأن الأنبياء(*) والرسل(*) لم يكملوا رسالات السماء، ولم ينجحوا في إرساء قواعد العدالة في العالم، وأن الشخص الذي سينجح في نشر العدل الكامل بين

الناس هو المهدي المنتظر.

ـ وقد قال الخميني بهذا الادعاء في ذكرى مولد الإمام المهدي، وهو أحد أئمة الشيعة، في الخامس عشر من شعبان ١٤٠٠هـ.

ـ ويعد قوله هذا منافيا لكل ما قررته العقيدة الإسلامية، وفيه إنكار لتعاليم الكتاب والسنة وإجماع(*) الأمة على أن نبينا محمداً، ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو المصلح الأعظم للبشرية جمعاء، إذ أرسل بأكمل الرسالات وأتمها كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

● يقول الخميني في بيان منزلة الأئمة: فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون.

ـ ويقول: «والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة».

ـ ويقول: «ومن ضروريات مذهبنا(*) أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

ـ وأن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها.

وهو بهذا يرفع الأئمة إلى مقام فوق مقام البشر والعياذ بالله.

● الولاء(*) والبراء(*) عند الشيعة بشكل عام هو: الولاء للأئمة والبراء من أعدائهم، وأعداء الأئمة في اعتقادهم جيل الصحابة رضي الله عنهم، والخميني يجعل السجود موضع دعاء التولي والتبري وصيغته: «الإسلام ديني ومحمد نبيي وعلي والحسن والحسين.. (يعدهم لآخرهم) أئمتي، بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرى» وهناك آراء وأفكار لدى الشيعة عامة قال بها الخميني، وأعاد صياغتها في الدستور الإيراني وفي كتبه التي نشرها.

● مصادر التلقي عنده هي مصادر الشيعة عامة وأهمها الكتب الأربعة الآتية:

ـ **كتاب الكافي**، لمحمد بن يعقوب الكليني الرازي، ويعد **كصحيح البخاري** عند أهل السنة.

ـ **من لا يحضره الفقيه**، لمحدثهم محمد بن علي بن بابويه الرازي.

ـ **تهذيب الأحكام**، لشيخ الطائفة ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ بالنجف.

ـ **الاستبصار**، للطوسي نفسه.

والخميني يعتمد هذه الكتب الأربعة ويعرض عن كل كتب السنة المعتمدة.

● التقية(*) وهي من أصول المذهب الشيعي يقول عنها الخميني: «هذه التقية التي كانت تتخذ لحفظ المذهب من الاندراس لا لحفظ النفس خاصة».

- الجهاد(*) الإسلامي معطل في حال غياب الإمام.
- موقف الخميني من الصحابة، هو موقف الشيعة عامة.
- وكذلك موقفه من الخلافة(*) الإسلامية، إذ يرى أن الإسلام لم يتمثل إلا في عهد الرسول، ﷺ، وعهد علي رضي الله عنه.
- يوثق الخميني الملاحدة أمثال نصير الدين الطوسي ٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ وزير هولاكو الذي دمر بغداد وقضى على الخلافة الإسلامية.
- الاحتفال بعيد النيروز ـ الفارسي الأصل ـ إذ يجعل الغسل فيه مستحباً والصوم فيه مشروعاً.
- وللخميني في كتابه **تحرير الوسيلة** آراء فقهية خاصة به وبالشيعة(*) عامة ليس لها سند من السنة الصحيحة.. منها:

ـ طهارة ماء الاستنجاء.

ـ من مبطلات الصلاة وضع اليد على الأخرى.

ـ الطهارة ليست شرطاً في كل موضع الصلاة بل في موضع السجود فقط.

ـ جواز وطء الزوجة في دبرها.

ـ جواز الجمع بين المرأة وخالتها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

مذهب(*) الشيعة الإمامية أو الجعفرية هو الأساس الفكري للخمينية، ومن كتب الشيعة(*) كوّن الخميني فكره.. وقد ظل متعصباً لمذهبه حتى آخر حياته.

ويتضح مما سبق:

أن الخمينية تقيم فلسفتها جملة وتفصيلاً على قراءة منحرفة قوامها التلفيق والتدليس لكل تاريخ المسلمين، فتأتي على رموزه وكبار مؤسسيه هدما وتشويها وتمويها، وتعمد إلى إفساد العقيدة وطمس معالم الإسلام وتشويه مقاصده النبيلة، باسم التعصب لأهل البيت، وتصرح بما يخرج عن ملة الإسلام، مثل ادعائهم نقص القرآن وتغييره وجهرهم بالسوء في حق الصحابة، ومخالفتهم الإجماع(*) بإباحتهم نكاح المتعة وجعلهم المذهبية مادة في دستور إيران، وتحالفاتهم الإستراتيجية المرفوضة وغير ذلك من صور التآمر على واقع الإسلام والمسلمين.

مراجع للتوسع:

- **الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)** للخميني إعداد الدكتور حسن حنفي - القاهرة ١٩٧٩م.
- **تحرير الوسيلة**، للخميني.
- **وجاء دور المجوس**، للدكتور عبد الله محمد الغريب.
- **سراب في إيران**، للدكتور أحمد الأفغاني.
- **الخميني بين التطرف والاعتدال**، للدكتور عبد الله محمد الغريب.
- **الخميني في أقواله وأفعاله**، أحمد مغنية.
- **الخميني الحل الإسلامي البديل**، فتحي عبد العزيز.
- **الثورة الإيرانية في أبعادها الفكرية والاجتماعية**، حسن الزين.
- **ولاية الفقيه في ميزان الإسلام**، د. فاروق عبد السلام - القاهرة ١٤٠٧هـ.
- **نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي** لمجموعة من المفكرين.
- **الفكر القائد للثورة الإيرانية**، د. محمد عمارة - القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **إيران بعد سقوط الخميني**، د. موسى الموسوي، تعريب د. سمير عبد الحميد إبراهيم - بدون تاريخ ودار نشر.

٥٤- أمل (أفواج المقاومة اللبنانية)

التعريف:

أمل: حركة(*) شيعية لبنانية مسلحة، أسسها موسى الصدر في لبنان سنة ١٩٧٥م لتكون الجناح العسكري لحركة المحرومين (الشيعة). وللدفاع عن مصالح الشيعة(*). كمذهب متميز عن السنة، في الصراع الطائفي اللبناني.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بعد حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م عبأ موسى الصدر شيعة جنوب لبنان بسبب الصراع المسلح، لحماية الشيعة في مواجهة اليهود في فلسطين المحتلة. وفي عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م أسس الصدر حركة المحرومين.. للدفاع عن مصالح الشيعة في لبنان، وألحق بها ميليشيا مسلحة عام ١٩٧٥م أطلق عليها اسم (أفواج المقاومة اللبنانية) وعرفت هذه الميليشيا اختصاراً بـ(أمل) وهي كلمة تضم الحروف الأولى من اسم الميليشيا، وتدربت حركة أمل على السلاح في معسكرات منظمة فتح الفلسطينية.

● وبقيت حركة أمل تحت قيادة موسى الصدر إلى أن اختفى في ظروف غامضة فتسلم قيادتها نبيه بري القائد الحالي للمنظمة.

وأبرز الشخصيات في حركة أمل هم:

● موسى الصدر: ولد في مدينة قم بإيران عام ١٩٢٨م. وتخرج من جامعة طهران، كلية الحقوق والاقتصاد والسياسة وليس العلوم الشرعية!! وتربطه بالخميني صلة نسب، إذ إن أحمد ابن الخميني متزوج من بنت أخت موسى الصدر، وابن أخت الصدر متزوج من حفيدة الخميني. وقد توجه الصدر إلى لبنان سنة ١٩٥٨م بناء على أوامر من شاه إيران وأقام فيها، وحصل على الجنسية اللبنانية بقرار من فؤاد شهاب الذي تولى رئاسة الجمهورية في لبنان بين عامي ١٩٥٨م -١٩٦٤م، ولا يعلم أحدٌ سر هذا القرار الفريد من نوعه؛ ذلك أن الجنسية اللبنانية، يصعب الحصول عليها من غير النصارى، وما تزال هناك قبائل ومواطنون لبنانيون منذ القديم لا يحملون الجنسية اللبنانية، فكيف منح الصدر الجنسية بهذه السرعة وهو إيراني مسلم!!.

- في نهاية الستينات نصّب الصدر نفسه قائداً للشيعة، وقد صُدّق هذا التنصيب بعد أن اختير في سنة ١٩٦٩م رئيساً للمجلس الشيعي الأعلى الذي شكلته الحكومة وقتها استجابة

لطلبات الشيعة، إذ أصبح صوتها عالياً ومؤثراً في مسرى الحياة السياسية اللبنانية بفضل الصدر وبموافقة الموارنة. وبتشكيل المجلس الشيعي الأعلى انفصل الشيعة عن السنة في لبنان، وصاروا طائفة مستقلة كالموارنة، وقام الصدر بعد ذلك بإنشاء المدارس والنوادي وجعلها مركزاً لنشاطه السياسي المشبوه.

- اختفى موسى الصدر في سنة ١٩٧٨م عندما كان في زيارة إلى ليبيا وتقول ليبيا إنه غادرها إلى أوربا، ولا يُعلم سبب اختفائه حتى الآن.

● نبيه بري: وهو محام لبناني ولد في سيراليون وعاش معظم سني عمره بعد تخرجه من الجامعة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ديترويت جاء أو جيء به ليكون الرجل الأول في لبنان، وتسلم رئاسة مجلس قيادة أمل في أوائل سنة ١٩٨٠م.

● محمد مهدي شمس الدين: مفتي الشيعة، ونائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان لأن موسى الصدر ما زال هو الرئيس حتى الآن.

● حسين الحسيني: ويشغل وظيفة الأمين العام لحركة أمل.

● مصطفى جمران أو مصطفى شمران كما كان يطلق عليه في لبنان قبل نشوب الثورة الشيعية في إيران ووزير الدفاع الإيراني بعد ثورة إيران على الشاه. وكان من أكبر أعوان موسى الصدر، وكان يتولى الإشراف على فروع حركة أمل العسكرية قبل نشوب الثورة الإيرانية.

الأفكار والمعتقدات:

● حركة(*) أمل شيعية المذهب(*)، تتبع المذهب الجعفري في جميع معتقداته.

● الثورة والصراع المسلح من أسس قيام حركة أمل، ولكن الثورة ضد من؟!

- ليست ضد الموارنة لأن موسى الصدر مؤسس الحركة سانده الموارنة وأعطوه الجنسية وفتحوا له كل الأبواب في لبنان.. ونصبوه زعيماً للشيعة هناك!

- وليست ضد اليهود (إسرائيل) لأن تصريحات موسى الصدر عندما بدأت صورته الحقيقية تتضح قال: «لسنا في حالة حرب مع إسرائيل والعمل الفدائي يحرجنا»!

- إذن لم يبق إلا السنة والمنظمات الفلسطينية التي يعدونها من السنَّة وخطراً عليهم.. وهذا يتضح من خطبه في مناطق متعددة في لبنان بعد أن استتب له الأمر، إذ نقلت الصحف اللبنانية عنه سنة ١٩٧٤م: «الثورة(*) لم تمت في رمال كربلاء بل تدفقت في مجرى حياة العالم الإسلامي». وقال، أيضاً: «وابتداء من اليوم لن نشكو ولن نبكي، فاسمنا هو الرافضون رجال الثأر. لقد واجه الحسين العدو ومعه سبعون رجلاً، وكان العدو كثير العدد،

أما اليوم فنحن نعد أكثر من سبعين، ولا يعد عدونا ربع سكان العالم».

● لا بأس أن نذكر أن موسى الصدر رفع شعارات لحركة(*) المحرومين التي هي أصل حركة أمل، من هذه الشعارات التي انكشف زيفها بعد ذلك: الإيمان بالله والتراث اللبناني!! والعدالة الاجتماعية والوطنية، خاصة في الجنوب لإبعاد شبهة تعامل قادتهم مع إسرائيل وتحرير فلسطين، وأن الحركة لجميع المحرومين وليست خاصة بالشيعة!!.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ظاهر حركة أمل، أنها حركة سياسية ولا تهتم بالأمور الدينية، وهمّها الأول لبنان وليس لها ارتباطات خارجية.. والواقع يثبت أنها منذ تأسيسها على يد موسى الصدر وهي مرتبطة بالفكر الشيعي المتعصب ضد السنة. وهذا يظهر من تحالفاتها الظاهرة والمستترة.. مع أعداء الإسلام لضرب السنة في لبنان.. ولا تزال تتلقى الدعم الكامل ليبقى لها دورها المرسوم من قبل الأعداء.. على الرغم من تشكيل ما يدعى حزب(*) الله ـ الموالي لإيران ـ والذي يظهر له اتجاه ديني أكثر من حركة أمل.

ويتضح مما سبق:

أن حركة أمل في لبنان ليست حركة دينية ولكنها علمانية ولا يهدف القائمون عليها ـ كما يدّعون ـ إلى تحقيق مكاسب فئوية بل يعتبرونها حركة المحرومين جميعاً. وميثاقها خال من المعنى الإسلامي ولا تدعو إلى تحكيم شرع الله في لبنان. وقد تم صياغة ميثاقها عام ١٩٧٥م من قبل ١٨٠ مثقفاً لبنانياً معظمهم من النصارى، ومما يؤسف له أنها تعاونت مع القوات الصهيونية في بيروت الغربية وفي جنوب لبنان ضد الفلسطينيين بسبب تلاقي المصالح المزعومة وأحياناً يوزعون الأدوار بينهم لخدمة هذه المصالح.

مراجع للتوسع:

- **وجاء دور المجوس**، الدكتور عبد الله محمد الغريب.
- **أمل والمخيمات الفلسطينية**، للدكتور عبد الله محمد الغريب، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٩هـ (بدون دار نشر ولا تاريخ).
- **إيران في ربع قرن**، للدكتور موسى الموسوي.
- **رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي الجزء الثاني دور الشعوبيين الباطنيين في محنة لبنان** لمحمد عبد الغني النواوي باكستان ـ إسلام آباد ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

الفصل الحادي عشر

من الأحزاب والحركات والاتجاهات المعاصرة

● القومية العربية ● حزب الوفد في مصر
● حركة تحرير المرأة ● الحزب الديمقراطي الكردستاني ● الحزب القومي السوري
● البانتشاسيلا ● حزب البعث ● الناصرية

٥٥ـ القومية العربية

التعريف:

حركة(*) سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين(*). وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوربا.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة(*) العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقرًّا لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م.

وفيما يلي إشارة إلى أهم الجمعيات ذات التوجه القومي حسب التسلسل التاريخي:

ـ الجمعية السورية: أسسها نصارى منهم بطرس البستاني وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق.

- الجمعية السورية في بيروت أسسها نصارى منهم سليم البستاني ومنيف خوري سنة ١٨٦٨م.

- الجمعية العربية السرية: ظهرت سنة ١٨٧٥م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

- جمعية حقوق المرأة العربية ظهرت سنة ١٨٨١م ولها فروع كذلك، وهي تهدف إلى وحدة المسلمين والنصارى.

- جمعية رابطة الوطن العربي أسسها نجيب عازوري سنة ١٩٠٤م بباريس وألف كتاب **يقظة العرب**.

- جمعية الوطن العربي: أسسها خير الله خير الله سنة ١٩٠٥م بباريس، وفي هذه السنة نشر أول كتاب قومي بعنوان **الحركة الوطنية العربية**.

- الجمعية القحطانية ظهرت سنة ١٩٠٩م وهي جمعية سرية من مؤسسيها خليل حمادة المصري.

- جمعية (العربية الفتاة): أسسها في باريس طلاب عرب منهم محمد البعلبكي سنة ١٩١١م.
- الكتلة النيابية العربية: ظهرت سنة ١٩١١م.

- حزب(*) اللامركزية: سنة ١٩١٢م.

- الجمعيات الإصلاحية: أواخر ١٩١٢م وقد قامت في بيروت ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل وتتكون من خليط من أعيان المسلمين والنصارى.

- المؤتمر العربي في باريس: أسسه بعض الطلاب العرب سنة ١٩١٢م.

- حزب العهد: ١٩١٢م وهو سري، أنشأه ضباط عرب في الجيش العثماني.

- جمعية العلم الأخضر سنة ١٩١٣م، من مؤسسيها الدكتور فائق شاكر.

- جمعية العلم، وقد ظهرت سنة ١٩١٤م، في الموصل.

● هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تيارًا شعبيًّا عامًّا إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر حين سخر لها أجهزة إعلامه وإمكانات دولته. ويمكن أن يقال إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

● يعد ساطع الحصري ١٨٨٠ ـ ١٩٦٨م داعية القومية العربية، وأهم مفكريها، وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية ميشيل عفلق.

الأفكار والمعتقدات:

● يعلي الفكر القومي من شأن رابطة القربى والدم على حساب رابطة الدين(*)، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين(*)، فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعاداً تامًّا عن الروابط التي تقوم عليها الأمة، بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها، ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين(*).

● ولأن أساسها إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب السياسية والاجتماعية والتربوية والتشريعية فإنها تعد ردة إلى الجاهلية(*)، وضربًا من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي؛ لأنها في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوربا.

● يصفها سماحة الشيخ ابن باز بأنها: «دعوة جاهلية(*) إلحادية(*) تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه». ويقول عنها: «وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول.. فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام، واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد(*) وخصوم الإسلام في كل مكان». ويقول، أيضاً: «هي دعوة باطلة وخطأ عظيم ومكر ظاهر وجاهلية(*) نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله».

● يرى دعاة الفكر القومي ـ على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر ـ أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي: اللغة والدم والتاريخ والأرض والآلام والآمال المشتركة.

● ويرون أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة، وأنها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد الذي يمتد من الخليج إلى المحيط.

● كما يرون أن الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة، ينبغي أن تزال، وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة، تقوم على أساس من الفكر العلماني.

● يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون.

ـ لذلك يتبنى شعار: «الدين لله والوطن للجميع». والهدف من هذا الشعار، إقصاء

الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

- يرى الفكر القومي أن الأديان والأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة.

- يقول عدد من قادة هذا الفكر: نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

● ويقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة أما الوحدة الإسلامية فهي حلم.

- وأن فكرة القومية العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية، لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يبدعها الأفراد.

- كثيراً ما يتمثل دعاة الفكر القومي بقول الشاعر القروي:

هبوني عيداً يجعل العرب أمةً وسيروا بجثماني على دين بَرْهَمِ
سلام على كفرٍ يوحِّد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنمِ

- يقول بعض دعاة الفكر القومي: إن العبقرية العربية عبرت عن نفسها بأشكال شتى، فمثلاً عبرت ذات مرة عن نفسها بشريعة حمورابي، ومرة أخرى بالشعر الجاهلي، وثالثة بالإسلام.

- وقال أحد مشاهيرهم: لقد كان محمد كل العرب، فليكن كل العرب محمداً.

● يرى دعاة الفكر القومي أن من الإجرام أن يتخلى العربي عن قوميته، ويتجاوزها إلى الإيمان بفكرة عالمية أو أممية. مع أن إبعاد الإسلام عن معترك حياة العرب ينهي وجودهم.

● يقول بعض مفكري القومية العربية: إذا كان لكل عصر نبوته المقدسة، فإن القومية العربية هي نبوة هذا العصر.

- ويقول بعضهم الآخر: إن العروبة هي ديننا نحن العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية(*)، ويجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي والمسيحيون على إنجيل(*) المسيح(*).

● ويقرر بعضهم الآخر أن المرحلة القومية في حياة الأمة، مرحلة حتمية(*)، وهي آخر مراحل التطور كما أنها أعلى درجات التفكير الإنساني.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الدعوة القومية التي ظهرت في أوربا وتأسست بتأثيرها دول مثل إيطاليا وألمانيا.

● يظهر الواقع أن الاستعمار(*) هو الذي شجع الفكر القومي وعمل على نشره بين

المسلمين حتى تصبح القومية بديلاً عن الدين(*)، مما يؤدي إلى انهيار عقائدهم، ويعمل على تمزيقهم سياسيًّا، إذ تثور العداوات المتوقعة بين شعوبهم المختلفة.

● يلاحظ نشاط نصارى بلاد الشام وخاصة لبنان، في الدعوة إلى الفكر القومي أيام الدولة العثمانية، وذلك لأن هذا الفكر يعمق العداوة مع الدولة العثمانية المسلمة التي يكرهونها، وينبه في العرب جانباً من شخصيتهم غير الدينية، مما يبعد بهم عن العثمانيين.

● من بعض الجوانب يمكن أن يعد ظهور الفكر القومي العربي رد فعل للفكر القومي التركي الطوراني(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يوجد كثير من الشباب العربي ومن المفكرين العرب الذين يحملون هذا الفكر، كما توجد عدة أحزاب(*) قومية منتشرة في البلاد العربية مثل حركة الوحدة الشعبية في تونس، وحزب البعث بشقيه في العراق وسوريا، وبقايا الناصريين في مصر وبلاد الشام، وفي ليبيا.

● كثير من الحكام يتبارون في ادعاء القومية، وكل منهم يفتخر بأنه رائد القومية العربية ويدّعي أنه الأجدر بزعامتها.

● يلاحظ أن الفكر القومي الآن هو في حالة تراجع وانحسار.

مراجع للتوسع:

- **القومية العربية تاريخها وقوامها**، مصطفى الشهابي.
- **اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية**، ساطع الحصري.
- **العروبة أولًا**، ساطع الحصري.
- **الإقليمية جذورها وبذورها**، ساطع الحصري.
- **قضية العرب**، علي ناصر.
- **القومية العربية**، د. أبو الفتوح رضوان.
- **أرض العروبة**، عبد الحي حسن العمراني.
- **بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية**، أبو الأعلى المودودي.
- **تطور المفهوم القومي عند العرب**، أنيس صائغ.
- **حقيقة القومية العربية**، محمد الغزالي.
- **دراسات تاريخية عن أصل العرب وحضارتهم الإنسانية**، د. محمد معروف الدواليبي.
- **الشعوبية الجديدة**، محمد مصطفى رمضان.

- **محنة القومية العربية**، أركان عبادي.
- **معنى القومية العربية**، جورج حنا.
- **نشوء القومية العربية**، زين نور الدين زين.
- **نقد القومية العربية**، الشيخ عبدالعزيز بن باز.
- **يقظة العرب**، ترجمة د. ناصر الدين الأسد، د. إحسان عباس.
- **فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام**، صالح بن عبد الله العبود.
- **نشأة الحركة العربية الحديثة**، محمد عزة دروزة.
- **حول القومية العربية**، عبد المجيد عبد الرحيم.

٥٦ـ حزب الوفد في مصر

التعريف:

الوفد حزب(*) سياسي شعبي ليس له توجه ديني معين، تشكل في مصر سنة ١٩١٨م، وكان حزب الأغلبية قبل ثورة(*) ٢٣ يوليو المصرية، التي أنهت عهد الملكية، وحولت البلاد إلى النظام الجمهوري. ولم يعد الحزب إلى نشاطه السياسي إلا في عهد الرئيس أنور السادات، بعد سماحه للتعددية الحزبية. وقد اتخذ لنفسه اسم حزب الوفد الجديد سنة ١٩٧٨م ويعد الآن من أكبر أحزاب المعارضة في مصر.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● سعد زغلول: خطرت له فكرة تأليف الوفد المصري للدفاع عن قضية مصر سنة ١٩١٨م، إذ دعا أصحابه إلى مسجد وصيف للتحدث فيما كان ينبغي عمله للبحث في المسألة المصرية بعد الهدنة (بعد الحرب العالمية الأولى).

ـ تشكل الوفد المصري الذي ضم سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي وأحمد لطفي السيد وآخرين.. وأطلقوا على أنفسهم (الوفد المصري).

وقد جمعوا توقيعات من أصحاب الشأن وذلك بقصد إثبات صفتهم التمثيلية وجاء في الصيغة: «نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات: سعد زغلول و... في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادىء الحرية(*) والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى».

ـ قد اعتقل سعد زغلول ونفي إلى مالطة هو ومجموعة من رفاقه في ٨ آذار (مارس) ١٩١٩م فانفجرت ثورة ١٩١٩م في مصر التي كانت من أقوى عوامل زعامة سعد زغلول والتمكين لحزب الوفد.

● وبقي حزب الوفد الذي هو حزب الأغلبية أو كما أطلق عليه الحزب الجماهيري الكبير يتولى الوزارة معظم الوقت في مصر منذ عام ١٩٢٤م وحتى عام ١٩٥٢م.

● ومن شخصيات حزب(*) الوفد الذين تولوا الوزارة: عبد الخالق ثروت ومصطفى النحاس باشا الذي تولى مرات عديدة رئاسة الوزارة في مصر قبل ثورة ١٩٥٢م.

● فؤاد سراج الدين: كان عضواً في حزب الوفد سنة ١٩٤٦م، ثم سكرتيراً عامًّا

للحزب سنة ١٩٤٨م، اختير وزيراً بوزارات الزراعة والداخلية والشؤون الاجتماعية، ثم وزيراً للداخلية والمالية معاً سنة ١٩٥٠م. . ثم رئيساً لحزب الوفد الجديد سنة ١٩٧٨م، ولا زال حتى الآن رئيساً للحزب.

العقائد والأفكار:

● من مبادىء الوفد المعلنة السياسية والاجتماعية:
- تحقيق استقلال البلاد وحريتها وتحقيق الوحدة بين مصر والسودان.
- التمسك بميثاق الأمم المتحدة(*) وجامعة الدول العربية.
- التمسك بعروبة فلسطين.
- العمل على رفاهية الشعب وترقيته عن طريق النظام الليبرالي(*).
- دعم النظام الدستوري الديمقراطي.

وهكذا نرى أنه ليس للدين أي مكانة في مبادىء الحزب. . .

● أما المبادىء التي يعلنها الحزب فتبقى في أكثر الأحيان حبراً على ورق، إذ تبقى المصالح الحزبية والشخصية هي المحرك الأساسي في الحزب.

● يعد سعد زغلول المؤسس الأول لحزب الوفد ومن أشد أنصار تحرير المرأة.

● الحزب لا يعادي التوجه الإسلامي كما أنه لا يلتزم به فيما يصدر عن قيادته من قرارات.

يتضح مما سبق:

أن الوفد حزب سياسي شعبي مصري ليس في برنامجه ما يدل على أن له توجهاً دينيًّا معيناً. تشكل سنة ١٩١٨م. وألغي الحزب بعد ثورة ١٩٥٢م، وعاد باسم الوفد الجديد في عهد الرئيس الراحل أنور السادات عام ١٩٧٨م. وقد كان سعد زغلول أبرز وأول زعماء الحزب. ومن أهم شخصياته: عبد الخالق ثروت، ومصطفى النحاس باشا، ورئيس حزب الوفد الجديد هو فؤاد سراج الدين باشا. وتقوم مبادىء الحزب(*) على دعم النظام الدستوري والعمل على رفاهية الشعب وترقيته عن طريق النظام الليبرالي(*) ولا يعادي هذا الحزب التوجه الإسلامي، ولكنه لا يلتزم به فيما يصدر عن قياداته من قرارات. أما سعد زغلول نفسه فقد كان علماني النزعة ومن أنصار تحرير المرأة بالمعنى المعروف في الغرب.

مراجع للتوسع:

- نشأة حزب الوفد المصري ١٩١٨ ـ ١٩٢٤م، محمود زايد.
- مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة ١٩٥٢م، د. محمود متولي، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٨٠م.
- جريدة الوفد (الناطقة باسم الحزب) والتي ما زالت تصدر حتى الآن.

٥٧ـ حركة تحرير المرأة

التعريف:

حركة(*) تحرير المرأة. حركة علمانية، نشأت في مصر في بادىء الأمر، ثم انتشرت في أرجاء البلاد العربية والإسلامية. تدعو إلى تحرير المرأة من الآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها مثل الحجاب، وتقييد الطلاق، ومنع تعدد الزوجات والمساواة في الميراث، وتقليد(*) المرأة الغربية في كل أمر.. ونشرت دعوتها من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية في العالم الغربي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● قبل أن تتبلور الحركة في شكل دعوة منظمة لتحرير المرأة ضمن جمعية تسمى الاتحاد النسائي.. كان هناك تأسيس نظري فكري لها.. ظهر من خلال كتب ثلاثة ومجلة صدرت في مصر:

ـ كتاب **المرأة في الشرق** تأليف مرقص فهمي المحامي، نصراني الديانة، دعا فيه إلى القضاء على الحجاب وإباحة الاختلاط وتقييد الطلاق، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين النساء المسلمات والنصارى.

ـ كتاب **تحرير المرأة** تأليف قاسم أمين، نشره عام ١٨٩٩م، بدعم من الشيخ محمد عبده وسعد زغلول، وأحمد لطفي السيد. زعم فيه أن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام، وقال إن الدعوة إلى السفور ليست خروجاً على الدين(*).

ـ كتاب: **المرأة الجديدة** تأليف قاسم أمين، أيضاً، نشره عام ١٩٠٠م يتضمن أفكار الكتاب الأول نفسها ويستدل على أقواله وادعاءاته بآراء الغربيين.

ـ **مجلة السفور**، صدرت أثناء الحرب العالمية الأولى، من قبل أنصار سفور المرأة، وتركز على السفور والاختلاط.

● سبق سفور المرأة المصرية، اشتراك النساء بقيادة هدى شعراوي (زوجة علي شعراوي) في ثورة سنة ١٩١٩م فقد دخلن غمار الثورة بأنفسهن، وبدأت حركتهن السياسية بالمظاهرة التي قمن بها في صباح يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩م.

● وأول مرحلة للسفور كانت عندما دعا سعد زغلول النساء اللواتي يحضرن خطبه أن يزحن النقاب عن وجوههن. وهو الذي نزع الحجاب عن وجه نور الهدى محمد سلطان التي اشتهرت باسم: هدى شعراوي مكونة الاتحاد النسائي المصري، وذلك عند استقباله في الإسكندرية بعد عودته من المنفى. واتبعتها النساء فنزعن الحجاب بعد ذلك.

● تأسس الاتحاد النسائي في نيسان ١٩٢٤م بعد عودة مؤسسته هدى شعراوي من مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما عام ١٩٢٣م.. ونادى بجميع المبادىء التي نادى بها من قبل مرقص فهمي المحامي وقاسم أمين.

ـ مهد هذا الاتحاد بعد عشرين عاماً لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي العربي عام ١٩٤٤م وقد حضرته مندوبات عن البلاد العربية. وقد رحبت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بانعقاد المؤتمر، حتى أن حرم الرئيس الأمريكي روزفلت أبرقت مؤيدة للمؤتمر.

ومن أبرز شخصيات حركة تحرير المرأة:

● الشيخ محمد عبده ـ فقد نبتت أفكار كتاب **تحرير المرأة** في حديقة أفكار الشيخ محمد عبده. وتطابقت مع كثير من أفكار الشيخ التي عبر فيها عن حقوق المرأة وحديثه عنها في مقالات **الوقائع المصرية** وفي تفسيره لآيات أحكام النساء. (التفاصيل في كتاب **المؤامرة على المرأة المسلمة** د. السيد أحمد فرج ص٦٣ وما بعدها. دار الوفاء سنة ١٩٨٥م كتاب عودة الحجاب الجزء الأول، د. محمد أحمد بن إسماعيل المقدم).

● سعد زغلول، زعيم حزب(*) الوفد المصري، الذي أعان قاسم أمين على إظهار كتبه وتشجيعه في هذا المجال.

● لطفي السيد الذي أطلق عليه **أستاذ الجيل**، وظل يروج لحركة تحرير المرأة على صفحات **الجريدة** لسان حال حزب الأمة المصري في عهده.

● صفية زغلول، زوجة سعد زغلول وابنة مصطفى فهمي باشا رئيس الوزراء في تلك الأيام وأشهر صديق للإنجليز عرفته مصر.

● هدى شعراوي ابنة محمد سلطان باشا الذي كان يرافق الاحتلال الإنجليزي في زحفه على العاصمة وزوجة علي شعراوي باشا أحد أعضاء حزب الأمة (حاليًا الوفد) ومن أنصار السفور.

● سيزا نبراوي (واسمها الأصلي زينب محمد مراد)، وهي صديقة هدى شعراوي في المؤتمرات الدولية والداخلية. وهما أول من نزع الحجاب في مصر بعد عودتهما من الغرب إثر حضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما ١٩٢٣م.

● درية شفيق. من تلميذات لطفي السيد، رحلت وحدها إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراه، ثم إلى إنجلترا، وصورتها وسائل الإعلام الغربية بأنها المرأة التي تدعو إلى التحرر من أغلال الإسلام وتقاليده مثل: الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات.

ـ لما عادت إلى مصر شكلت حزب (بنت النيل) في عام ١٩٤٩م بدعم من السفارة الإنجليزية والسفارة الأمريكية.. وهذا ما ثبت عندما استقالت إحدى عضوات الحزب وكان هذا الدعم سبب استقالتها. وقد قادت درية شفيق المظاهرات، وأشهرها مظاهرة في ١٩ فبراير ١٩٥١م، و١٢ مارس ١٩٥٤م بالتنسيق مع أجهزة عبد الناصر، فقد أضربت النساء في نقابة الصحفيين عن الطعام حتى الموت إذا لم تستجب مطالبهن. وأجيبت مطالبهن ودخلت درية شفيق الانتخابات ولم تنجح. وانتهى دورها. وحضرت المؤتمرات الدولية النسائية للمطالبة بحقوق المرأة ـ على حد قولها ـ.

● سهير القلماوي ـ تربت في الجامعة الأمريكية في مصر ـ وتخرجت من معهد الأمريكان ـ وتنقلت بين الجامعات الأمريكية والأوربية، ثم عادت للتدريس في الجامعة المصرية.

● أمينة السعيد: وهي من تلميذات طه حسين، الأديب المصري الذي دعا إلى تغريب مصر.. ترأست مجلة **حواء**. وقد هاجمت حجاب المرأة بجرأة ـ ومن أقوالها في عهد عبدالناصر: «كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق؟». تقصد ميثاق عبد الناصر الذي يدعو فيه إلى الاشتراكية ـ وسخرت مجلة **حواء** للهجوم على الآداب الإسلامية.. وهي لا تزال تقوم بهذا الدور..

● د. نوال السعداوي زعيمة الاتحاد النسائي المصري حاليًّا.

الأفكار والمعتقدات:

نجمل أفكار ومعتقدات أنصار حركة تحرير المرأة فيما يلي:

● تحرير المرأة من كل الآداب والشرائع الإسلامية وذلك عن طريق:

ـ الدعوة إلى السفور والقضاء على الحجاب الإسلامي.

ـ الدعوة إلى اختلاط الرجال مع النساء في كل المجالات في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية، والأسواق.

ـ تقييد الطلاق، والاكتفاء بزوجة واحدة.

ـ المساواة في الميراث مع الرجال.

● الدعوة العلمانية الغربية أو اللادينية بحيث لا يتحكم الدين(*) في مجال الحياة الاجتماعية خاصة.

● المطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية.

● أوربا والغرب عامة هم القدوة في كل الأمور التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للمرأة: كالعمل، والحرية الجنسية، ومجالات الأنشطة الرياضية والثقافية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

بعد تبلور حركة تحرير المرأة على شكل الاتحادات النسائية في البلاد العربية خاصة والدولية عامة، أصبحت اللادينية أو ما يسمونه (العلمانية) الغربية هي الأساس الفكري والعقدي لحركة تحرير المرأة. وهي موجهة وبشكل خاص في البلاد العربية والإسلامية إلى المرأة المسلمة؛ لإخراجها من دينها أولاً. ثم إفسادها خلقيًّا واجتماعيًّا.. وبفسادها، يفسد المجتمع الإسلامي وتنتهي موجة حماسة العزة الإسلامية التي تقف في وجه الغرب الصليبي وجميع أعداء الإسلام وبهذا الشكل يسهل السيطرة عليه.

ومن الأدلة على أن جذور حركة تحرير المرأة تمتد نحو العلمانية الغربية ما يلي:

ـ في عام ١٨٩٤م ظهر كتاب للكاتب الفرنسي الكونت داركور، حمل فيه على نساء مصر وهاجم الحجاب الإسلامي، وهاجم المثقفين على سكوتهم.

ـ وفي عام ١٨٩٩م ألف قاسم أمين كتابه **تحرير المرأة** أيد فيه آراء داركور.

ـ وفي العام نفسه هاجم الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل (زعيم الحزب(*) الوطني) كتاب **تحرير المرأة** وربط أفكاره بالاستعمار(*) الإنجليزي.

ـ ألف الاقتصادي المصري الشهير محمد طلعت حرب كتاب **تربية المرأة والحجاب** في الرد على قاسم أمين ومما قاله: «إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوربا».

ـ ترجم الإنجليز ـ أثناء وجودهم في مصر ـ كتاب **تحرير المرأة** إلى الإنجليزية ونشروه في الهند والمستعمرات الإسلامية.

ـ الدكتورة (ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي التي حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة(*) النسائية.

ـ اغتباط الدوائر الغربية بحركة تحرير المرأة العربية وبنشاط الاتحاد النسائي في الشرق، وتمثلت في ببرقية حرم الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للمؤتمر النسائي العربي عام ١٩٤٤م.

ـ صلة حزب (بنت النيل) بالسفارتين الإنجليزية والأمريكية والدعم المالي الذي يتلقاه منهما ـ كما رأينا عند حديثنا عن درية شفيق.

ـ ترحيب الصحف البريطانية بدرية شفيق زعيمة حزب (بنت النيل)، وتصويرها بصورة

الداعية الكبرى إلى تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده.

ـ برقية جمعية (سان جيمس) الإنجليزية إلى زعيمة حزب(*) بنت النيل تهنئها على اتجاهها الجديد في القيام بمظاهرات للمطالبة بحقوق المرأة.

ـ مشاركة الزعيمة نفسها في مؤتمر نسائي دولي في أثينا عام ١٩٥١م ظهر من قراراته التي وافقت عليها أنها تخدم الاستعمار(*) أكثر من خدمتها لبلادها.

ـ إعلان (كاميلا يفي) الهندية أن الاتحاد النسائي الدولي واقع تحت ريادة الدول الغربية والاستعمارية واستقالتها منه.

ـ إعلان الدكتورة نوال السعداوي رئيسة الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٨٧م أثناء المؤتمر أن الدول الغربية هي التي هيأت المال اللازم لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي والدول العربية لم تساهم في ذلك.

هذه بعض الوقائع التي تدل دلالة لا ريب فيها على صلة حركة(*) تحرير المرأة بالقوى الاستعمارية الغربية.

ويتضح مما سبق:

أن حركة تحرير المرأة هي حركة علمانية، نشأت في مصر، ومنها نُشرت في أرجاء البلاد العربية والإسلامية، وهدفها هو قطع صلة المرأة بالآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها كالحجاب، وتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات، والمساواة في الميراث، وتقليد المرأة الغربية في كل شيء. ويعد كتاب **المرأة في الشرق** لمرقص فهمي المحامي، **وتحرير المرأة والمرأة الجديدة** لقاسم أمين من أهم الكتب التي تدعو إلى السفور والخروج على الدين، وتمتد أهداف هذه الحركة لتصل إلى جعل العلمانية واللادينية أساس حركة المرأة والمجتمع.

مراجع للتوسع:

- **الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار**، د. محمد فهمي عبدالوهاب.
- **الاتجاهات الوطنية**، د. محمد محمد حسين.
- **سعد زغلول**، عباس محمود العقاد.
- **قاسم أمين، الأعمال الكاملة**، د. محمد عمارة.
- **في مسألة السفور والحجاب**، صافيناز كاظم.
- **نساء شهيرات من الشرق والغرب**، وداد سكاكيني.

- **مكانك تحمدي**، أحمد محمد جمال.
- **مجلة منار الإسلام**، رمضان ١٣٩٩هـ مقال «حركة تحرير المرأة».
- **قضية تحرير المرأة**، محمد قطب ـ دار الوطن للنشر ١٤١٠هـ.
- **واقعنا المعاصر**، محمد قطب ـ دار الشروق.
- **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد قطب ـ دار الشروق.
- **عودة الحجاب**، د. محمد أحمد بن إسماعيل المقدم ـ دار طيبة.
- **المؤامرة على المرأة المسلمة**، د. السيد أحمد فرج دار الوفاء سنة ١٩٨٥م.

٥٨- الحزب الديمقراطي الكردستاني

التعريف:

الحزب الديمقراطي الكردستاني حزب(*) قومي علماني اشتراكي يدعو إلى إنشاء دولة كردية في منطقة كردستان بعد توحيدها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في عام ١٩٢٧م توحدت جميع المنظمات الكردية في حزب (خويبون) الذي أسسه عدد من المهاجرين الأكراد المقيمين في الخارج.

● وفي العام نفسه انعقد المؤتمر الأول للحزب في مصيف بحمدون في لبنان، وقد أسهم في أعمال المؤتمر زعيم من الأرمن اسمه ف. بابازيان.

● اعتمد الحزب على تأييد الدول الاستعمارية التي كانت ترى في المسألة الكردية وسيلة للضغط على تركيا (من الدول المؤيدة للأكراد إنجلترا وفرنسا بشكل خاص).

● كان الحزب يخضع بشكل مباشر لنفوذ الطاشناق المؤلف من القوميين الأرمن ذوي الاتجاه الغربي، والمعادين لتركيا بشكل شديد.

● في عام ١٩٣٠م قام الأكراد بثورة(*) إسلامية في تركيا في العهد الكمالي العلماني المعادي للإسلام، بقيادة الشيخ سعيد النورسي.

● في عام ١٩٤٤م تأسست منظمة اسمها «كومة له زياني كورد» أي «جمعية الإحياء الكردي» في مهاباد عاصمة كردستان الإيرانية.

● في عام ١٩٤٥م (١٥ آب) تأسس الحزب الديمقراطي الكردي أو ما يطلق عليه «البارتي» في مهاباد بإيران، متخذاً جمعية الإحياء الكردي قاعدة له.

● في ١٩٤٦م (٢٣ ديسمبر) أعلن عن تأسيس حكومة وطنية كردية ذات نظام جمهوري في كردستان إيران، برئاسة قاضي محمد، زعيم الحزب، واستمر الحكم أقل من سنة، وقضي على الجمهورية بعد معركة مع الجيش الإيراني، ذبح فيها ما يزيد على ١٥٠٠٠ من أفراد الحزب(*) ومن الأكراد.

● وفي ٣١ مارس ١٩٤٧م أُعدم قاضي محمد وأخوه صادر قاضي عضوا البرلمان الإيراني وابن عمه سيف قاضي وزير دفاع الجمهورية الكردية.

● مصطفى البرزاني قائد القوات المسلحة التابعة لجمهورية «مهاباد» الكردية لم يلق السلاح في المعركة، وهرب إلى العراق، إلا أن الجيش العراقي كان في انتظاره، فهرب مع ٥٠٠ فرد من مقاتليه إلى تركيا، ثم عاد إلى إيران مجدداً، وبعد معركة حاسمة دخل مصطفى البرزاني وقواته الاتحاد السوفيتي، ولم يعودوا إلى العراق إلا بعد الثورة(*) العراقية عام ١٩٥٨م. وقاد مصطفى البرزاني آخر الثورات سنة ١٩٦١م التي انتهت سنة ١٩٧٥م بعد اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران.

الأفكار والمعتقدات:

● من برنامج الحزب الديمقراطي الكردي المعلن عند تأسيسه:

ـ الحرية(*) والحكم الذاتي للشعب الكردي ضمن نطاق الدولة الإيرانية.

ـ استعمال اللغة الكردية في التعليم وجعلها اللغة الرسمية في الشؤون الإدارية.

ـ تولي السلطة العليا في المنطقة الكردية.

ـ إقامة علاقات أخوية مع شعب أذربيجان في النضال المشترك جنباً إلى جنب مع بقية الأقليات القومية.

ـ تحسين الأوضاع الاقتصادية باستثمار الموارد الطبيعية في كردستان وتنمية الزراعة والتجارة وتطوير الخدمات الصحية والتعليمية.

● للحزب توجه اشتراكي(*) ماركسي بالإضافة إلى التوجه القومي العرقي ويعد نضاله جزءًا من نضال الحركة الديمقراطية للبروليتاريا(*) «طبقة العمال والفلاحين».

● يعلن زعماؤه دائماً عن ارتباط حزبهم برباط الصداقة مع الاتحاد السوفيتي قبل انهياره والمعسكر الاشتراكي قبل زواله.

● هذا ويمكن ملاحظة ما يلي:

ـ لم ترد كلمة الإسلام الذي هو دين(*) الأكراد في مبادىء الحزب وتوجهاته أبداً، بينما ينوّه الحزب بالرباط المتين الذي يربطهم بالأرمن في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه، خاصة وبالأحزاب الأرمنية المتطرفة في العالم بصفة عامة.

● يستخدم الحزب(*) المصطلحات الشيوعية في كتاباته وتوجيهاته مثل، الحزب التقدمي، الطبقة العاملة، طبقة الفلاحين، الطبقة البرجوازية(*) البروليتاريا(*) . . . الخ.

ـ يتكلم زعماء الحزب عن الأكراد الذين يعيشون في أرمينيا ويعدونهم من البناة النشيطين للمجتمع الشيوعي السوفيتي قبل انهياره، ولا يذكرونهم على أنهم ذوي قومية تطالب بالانفصال، كما هو شأن الأكراد في إيران والعراق وسورية وتركيا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يرجع الحزب الديمقراطي الكردستاني في أفكاره إلى الفكر القومي العرقي الذي ساد في المنطقة العربية وتركيا في بداية هذا القرن . .

● ونظراً لعلمانية هذا الحزب، فإن الفكر الماركسي الشيوعي يسير جنباً إلى جنب مع الفكر القومي، كما هو الحال في الأحزاب القومية العربية مثلاً .

أماكن الانتشار:

ينتشر الحزب الديمقراطي الكردستاني في كل من إيران والعراق وتركيا وسورية .

ويتضح مما سبق:

أن الحزب الديمقراطي الكردستاني حزب قومي علماني يهدف إلى تحقيق الحرية والحكم الذاتي للشعب الكردي ضمن الدولة الإيرانية وإقامة علاقات أخوية مع شعب أذربيجان في ظل ما كان يعلنه زعماء الحزب دائماً من ارتباط حزبهم برباط الصداقة مع الاتحاد السوفيتي قبل تفككه وانهياره. ويلاحظ أن كلمة الإسلام، الذي هو دين(*) الأكراد، لم ترد ضمن مبادىء الحزب .

مراجع للتوسع:

- **كردستان والأكراد** - عبد الرحمن قاسملو - بيروت .
- **كردستان وطن وشعب بدون دولة** - جواد الملا، لندن ١٩٨٥م .

المراجع الأجنبية :

Lothar A. Heinrich: die Kurdisch Nationalbeweyung in der Türdei 1989. -

٥٩- الحزب القومي السوري

التعريف:

هو حزب(*) يدعو إلى القومية السورية، واعتبار الوطن السوري البيئةَ التي نشأت فيها الأمة السورية، والقول بأن النهضة السورية تستمد روحها وتاريخها السياسي والقومي من مواهب الأمة السورية. وقد اتخذ الحزب اسم «الحزب القومي الاجتماعي» وشعاره زوبعة لها أربعة رؤوس ترمز إلى الحرية(*) والواجب والنظام والقوة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في الثلاثينات من هذا القرن، وتحديداً في عام ١٩٣٢م، ظهر على مسرح السياسة في لبنان شاب عائد من البرازيل اسمه أنطون سعادة ألف حزباً منظماً دقيقاً مركزيًّا يعرف بالحزب القومي السوري.

- لقد نشأ هذا الحزب بدعوى محاربة الطائفية والنزعة الانعزالية مستغلاً وجود العديد من الطوائف والديانات(*) في لبنان، داعياً إلى رابطة تلغي جميع الفوارق بين الناس وتربطهم برباط واحد هو رباط الأرض، وقد بارك الغرب هذا الحزب وأمده بالمال والسلاح.

- وقد ازدهرت دعوة الحزب بانضمام الشبان المثقفين إليه، وتطور على يدي أكبر شخصية فيه وهو أنطون سعادة الموجه الروحي والمنظِّر الفكري الذي أعدم رميًا بالرصاص عام ١٩٤٩م إثر محاولته القيام بثورة(*) مسلحة تهدد كيان الدولة في لبنان.

● من شخصياته البارزة المقدم غسان جديد، وهو مقدم سابق في الجيش السوري (نصيري)، وعصام المحايري، ودكتور عبدالله سعادة، وفايز صايل، وجورج عبد المسيح، ومن رؤسائه مؤخراً إنعام رعد.

الأفكار والمعتقدات:

تتركز مبادىء الحزب في الأفكار التي يذكرها أنطون سعادة في كتابه **نشوء الأمم**، وهي:

- فصل الدين(*) عن الدولة.
- منع رجال الدين من التدخل في الشؤون السياسية والقضائية والقومية.
- إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب(*).
- إلغاء الإقطاع، وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج، وإنصاف العامل،

وصيانة مصلحة الأمة والدولة.

ـ إعداد جيش قومي ذي قيمة فعلية في تقرير مصير الأمة والوطن.

● كما أن للحزب(*) منطلقاته التي تعبر عن أفكاره ومعتقداته وتصوراته لحركة التاريخ ومن ذلك:

ـ سورية للسوريين، والسوريون أمة تامة.

ـ يتميز السوريون عن أبناء الأمة العربية كما يتميز الفرنسيون عن الإنجليز، وكما يتميز الروس عن الألمان.

ـ القضية السورية هي الأمة السورية والوطن السوري.

ـ الأمة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل التاريخ الحالي.

ـ الأمة السورية هيئة اجتماعية واحدة.

ـ مصلحة سوريا فوق كل مصلحة.

ـ القوميون السوريون يعتزون بالماضي السحيق الذي يمثله الفينيقيون بوثنيتهم(*) وخمرهم وآلهتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولذاتهم، ويعتزون بالثقافة الروحية والطابع العمراني الذي نشرته سوريا في البحر السوري المعروف بالبحر المتوسط.

ـ الاعتزاز بما خلده العظام من مثل كرينون ـ بيار صليبي ـ يوحنا فم الذهب ـ أفرام العمري ـ ديك الجن الحمصي ـ الكواكبي ـ جبران.

ـ الاعتزاز بالمحاربين الخالدين مثل سرجون الكبير ـ أسرحدون ـ سنحاريب ـ نبوخذ نصر ـ آشور بانبال ـ هاني بعل.. إلى يوسف العظمة، وهم بذلك يغفلون مشاهير وعظماء الإسلام.

ـ أزهى العصور في تاريخ سوريا هو العصر الفينيقي.

ـ الفتح الإسلامي يعد فتحاً أجنبياً ولا يرون في التاريخ الإسلامي في سوريا بعد الفتح إلا تاريخاً سورياً خالصاً، فمعاوية رضي الله عنه أصبح سورياً لإقامته في دمشق عشرين عاماً قبل الخلافة(*)، وأمجاد الأمويين أمجاد سورية محضة، والنزاع بين معاوية وعلي رضي الله عنهما إنما هو نزاع بين القومية السورية والقومية العراقية، ويجعلون للأرض والتراب والجو أثراً سحرياً يحول الإنسان خلال فترة وجيزة من قومية إلى قومية ومن تاريخ إلى تاريخ.

ـ عندما يتحدثون عن سوريا فإنما يقصدون بذلك سوريا الكبرى والتي تضم سوريا الحالية ولبنان والأردن وفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● رجالات هذا الحزب يحاربون الدين(*) بكل قواهم، ويستنكرون الرابطة الدينية بين الناس، وينطلقون في ذلك من عدة معتقدات وأفكار: من أهمها ما يلي:

- الزعم بأن فكرة الألوهية اخترعها الإنسان يوم أن كان رازحاً تحت سلطان الخوف والوهم والخرافة.

- النظر إلى الكون والإنسان والحياة نظرة مادية(*) تنكر وجود الله والبعث والرسالات واليوم الآخر.

- الزعم بأن الإسلام دمه جامد، وإنما الذي جعله متطوراً هم الخلفاء والفقهاء.

- ينادون بفصل الدين عن الدولة، وهي فكرة غربية يرفضها الإسلام جملة وتفصيلاً.

- يعتبرون التجمع على أساس ديني من أخطر العقبات في سبيل التقدم، وينادون بالتخلي عنه حتى يسلم الكيان السوري القومي من التناقضات.

● دعوتهم انعزالية تقتصر على الوطن، فهي تعمل على انكماش العالم العربي والإسلامي الكبير إلى عالم صغير محدود في عصر التكتلات العالمية والمعسكرات الدولية والتجمعات الأممية.

- هذه الدعوة الانعزالية تخدم مصالح الغرب المستعمر، وتخدم الصهيونية في تفتيت الوطن الإسلامي الكبير، وتمزيق القوة المحيطة بإسرائيل.

- تدعو إلى الاستهتار بالقيم الأخلاقية، وذلك بتهيئة فرص الإغراء للشباب والفتيات بالانضمام إليها في حلقات ماجنة تلعب فيها الخمر بالرؤوس، وتنطلق فيها الغرائز جامحة مسترسلة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● اتخذ هذا الحزب من لبنان مركزاً له، وصار له أتباع في سوريا، ولكنه لقي اضطهاداً من مختلف الحكام؛ لأنه يتعارض مع فكرة القومية العربية التي كان لها نفوذ أكبر، ومع ذلك ظل يعمل بشكل علني في لبنان متخذاً له اسماً جديداً وهو «الحزب القومي الاجتماعي».

● عبر أنطون سعادة عن حدود القومية السورية في كتابه نشوء الأمم بأنها البيئة الجغرافية المتميزة عما سواها، فهي تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى قناة السويس في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر السوري (المتوسط) في الغرب إلى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة. هذا والحزب الآن في حالة انحسار كبير.

ويتضح مما سبق:

أن دعوة القومية السورية دعوة انعزالية تفرق ولا تجمع، وتدعو إلى العصبية القومية في عصر التكتلات الكبرى، ويعيش معتنقوها داخل حدود وهمية وأسرى روابط تمت إلى الماضي السحيق الذي لا يحرك المشاعر. وهم يعدون أن الأرض هي أقوى الروابط ومن ثم فنظريتهم تدعو إلى فصل الدين(*) عن الدولة.

مراجع للتوسع:

- **نشوء الأمم**، أنطون سعادة.
- **المحاضرات العشر في الندوة الثقافية**، أنطون سعادة.
- **تعاليم وشروح في العقيدة القومية والاجتماعية**، أنطون سعادة.
- **الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية**، أنطون سعادة.
- **جريدة الشهاب الدمشقية** لعام ١٩٥٥م، مقالات للدكتور مصطفى السباعي.
- **العروبة بين دعاتها ومعارضيها**، ساطع الحصري.
- **حركات ومذاهب في ميزان الإسلام**، فتحي يكن.
- **لبنان في التاريخ**، فيليب حتي.

٦٠ـ البانتشاسيلا

التعريف:

البانتشاسيلا (أو المباديء الخمسة المتلاحمة) هي خمسة مبادىء رئيسة أعلنت غداة الاستقلال سنة ١٩٤٥م، ووضعت في دستور دولة إندونيسيا المسلمة، ليسير على هديها، الشعب الإندونيسي المسلم، بديلاً عن العقيدة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في سنة ١٩٤٥م عُقدت لجنة الإعداد للاستقلال في إندونيسيا، لوضع أسس الدولة المقبلة.

ـ واحتدم الخلاف بين القوى الإسلامية والوطنية ـ كما يقال عنهم ـ حول أساس الدولة، هل هو الإسلام أو اللادينية.

ـ أثناء ذلك وضع سوكارنو ـ وهو أول رئيس لإندونيسيا بعد الاستقلال المبادىء الخمسة (البانتشاسيلا) لتكون أساس وفلسفة الدولة.

ـ وأنجزت اللجنة التساعية التي ضمت الزعماء الإسلاميين والزعماء الوطنيين مهمتها في وضع ميثاق جاكرتا، وتم التوقيع عليه في ٢٢ يونيو ١٩٤٥م. وهذا الميثاق أصبح مقدمة لدستور سنة ١٩٤٥م. بعد إلغاء جملة: «مع وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية(*) على معتنقيها». ويقال إن سبب إلغاء هذه الجملة هو صدور إنذار من النصارى ـ وهم قلة قليلة في إندونيسيا ـ بعدم المشاركة في النضال لنيل الاستقلال إذا لم تحذف هذه العبارة.

ـ وهكذا ضاع أمل الإسلاميين في إنشاء دولة إسلامية في إندونيسيا نتيجة فكر الدول الصليبية وتلاميذها من القادة العلمانيين.

ـ وكان سوكارنو ـ واضع المبادىء الخمسة ـ يحكم إندونيسيا مثل باقي العسكريين الذين استولوا على السلطة في دول العالم الثالث بالحديد والنار.

ـ وعرف سوكارنو ببعده عن الإسلام وتحلله الأخلاقي طوال فترة حكمه وقد لقيت الدعوة الإسلامية في إندونيسيا أشد العنت إبان حكمه.

● الرئيس (سوهارتو) الذي استولى على السلطة بانقلاب عسكري وأقصى سوكارنو

عن الحكم.. سار على نهجه، في صبغ إندونيسيا المسلمة بالصبغة العلمانية (اللادينية) وأطلق يد كل أعداء الإسلام للعمل في البلاد، وفتح أبواب إندونيسيا للتنصير وإحياء الوثنية(*)، ونشر الفساد والتحلل الأخلاقي في البلاد.

الأفكار والمعتقدات:

● تقوم البانتشا سيلا على خمسة مبادىء هي:
- الإيمان بالله الواحد الأحد (الربانية المتفردة).
- القومية وتنادي (بالوحدة الإندونيسية).
- الديمقراطية(*) أو (الشعبية الموجهة بالحكمة في الشورى النيابية).
- الإنسانية العادلة المهذبة.
- العدالة الاجتماعية.

على أساس أن هذه المبادىء هي نقاط التفاهم بين جميع الطوائف في أندونيسيا.

- هذه المبادىء الخمسة بقيت مباديء نظرية محضة، أو شعارات مرفوعة ـ كما هي الحال في الحكومات العسكرية في العالم الإسلامي ـ وتخفي وراءها العلمانية التي تسعى إلى سلخ الشعب المسلم في إندونيسيا عن الإسلام شيئاً فشيئاً.

- لا يقصد بـ(الإيمان بالله) (المبدأ الأول من المبادىء الخمسة)، الإيمان القائم على العقيدة الصحيحة والوحي(*) الإلهي المجرد من كل المؤثرات، وفكرة الله عند سوكارنو (المنظّر لهذه المباديء): (أن الإنسان الذي لا يزال يعيش على الزراعة يشعر بحاجة إلى الله، وإذا بلغ مرحلة الصناعة لم يعد يرى ثمة ضرورة لوجود الله).

- إذن المقصود بوجود هذا المبدأ (الإيمان بالله) هو الخداع والتمويه على الحقيقة اللادينية للبانتشاسيلا.

● العلمانية والتغريب هما خلفية البانتشاسيلا، ومن هذا الباب دخلت الصليبية والجمعيات التنصيرية من كل طائفة وملة إلى إندونيسيا، بتسهيلات من الحكومة الإندونيسية، والأمم المتحدة(*) باسم رعاية الأمومة والطفولة، ومكافحة الأمراض وفتح المستشفيات إلخ.

● بلغ عدد الذين تركوا الإسلام واعتنقوا الكاثوليكية في أندونيسيا ٢٠ مليونا ضمن سكان الدولة المسلمة التي كانت مسلمة مائة بالمائة.

● الرابطة القومية ـ اللادينية ـ هي التي تربط أفراد الشعب الأندونيسي بعضهم ببعض.. وهذه الرابطة صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوربا وتسعى الآن للتخلص

منها وإحياء الانتماء لديهم للنصرانية واليهودية. . وهدف القومية الأندونيسية إبعاد العقيدة الإسلامية عن عوامل وحدة الشعب الإندونيسي، وبالتالي إبعاد الشعب عنها شيئاً فشيئاً.

● الإنسانية فكرة أصبحت مبدأ من المبادىء الخمسة، تخفي وراءها الدعوة اللادينية، والحقد على الإسلام. . باعتبار أن الشعب الإندونيسي ليس كله مسلما. . وأن الذي يجمعهم هو الإنسانية.

● العدالة الاجتماعية. . مقولة جميع الحكام العسكريين في دول العالم الثالث، ولكن بدون ممارسة حقيقية، أو وجود واقعي. . وإلا فلماذا انتشر الفساد واللصوصية والرشوة والمحسوبية بين المسؤولين في إندونيسيا وفي سواها ممن نهج نهجها؟

ـ انطلاقاً من التزام الحكومة بالبانتشاسيلا باعتبارها الأساس الوحيد المعترف به للسياسة العامة للدولة، فقد صدرت القوانين التي اعتبرت أية دعوة لتطبيق الدين(*) الإسلامي دعوة تخريبية تهدد أساس استقرار المجتمع ـ كما حاولت الحكومة عام ١٩٧٣م منع المسلمين من التحاكم لقوانين الشريعة الإسلامية(*) المتعلقة بالزواج والطلاق والأحوال الشخصية، إلا أن تلك المحاولة أسقطتها المظاهرة التاريخية الكبرى التي قام بها الشباب المسلم آنذاك.

● كما اتجهت الحكومة لمنع حجاب الشابات المسلمات وألحقت جهاز بوليس بكل مصلحة حكومية لتولي مسؤولية مراقبة وملاحقة أنشطة الدعوة الإسلامية.

● وعلى أساس البانتشاسيلا اعترفت الحكومة بالنصرانية وتمثل ٥٪ والأديان الوثنية(*) [البوذية ٢٪ الهندوكية ٢٪ باقي الوثنية ٢٪] على الرغم من أن الإسلام يمثل ٨٨٪ من عدد السكان البالغ ١٦٠ مليون نسمة.

● وتعامل الحكومة ـ انطلاقاً من البانتشاسيلا ـ الأديان(*) معاملة متساوية؛ لذلك أتاحت للهيئات التبشيرية كامل الحرية في نشر الديانة النصرانية بين المسلمين، وكذلك تقدم الحكومة برامج متساوية على شاشة التلفزيون لنشر تعاليم كل الأديان!!.

ـ ونظرا لأعمال البانتشاسيلا فإن عدد الكنائس(*) والمعابد البوذية والهندوكية أصبحت مقاربة لعدد مساجد المسلمين.

● أدخلت الحكومة مبادىء البانتشاسيلا كمادة أساسية في مجال التربية والتعليم في جميع المراحل التعليمية، وأعدَّت دورات تدريبية لجميع موظفي الحكومة والقطاع الخاص لدراسة مبادئها. زعماً بأن البانتشاسيلا ليست ضد الإسلام والمسلمين وإنما تعني حرية الأديان للتعايش السلمي.

● ومما تجدر ملاحظته ما قيل من أن الرئيس سوكارنو قد اقتبس مبادىء الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والإنسانية من الزعيم الوطني «سون يات سن» وأضاف إليها مبدأي الألوهية ووحدة إندونيسيا.

● وهكذا انطلقت الجمعيات التنصيرية لتنصير المسلمين في أندونيسيا، حتى أصبح المُنَصَّرُون من المسلمين الأندونيسيين يتعدون عشرين مليوناً انطلاقاً من البانتشاسيلا التي باركها الغرب.

ويتضح مما سبق:

أن البانتشاسيلا هي خمسة مبادىء أعلنت غداة استقلال أندونيسيا المسلمة ليسير الشعب على هديها وهي: الإيمان بالله الواحد الأحد، والقومية، والديمقراطية(*)، والإنسانية، والعدالة الاجتماعية، وفي ظل هذه الشعارات النظرية عربدت العلمانية في إندونيسيا. ففي بيان المبدأ الأول قال سوكارنو منظِّر هذه المبادىء إن المزارع يشعر بحاجته إلى الله أما الصانع فلا يرى ضرورة لوجوده، وفي ظل هذه المبادىء تم تنصير الملايين من المسلمين في إندونيسيا، وفي ظل هذه المبادىء تمنع الحكومة الحجاب وتلاحق الدعاة إلى الله.

المصادر والمراجع:

- **اختاروا إحدى السبيلين: الدين أو اللادينية** للدكتور محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا السابق الدار السعودية للنشر ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة** لمحمد أسد شهاب.
- **مجلة الاعتصام**ـ القاهرية ـ عدد ربيع الآخر ١٤١٠هـ ـ نوفمبر ١٩٨٩م.
- **مجلة الدبلوماسي** العدد الثامن ذو القعدة ١٤٠٧هـ يوليو ١٩٨٧م مقال «البانتشاسيلا أساس الدولة في الجمهورية الإندونيسية».

٦١ـ حزب البعث العربي الاشتراكي

التعريف:

حزب البعث حزب(*) قومي علماني، يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وهي رسالة الحزب، أما أهدافه فتتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في سنة ١٩٣٢م عاد من باريس قادماً إلى دمشق كل من ميشيل عفلق (نصراني ينتمي إلى الكنيسة(*) الشرقية)[١] وصلاح البيطار وذلك بعد دراستهما العالية محملين بأفكار قومية وثقافة أجنبية.

ـ عمل كل من عفلق والبيطار في التدريس، ومن خلاله أخذا ينشران أفكارهما بين الزملاء والطلاب والشباب.

ـ أصدر التجمع الذي أنشأه عفلق والبيطار مجلة **الطليعة** مع الماركسيين سنة ١٩٣٤م وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم (جماعة الإحياء العربي).

ـ في نيسان ١٩٤٧م تم تأسيس الحزب تحت اسم (حزب البعث العربي)، وقد كان من المؤسسين: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد، زكي الأرسوزي كما قرروا إصدار مجلة باسم **البعث**.

ـ كان لهم بعد ذلك دور فاعل في الحكومات التي طرأت على سوريا بعد الاستقلال سنة ١٩٤٦م وهذه الحكومات هي:

١ ـ حكومة شكري القوتلي: من ١٩٤٦ وحتى ٢٩/ ٣/ ١٩٤٩م.

٢ ـ حكومة حسني الزعيم: تسلم السلطة عدة شهور من سنة ١٩٤٩م.

٣ ـ حكومة اللواء سامي الحناوي: بدأ حكمه وانتهى في نفس عام ١٩٤٩م.

٤ ـ حكومة أديب الشيشكلي: استمر حكمه حتى سنة ١٩٥٤م.

٥ ـ حكومة شكري القوتلي: عاد إلى الحكم مرة ثانية واستمر إلى توقيع اتفاقية الوحدة مع مصر سنة ١٩٥٨م.

---

(١) أُعلن عن إسلامه بعد موته.

٦ ـ حكومة الوحدة برئاسة جمال عبد الناصر: ١٩٥٨ ـ ١٩٦١م.

٧ ـ حكومة الانفصال برئاسة الدكتور ناظم القدسي: وقد دام الانفصال من ٢٨/ ٩/ ١٩٦١م وحتى ٨/ ٣/ ١٩٦٣م. وقد قاد حركة الانفصال عبدالكريم النحلاوي.

● منذ ٨/ ٣/ ١٩٦٣م وإلى اليوم فقد وقعت سوريا تحت حكم حزب(*) البعث، وقد مرت هذه الفترة بعدة حكومات بعثية هي:

ـ حكومة قيادة الثورة: ١٩٦٣م وفيها برز صلاح البيطار رئيساً للوزراء.

ـ حكومة أمين الحافظ: من ١٩٦٣م وحتى ١٩٦٦م.

ـ حكومة نور الدين الأتاسي: ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠م، إذ لعبت القيادة القطرية للحزب دوراً بارزاً في الحكم، وقد برز في هذه الفترة كل من صلاح جديد الذي عمل أميناً عامًّا للقيادة القطرية وحافظ الأسد الذي عمل وزيراً للدفاع.

ـ حكومة حافظ الأسد: من سنة ١٩٧٠م وإلى يومنا هذا.

● **ومن الشخصيات السورية البارزة التي ظهرت في تاريخ الحزب:**

ـ سامي الجندي: تقلد منصب وزير الإعلام بعد انقلاب ١٩٦٣م.

ـ حمود الشوفي: عمل سكرتيراً عامًّا للقيادة القطرية الأولى إلا أنه انشق وجماعته عن الحزب في آذار سنة ١٩٦٤م، وهو الآن في العراق.

ـ منيف الرزاز: (أردني) عمل سكرتيراً عاماً للقيادة القومية للحزب من نيسان ١٩٦٥م إلى شباط ١٩٦٦م.

ـ مصطفى طلاس: ولد سنة ١٩٣٢م، درس في الكلية العسكرية بحمص، انضم إلى الحزب في سنة ١٩٤٧م وعمل رئيساً لمحكمة الأمن القومي للمنطقة الوسطى من ١٩٦٣م، ورئيس أركان اللواء المدرع الخامس من ١٩٦٤م ـ ١٩٦٦م ورئيس الأركان للقوات المسلحة من شباط ١٩٦٨م ونائب وزير الدفاع من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢م وفي آذار ١٩٧٣م صار وزيراً للدفاع ولا يزال.

ـ اللواء يوسف شكور: خلف مصطفى طلاس في رئاسة الأركان وهو من منطقة حمص.

ـ اللواء ناجي جميل: من دير الزور، كان قائداً لسلاح الجو من تشرين الثاني ١٩٧٠م وحتى آذار ١٩٧٨م.

ـ سليم حاطوم: حاول أن يقود انقلاباً عام ١٩٦٦م لكنه فشل في ذلك. وقد أعدم في عام ١٩٦٧م.

ـ زكي الأرسوزي: (من لواء إسكندرون) مؤسس مع ميشيل عفلق ومنافس له.

ـ شبلي العيسمي: ولد عام ١٩٣٠م، عمل وزيراً للإصلاح الزراعي ثم وزيراً للمعارف، ثم وزيراً للثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٣م ـ ١٩٦٤م ونائباً للأمين العام لحزب البعث ١٩٦٥م.

ـ عبد الكريم الجندي: من أنصار صلاح جديد، انتهى منتحراً عام ١٩٦٩م.

ـ سليمان العيسى: (من لواء اسكندرون) منظّر ومفكّر وشاعر.

ـ أحمد الخطيب: تسلم رئاسة الجمهورية من تشرين الثاني ١٩٧٠م واستقال في شباط ١٩٧١م وهي الفترة الانتقالية بين حكومة نور الدين الأتاسي وحكومة حافظ الأسد، وقد كان عضو القيادة القطرية الموسعة من ١٩٦٥م كما تسلم رئاسة مجلس الشعب لفترة قصيرة.

ـ يوسف زعين: مولود في البوكمال ١٩٣١م طبيب، عمل وزيراً للإصلاح الزراعي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م، وسفيراً في بريطانيا، وفي ١٩٦٥م انتخب عضواً في القيادة القطرية، ومن شباط ١٩٦٦م إلى تشرين الأول ١٩٦٨م، كان رئيساً للوزراء حتى عام ١٩٧٠م.

ـ جلال السيد: عضو مؤسس في حزب(*) البعث وهو من مدينة دير الزور وقد ترك الحزب لكنه بقي نشيطاً في السياسة السورية.

ـ عبد الحليم خدّام: ولد ١٩٣٢م في بانياس، خريج كلية الحقوق بدمشق، تنقل في عدة وظائف، إذ عمل محافظاً لمدينة حماة ومحافظاً لمدينة القنيطرة ومحافظاً لمدينة دمشق ١٩٦٤م ووزيراً للاقتصاد ١٩٦٩م، ووزيراً للخارجية من ١٩٧٠م وهو عضو القيادة القطرية منذ عام ١٩٦٩م وقد ارتقى عام ١٩٨٤م ليكون نائب رئيس الجمهورية للشؤون السياسية.

ـ حافظ الأسد: ولد بالقرداحة من قرى اللاذقية سنة ١٩٣٠م، تخرج في الكلية العسكرية بحمص ١٩٥٥م، عمل قائداً لقاعدة الضمير الجوية ١٩٦٣م، وقائداً لسلاح الطيران ١٩٦٤م، انضم إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة(*) ١٩٦٥م، انضم إلى صلاح جديد في انقلاب ١٩٦٦م، وصار وزيراً للدفاع من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٠م. ومن تشرين الثاني ١٩٧٠م صار رئيساً للجمهورية بعد قيادته الحركة التغييرية التي أوصلته إلى السلطة.

ـ زهير مشارقة من حلب، عين مؤخراً نائبا لرئيس الجمهورية لشؤون الحزب.

● لقد اندمج في سنة ١٩٥٣م كل من (حزب(*) البعث) و(الحزب العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسمياه (حزب البعث العربي الاشتراكي).

● أما عن الجناح العراقي من حزب البعث فقد استولى على السلطة في العراق بعد أحداث دامية سارت على النحو التالي:

● استيلاء حزب البعث على ناصية الحكم في العراق:

- في الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٥٨م دخل لواء بقيادة عبد السلام عارف إلى بغداد قادماً من الأردن، واستولى على محطة الإذاعة، وأعلن الثورة(*) على النظام الملكي، وقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الإله ونوري السعيد وأعوانه وأسقط النظام الملكي وبذلك انتهى عهد فيصل، ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية.

- وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٨م أي بعد عشرة أيام من نشوب الثورة وصل ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث وزعيمه إلى بغداد وحاول إقناع أركان النظام الجديد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر)، ولكن الحزب الشيوعي العراقي أحبط مساعيه ونادى بعبد الكريم قاسم زعيماً أوحد للعراق.

- وفي اليوم الثامن من شهر فبراير لعام سنة ١٩٦٣م قام حزب البعث بانقلاب على نظام عبد الكريم قاسم وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرساً دار في شوارع بغداد، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت أول حكومة بعثية، وسرعان ما نشب خلاف بين الجناح المعتدل والجناح المتطرف من حزب البعث فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٣م، وعين عبد السلام عارف، أحمد حسن البكر أحد الضباط البعثيين المعتدلين نائباً لرئيس الجمهورية.

- في شهر فبراير سنة ١٩٦٤م أوصى ميشيل عفلق بتعيين صدام حسين عضواً في القيادة القطرية لفرع حزب البعث العراقي.

- في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٦م قام حزب البعث العراقي بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب ناجح أسقط نظام عبدالرحمن عارف.

- وفي اليوم الثلاثين من شهر يوليو عام ١٩٦٨م طرد حزب البعث جميع من تعاونوا معه في انقلابه الناجح على عبد الرحمن عارف، وعين أحمد حسن البكر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً للجمهورية وقائداً عامًّا للجيش، وأصبح صدام حسين نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ومسؤولاً عن الأمن الداخلي.

- وفي ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠م تم اغتيال الفريق حردان التكريتي في مدينة الكويت، وكان من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي وعضواً في مجلس قيادة الثورة ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع.

- وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٧١م تم اغتيال السيد فؤاد الركابي وكان المنظر الأول للحزب وأحد أبرز قادته في العراق وقد تم اغتياله داخل السجن.

ـ وفي ٨ يوليو سنة ١٩٧٣م جرى إعدام ناظم كزار رئيس الحكومة وجهاز الأمن الداخلي وخمسة وثلاثين شخصاً من أنصاره وذلك في أعقاب فشل الانقلاب الذي حاولوا القيام به.

ـ في السادس من شهر مارس عام ١٩٧٥م وقّعت الحكومة البعثية العراقية مع شاه إيران الاتفاقية المعروفة باتفاقية الجزائر، وقد وقعها عن العراق صدام حسين وتقضي الاتفاقية المذكورة بأن يوافق العراق على المطالب الإقليمية للشاه في مقابل وقف الشاه مساندته للأكراد في ثورتهم على النظام العراقي.

ـ في شهر أكتوبر لعام ١٩٧٨م طردت الحكومة البعثية الخميني من العراق، وقامت في شهر فبراير عام ١٩٧٩م الثورة(*) الخمينية في إيران.

ـ وفي شهر يونيو عام ١٩٧٩م أصبح صدام حسين رئيساً للجمهورية العراقية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه وفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله.

ـ في يوليو سنة ١٩٧٩م قام صدام حسين بحملة إعدامات واسعة طالت ثلث أعضاء مجلس قيادة الثورة وأكثر من خمسمائة عضو من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي.

ـ وفي اليوم الثامن من شهر أغسطس من العام نفسه أقدم صدام حسين على إعدام غانم عبد الجليل وزير التعليم ومحمد محجوب وزير التربية ومحمد عايش وزير الصناعة وصديقه الحميم عدنان الحمداني والدكتور ناصر الحاني سعيد، ثم قتل مرتضى سعيد الباقي تحت التعذيب، وقد سبق لكل من الأخيرين أن شغلا منصب وزير الخارجية، وقد بلغ عدد من أعدمهم صدام حسين خلال أقل من شهر واحد ستة وخمسين مسؤولاً حزبياً، ولم يبق على قيد الحياة من الذين شاركوا في انقلاب عام ١٩٦٨م سوى عزت إبراهيم الدوري وطه ياسين رمضان وطارق حنا عزيز.

ـ وفي اليوم التاسع من شهر إبريل عام ١٩٨٠م قام صدام حسين بإعدام محمد باقر الصدر أحد أبرز علماء الشيعة وأخته زينب الصدر المعروفة باسم (بنت الهدى).

ـ وفي يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠م شن صدام حسين حربه على إيران التي أسفرت عن سقوط ما يقارب نصف المليون من أزاهير شباب العراق فضلاً عن سبعمائة ألف من المعاقين والمشوهين، إضافة إلى نفقات الحرب التي تجاوزت مائتي ألف مليون من الدولارات، وكذلك تجميد كل تنمية طوال مدة زمنية تجاوزت ثماني سنوات، خرج صدام بعد كل هذه التضحيات ليعلن للعالم أن حربه مع إيران كانت خطأ، وأن الحق كل الحق في العودة إلى الاتفاقية المبرمة بينهما ـ اتفاقية الجزائر ـ.

ـ وأثناء حربه مع إيران أنزل بالمواطنين الأكراد أبشع أنواع القتل والبطش والتنكيل والإبادة باستخدام الغازات السامة والكيماوية وقنابل النابالم الحارقة بصورة همجية لم تعرف حرمة لشرع ولا لدين ولا لمروءة ولا لشرف، وقد أمر جنده أن يدكوا بمدافعهم مدناً بأكملها على رؤوس النساء والأطفال والشيوخ والرجال من مواطنين، بدلاً من أن يحميهم ويقيهم كل مكروه باعتبارهم شعبه وأبناء وطنه.

ـ وفي ٢ أغسطس سنة ١٩٩٠م (١١ المحرم سنة ١٤١١ هـ) قام باجتياح دولة الكويت واستباحة أرضها وطرد شعبها وتخريب منشآتها ونهب متاجرها وقتل الأحرار من أبنائها، وتفجير آبار النفط فيها، مما جعل العالم بأسره يقف في وجه هذا الطاغية ويحشد جنوده لحربه وطرده من الكويت، وهذا ما أنزل به هزيمة كاسحة راح ضحيتها مئات الآلاف من جنود حرسه الوطني العراقيين، وجعله يستسلم في ذلة وخنوع، ويوافق على كل شروط قوات الحلفاء المنتصرين، بعد أن دك الطيران جميع المنشآت والمرافق في العراق، وتركها خراباً في معركة غير متكافئة أطلق عليها (عاصفة الصحراء)، وعاد أمير الكويت إلى بلاده ورجعت الحكومة الكويتية من منفاها ومارست سلطاتها.

● **سلوكيات ومبادىء حزب البعث في العراق:**

ـ نادى مؤسس الحزب بضرورة الأخذ بنظام الحزب الواحد؛ لأنه كما يقول: «إن القدر الذي حمّلنا هذه الرسالة خولنا، أيضاً، حق الأمر والكلام بقوة والعمل بقسوة» لفرض تعليمات الحزب، ومن ثم لا يوجد أي مواطن عراقي يتمتع بأبسط قدر من الحرية الشخصية أو السياسية، فكل شيء في دولة حزب البعث العراقي يخضع لرقابة بوليسية صارمة، تشكل دوائر المباحث والمخابرات والأمن قنوات الاتصالات الوحيدة بين المواطنين والنظام.

ـ تركيز سياسة الحزب(*) على قطع جميع الروابط بين العروبة والإسلام، والمناداة بفصل الدين عن السياسة، والمساواة في نظرتها للأمور بين شريعة حمورابي وشعر الجاهلية وبين دين محمد عليه الصلاة والسلام، وبين ثقافة المأمون وجعلها جميعاً تتساوى في بعث الأمة العربية وفي التعبير عن شعورها بالحياة.

ـ ادّعت سياسة الحزب أن تحقيق الاشتراكية(*) شرط أساسي لبقاء الأمة العربية ولإمكان تقدمها، مع أن النتيجة الحتمية للسياسة الاشتراكية التي طبقت في العراق لم تجلب الرخاء للشعب ولم ترفع مستوى الفقراء، ولكنها ساوت الجميع في الفقر، وبعد أن كان العراق قمة في الثراء ووفرة الموارد والثروات أصبح بطش حزب البعث عاجزاً عن توفير القوت الأساسي لشعبه.

ـ قيامه بتجريد الدستور العراقي من كل القوانين التي تمتّ إلى الإسلام بصلة، وأصبحت العلمانية هي دستور العراق، ومعتقدات البعث ومبادئه هي مصدر التشريع لقوانينه.

ـ ورد في التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع والمنعقد في بغداد في شهر يونيو من عام ١٩٨٢م ما يلي:

«وأما الظاهرة الدينية في العصر الراهن فإنها ظاهرة سلفية(*) ومتخلفة في النظرة والممارسة».

«ومن الأخطاء التي ارتكبت في هذا الميدان أن بعض الحزبيين صاروا يمارسون الطقوس الدينية، وشيئاً فشيئاً صارت المفاهيم الدينية تغلب على المفاهيم الحزبية».

«إن النضال ضد هذه الظاهرة ـ يقصد الظاهرة الدينية ـ يجب أن يستهدفها (الحزب) حيث وجدت... لأنها كلها تعبر عن موقف معادٍ للشعب وللحزب وللثورة وللقضية القومية..».

ولذلك فقد اتجه صدام حسين وحزبه إلى إعلان الحرب على الإسلام والعاملين له في جميع المجالات ولسان حاله يقول عن نفسه «وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندى» واتخذت تلك الحرب الصور التالية:

ـ قام صدام حسين بقتل ٤٧ عالماً وداعية نشرت أسماؤهم في تقارير منظمة العفو الدولية، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز البدري من أهل السنة، ومحمد باقر الصدر من أئمة المذهب الشيعي، واغتيل عدد كبير من العلماء الذين أرسلهم للتفاوض مع مصطفى البرزاني الزعيم الكردي، إذ أجبرهم على ارتداء ملابس مفخخة انفجرت فيهم وقتلت عدداً كبيراً منهم. وتتابعت القرارات الصدامية بإعدام المئات من الشخصيات الإسلامية.

ـ أحال الكثيرين من أساتذة الجامعات من أصحاب الأفكار المتحررة إلى التقاعد، ثم قدمهم إلى المحاكمة، وصدرت بحقهم أحكام مختلفة بعد طردهم من وظائفهم وتحديد إقاماتهم أو سجنهم لفترات طويلة.

ـ أصدر أوامره بإغلاق مئات المساجد في العراق لمجرد أن الشباب المسلم يلتقي فيها.

ـ أصدر أوامره بمحاربة الكتاب الإسلامي، وعدم السماح به في المكتبات العامة وفي تعليل ذلك يقول سعدون حمادي «أسهل على الرقيب أن يمنع من أن يجيز، لأنه إذا منع مائة كتاب فإننا لن نحاسبه، ولكنه عندما يجيز كتاباً وتظهر فيه كلمة ممنوعة فيمكن أن تقوم القيامة».

ـ محاربة ارتداء الحجاب الإسلامي بين الفتيات المسلمات، وتشجيع العلاقات غير الشرعية بين الفتيان والفتيات، وفتح النوادي الليلية وتشجيع الفساد في المجالات كافة، وتقديم معونات سخية لكل من يقوم بفتح كباريهات، حتى أصبحت مظاهر الفجور والعهر تكسو الشوارع والأسواق وإعلانات البعث ومنشوراته تملأ المكتبات والمدارس وحانات الخمر تملأ الأزقة والأحياء، وقد أمر بفتح محلات لبيع الخمور في الكويت بعد احتلالها.

ـ كانت العراق من آخر الدول التي قبلت بالانضمام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، بعدما شعر بعزله إسلاميّاً، ولم يلتزم بقرارات المؤتمر عمليًّا.

ـ دأب على دعم النظم العلمانية ضد كل من يرفع شعار الإسلام سواء في لبنان أو كشمير أو فلسطين أو قبرص أو أفغانستان، وهكذا في كل قضية إسلامية أخذ موقعه إلى جانب القوى المعادية للإسلام.

ـ جلب من وسائل التعذيب في سجون ومعتقلات بلاده ما تقشعر لهوله الأبدان، وعرف عن جلاوذته أنهم يلجؤون إلى الوسائل البشعة التالية:

ـ ثقب الآذان بآلة كهربائية.

ـ قطع جسد السجين نصفين بالمنشار الكهربائي.

ـ إرغام السجين أو المعتقل على السير حافي القدمين على سلالم مغطاة بالزجاج المكسر حتى تنزف قدماه دماً غزيراً وعندما يصل المعتقل إلى آخر درجة من السلم يصعقه تيار كهربائي.

ـ يضربون المعتقل أو المسجون بالأسلاك الكهربائية والأنابيب البلاستيكية ويغطسونه في المياه القذرة ويرشونه بالماء الحار ثم بالماء البارد.

ـ يعلقونه بمراوح السقف ثم يطلقون التيار الكهربائي، ويكوونه بالسجائر المشتعلة والمسامير المحماة في النار.

ـ يترك السجين لعدة أيام بدون طعام أو شراب ثم يقدمون له كوباً من الماء المثلج، فإذا همَّ بشربه لقى ضربة قوية تحطم الكوب الزجاجي على شفتيه وأسنانه فتتحطم أسنانه ويمتلىء فمه بقطع الزجاج المكسور.

ـ إحضار أقارب المتهمين من الزوجات والأخوات والبنات واغتصابهن أمامهم، لكي يرغموا المتهمين على الاعتراف بما اقترفوه وما لم يقترفوه.

حصاد حكم البعث العراقي:

كان لاعتدائه على الكويت واتخاذه شعار الجهاد الإسلامي أسوأ الأثر على الجماهير

المسلمة، خاصة عندما هاجم قادة المملكة العربية السعودية، ونسب شخصه إلى البيت النبوي الشريف، وأسمى نفسه عبد الله المؤمن في حين أنه عدو لدود للإسلام.

ـ أدرك الجميع كذب صدام عندما ادعى أن شعب الكويت وثواره هم الذين دعوه لغزو الكويت، ولما لم تنطل فريته على أحد ادعى أن الكويت جزءً من العراق ومن حق الجزء أن ينضم إلى الكل، وشكل حكومة بعد أخرى مدعياً أن أعضاءها من الكويتيين، ولكن الواقع كذَّب ادعاءه السخيف، وأثبت الشعب الكويتي صدق انتمائه وتمسكه بقيادته الشرعية.

ـ ظل يردد أن الحرمين الشريفين واقعان تحت الاحتلال الأمريكي الصهيوني، مما دعا إلى عقد مؤتمر للعلماء في أرض الحرمين، ودفعوا هذه التهمة باعتبارها باطلاً محضاً، وكلما زاد نفور الشارع الإسلامي من أكاذيبه ازداد الرجل تملقاً للشعارات الإسلامية.

ـ أعطى اجتياح الكويت مبررات للصهاينة لتبرير اغتصاب فلسطين، حتى صرح أحد أعضاء الكنيست من حزب الليكود بأنه على إسرائيل أن تستغل الوضع المتفاقم في الخليج لقمع الانتفاضة الفلسطينية بشكل شامل.

ـ اتضحت سياسة حزب البعث التي تنادي بالوحدة، وانكشفت أطماعهم في السعي للهيمنة على العالم العربي عن طريق الضم بالقوة، وبدأ بمنطقة الخليج التي تعد حتى الآن في بعض الحسابات الدولية مستعصية على التغريب والهيمنة، ومصدر تمويل أساسي لكل الأعمال الخيرية ولجميع مظاهر الصحوة الإسلامية، فتسبب بذلك في انتكاسة العمل الإسلامي.

ـ تسبب في انهيار النظام العربي إثر عجز الأمة العربية بمختلف مؤسساتها ومنظماتها عن ردع العدوان، وخاب أمل العرب والمسلمين في تملك قوات رادعة تقف في وجه القوات العراقية بعد أن انكشف الغطاء عن اتجاه العراق لحرب المملكة والكويت ودول الخليج العربي، ووجهوا صواريخهم لضرب الرياض والدمام وقاموا فعلاً بنسف آبار البترول في الكويت وإضرام النار فيها.

ـ كان قيام العراق بالعدوان على الكويت سبباً لاستدعاء قوات التحالف الدولي لصد الخطر المفاجىء، واضطرت الدول العربية لتحمل نفقات القوات الدولية التي استدعيت لوقف العدوان.

ـ أدى الغزو إلى تدمير بنية الكويت، وترويع شعبها وتشريده بصورة فاجعة، تجاوزت في أبعادها ما جرى في فلسطين، من حيث إن المغتصب للتراب الفلسطيني كان عدوًّا لا شبهة فيه، بينما المغتصب في الحالة الكويتية كان شقيقاً ظلم شقيقه الذي ظل طيلة ثماني سنوات

يساند ويدعم المجهود الحربي العراقي الذي استغل الفرصة وانقض عليه ليفترسه بغدر تأباه النفوس السليمة.

ـ أهدر قيمة الأمن في منطقة الخليج، وغرس بذور التوجس والقلق والخوف في أعماق أبناء المنطقة، ونزع منهم الثقة التي كانوا يولونها لأبناء جلدتهم.

ـ أهدر الغزو قيمة الوحدة العربية، وقضى على الروابط القومية، وأدى إلى شق الصف العربي بصورة غير مسبوقة، حينما تتابع إرسال جثث العمال المصريين مشحونة في صناديق مغلقة إلى بلادهم.

ـ تراجعت أولوية القضية الفلسطينية في جميع الساحات، وانقطعت الموارد المالية عن قطاعات عريضة من الفلسطينيين، كانت دخولهم من الكويت من أهم مصادر الإعاشة والتمويل.

ـ ساعد انشغال البلاد العربية بالغزو للكويت على تدفق المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي بما وصل إلى ٦٠٠ ألف مهاجر.

ـ أدت الأزمة إلى كشف الغطاء عن القضية الكردية، وفتح ملفها الذي ظل محاصراً ومدفوناً طيلة السنوات الماضية من جراء المجاملة العربية للعراق، وفضح الإعلام جرائم النظام العراقي على مستوى العالم أجمع. ودفعت جرائم البعث العراقي إلى مطالبة الأكراد بالانفصال عن العراق، أو الحصول على الحكم الذاتي لمنطقتهم، مما سيؤدي على المدى البعيد إلى ضعف وتفتت هذا البلد المسلم.

ـ أدت الأزمة إلى زيادة ملحوظة في أسعار النفط في الأسواق العالمية، وهذا ما كان له مردوده المهم على الدول المنتجة له ـ العربية وغير العربية ـ وعكست أثراً سلبيًّا آخر تمثل في إضافة أعباء اقتصادية على دول العالم الثالث التي تستورد النفط وتنوء ميزانيتها بقيمة فواتيره.

ـ لقد صاحب تحرير الكويت ـ استجابة لقرارات مجلس الأمن الدولي ـ تدمير العراق، ولم يكن التدمير مقصوراً على المنشآت العسكرية فقط، وإنما كان تدميراً شاملاً قصد في حد ذاته خلق واقع جديد ينشغل به حكام العراق لفترة طويلة لإصلاح ما أفسدته الحرب، كما يتيح للقوى العظمى التحكم في مستقبل العراق وبتروله عن طريق إعطاء حكم ذاتي للأكراد يخولهم حق السيطرة على منابع النفط في الموصل وكركوك، ويضمن الوجود المستمر لأمريكا وبريطانيا وفرنسا في المنطقة لتوفير الأمن للأقلية الكردية، هذا فضلاً عن إتاحة الفرصة لوجود عسكري دائم للقوى الاستعمارية العظمى، وفقاً لخطط سبق إعدادها للإجهاز على الجزء المشاغب ضد إسرائيل والذي أصبح منتهياً سياسياً بعد حرب الخليج، وأصبح

نظامه محاصراً إقليمياً ومعزولاً دوليًا، والعراق كله في حالة من الدمار الكامل والخراب الشامل حالياً.

ـ ولا شك أن شخص صدام حسين قد أصبح مرفوضاً على المستوى المحلي والعربي والإسلامي، بسبب أسلوبه الهمجي في التعامل مع جيرانه وأشقائه ومواطنيه الأكراد، كما أصبح ممقوتاً من حيث جبلتُه الشريرة وغريزتُه العدوانية المسعورة وسيطرة جنون العظمة على تصرفاته ولجوؤه إلى المخادعة بعد أن انكشفت نواياه الخبيثة في حربه مع إيران، ثم في انقلابه على الكويت الجارة المسالمة والداعمة له.

وقد تسبب صدام حسين في إفشال قضايا الأمن القومي العربي والقومية العربية بما أحدثه من انهيار في جدار التضامن العربي.

تقييم للأفكار والمعتقدات التي يعتنقها حزب البعث:

ـ حزب(*) البعث العربي الاشتراكي حزب قومي علماني انقلابي له طروحات فكرية متعددة يتعذر الجمع بينها أحياناً فضلاً عن الاقتناع بها، لقد كُتِبَ عنه كثير وتحدث زعماؤه طويلاً، ولكن هناك بون شاسع بين ممارسات وأقوال فترة ما قبل السلطة، وممارسات وأقوال فترة ما بعدها.

ـ الرابطة القومية عنده هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة، وتكبح جماح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية حتى قال شاعرهم:

آمنت بالبعث ربا لا شريك له ... وبالعروبة دينا ما له ثان

ـ تعلن سياسة الحزب التربوية أنها ترمي إلى خلق جيل عربي جديد مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها آخذاً بالتفكير العلمي، طليقاً من قيود الخرافات والتقاليد والرجعية، مشبعاً بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه، في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الإنسانية، «والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن بأن الله والأديان والإقطاع ورأس المال وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ». (إبراهيم خلاص ـ أحد كتاب الحزب في سورية).

● **من التوصيات العامة لمقررات المؤتمر القومي الرابع:**

ـ تقول التوصية الرابعة: «يعتبر المؤتمر القومي الرابع الرجعية الدينية إحدى المخاطر

الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعمل على علمانية الحزب، خاصة في الأقطار التي تشوه فيها الطائفية العمل السياسي».

ـ التوصية التاسعة تقول: «إن أفضل سبيل لتوضيح فكرتنا القومية هو شرح وإبراز مفهومها التقدمي العلماني وتجنب الأسلوب التقليدي الرومنطيقي في عرض الفكرة القومية، وعلى ذلك سيكون نضالنا في هذه المرحلة مركزاً حول علمانية حركتنا ومضمونها الاشتراكي لاستقطاب قاعدة شعبية لا طائفية من كل فئات الشعب».

ـ أما عن الوحدة فهم يقولون: ليست الوحدة العربية، مجرد تجميع ولصق لأجزاء الوطن العربي بل هي التحام فصهر لهذه الأجزاء، لذا فإن الوحدة ثورة بكل أبعادها ومعانيها ومستوياتها، وهي ثورة؛ لأنها قضاء على مصالح إقليمية عاشت وتوسعت وترسبت عبر القرون، وهي ثورة؛ لأنها تجابه مصالح وطبقات تعارض الوحدة وتقف في وجهها (المنطلقات النظرية للمؤتمر القومي السادس).

ـ وأما الاشتراكية فهي تعني تربية المواطن تربية اشتراكية علمية تعتقه من الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة كافة لكي يمكن خلق إنسان عربي جديد بعقل علمي متفتح، ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة ويؤمن بقيم جماعية.

ـ الرسالة الخالدة: يفسرونها بأن الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ ترمي إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم.

● **هذا ويمكن ملاحظة ما يلي:**

ـ أن كلمة الدين لم ترد مطلقاً في صلب الدستور السوري أو العراقي.

ـ كلمة الإيمان بالله على عموميتها لم ترد في صلب الدستور، لا في تفصيلاته ولا في عمومياته، مما يؤكد على الاتجاه العلماني لديه.

ـ في بناء الأسرة لا يشيرون إلى تحريم الزنى ولا يشيرون إلى آثاره السلبية.

ـ في السياسة الخارجية لا يشيرون إلى أية صلة مع العالم الإسلامي.

ـ لا يشيرون إلى التاريخ الإسلامي الذي أكسب الأمة العربية مكانة وقدراً بين الشعوب.

ـ على الرغم من مطالبة الحزب بإتاحة أكبر قدر من الحرية للمواطنين، فإن ممارساته القمعية فاقت كل تصور وانتهكت كل الحرمات، ووأدت كل الحريات، وألجأت الكثيرين

إلى الهجرة والفرار بعقيدتهم من الظلم والاضطهاد.

ـ القوانين في البلاد التي يحكمها البعث علمانية، وحانات بيع الخمور مفتوحة ليلاً ونهاراً، والنظام المالي ربوي ودعاة الإسلام مضطهدون بشكل سافر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

١ ـ يعتمد الحزب على الفكر القومي الذي ظهر وبرز بعد سقوط الدولة العثمانية في العالم العربي والذي نادت به أوربا، والذي نادى به منظِّر القومية العربية في العالم العربي آنذاك ساطع الحصري.

٢ ـ يعتمد الحزب على الفكر العلماني إذ ينحي مسألة العقيدة الدينية جانباً، ولا يقيم لها أي وزن سواء على صعيد الفكر الحزبي أو على صعيد الانتساب إلى الحزب أو على صعيد التطبيق العملي.

٣ ـ يستلهم الحزب تصوراته من الفكر الاشتراكي، ويترسم طريق الماركسية على الرغم من انهيارها، والخلاف الوحيد بينهما أن اتجاهات الماركسية أممية، أما البعث فقومي، وفيما عدا ذلك فإن الأفكار الماركسية تمثل العمود الفقري في فكر الحزب ومعتقده، وهي لا تزال كذلك بالرغم من انهيار البنيان الماركسي فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي.

٤ ـ لقد كان الحزب واجهة انضوت تحته كل الاتجاهات الطائفية (درزية ـ نصيرية ـ إسماعيلية ـ مسيحية) وأخذ هؤلاء يتحركون من خلاله بدوافع باطنية يطرحونها ويطبقونها تحت شعار الثورة والوحدة والحرية والاشتراكية والتقدمية وقد كانت الطائفة النصيرية أقدر هذه الطوائف على استغلال الحزب لتحقيق أهدافها وترسيخ وجودها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

١ ـ للحزب أعضاء ينتشرون في معظم الأقطار العربية، بعضهم يعمل بشكل علني وبعضهم الآخر سري، ويتفاوت وجودهم وتأثيرهم من بلد إلى آخر على حسب طبيعة البلد ونوعية حكمه.

٢ ـ يحكم حزب البعث بلدين عربيين مهمين هما سوريا والعراق، وقد عجز الحزب عن تحقيق الوحدة بين فصائله، بل إن الصراع بين شطري البعث مستمر وعلى أشده، واتهامات الخيانة بين الطرفين لا تنقضي، وإذا كان هذا هو شأن الحزب في بلدين يخضعان له فهو من باب أولى عاجز عن تحقيق وحدة الأمة العربية بكاملها.

والبعثيون يتطلعون إلى تسلم السلطة في جميع أرجاء الوطن العربي باعتبار ذلك جزءاً

لا يتجزأ من طموحاتهم البعيدة، وقد أدت بهم هذه الرغبة العارمة إلى السقوط في حمأة الإنذار المقنع والتهديد السافر والعدوان الصريح، وربما يكون حزب البعث في العراق من أسوأ ما شهده التاريخ.

ويتضح مما سبق:

أن حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي سلطوي يحاد الله ورسوله، ويسعى إلى قلب الأوضاع في العالم العربي، ويتخذ العلمانية وتحقيق الاشتراكية مطلباً يبرر سياسته القمعية، ورسالته التي يصفها ـ على خلاف الحقيقة ـ بالتقدمية ويجعل من الوحدة العربية هدفاً ينفذه بالضم والإرغام على الرغم من إرادة الشعوب.

والعلاقة معه يجب أن يحكمها قول الله سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

مراجع للتوسع:

- **نضال البعث**، بشير الداعواق ـ بيروت ـ ١٩٧٠م.
- **حزب البعث الاشتراكي مرحلة الأربعينات التأسيسية ١٩٤٠ ـ ١٩٤٩م**، تأليف شبلي العيسمي ـ بيروت ١٩٧٥م.
- **التجربة المرة**، منيف الرزاز ـ بيروت ١٩٦٧م.
- **البعث**، سامي الجندي ـ بيروت ١٩٦٩م.
- **تجربتي مع الثورة**، محمد عمران ـ بيروت ١٩٧٠م.
- **حزب البعث**، مطاع صفدي.
- **الصراع من أجل سورية**، باتريك سيل ـ لندن ١٩٦٥م.
- **أعاصير دمشق**، فضل الله أبو منصور ـ بيروت ١٩٥٩م.
- **مذكراتي عن الانفصال**، عبد الكريم زهر الدين.
- **الدروز**، فؤاد الأطرش.
- **الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام**، محمد منير نجيب ـ ط١ ـ ١٩٨١م ـ مكتبة الحرمين.
- **حزب البعث تاريخه وعقائده**، سعيد بن ناصر الغامدي دار الوطن للنشر.
- **دراسة عن حزب البعث** وردت للندوة من أحد الكتاب «لا يريد ذكر اسمه».
- **جريدة الحياة** البيروتية ١٠/ ٢/ ١٩٦٥م ـ ١٥/ ٢/ ١٩٦٦م ـ ٨/ ٩/ ١٩٦٦م.

- **جريدة الرياض**، مجموعة مقالات الأستاذ أحمد الشيباني.
- **جريدة النهار** البيروتية ١٥/ ١٢/ ١٩٦٤م.
- **جريدة المحرر** البيروتية ١٣/ ٩/ ١٩٦٦م.
- **مجلة المجتمع** الكويتية العدد ٢٣١ ـ ٢٤/ ١٢/ ١٣٩٤ هـ ـ ٧/ ١/ ١٩٧٥م.
- **مجلة الدعوة** المصرية الأعداد ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤.
- **مقال** لفهمي هويدي العدد ٥٧٢ بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٩٩١م.

٦٢ـ الناصرية

التعريف:

الناصرية حركة(*) قومية عربية، نشأت في ظل حكم جمال عبد الناصر (رئيس مصر من عام ١٩٥٢م ـ ١٩٧٠م)، واستمرت بعد وفاته، واشتقت اسمها من اسمه، وتبنت الأفكار التي كان ينادي بها وهي: الحرية(*) والاشتراكية والوحدة، وهي نفس أفكار الأحزاب(*) القومية اليسارية العربية الأخرى.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أول من أطلق لفظ (الناصرية) محمد حسنين هيكل، الصحفي الذي رافق عبد الناصر إبان حكمه، وأصبح له شهرة في العالم العربي، وذلك بمقال له في جريدة **الأهرام** في ١٤/ ١/ ١٩٧٢م.

● جاء بعده كمال رفعت وأصدر في عام ١٩٧٦م كتيبا بعنوان **ناصريون** ذكر فيه مبادىء الناصرية وأهدافها.

● وبلور الدكتور عبد القادر حاتم الذي كان وزيراً في عهد عبد الناصر المذهب(*) الناصري في تأبينه لعبد الناصر، كما جاء في جريدة **الأخبار** (٢/ ١٠/ ١٩٧٠م) حينما قال: «أصبح في العالم اليوم مذهب(*) سياسي متميز ينتسب إلى عبد الناصر».

● وقد وافق القضاء المصري على إعلان الناصرية كحزب باسم (الحزب الديمقراطي الناصري) وذلك في يوم الاثنين ١٨/ شوال/ ١٤١٢ هـ (٢٠/ ٤/ ١٩٩٢م) برئاسة ضياء الدين داود المحامي، وعضو مجلس الشعب المصري.

● وهناك من قادة الدول العربية ـ مثل معمر القذافي رئيس الجماهيرية الليبية ـ من يصرّح بأنه يسير على نهج عبد الناصر!!.

نظرة تاريخية على مؤسس الناصرية:

ـ جمال عبد الناصر: وكان يتردد على مركز الإخوان المسلمين لسماع حديث الثلاثاء منذ عام ١٩٤٢م. **(مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف)**.

ـ في أوائل عام ١٩٤٦م بايع الإخوان المسلمين على التضحية في سبيل الدعوة الإسلامية مجموعةٌ من الضباط منهم جمال عبد الناصر. **(مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف)**.

ـ بدأت علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية منذ آذار (مارس) ١٩٥٢م أي قبل قيام الثورة(*) بأربعة أشهر، كما اعترف بذلك أحد رفاقه وهو خالد محيي الدين. وتحدث اللواء محمد نجيب أول رئيس لمصر بعد الثورة عن هذه العلاقة في مذكراته، وأنهم هم الذين كانوا يرسمون له الخطط الأمنية ويدعمون حرسه بالسيارات والأسلحة الجديدة.

ـ في ٢٧ يوليو ١٩٥٤م عقد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا وعارضه فيها الإخوان المسلمون.

ـ في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤م أعفي محمد نجيب من منصبه وكان رئيساً للجمهورية ليصبح عبد الناصر فرعون مصر الجديد ـ على حد تعبير رفاقه ـ كمال الدين حسين وحسن التهامي.

ـ في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤م (١٢ ربيع الآخر ١٣٧٤ هـ) نفذ عبد الناصر حكم الإعدام في ستة من قادة جماعة الإخوان المسلمين منهم عبد القادر عودة مؤلف **التشريع الجنائي في الإسلام**. فضلاً عن الاعتقالات التي شملت الآلاف من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وذلك بعد اتهامهم بالتآمر على قتله في حادثة المنشية بالإسكندرية (في العام نفسه) والتي قيل بأنها مسرحية دبرها عبد الناصر مع المخابرات المركزية للتخلص من الإخوان المسلمين الذين كانوا يشكلون عقبة كبيرة لحكمه الفردي البعيد عن الدين، ولتلميع شخصيته بصفته زعيماً وطنياً حتى تتعلق به الجماهير.

ـ في عام ١٩٥٦م كان الاعتداء الثلاثي على مصر من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل.. ولم ينسحب المعتدون إلا بعد استيلاء إسرائيل على شرم الشيخ في سيناء، وجزر تيران في البحر الأحمر.

ـ شارك في الحرب اليمنية، التي قتل فيها الآلاف من الشعب المصري المسلم.. وخسرت فيها الملايين.

ـ في عام ١٩٦٦م أقدم عبد الناصر على إعدام ثلاثة من كبار جماعة الإخوان المسلمين منهم سيد قطب مؤلف **في ظلال القرآن** وكان قد اعتقل آلافاً منهم في عام ١٩٦٥م.

ـ في العام نفسه صدر القرار الجمهوري (نيسان ـ إبريل ـ ١٩٦٥م) بالعفو الشامل عن جميع العقوبات الأصلية والتبعية ضد الشيوعيين في مصر، ودخل الماركسيون في جميع مجالات الحياة في مصر بعد ذلك.

ـ في عام ١٩٦٧م كانت النكبة الثانية للعرب والمسلمين، فقد احتلت دولة اليهود في

فلسطين المحتلة، ثلاثة أمثال ما اغتصبوه عام ١٩٤٨م (سيناء والجولان والضفة الغربية) وسقطت القدس بلا قتال.

- وتوفي عبد الناصر سنة ١٩٧٠م بعد أن غرقت مصر في الديون وبعد أن خرّب مصر سياسيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا، وملأ العالم العربي بالشعارات الجوفاء.

● **ومن أخلاق عبد الناصر على لسان رفاق حياته ومعاصريه:**

- يقول حسن التهامي وهو من أقرب المقربين لعبد الناصر: «إن عبد الناصر هو الذي أمر القوات المصرية بالانسحاب إلى الضفة الغربية من قناة السويس عام ١٩٦٧م. وإن عبدالناصر هو الذي دس السم لعبد الحكيم عامر، في بيت عبدالناصر نفسه». **الأهرام** ٥/ ٨/ ١٩٧٧م.

- حسين الشافعي وهو أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بالانقلاب العسكري سنة ١٩٥٢م يقول في محاضرة له في جمعية الشبان المسلمين: «انقلوا عني: أن الجيش المصري لم يحارب في معركة ١٩٦٧م بل هزم بسبب الإهمال والخيانة، وأقول الخيانة وأضع تحتها عشرة خطوط».

- خالد محيي الدين: الآن هو زعيم التنظيم اليساري في مصر وهو أحد أعضاء تنظيم الضباط الأحرار، يقول: «إن عبد الناصر كانت له علاقة بالمخابرات الأمريكية منذ مارس ١٩٥٢م أي قبل قيام الثورة(*) بأربعة أشهر».

الأفكار والمعتقدات:

● من مبادىء الناصرية:

- الحرية(*) والاشتراكية(*) والوحدة، للقضاء على مشكلات العالم العربي الأربعة: وهي الاستعمار(*)، والتخلف، والطبقية، والتجزئة بين أقطار العالم العربي. (وهي نفسها أفكار حزب(*) البعث القومي اليساري: الوحدة، الحرية، الاشتراكية).

- الحرية المطلوبة هي حرية الناصريين وليس حرية الشعب بكامله، إذ إن الناصرية القديمة (في عهد عبد الناصر نفسه) رفعت شعارات لا حرية لأعداء الحرية، وهي تعتقد بأن كل معارض لها من أعداء الحرية.

الاشتراكية أساس التقدم الاقتصادي.. وهي أساس بناء مجتمع الكفاية والعدل، والمجتمع الذي ترفرف عليه الرفاهية كما يزعمون.

- ونادت الناصرية بتوزيع الثروة الوطنية ليتحقق التغيير الاجتماعي.

- ونادت بالاشتراكية العلمية(*).. وهي خليط من الاشتراكية الماركسية والليبرالية(*)

الغربية والأفكار الوطنية مع شيء من الأفكار الدينية.

ـ الوحدة هي أساس القوة العربية.. والعروبة أو القومية العربية هي أساس قيام الوحدة. وأغفلت الناصرية رباط العقيدة التي لا تؤمن الشعوب العربية إلا بها ولا تتجمع إلا حول رايتها. وهي أساس وحدة العرب في الصدر الأول.

ـ نادت الناصرية بالديمقراطية(*) ومفهوم الديمقراطية لديها هو ديمقراطية التحالف السياسي، تبعا لتحالف القوى الاجتماعية.. أو كما وصفها محمد حسنين هيكل بديمقراطية الموافقة: أي أن الزعيم الحاكم ينفرد بالحكم وبإصدار القرارات المصيرية.. ودور الشعب يقتصر على تأييد هذه القرارات. لأنه يفترض في الزعيم العصمة والصواب والحكمة وتجسيد إرادة الشعب وحقوق التعبير عنها.

ـ العلمانية ـ أو اللادينية ـ من أسس الناصرية، أيضاً، فليس للدين(*) علاقة بالمجتمع وقوانينه ونظام حياته، وإنما هو طقوس تعبدية في المسجد فحسب.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الناصرية حركة قومية يسارية علمانية برزت بعد وفاة عبد الناصر، لذلك فهي تعتمد على الفكر القومي الذي ظهر بعد سقوط الدولة العثمانية.

● الفكر الماركسي المادي(*) أحد روافد فكرها الذي تلبسه الثوب القومي.

● الناصرية أبعدت الدين من كل مبادئها وممارساتها، من هنا جاء وصفها بالعلمانية (أو اللادينية).

النفوذ وأماكن الانتشار:

نشأت الناصرية في مصر وانتشرت في باقي البلاد العربية، وإن كان أتباعها في البلاد العربية قلة من المنتفعين، وقد طالب بعض الذين تعاونوا مع عبد الناصر إبان حكمه بتشكيل حزب ناصري في مصر وقد سمح لهم بذلك.

ويتضح مما سبق:

أن الناصرية تتجسد في حفنة من الذين تعاونوا مع عبد الناصر إبان حكمه وأظهروا الولاء لشخصه فلما سمح بالتعددية الحزبية في مصر اتفقوا على التجمع باسم القومية العربية وتحت لواء الحرية(*) والاشتراكية(*) والوحدة دون تحديد واضح لمضمون هذه الأهداف. ولكنهم على أية حال يدينون بالولاء لعبد الناصر ويعتبرونه رائدهم مشيدين بمواقفه الإيجابية

بحكم أنه أنهى الملكية الفاسدة في مصر وأمم قناة السويس، وأنهى الاحتلال البريطاني، وبنى السد العالي، وحرر اليمن الشمالي، وحقق مكاسب للعمال والفلاحين. ولكنهم يتغافلون عن سلبيات حكمه الفظيعة، التي تتمثل في إعلان الحرب على الاتجاه الإسلامي في الداخل والخارج، وتعذيب حملة لوائه عذاباً نكراً، وتقتيل فطاحل علمائه من أمثال عبد القادر عودة وسيد قطب وغيرهم بعد محاكمات صورية.

● كما دأب على الوقوف دائما في صف أعداء الإسلام ومناصرة سياستهم، فأيد نهرو في مواقفه الجائرة ضد باكستان، وأيد نيريري الذي قام بمذبحة ضد مسلمي زنجبار، وأيد مكاريوس الذي كافح من أجل إضاعة حقوق المسلمين في قبرص.

وأحيا جاهلية(*) القرن العشرين بإثارة نعرة القومية العربية وإعلان الحرب على ملوك البلدان الإسلامية وتشجيع المؤامرات الانقلابية.

● وعلى الرغم من أنه في أول حكم الثورة(*) كان قد جعل الديمقراطية(*) أحد مبادئها، إلا أنه لم يسمح ببزوغ فجرها، ووأدها في مهدها وقضى على الأحزاب المطالبة بها كافة، وأنشأ الحزب(*) الشمولي، وألغى الدستور، وجمع السلطة كلها في يده، وظل طوال حكمه مثال الحاكم المستبد الذي يضرب خصومه بيد من حديد، دون أدنى مراعاة للقيم الأخلاقية ويفتعل المؤامرات للقضاء عليهم قضاء مبرما.

وانتشر في عهده التحلل الأخلاقي والتفكك الأسري والتزلف النفعي والفساد، وقام بإلغاء الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية، وأضعف كيان الأزهر، وأصبح للمخابرات والمباحث العامة والأمن القومي السيطرة على كل المؤسسات في الدولة، وقاصمة الظهر في هذا كله أنه عرَّض الجيش المصري لهزيمة ساحقة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، وضاعت بسببها سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان والقدس الشريف، وتمكنت إسرائيل من توسيع رقعتها بما لم تكن تحلم به.

● ويعد مسؤولاً عن انفصال السودان عن مصر وعن حرب اليمن وعن السماح لإسرائيل باستعمال مضيق تيران.

● والمؤمل، إذا تجملت الناصرية ـ بعد أن سمح لها من جديد بتشكيل حزب سياسي في مصر ـ أن يفتح أنصارها عيونهم على هذه الحقائق المؤلمة ويصححوا مسارها نحو فهم جديد مستند للإسلام كأهم عنصر إيجابي في تحقيق حكم نظيف قوامه العدالة الاجتماعية وإنجاز الحرية والشورى كأساس متين لتجمع المسلمين ووحدتهم. ولعلهم بذلك يخفون وجه الناصرية القبيح ويقضون على آثارها المتعفنة ورموزها القذرة، ولهم في ماضيهم عبرة

وفيما حدث في الكويت تبصرة وذكرى ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧].

مراجع للتوسع:

- **كنت رئيساً لمصر** محمد نجيب.
- **تاريخ بلا وثائق** - إبراهيم سعدة.
- **البحث عن الذات**، منير حافظ.
- **مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف**.
- **الله أو الدمار**، سعد جمعة.
- **الناصرية في قفص الاتهام** - عبد المتعال الجبري.
- **الموتى يتكلمون** - سامي جوهر.
- **الناصرية وثنية سياسية** - د. فهمي الشناوي.
- **من أسرار علاقة الضباط الأحرار بالإخوان المسلمين** - حسين محمد أحمد حمودة.

القسم الثاني

اليهودية وما تفرع عنها

الفصل الأول

مقدمة عامة

لقد كان الدين الذي جاء به موسى عليه السلام دين(*) توحيد خالص، ولكن أتباعه من بعد سليمان عليه السلام شوَّهوه فنشأت بذلك اليهودية، وحفلت أعمالهم بالمخازي، وتصرفاتهم بالخطايا، وطغت عليهم المادة، فرأوا في الهيمنة الاقتصادية على العالم أساسًا وحيدًا لسيادة جنس اليهود، ولذا حاربوا العالم كله، فنشروا فيه الانحلال الخلقي، وساندوا الظلم، وكرسوا العدوان، وشوهوا الدين، وخرجوا على الفطرة البشرية أيَّما خروج بدعوى عنصرية فارغة وادعاء سيادة زائفة، وتم ذلك كله وغيره، من خلال الجمعيات(*) اليهودية المتعددة التي انطلقت في ظل هذه الديانة، لا لتسيء إلى هذا الدين فحسب، بل لزلزلة عقائد أهل الأديان كافة، من خلال عملية تمويه ذكية، فلم تشر هذه الجمعيات مطلقًا إلى أنها تنبثق من اليهودية أو إلى أن دعوتها موجهة لخدمة أهداف هذه الديانة المنسوخة. كما استطاعت هذه الجمعيات أن تتسرب في ذكاء ودهاء بالغين إلى كثير من المنظمات العالمية ذات الصبغة الإنسانية لكي تباشر عملياتها الهدامة من خلالها في خفاء عجيب، ولكن الله سبحانه وتعالى شاء أن يكشف دسَّها اللعين ضد الدين، فظهرت على حقيقتها وبدت جلية أمام كثير من أصحاب العقول الرشيدة والآراء السديدة، فحاولوا وقف مدها، ومع ذلك فما زال كثير من الناس يجهل هذا الأمر، بل لا يكاد يعترف به.

ومن أجل بيان هذه الحقائق وغيرها تناولت الموسوعة(*) موضوع اليهودية، فبينت أنها من حيث الأصل هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيدًا بالتوراة(*) ليكون لهم نبيًا، فانقسموا على أنفسهم وكان منهم المتصوفة الربانيون، ومنكرو البعث والحساب والجنة والنار، والعدوانيون غير المتسامحين، كما كان منهم من ادعى النبوة(*)، ومن دخل الإسلام ليكيد له وليشعل نار الفتنة فيه، ثم اتجهوا جميعاً إلى القول بتعدد الآلهة(*) والتجسيم والنفعية وتأكيد أنهم شعب الله المختار وأن أرواح اليهود جزء من الله وأن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم.

ومن اليهود الذين يشكلون خطراً داهماً على الإسلام يهود الدونمة الذين أظهروا

الإسلام وأبطنوا اليهودية رغبة في الكيد للمسلمين، ولذا استوطنوا جهة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية، وهاجموا حجاب المرأة ودعوا إلى السفور والتحلل وإفساد شباب الأمم كلها.

وهذا، أيضاً، هو مسلك الصهيونية، تلك الحركة(*) السياسية العنصرية المتطرفة التي هدفت إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وجندت لذلك كل الإمكانات حتى أقامتها لكي تحكم ـ حسب تصوراتها ـ العالم كله من خلالها، ومن خلال فكرها الذي صاغته في بروتوكلات حكماء صهيون(*). تعتمد الصهيونية على تخويف الآخرين واستخدام العنف معهم وضرورة إغراق الأمميين(*) في الرذائل مع ضرورة إخضاع العالم لهم من خلال السيطرة الاقتصادية والمالية والهيمنة الإعلامية العالمية. كما يقول الصهاينة إنه لا بد من هدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب ونزع فكرة وجود الله من عقولهم، وحسبنا هذا لبيان ضرورة ما رنت إليه هذه الموسوعة(*) من معالجة هذه الأمور وغيرها.

ومن رحم اليهودية المشوهة والحركة الصهيونية المدمرة نشأت منظمات وحركات واتجاهات يهودية وصهيونية عديدة منها الماسونية التي لا تعدو أن تكون منظمة يهودية سرية هدامة، يحوطها الغموض، وينبثق منها الإرهاب الذي يهدف إلى سيطرة اليهود على العالم من خلال الدعوة إلى الإلحاد(*) والإباحية والفساد مع التستر تحت شعارات خداعة كالحرية(*) والمساواة والإخاء والإنسانية. ولقد استطاعت هذه المنظمة أن تضم إليها كثيراً من الشخصيات المرموقة في العالم، ومن خلالهم تحاول تحقيق أهدافها التي تتمثل في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

ومنها نوادي الليونز التي تكتسي طابعاً شكليًّا اجتماعيًّا خيريًّا، بينما هي لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية، التي تديرها أصابع يهودية من أجل إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه.

وقد انبثقت من الروتاري الدولي عدة أندية أحدها للأشبال يعرف بالإنتراكت وآخر للشباب يعرف بالروتراكت وثالث للنساء يعرف بالإنرويل، وتلك الأندية كلها تسيطر عليها اليهودية العالمية وتتفق في أهدافها مع الماسونية، وأندية الروتراكت أو شباب الروتاري التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية لا هدف لها إلا إفساد غير اليهود بوجه عام والمجتمع المسلم بوجه خاص.

ولذا عالجت الموسوعة(*) هذه المنظمات والحركات(*) حتى يقف القارىء على حقيقة أهدافها الهدامة.

● وقد تناولت الموسوعة بالبيان، أيضاً، حزب(*) حيروت الذي كان قد أسسه السياسي الصهيوني مناحم بيجين بعد قيام إسرائيل على أرض فلسطين بُغْية المطالبة بحدود إسرائيل الكبرى ومباركة الأعمال العدوانية ضد العرب، والدخول مع الدول الغربية في أحلاف ضد الدول العربية، وتشجيع الاستيطان في فلسطين من أجل طمس الهوية الإسلامية العربية والفلسطينية.

● كما تناولت الموسوعة بالبيان جمعية بناي برث أو أبناء العهد التي تعد من أقدم الجمعيات والمحافل الماسونية المعاصرة وأحد أذرعتها الهدامة، ولما كانت هذه الجمعية يهودية فإنه لا يهمها إلا إعلاء هذا العنصر ليسود العالم.

● وقد تم عرض أفكار هذه الجماعات حسب ظهورها على مسرح التاريخ وبطريقة موضوعية محايدة يستطيع أن يستشف منها القارىء حقيقة التحدي الذي يواجه الإسلام والمسلمين والدور الذي ينبغي أن يقوم به الشباب لحماية هذه العقيدة.

الفصل الثاني

٦٣- اليهودية

التعريف:

اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط (بني إسرائيل) الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام، مؤيداً بالتوراة(*) ليكون لهم نبيًّا(*). واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب. وهذه بدورها قد اختلف في أصلها. وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب وعممت على الشعب على سبيل التغليب.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● موسى عليه السلام: رجل من بني إسرائيل، ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني على الأرجح ١٣٠١ ـ ١٢٣٤ ق.م وقد تربى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر داخل تابوت عندما خافت عليه من فرعون، الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل. ولما بلغ الأربعين من عمره ـ على حسب بعض الروايات ـ رأى مصرياً يضرب عبرانيا، فوكز موسى المصري فمات دون أن يقصد قتله، فخرج من مصر إلى مدين حيث عمل راعياً لدى شيخ صالح هناك قيل إنه شعيب عليه السلام الذي زوجه إحدى ابنتيه.

ـ في طريق عودته إلى مصر أوحى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأمره أن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون لدعوته ولخلاص بني إسرائيل، فأعرض عنهما فرعون وناصبهما العداء، فخرج موسى ببني إسرائيل وقد كان ذلك سنة ١٢١١ ق.م[1] في عهد فرعونها منفتاح

---

(١) اختلف المؤرخون في تحديد سنة الخروج على أربعة أقوال كما يذكر الدكتور أحمد بدوي.

١- ذهب المؤرخ المصري الذي عاش في حدود سنة ٢٥٠ ق.م أن الخروج حدث قبل ستة قرون من عهد (مانيتو).

٢- الرأي الثاني: أن موسى عليه السلام. كان معاصراً للملك تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦)ق.م.=

الذي خلف أباه رمسيس الثاني، ولحق بهم هذا الفرعون، لكن الله أغرقه في اليم ونجّى موسى وقومه.

- في صحراء سيناء صعد موسى الجبل ليكلم ربه وليتسلم الألواح، لكنه لما عاد وجد غالب قومه قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامري فزجرهم موسى، ولما أمرهم بدخول فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]، فلما حاورهم رجال من بني جلدتهم في ذلك قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، هنا دعا موسى على قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. [المائدة: ٢٥]. فكان سببا في غضب الله عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة مات بعدها موسى ودفن في كثيب أحمر دون أن يدخل فلسطين، وقبله بقليل مات أخوه هارون ودفن في جبل (هور)، ويذكر المؤرخون أن الذين كانوا مع موسى ماتوا كلهم في التيه، باستثناء اثنين كان يوشع بن نون أحدهما.

● يوشع بن نون: فتى موسى المذكور في آيات سورة الكهف في القرآن الكريم على حسب ذكر بعض الروايات، تولى القيادة بعد موسى - عليه الصلاة والسلام - ودخل ببني إسرائيل إلى أريحا بفلسطين عن طريق شرقي الأردن، وإليه تنسب نصوص العهد القديم المذابح الدموية، إذ خرب يوشع أريحا وغيرها من المدن وأحرقها ودمرها تدميراً، ولا تكتفي تلك الروايات بنسبة تلك الأعمال البشعة إلى يوشع بل تنسب إليه أنه ذبح كل من كان فيها ماعدا الزانية (راحاب) التي تزعم النصوص نفسها أنه تزوجها مكافأة لها على خيانتها.

● عصر ما بعد الخروج: ويمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل رئيسة هي:

١- **عصر القضاة**: ويبدأ من بعد موت يوشع بن نون، ثم تقسيم الأرض المفتوحة بين الاثني عشر سبطاً، الأمر الذي أضعف قوة اليهود. وبذلك انحصرت دولتهم في عدد من القرى الصغيرة على رأس كل منها قاض أصله كاهن، ومما يذكر أنه في هذه الفترة ارتد بنو اسرائيل عن عبادة الله تعالى سبع مرات على الأقل، إذ عبدوا عدداً من الأوثان مثل: بعليم (البعل)، وعيشتارون، وملكوم .... وقد استمرت هذه الفترة حوالي (١٤٠) عاماً.

= ٣- الرأي الثالث: أنه حدث أيام رمسيس الثاني (١٢٩٠-١٢٢٣) ق.م.

٤- الرأي الرابع: أنه في أيام منفتاح (١٢٢٣-١٢١١) ق.م.

ويرى الدكتور أحمد بدوي أن الرأي الرابع تؤيده اللوحات الأثرية المنقوشة في المعابد الفرعونية بمصر راجع أحمد بدوي ٢/ ٩١٢ في موكب الشمس ط ١ القاهرة ١٩٥٠م.

٢- **عصر الملوك**: تذكر نصوص العهد القديم أن صمويل النبي كان آخر قضاتهم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في آيات سورة البقرة دون ذكر اسمه صراحة في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦] فما كان من صمويل إلا أن توّج لهم طالوت، المعروف في التوراة باسم شاؤل ملكاً عليهم، فانتقل ببني إسرائيل من حالة البداوة إلى حالة التمدن والاستقرار ومع ذلك لم تجاوز مملكته حدود قبيلته (بنيامين). وفي فترة ملكه انهزم بنو إسرائيل وخربت ديارهم، ولذا تذكر توراتهم أن الله جل وعلا عن إفكهم قال لصموئيل «ندمت على أني جعلت شاؤل ملكاً» صموئيل الأول ١٥ : ٢٠ .

ـ داود النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أحد أنبياء بني إسرائيل، حباه الله تعالى من فضله إذ آلان له الحديد، وأعطاه الزبور الذي هو عبارة عن الأدعية التي كان يترنم بها. فضلاً عن أنه كان أحد قواد جيش طالوت الملك، ولذا فقد عاش مأساة هوان بني إسرائيل على يد الفلسطينيين حينما صرع العملاق جالوت بالمقلاع، الأمر الذي عزز مكانته بين بني إسرائيل ليتوجه صمويل ملكاً عليهم (١٠٠٤-٩٦٥ق.م) ليصبح الملك الثاني لهم ويتخذ من القدس عاصمة لمملكته وبنى فيها معبداً ليهوه وأودع فيه تابوت العهد. وتنسب إليه نصوص التوراة ـ الموجودة بين يدي اليهود اليوم ـ مالا يليق بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ من أخلاق مرذولة حيث لا تعترف به نبياً ولكن شاعر ومحاسب وملك وعاشق كثيراً ما يرتكب الذنوب، وذلك على العكس من تكريم القرآن الكريم له.

ـ سليمان بن داود: سليمان بن داود نبي كريم خلف أباه داود النبي في ملك بني إسرائيل، وقد حباه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب وأنعم عليه بتسخير الرياح والجن، وعلمه منطق الطير، ودانت له مملكة سبأ، وتتحدث عنه المصادر اليهودية والنصرانية بوصفه الملك أو الحكيم ولم تشر إلى نبوته، ففي الإصحاح الرابع من سفر الملوك قوله: «وفاقت حكمة سليمان جميع بني المشرق . . . وكان صيته في جميع الأمم حواليه، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته».

وإليه تنسب نصوص العهد القديم أنه استهل ملكه بقتل أخيه إدونيا ويؤاب رئيس جيش أبيه داود بالإضافة إلى أفراد آخرين، كما تنسب إليه سفر (نشيد الإنشاد) غير أن التحقيق التاريخي أثبت أن محتويات هذا السفر قد جمعت بعد عدة قرون من وفاة سليمان، وأنها مقتبسة من مصادر شعبية، وكذلك نسبت إليه خطأ سفر (حكمة سليمان) وقد تحقق من أن مؤلفه يهودي عاش في القرن الأول الميلادي ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية.

وتذكر المصادر اليهودية أنه بعد حكم سليمان تفككت مملكته وانحل اتحاد القبائل العبرانية، ليقتصر على غرب الأردن.

٣- عصر الانقسام والتمزق والزوال: ويبدأ من موت سليمان ومبايعة رحبعام بن سليمان ملكاً عليهم.

- رحبعام: الذي صار ملكاً سنة ٩٣٥ ق. م إلا أنه لم يحظ بمبايعة الأسباط سوى قبيلتي (يهود) و (بنيامين)، بينما مال باقي الأسباط إلى أخيه يربعام بن سليمان، مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قسمين:

المملكة الشمالية اسمها (اسرائيل - إفرايم) وأحياناً تسمى السامرة نسبة إلى عاصمتها ويحكمها يربعام وتضم حسب الروايات التاريخية نهر الأردن والضفة الغربية ومنها نابلس بالإضافة إلى أجزاء من الضفة الشرقية والجليل.

المملكة الجنوبية وتبلغ مساحتها ثلث مساحة المملكة الشمالية اسمها (يهودا) وعاصمتها القدس ويحكمها رحبعام وكانت تقع على البحر الميت بينما الفلسطينيون يسكنون الجزء الجنوبي من ساحل البحر الأبيض.

حكم في كل من المملكتين ١٩ ملكاً، واتصل المُلك في ذرية سليمان في مملكة يهوذا فيما تنقل في عدد من الأسر في مملكة إسرائيل.

● عاموس: نبي ظهر حوالي سنة ٧٥٠ ق. م إذ عاش أيام يربعام الثاني ٧٨٣-٧٤٣ق. م

● وقع اليهود الإسرائيليون في سنة ٧٢١ق. م تحت قبضة الآشوريين في عهد الملك سرجون الثاني ملك آشور فزالوا من التاريخ، وسقطت مملكة يهوذا تحت قبضة البابليين سنة ٥٨٦ق. م، وقد دمر نبوخذ نصر (بختنصر) أورشليم والمعبد وسبى اليهود إلى بابل وهذا هو التدمير الأول.

● أشعيا: عاش في القرن الثامن ق. م، وقد كان من مستشاري الملك حزقيال ملك يهوذا ٧٢٩ـ٦٦٨ق. م.

● أرميا: ٦٥٠ - ٥٨٠ق.م ندد بأخطاء قومه، وقد تنبأ بسقوط أورشليم، ونادى بالخضوع لملوك بابل مما جعل اليهود يضطهدونه ويعتدون عليه.

● حزقيال: ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، قال بالبعث والحساب وبالمسيح(*) الذي سيجيء من نسل داود ليصبح ملكاً على اليهود، وقد عاصر فترة سقوط مملكة يهوذا، أبعد إلى بابل بعد استسلام أورشليم.

● دانيال: أعلن مستقبل الشعب الإسرائيلي إذ كان مشتهراً بالمنامات والرؤى

الرمزية، وقد وعد شعبه بالخلاص على يد المسيح.

● سنة ٥٣٨ق.م احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل وقد سمح لهم قورش بالعودة إلى فلسطين، ولكن لم يرجع منهم إلا القليل، وأعادوا بناء الهيكل.

● في سنة ٣٢٠ق.م آل الحكم في فلسطين إلى الإسكندر الأكبر ومن بعده إلى البطالسة.

● اكتسح الرومان فلسطين سنة ٦٣ق.م. واستولوا على القدس بقيادة بامبيوس.

●ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠م، إذ دمر الإمبراطور تيطس المدينة وأحرق الهيكل، وهذا هو التدمير الثاني. وقد جاء أوريانوس سنة ١٣٥م ليزيل معالم المدينة تماماً ويتخلص من اليهود بقتلهم وتشريدهم، وقد بنى هيكلاً وثنيًا (اسمه جوبيتار) مكان الهيكل المقدس، وقد استمر هذا الهيكل الوثني حتى دمره النصارى في عهد الإمبراطور قسطنطين.

- في سنة ٦٣٦م فتح المسلمون فلسطين وأجلوا عنها الرومان، وقد اشترط عليهم صفرونيوس بطريرك النصارى ألا يسكن المدينة أحد من اليهود.

- في سنة ١٨٩٧م بدأت الحركة الجديدة لليهود تحت اسم الصهيونية، لبناء دولة إسرائيل على أرض فلسطين (يراجع بحث الصهيونية).

● **الفِرَق اليهودية:**

- الفريسيون: أي المتشددون، يسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم(*) عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث والملائكة وبالعالم الآخر.

- الصدقيون: وهي تسمية من الأضداد؛ لأنهم مشهورون بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

- المتعصبون: فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية، قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة(*) قتلوا فيها الرومان، وكذلك كلَّ من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان، فأطلق عليهم اسم السفَّاكين.

- الكتبة أو النَّساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وقد أثروا ثراءً فاحشاً على حساب مدارسهم ومريديهم.

- القرّاؤون: هم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم(*) ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوى حريتهم في شرح

التوراة(*) .

ـ السامريون: طائفة من المتهوّدين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، كانوا يسكنون جِبَالِ بيت المقدس، أثبتوا نبوة(*) موسى وهارون ويوشع بن نون، دون نبوة من بعدهم. ظهر فيهم رجل، يقال له الألفان، ادعى النبوة، وذلك قبل المسيح(*) بمائة سنة. وقد تفرقوا إلى دوستانية وهم الألفانية، وإلى كوستانية أي الجماعة المتصوفة. وقبلة السامرة إلى جبل يقال له جرزيم بين بيت المقدس ونابلس، ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية.

الأفكار والمعتقدات:

● كتبهم:

ـ **العهد القديم**(*): وهو مقدس لدى اليهود والنصارى إذ إنه سجلٌّ فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء.. وينقسم إلى قسمين:

١ ـ **التوراة**(*): وفيه خمسة أسفار: التكوين أو الخلق، الخروج، اللاوين، الأخبار، العدد، التثنية، ويطلق عليها اسم أسفار موسى.

ـ لقد فقدت توراة(*) موسى بعد تخريب الهيكل أيام بختنصر فلما كتبت مرة ثانية أيام ارتحشتا ملك فارس جاءت محرفة عن أصلها، يقول الله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

٢ ـ أسفار(*) الأنبياء: وهي نوعان:

(ا) أسفار الأنبياء المتقدمين: يشوع، يوشع بن نون، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني.

(ب) أسفار الأنبياء المتأخرين: أشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، يونس، ميخا، ناحوم، حَبَقّوق، صَفَنْيا، حجّى، زكريا، ملاخي.

ـ وهناك الكتابات وهي:

١ ـ **الكتابات العظيمة: المزامير، الزبور، الأمثال، أمثال سليمان، أيوب.**

٢ ـ **المجلات الخمس: نشيد الإنشاد، راعوث، المراثي، مراثي إرميا، الجامعة، أستير.**

٣ ـ **الكتب: دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.**

ـ هذه الأسفار(*) السابقة الذكر معترف بها لدى اليهود، وكذلك لدى البروتستانت.

ـ أما الكنيسة الكاثوليكية: فتضيف سبعة أخرى هي: **طوبيا، يهوديت، الحكمة،**

يسوع بن سيراخ، **باروخ**، **المكابين الأول**، **المكابين الثاني**. كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني.

ـ **استير ويهوديت**: كل منهما أسطورة تحكي قصة امرأة تحت حاكم من غير بني إسرائيل، إذ تستخدم جمالها وفتنتها في سبيل رفع الظلم عن اليهود، فضلاً عن تقديم خدمات لهم.

ـ **التلمود**: هو روايات شفوية تناقلها الحاخامات حتى جمعها الحاخام يوضاس سنة ١٥٠م في كتاب أسماه **المشنا** أي الشريعة المكررة لها في توراة موسى كالإيضاح والتفسير، وقد أتم الراباي يهوذا سنة ٢١٦م تدوين زيادات وروايات شفوية. وقد تم شرح هذه **المشنا** في كتاب سمي **جمارا**، ومن **المشنا والجمارا** يتكون **التلمود**، ويحتل **التلمود** عند اليهود منزلة مهمة جدًّا تزيد على منزلة **التوراة**(*).

● أعيادهم:

ـ يوم الفصح: وهو عيد خروج بني إسرائيل من مصر، يبدأ من مساء ١٤ إبريل وينتهي مساء ٢١ منه، ويكون الطعام فيه خبزاً غير مختمر.

ـ يوم التكفير: في الشهر العاشر من السنة اليهودية ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم وتسمى أيام التوبة، وفي اليوم العاشر الذي هو يوم التكفير لا يأكل فيه اليهودي ولا يشرب، ويمضي وقته في العبادة، إذ يعتقد أنه تغفر فيه جميع سيئاته ويستعد فيه لاستقبال عام جديد.

ـ زيارة بيت المقدس: يتحتم على كل يهودي ذكر رشيد زيارة البيت المقدس مرتين كل عام.

ـ الهلال الجديد: كانوا يحتفلون لميلاد كل هلال جديد، إذ كانت تنفخ الأبواق في البيت المقدس وتشعل النيران ابتهاجاً به.

ـ يوم السبت: لا يجوز لديهم الاشتغال في هذا اليوم، لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب ـ كما يعتقدون. فقد اجتمعت اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض استوى على عرشه مستلقياً على قفاه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● الإلـه(*):

ـ اليهود كتابيون انحرفوا عن أصول التوحيد الخالص التي جاءهم بها موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ واتجهوا إلى التعدد والتجسيم والنفعية مما أدى إلى كثرة الأنبياء(*) فيهم لردهم إلى جادة التوحيد كلما أصابهم انحراف في مفهوم الألوهية.

ـ اتخذوا العجل معبوداً لهم بُعَيْد خروجهم من مصر، ويروي العهد القديم أن موسى قد عمل لهم حية من نحاس وأن بني إسرائيل قد عبدوها بعد ذلك، كما أن الأفعى مقدسة لديهم لأنها تمثل الحكمة والدهاء.

ـ الإله لديهم سموه يهوه(*) وهو ليس إلهاً معصوماً بل يخطىء ويثور ويقع في الندم وهو يأمر بالسرقة، وهو قاس، متعصب، مدمر لشعبه، إنه إله(*) بني إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآخرين، ويزعمون أنه يسير أمام جماعة من بني إسرائيل في عمود من سحاب.

● أفكار ومعتقدات أخرى:

ـ يعتقدون بأن الذبيح من ولد إبراهيم إنما هو إسحاق المولود من سارة. والصحيح أنه إسماعيل.

ـ لم يرد في دينهم شيء ذو بال عن البعث والخلود والثواب والعقاب إلا إشارات بسيطة وذلك أن هذه الأمور بعيدة عن تركيبة الفكر اليهودي المادي.

ـ الثواب والعقاب إنما يتم في الدنيا، فالثواب هو النصر والتأييد، والعقاب هو الخسران والذل والاستعباد. ويتعين على كل يهودي أن يحج ثلاث مرات في العام إلى القدس في: عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال، ومن ضمن مناسك حجهم هذا تقديم قربان مشوي للهيكل.

ـ التابوت: وهو صندوق كانوا يحفظون فيه أغلى ما يملكون من ثروات ومواثيق وكتب مقدسة.

ـ المذبح: مكان مخصص لإيقاد البخور يوضع قدام الحجاب الذي أمام التابوت.

ـ الهيكل: هو البناء الذي أمر به داود وأقامه سليمان، فقد بني بداخله المحراب (أي قدس الأقداس) وهيَّأ كذلك بداخله مكاناً يوضع فيه تابوت عهد الرب.

ـ الكهانة(*): وتختص بأبناء ليفي (أحد أبناء يعقوب)، فهم وحدهم لهم حق تفسير النصوص وتقديم القرابين، وهم معفون من الضرائب وشخصياتهم وسيلة يتقرب بها إلى الله، فأصبحوا بذلك أقوى من الملوك.

ـ القرابين: كانت تشمل الضحايا البشرية إلى جانب الحيوان والثمار، ثم اكتفى الإله بعد ذلك بجزء من الإنسان وهو ما يقتطع منه في عملية الختان التي يتمسك بها اليهود إلى يومنا هذا فضلاً عن الثمار والحيوان إلى جانب ذلك.

ـ يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أممي(*) (جوييم) إسرائيليًّا فكأنما ضرب العزة الإلهية، وأن الفرق بين درجة الإنسان

والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي.

ـ يجوز غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم البر بالقسم أمامه، ذلك أن غير اليهود في عقيدتهم كالكلاب والخنازير والبهائم، بل إن اليهود يتقربون إلى الله بفعل ذلك بغير اليهودي.

ـ يقول التلمود عن المسيح(*): إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة.

ـ بسبب ظروف الاضطهاد نشأت لديهم فكرة المسيح المنتظر كنوع من التنفيس والبحث عن أمل ورجاء.

ـ يقولون بأن يعقوب قد صارع الرب، وأن لوطا قد شرب الخمر وزنى بابنتيه بعد نجاته إلى جبل صوغر، وأن داود قبيح في عين الرب.

ـ إن ديانتهم خاصة بهم، مقفلة على الشعب اليهودي.

ـ الولد الأكبر الذي هو أول من يرث وله حظ اثنين من إخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح شرعي أو غير شرعي في الميراث.

ـ بعد الزواج تعد المرأة مملوكة لزوجها، ومالها ملك له، ولكن لكثرة الخلافات فقد أقر بعد ذلك أن تملك الزوجة رقبة المال والزوج يملك المنفعة.

ـ من بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعاً بدون حد، فقد حدده الربانيون بأربع زوجات، بينما أطلقه القراءون.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● عبادة العجل مأخوذة عن قدماء المصريين، إذ كانوا هناك قبل الخروج، والفكر المصري القديم يعد مصدراً رئيسيًا للأسفار في العهد القديم(*).

● أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار(*) العهد القديم(*) هو تشريع حمورابي الذي يرجع إلى نحوسنة ١٩٠٠ق.م، وقد اكتشف هذا التشريع في سنة ١٩٠٢م محفوراً على عمود أسود من الصخر وهو أقدم تشريع سامي معروف حتى الآن.

● يقول التلمود بالتناسخ(*) وهي فكرة تسربت لبابل من الهند فنقلها حاخامات بابل إلى الفكر اليهودي.

● تأثروا بالفكر النصراني فتراهم يقولون: «تسبب يا أبانا في أن نعود إلى شريعتك، قربنا يا ملكنا إلى عبادتك وعد بنا إلى التوبة النصوح في حضرتك».

● في بعض مراحلهم عبدوا آلهة(*) البلعيم والعشتارت وآلهة آرام وآلهة صيدوم، وآلهة مؤاب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين (سفر القضاء: ١٠/ ٦٠).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● عاش العبريون في الأصل ـ في عهد أبيهم إسرائيل ـ في منطقة الأردن وفلسطين، ثم انتقل بنو إسرائيل إلى مصر، ثم ارتحلوا إلى فلسطين ليقيموا هناك مجتمعاً يهوديًّا، ولكن نظراً لانعزاليتهم واستعلائهم وعنصريتهم وتآمرهم، فقد اضطهدوا وشردوا، فتفرقوا في دول العالم فوصل بعضهم إلى أوربا وروسيا ودول البلقان والأمريكتين وإسبانيا، بينما اتجه بعضهم إلى داخل الجزيرة العربية التي أجلوا عنها مع فجر الإسلام، كما عاش بعضهم في أفريقيا وآسيا.

● منذ نهاية القرن الميلادي الماضي لا يزالون يجمعون أشتاتهم في أرض فلسطين تحرضهم على ذلك وتشجعهم الصهيونية والصليبية.

● مما لا شك فيه أن اليهود الحاليين ـ والذين يبلغون حوالي خمسة عشر مليوناً ـ لا يمتون بصلة إلى العبرانيين الإسرائيليين القدماء المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، إذ إنهم حاليًّا أخلاط من شعوب الأرض المتهودين الذين تسوقهم دوافع استعمارية. أما الذين يرجعون إلى أصول إسرائيلية فعلاً فهم اليوم ـ وفي إسرائيل بخاصة ـ يهود من الدرجة الدنيا.

● ظهر لكثير من الباحثين في أمر التوراة(*)، من خلال ملاحظة اللغات والأساليب وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات، أنها قد ألفت في عصور مختلفة وبأقلام مختلفة، إلا أنهم كما يخبر عنهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ وبالتالي فهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ ولذا فقد توعدهم الله تعالى على فعلتهم هذه، بل وكل من صنع صنيعهم بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

● كما استطاع النقد الحديث أن يثبت تعارض نصوص التوراة والإنجيل(*) مع الكثير من الحقائق العلمية المعاصرة، أما النقد الباطني لها فقد اعتبرها مجموعاً متنافراً ـ كما يقول موريس بوكاي ـ وهذا يكفي لمن يريد التأكد بأن التوراة لا يمكن الاستناد إلى معطياتها لما اعتراها من تناقض وقصص مموهة بل أشعار مشكوك في صحتها، أيضاً.

يتضح مما سبق:

أن اليهودية هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل «يعقوب عليه السلام». وقد أرسل الله تعالى إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبيًّا(*). واليهود ينقسمون إلى فرق هي: الفريسيون وهم يعتقدون في البعث والملائكة وبالعالم الآخر. الصدقيون وهم ينكرون التلمود والملائكة والمسيح المنتظر. والمتعصبون ويتصفون بالعدوانية. والكتبة أو النساخ وقد عرفوا الشريعة من خلال عملهم في الكتابة وقد أثروا على حساب مدارسهم ومريديهم. والقراءون وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود. والسامريون وهم طائفة من المتهودين من غير بني إسرائيل. وعلى كلٍ فإن اليهود اليوم ليسوا إسرائيليين ولا ينتمون إلى الاثنى عشر سبطا كما سبقت الإشارة إليه..

وكتبهم هي **العهد القديم**(*) وهو ينطوي على شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء، وينقسم إلى **التوراة وأسفار الأنبياء** بنوعيها. وهناك **التلمود** وهو روايات شفوية جمعت في كتاب اسمه **المشنا** أي الشريعة المكررة، وقد شرحت **المشنا** في كتاب اسمه **جمارا**.

اليهود من حيث الأصل كتابيون موحدون، غير أنهم اتجهوا إلى التعدد والتجسيم والنفعية فكثر أنبياؤهم، وقد عبدوا العجل وقدسوا الأفعى. وقد تأكد أن **التوراة** ألفت في عصور مختلفة وبأقلام مختلفة، ولذا فإن كثيراً من نصوصها تعارض الحقائق العلمية المعاصرة، كما يعارض بعضها بعضاً.

مراجع للتوسع:

- **اليهود**: **نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم**، زكي شنودة ـ ط١ ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٧٤م.
- **إظهار الحق**، رحمة الله الهندي.
- **الله**، عباس محمود العقاد.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبد الله التل.
- **مقارنة الأديان: اليهودية**، د. أحمد شلبي ـ ط٤ ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٤م.
- **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ـ طبعة عيسى البابي الحلبي.
- **التوراة: عرض وتحليل**، د. فؤاد حسنين.
- **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، محمد عزة دروزة.

- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبدالقادر شيبة الحمد - مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المراجع الأجنبية:

- Berry: Religions of the World.
- Reinach: History of Religion.
- Smith J.W.d: God and Man in Early Israel.
- Kirk: A Short History of the Middle East.
- Max Margolis and Alexander Marx: A History of the Jewish Peeple.
- Hertzl: The Jewish State.
- Weech: Civilization of Near East.
- Wells: A Short History of the Wrold.

الفصل الثالث

ما تفرع عن اليهودية

٦٤- يهود الدونمة

التعريف:

هم جماعة من اليهود أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد للمسلمين، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة(*) عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي(*) . . ولا يزالون إلى الآن يكيدون للإسلام، لهم براعة في مجالات الاقتصاد والثقافة والإعلام؛ لأنها هي وسائل السيطرة على المجتمعات.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسها سباتاي زيفي ١٦٢٦ ـ ١٦٧٥م: وهو يهودي إسباني الأصل، تركي المولد والنشأة، وكان ذلك سنة ١٦٤٨م حين أعلن أنه مسيح(*) بني إسرائيل ومخلصهم الموعود واسمه الحقيقي موردخاي زيفي وعرف بين الأتراك باسم قرامنتشته.

ـ استفحل خطر سباتاي فاعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء في ادعاءاته ولما عرف أنه تقرر قتله أظهر رغبته في الإسلام، وتسمى باسم محمد أفندي.

ـ واصل دعوته الهدامة من موقعه الجديد كمسلم وكرئيس للحجاب وأمر أتباعه بأن يظهروا الإسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن.

ـ طلب من الدولة السماح له بالدعوة في صفوف اليهود فسمحت له بذلك فعمل بكل خبث واستفاد من هذه الفرصة العظيمة للنيل من الإسلام.

ـ اتضح للحكومة بعد أكثر من ١٠ سنوات أن إسلام سباتاي كان خدعة فنفته إلى ألبانيا ومات فيها.

- أطلق الأتراك على أتباع هذا المذهب الدونمة وهي مشتقة من المصدر التركي دونمك بمعنى العودة والرجوع.
- إبراهام نطحان: يهودي، وقد أصبح رسول سباتاي إلى الناس.
- جوزيف بيلوسوف: وهو خليفة سباتاي ووالد زوجته الثانية، كان يتحرك باسم عبد الغفور أفندي.
- مصطفى جلبي رئيس فرقة القره قاش وهي من ضمن ثلاث فرق تفرعت عن الدونمة وهم اليعاقبة والقاقاشية والقاباتجية.
- ليس لهم مؤلفات مطبوعة ومتداولة ولكن لهم نشرات سرية كثيرة يتداولونها فيما بينهم.

الأفكار والمعتقدات:

- يعتقدون أن سباتاي هو مسيح إسرائيل المخلص لليهود.
- يقولون إن الجسم القديم لسباتاي صعد إلى السماء فعاد بأمر الله في شكل ملاك يلبس الجلباب والعمامة ليكمل رسالته.
- يظهرون الإسلام ويبطنون اليهودية الماكرة الحاقدة على المسلمين.
- لا يصومون ولا يصلون ولا يغتسلون من الجنابة، وقد يظهرون بعض الشعائر الإسلامية في بعض المناسبات كالأعياد مثلاً إيهاماً وخداعاً، ومراعاة لعادات الأتراك ذرًّا للرماد في عيونهم ومحافظة على مظاهرهم كمسلمين.
- يحرمون مناكحة المسلمين، ولا يستطيع الفرد منهم التعرف على حياة الطائفة وأفكارها إلا بعد الزواج.
- لهم أعياد كثيرة تزيد على العشرين منها: الاحتفال بإطفاء الأنوار وارتكاب الفواحش، ويعتقدون أن مواليد تلك الليلة مباركون، ويكتسبون نوعاً من القدسية بين أفراد الدونمة.
- لهم زي خاص بهم فالنساء ينتعلن الأحذية الصفراء والرجال يضعون قبعات صوفية بيضاء مع لفها بعمامة خضراء.
- يحرمون المبادرة بالتحية لغيرهم.
- يهاجمون حجاب المرأة ويدعون إلى السفور والتحلل من القيم ويدعون إلى التعليم المختلط ليفسدوا على الأمة شبابها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● عقيدتهم يهودية صرفة، وبالتالي فهم يتحلّون بالخصال الأساسية لليهود، كالخبث والمراوغة والدهاء والكذب والجبن والغدر، وتظاهرهم بالإسلام إنما هو وسيلة لضرب الإسلام من داخله.

● لهم علاقة وطيدة بالماسونية، وكان كبار الدونمة من كبار الماسونيين.

● يعملون ضمن مخططات الصهيونية العالمية.

● يمتلكون ويديرون أكثر الجرائد التركية انتشاراً مثل جريدة **حريت** ومجلة **حياة** ومجلة **التاريخ** وجريدة **مليت** وجريدة **جمهوريت**، وكلها تحمل اتجاهات يسارية ولها تأثير واضح على الرأي العام التركي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● غالبيتهم العظمى توجد الآن في تركيا.

- لا يزالون إلى الآن يملكون في تركيا وسائل السيطرة على الإعلام والاقتصاد، ولهم مناصب حساسة جدًّا في الحكومة.

- كانوا وراء تكوين جماعة الاتحاد والترقي[*] التي كان جل أعضائها منهم، كما ساهموا من موقعهم هذا في علمنة تركيا المسلمة، وسخروا كثيراً من شباب المسلمين المخدوعين لخدمة أغراضهم التدميرية.

ويتضح مما سبق:

أن الدونمة طائفة من اليهود ادعت الإسلام ولا علاقة لهم به قدر ذرة، وكانوا يتحينون الفرص للانتقام من الإسلام وإفساد الحياة الاجتماعية الإسلامية والهجوم على شعائر الإسلام. ويكفي أنهم أداروا الجزء الأعظم من انقلاب تركيا الفتاة الذي أسقط السلطان عبد الحميد الثاني.

مراجع للتوسع:

- **يهود الدونمة**، محمد علي قطب.
- **وثائق منظمات وعادات السباتاي**، إبراهيم غالانتي.
- مجموعة مقالات عن **الدونمة**، علاء الدين غوسة.
- **يهود الدونمة**، للدكتور محمد عمر (مؤسسة الدراسات التاريخية).

٦٥ـ الماسونية

التعريف:

الماسونية لغة معناها البناؤون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد(*) والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة (حرية(*) ـ إخاء ـ مساواة ـ إنسانية)[١]. جلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهداً بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديموقراطية عالمية ـ كما يدعون ـ وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لقد أسسها هيرودس أكريبا (ت ٤٤م) ملك من ملوك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين:

ـ حيران أبيود: نائب الرئيس.

ـ موآب لامي: كاتم سر أول.

● ولقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإرهاب، إذ اختاروا رموزاً وأسماء وإشارات للإيهام والتخويف وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام.

● قال الحاخام لاكويز: الماسونية يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها، وكلمات السر فيها وفي إيضاحاتها.. يهودية من البداية إلى النهاية.

● أما تاريخ ظهورها فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد، والراجح أنها ظهرت سنة ٤٣م.

● وسميت **القوة الخفية**، وهدفها التنكيل بالنصارى، واغتيالهم، وتشريدهم، ومنع دينهم من الانتشار.

---

(١) وقد عرّفها المستشرق الهولندي دوزي بأنها: «جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، وهي إعادة الهيكل إذ هو رمز إسرائيل» (انظر ـ **الماسونية في العراء** ـ محمد علي الزعبي ص٢٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

● كانت تسمى في عهد التأسيس (القوة الخفية) ومنذ بضعة قرون تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها ثم التصق بهم الاسم دون حقيقته.

● تلك هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية للماسونية فتبدأ سنة ١٧٧٠م عن طريق آدم وايزهاويت المسيحي الألماني (ت ١٨٣٠م) الذي ألحد(*) واستقطبته الماسونية ووضع الخطة الحديثة للماسونية بهدف السيطرة على العالم، وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م، ووضع أول محفل في هذه الفترة (المحفل النوراني) نسبة إلى الشيطان الذي يقدسونه.

● استطاعوا خداع ألفي رجل من كبار الساسة والمفكرين وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية، وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيراً من المسلمين.

● ميرابو، كان أحد مشاهير قادة الثورة الفرنسية.

● مازيني الإيطالي الذي أعاد الأمور إلى نصابها بعد موت وايزهاويت.

● الجنرال الأمريكي (البرت مايك) سرح من الجيش فصب حقده على الشعوب من خلال الماسونية، وهو واضع الخطط التدميرية منها موضع التنفيذ.

● ليوم بلوم الفرنسي المكلف بنشر الإباحية أصدر كتاباً بعنوان **الزواج** لم يعرف أفحش منه.

● كودير لوس اليهودي صاحب كتاب **العلاقات الخطرة**.

● لاف أريدج وهو الذي أعلن في مؤتمر الماسونية سنة ١٨٦٥م في مدينة أليتش في جموع من الطلبة الألمان والإسبان والروس والإنجليز والفرنسيين قائلاً: «يجب أن يتغلب الإنسان على الإله(*) وأن يعلن الحرب عليه وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق».

● ماتسيني جوزيبي ١٨٠٥ - ١٨٧٢م.

● ومن شخصياتهم كذلك: جان جاك روسو، فولتير (في فرنسا)، جرجي زيدان (في مصر)، كارل ماركس وأنجلز (في روسيا) والأخيران كانا من ماسونيي الدرجة الحادية والثلاثين ومن منتسبي المحفل الإنجليزي، ومن الذين أداروا الماسونية السرية وبتدبيرهما صدر **البيان الشيوعي** المشهور.

الأفكار والمعتقدات:

● يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات، ويعدون ذلك خزعبلات وخرافات.

● يعملون على تقويض الأديان(*).

● العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد

المختلفة والسيطرة عليها.

● إباحة الجنس واستعمال المرأة وسيلة للسيطرة.

● العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

● تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها.

● بث سموم النزاع داخل البلد الواحد وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

● تهديم المبادىء الأخلاقية(*) والفكرية والدينية، ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد(*).

● استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة مع ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

● إحاطة الشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب، لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون ولينفذ صاغراً كل أوامرهم.

● الشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني، وأن يجعل ولاءه(*) خالصاً للماسونية.

● إذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل.

● كل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

● العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

● السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات؛ لتكون أعمالهم متكاملة.

● السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

● بث الأخبار المختلقة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق؛ لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.

● دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة، وتوفير أسبابها لهم، وإباحة الاتصال بالمحارم، وتوهين العلاقات الزوجية، وتحطيم الرباط الأسري.

● الدعوة إلى العقم الاختياري وتحديد النسل لدى المسلمين.

● السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم

المتحدة(*) للتربية والعلوم والثقافة ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

● لهم درجات ثلاث:

ـ العُمْي الصغار: والمقصود بهم المبتدئون من الماسونيين.

ـ الماسونية الملوكية: وهذه لا ينالها إلا من تنكر كليًّا لدينه ووطنه وأمته وتجرد لليهودية، ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة والثلاثين كتشرشل وبلفور.

ـ الماسونية الكونية: وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم آحاد، وهم فوق الأباطرة والملوك والرؤساء؛ لأنهم يتحكمون فيهم، وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية كهرتزل، وهم الذين يخططون للعالم لصالح اليهود.

● يتم قبول العضو الجديد في جو مرعب مخيف وغريب، إذ يقاد إلى الرئيس معصوب العينين، وما إن يؤدي يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه وبين يديه كتاب العهد القديم(*) ، ومن حوله غرفة شبه مظلمة فيها جماجم بشرية وأدوات هندسية مصنوعة من خشب. . . وكل ذلك لبث المهابة في نفس العضو الجديد.

● هي كما قال بعض المؤرخين «آلة صيد بيد اليهودية يصرعون بها الساسة ويخدعون عن طريقها الأمم والشعوب الجاهلة».

● والماسونية وراء عدد من الويلات التي أصابت الأمة الإسلامية، ووراء جل الثورات(*) التي وقعت في العالم: فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية(*) وعزل السلطان عبد الحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية.

● حقائق الماسونية لا تكشف لأتباعها إلا بالتدريج حين يرتقون من مرتبة إلى مرتبة وعدد المراتب ثلاث وثلاثون.

● يحمل كل ماسوني في العالم فرجارا صغيراً وزاوية قائمة لأنهما شعار الماسونية منذ أن كانا الأداتين الأساسيتين اللتين بنى بهما سليمان الهيكل المقدس بالقدس.

● يردد الماسونيون كثيراً كلمة «المهندس الأعظم للكون» ويفهمها البعض على أنهم يشيرون بها إلى الله سبحانه وتعالى، والحقيقة أنهم يعنون «حيراما» إذ هو مهندس الهيكل وهذا هو الكون في نظرهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

جذور الماسونية يهودية صرفة، من الناحية الفكرية، ومن حيث الأهداف والوسائل

وفلسفة التفكير. وهي بضاعة يهودية أولاً وأخيراً، وقد اتضح أنهم وراء الحركات الهدامة للأديان(*) والأخلاق(*). وقد نجحت الماسونية بواسطة جمعية الاتحاد والترقي(*) في تركيا في القضاء على الخلافة الإسلامية(*)، وعن طريق المحافل الماسونية سعى اليهود في طلب أرض فلسطين من السلطان عبد الحميد الثاني، ولكنه رفض يرحمه الله، وقد أغلقت محافل الماسونية في مصر سنة ١٩٦٥م بعد أن ثبت تجسسهم لحساب إسرائيل.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- لم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذاً من الماسونية، وهي من شر مذاهب الهدم التي تفتق عنها الفكر اليهودي.
- ويرى بعض المحققين أن الضعف قد بدأ يتغلل في هيكل الماسونية، وأن التجانس القديم في التفكير وفي طرق الانتساب قد تداعى.

يتضح مما سبق:

أن الماسونية تعادي الأديان(*) جميعاً، وتسعى لتفكيك الروابط الدينية، وهز أركان المجتمعات الإنسانية، وتشجع على التفلت من كل الشرائع والنظم والقوانين. وقد أوجدها حكماء صهيون لتحقيق أغراض التلمود وبروتوكولاتهم[١]، وطابعها التلون والتخفي وراء الشعارات البراقة، ومن والاهم أو انتسب إليهم من المسلمين فهو ضال أو منحرف أو كافر(*)، حسب درجة ركونه إليهم.

وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري جاء فيه:

«ويحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها» وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ ونادٍ، بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله ﷺ، إذ يقول: «**لا يكن أحدكم إمعةً يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم**».

وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يغرَّر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم،

---

(١) وقد تضمن البروتوكول الخامس عشر من بروتوكولات حكماء صهيون نشأة الماسونية ونظامها وعملها ومهمتها وأهدافها.

ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم).

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر
عبدالله المشد

● كما أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى أخرى جاء فيها:

- «وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد، وما نشر من وثائقها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفات، ومن مقالات، في المجلات التي تنطق باسمها.

- وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١ - أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى عن أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

٢ - أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري، للتمويه على المغفلين، وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب(*).

٣ - أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر، في أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي، ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

٤ - أن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية، لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.

٥ - أن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من

توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجيًا في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

٦ ـ أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.

٧ ـ أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط.

٨ ـ أنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان(*) جميعها، لتهديمها بصورة عامة، وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

٩ ـ أنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية، أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

١٠ ـ أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار؛ لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتاري والليونز. إلى غير ذلك من المبادىء والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كليًا مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها، في موضوع قضية فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية.

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها كافر بالإسلام مجانب أهله.

والله ولي التوفيق.

الرئيس: عبدالله بن حميد ـ رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية.

نائب الرئيس: محمد علي الحركان ـ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي
الأعضاء: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
محمد محمود الصواف

مراجع للتوسع:

- **السر المصون في شيعة الفرمسون**، لويس شيخو ـ سنة ١٩١٢م.
- **هيكل سليمان**، يوسف الحاج ـ سنة ١٩٣٤م.
- **أسرار الماسونية**، الجنرال رفعت أتلخان.
- **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، عبد الله عنان.
- **الماسونية**، أحمد عبد الغفور عطار.
- **تاريخ الماسونية العام**، جرجي زيدان.
- **حقيقة الماسونية**، د. محمد علي الزعبي.
- **أصل الماسونية**، ترجمة عوض خوري.
- **الدنيا لعبة إسرائيل**، وليم كار.
- **أحجار على رقعة الشطرنج**، ترجمة سعيد (جزائري).
- **اليهود يجب أن يعيشوا**، صموئيل روث.
- **القوة الخفية التي تحكم العالم**، جان مينو.
- **المذاهب المعاصرة**، د. عبد الرحمن عميره.
- **الماسونية في المنطقة ٢٤٥** - أبو إسلام أحمد عبدالله.
- **الماسونية سرطان الأمم** - أبو إسلام أحمد عبدالله.
- **الماسونية العالمية في ميزان الإسلام** - د. عبدالله سمك.

٦٦ـ الصهيونية

التعريف:

الصهيونية حركة(*) سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس، إذ ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد. وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود، وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها.

وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● للصهيونية العالمية جذور تاريخية فكرية وسياسية تجعل من الواجب الوقوف عند الأدوار التالية:

ـ وردت لفظة صهيون لأول مرة في العهد القديم عندما تعرض للملك داود الذي أسس مملكته ١٠٠٠ ـ ٩٦٠ق.م.

ـ حركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي البابلي ٥٨٦ ـ ٥٣٨ قبل الميلاد، وأول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان.

ـ حركة باركوخبا ١١٨ ـ ١٣٨م وقد أثار هذا اليهودي الحماس في نفوس اليهود وحثهم على التجمع في فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها.

ـ حركة موزس الكريتي وكانت شبيهة بحركة باركوخبا.

ـ مرحلة الركود في النشاط اليهودي بسبب اضطهاد اليهود وتشتتهم. ومع ذلك فقد ظل الشعور القومي عند اليهود عنيفاً لم يضعف.

ـ حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ ١٥٠١م ـ ١٥٣٢م، وقد حث اليهود على ضرورة العودة لتأسيس ملك إسرائيل في فلسطين.

ـ حركة(*) منشه بن إسرائيل ١٦٠٤ ـ ١٦٥٧م، وهي النواة الأولى التي وجهت خطط الصهيونية وركزتها على أساس استخدام بريطانيا في تحقيق أهداف الصهيونية.

ـ حركة سبتاي زيفي ١٦٢٦ ـ ١٦٧٦م الذي ادعى أنه مسيح اليهود المخلص، فأخذ اليهود في ظله يستعدون للعودة إلى فلسطين ولكن مخلصهم مات.

ـ حركة رجال المال التي تزعمها روتشيلد وموسى مونتفيوري، وكانت تهدف إلى إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين كخطوة أولى لامتلاك الأرض ثم إقامة دولة اليهود.

ـ الحركة الفكرية الاستعمارية(*) التي دعت إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين في بداية القرن التاسع عشر.

ـ الحركة الصهيونية العنيفة التي قامت إثر مذابح اليهود في روسيا سنة ١٨٨٢م، وفي هذه الفترة ألف هيكلر الجرماني كتاباً بعنوان **إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال الأنبياء**.

ـ ظهور مصطلح(*) الصهيونية Zionism لأول مرة على يد الكاتب الألماني ناثان برنباوم سنة ١٨٩٣م.

ـ في عام ١٨٨٢م ظهرت في روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم (حب صهيون) وكان أنصارها يتجمعون في حلقات اسمها (أحباء صهيون)، وقد تم الاعتراف بهذه الجماعات في عام ١٨٩٠م تحت اسم «جمعية(*) مساعدة الصناع والمزارعين اليهود في سوريا وفلسطين» وترأسها ليون بنسكر واستهدفت الجماعة تشجيع الهجرة إلى فلسطين وإحياء اللغة العبرية.

ـ الصهيونية الحديثة وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفي اليهودي المجري، ولد في بودابست في ٢/ ٥/ ١٨٦٠م وحصل على شهادة الحقوق من جامعة فينا ١٨٧٨م، وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءًا بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية(*).

ـ وقد أقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م، مستغلا محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالخيانة ١٨٩٤م لنقله أسراراً عسكرية من فرنسا إلى ألمانيا، لكن ثبتت براءته فيما بعد ونجح هرتزل في تصوير المأساة اليهودية في زعمه من خلال هذه الواقعة الفردية، وأصدر كتابه الشهير **الدولة اليهودية** الذي أكسبه أنصاراً لا بأس بعددهم مما شجعه على إقامة أول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا ٢٩ ـ ٣١/ ٨/ ١٨٩٧م وقد علق عليه بقوله: «لو طلب إليّ تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع إنني قد أسست الدولة اليهودية»، ونجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع

دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم، وهي **بروتوكولات حكماء صهيون**(*) المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها، ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم، وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء؛ لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة للعيان في زماننا هذا.

الأفكار والمعتقدات:

● تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في **بروتوكولات حكماء صهيون**.

● تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة، هي الجنسية الإسرائيلية.

● تهدف الصهيونية إلى سيطرة اليهود على العالم كما وعدهم إلٰههم(*) يهوه(*)، وتعد المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات.

● يعتقدون أن اليهود هم العنصر الممتاز الذي يجب أن يسود، وكل الشعوب الأخرى خدم لهم.

● يرون أن أقوم السبل لحكم العالم هو إقامة الحكم على أساس التخويف والعنف.

● يدعون إلى تسخير الحرية(*) السياسية من أجل السيطرة على الجماهير، ويقولون: يجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعم الذي يوقعهم في شباكنا.

● يقولون: لقد انتهى العهد الذي كانت فيه السلطة للدين(*)، والسلطة اليوم للذهب وحده فلا بد من تجميعه في قبضتنا بكل وسيلة لتسهل سيطرتنا على العالم.

● يرون أن السياسة نقيض للأخلاق(*) ولا بد فيها من المكر والرياء. أما الفضائل والصدق فهي رذائل في عرف السياسة.

● يقولون: لا بد من إغراق الأمميين(*) في الرذائل بتدبيرنا عن طريق من نهيئهم لذلك من أساتذة وخدم وحاضنات ونساء الملاهي.

● يقولون: يجب أن نستخدم الرشوة والخديعة والخيانة دون تردد ما دامت تحقق مآربنا.

● يقولون: يجب أن نعمل على بث الفزع الذي يضمن لنا الطاعة العمياء، ويكفي أن يشتهر عنا أننا أهل بأس شديد ليذوب كل تمرد وعصيان.

● يقولون: نادي بشعارات الحرية(*) والمساواة والإخاء لينخدع بها الناس ويهتفوا بها وينساقوا وراء ما نريد لهم.

● يقولون: لا بد من تشييد أرستقراطية(*) تقوم على المال الذي هو في يدنا والعلم الذي اختص به علماؤنا.

● يقولون: سنعمل على دفع الزعماء إلى قبضتنا وسيكون تعيينهم في أيدينا، واختيارهم يكون حسب وفرة أنصبتهم من الأخلاق(*) الدنيئة وحب الزعامة وقلة الخبرة.

● يقولون: سنسيطر على الصحافة تلك القوة الفعالة التي توجه العالم نحو ما نريد.

● يقولون: لا بد من توسيع الشقة بين الحكام والشعوب وبالعكس؛ ليصبح السلطان كالأعمى الذي فقد عصاه ويلجأ إلينا لتثبيت كرسيه.

● يقولون: لا بد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع، وجعْل السلطة هدفاً مقدساً تتنافس كل القوى للوصول إليه، ولا بد من إشعال نار الحرب بين الدول بل داخل كل دولة، عند ذلك تضمحل القوى وتسقط الحكومات وتقوم حكومتنا العالمية على أنقاضها.

● يقولون: سنتقدم إلى الشعوب الفقيرة المظلومة في زي محرريها ومنقذيها من الظلم، وندعوها إلى الانضمام إلى صفوف جنودنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين والماسونيين، وبسبب الجوع سنتحكم في الجماهير ونستخدم سواعدهم لسحق كل من يعترض سبيلنا.

● يقولون: لا بد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية لكي يخضع لنا الجميع بفضل الذهب الذي احتكرناه.

● يقولون: إننا الآن بفضل وسائلنا الخفية في وضع منيع بحيث إذا هاجمتنا دولة نهضت أخرى للدفاع عنا.

● يقولون: إن كلمة الحرية(*) تدفع الجماهير إلى الصراع مع الله ومقاومة سنته فلنشعلها هي وأمثالها إلى أن تصبح السلطة في أيدينا.

● يقولون: لنا قوة خفية لا يستطيع أحد تدميرها تعمل في صمت وخفاء وجبروت ويتغير أعضاؤها على الدوام وهي الكفيلة بتوجيه حكام الأمميين(*) كما نريد.

● يقولون: لا بد أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب، وننزع من عقولهم فكرة وجود الله، ونحل محلها قوانين رياضية مادية؛ لأن الشعب يحيا سعيداً هانئاً تحت رعاية دولة الإيمان. ولكي لا ندع للناس فرصة المراجعة يجب أن نشغلهم بشتى الوسائل وبذلك لا يفطنوا لعدوهم العام في الصراع العالمي.

● يقولون: لا بد أن نتبع كل الوسائل التي تتولى نقل أموال الأمميين من خزائنهم إلى

صناديقنا.

● يقولون: سنعمل على إنشاء مجتمعات منحلة مجردة من الإنسانية والأخلاق(*)، متحجرة المشاعر، ناقمة أشد النقمة على الدين(*) والسياسة، ليصبح رجاؤها الوحيد تحقيق الملذات المادية(*)، وحينئذ يصبحون عاجزين عن أي مقاومة فيقعون تحت أيدينا صاغرين.

● يقولون: سنقبض بأيدينا على كل مقاليد القوى ونسيطر على جميع الوظائف وتكون السياسة بأيدي رعايانا، وبذلك نستطيع في كل وقت بقوتنا محو كل معارضة مع أصحابها من الأمميين.

● يقولون: لقد بثثنا بذور الشقاق في كل مكان بحيث لا يمكن اجتثاثه، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين المادية والقومية، وأشعلنا نار النعرات الدينية والعنصرية في مجتمعاتهم، ولم ننفك عن بذل جهودنا في إشعالها منذ ٢٠ قرناً، ولذلك من المستحيل على أي حكومة أن تجد عوناً من أخرى لضربنا، وإن الدول لن تقدم على إبرام أي اتفاق مهما كان ضئيلاً دون موافقتنا لأن محرك آلة الدول في قبضتنا.

● يقولون: لقد هيأنا الله لحكم العالم وزودنا بخصائص ومميزات لا توجد عند الأمميين، ولو كان في صفوفهم عباقرة لاستطاعوا مقاومتنا.

● يقولون: لا بد من الانتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا عوض إخمادها، ولا بد من الاستيلاء على أفكار الآخرين وترجمتها بما يتفق مع مصالحنا بدل قتلها.

● يقولون: سنولي عناية كبيرة بالرأي العام إلى أن نفقده القدرة على التفكير السليم، ونشغله حتى نجعله يعتقد أن شائعاتنا حقائق ثابتة، ونجعله غير قادر على التمييز بين الوعود الممكن إنجازها والوعود الكاذبة، فلا بد أن نكوّن هيئات يشتغل أعضاؤها بإلقاء الخطب الرنانة التي تغدق الوعود، ولا بد أن نبث في الشعوب فكرة عدم فهمهم للسياسة وخير لهم أن يدعوها لأهلها.

● يقولون: سنكثر من إشاعة المتناقضات ونلهب الشهوات ونؤجج العواطف.

● يقولون: سننشىء «إدارة الحكومة العليا» ذات الأيدي الكثيرة الممتدة إلى كل أقطار الأرض، والتي يخضع لها كل الحكام.

● يقولون: يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة، ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال، ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا.

● يقولون: في الرسميات يجب علينا أن نتظاهر بنقيض ما نضمر فنستنكر الظلم

ونّنادي بالحريات ونندد بالطغيان.

● يقولون: إن الصحافة جميعها بأيدينا إلا صحفاً قليلة غير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق، وسنشغل بها الأمميين(*) عما ينفعهم، ونجعلهم يجرون وراء الشهوة والمتعة.

● يقولون: الحكام أعجز من أن يعصوا أوامرنا؛ لأنهم يدركون أن السجن أو الاختفاء من الوجود مصير المتمرد منهم، فيكونوا أعظم طاعة لنا وأشد حرصاً ورعاية لمصالحنا.

● يقولون: سنعمل على ألا يكشف مخططنا قبل وقته، وألا نهدم قوة الأمميين قبل الأوان.

● يقولون: نحن الذين وضعنا طريقة التصويت ونظام الأغلبية المطلقة؛ ليصل إلى الحكم كل من نريد بعد أن نكون قد هيأنا الرأي العام للتصويت عليهم.

● يقولون: سنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية في كل فرد ليتمرد، ونحول دون وصول ذوي الامتياز إلى الرتب العالية.

● يقولون: لا يصل إلى الحكم إلا أصحاب الصحائف السود غير المكشوفة، وهؤلاء سيكونون أمناء على تنفيذ أوامرنا خشية الفضيحة والتشهير. كما نقوم بصنع الزعامات وإضفاء العظمة والبطولة عليها.

● يقولون: سنستعين بالانقلابات والثورات(*) كلما رأينا فائدة لذلك.

● يقولون: لقد أنشأنا قوانا الخفية لتحقيق أهدافنا، ولكن البهائم من الأمميين يجهلون أسرارها فوثقوا بها وانتسبوا إلى محافلها، فسيطرنا عليهم وسخرناهم لخدمتنا.

● يقولون: إن تشتيت شعب الله المختار نعمة وليست ضعفاً، وهو الذي أفضى بنا إلى السيادة العالمية.

● يقولون: ستكون كل دور النشر بأيدينا، وستكون سجلات التعبير عن الفكر الإنساني بيد حكومتنا، وكل دار تخالف فكرنا سنعمل على إغلاقها باسم القانون.

● يقولون: ستكون لنا مجلات وصحف كثيرة مختلفة النزعات والمبادىء وكلها تخدم أهدافنا.

● يقولون: لا بد أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهي والألعاب والمنتديات العامة والفنون والجنس والمخدرات، لنلهيهم عن مخالفتنا أو التعرض لمخططاتنا.

● يقولون: سنمحو كل ما هو جماعي، وسنبدأ المرحلة بتغيير الجامعات، وسنعيد تأسيسها حسب خططنا الخاصة.

● يقولون: سنتصرف مع كل من يقف في طريقنا بكل عنف وقسوة.

● يقولون: سنكثر من المحافل الماسونية، وننشرها في كل وسط لتوسيع نطاق سيطرتنا.

● يقولون: عندما تصبح السلطة في أيدينا لن نسمح بوجود دين(*) غير ديننا على الأرض.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الصهيونية قديمة قدم التوراة المحرفة(*) نفسها، وهي التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى. وحركة هرتزل إنما هي تجديد وتنظيم للصهيونية القديمة.

● تقوم الصهيونية على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن عدداً من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة(*)، واليهودية عندهم ليست سوى ستار لتحقيق المطامع السياسية والاقتصادية.

● تعد أكثرية من اليهود ما يعرف **بالتلمود** دستوراً دينيًّا لهم، وهو مؤلف من بحوث أحبار اليهود وفقهائهم، وقد رسموا فيه الحدود لكل جوانب الحياة الخاصة والعامة، وقد دون فيه من الأحكام والتعليمات ما يبرر وضعهم الاجتماعي والسياسي، وما يغرس في نفوسهم ونفوس أجيالهم اللاحقة احتقار المجتمع البشري وحب الانتقام منه وأكل أموال الناس بالباطل والسطو على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم واستنزاف دماء غير اليهود؛ لاستعمالها في بعض المناسبات الدينية، إذ يستعمل الدم البشري بوضع نقط منه على فطير الفصح أو غيره.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الصهيونية هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية، وهي كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله(*) الهندي فشنو(*) الذي له مائة يد) فهي لها في جل الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها.

● هي التي تقود إسرائيل وتخطط لها.

● الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها وتخضع لها زعماء العالم ومفكريه.

● للصهيونية مئات الجمعيات(*) في أوربا وأمريكا في مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر لكنها كلها في الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية.

● هناك من يبالغ في قوتها مبالغة كبيرة جدًّا، وهناك من يهون من شأنها، والرأيان

فيهما خطأ، على أن استقراء الواقع يدل على أن اليهود الآن يحيون فترة علو استثنائية.

يتضح مما سبق:

أن الصهيونية حركة(*) سياسية عنصرية متطرفة ترمي لحكم العالم كله من خلال دولة اليهود في فلسطين، واسمها مشتق من اسم جبل صهيون في فلسطين، وقد قامت على تحريف **تعاليم التوراة**(*) **والتلمود**، التي تدعو إلى احتقار المجتمع البشري وتحض على الانتقام من غير اليهود. وقد قنن اليهود مبادئهم الهدامة فيما عرف **ببروتوكولات حكماء صهيون**(*) التي تحوي بحق أخطر مقررات في تاريخ العالم.

مراجع للتوسع:

- **جذور البلاء**، عبد الله التل، وله، أيضاً: **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ـ خطر اليهودية العالمية**.
- **المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو العالم الإسلامي**، أنور الجندي.
- **بروتوكولات حكماء صهيون**، ترجمة أحمد عبد الغفور عطار. عجاج نويهض، شوقي عبد الناصر، محمد خليفة التونسي، حسين الطنطاوي.
- **القوى الخفية**، ل. فراي.
- **مؤامرة الصهيونية على العالم**، أحمد عبد الغفور عطار.
- **الصهيونية وربيبتها إسرائيل**، عمر رشدي.
- **الصهيونية العالمية**، عباس محمود العقاد.
- **اليهودي العالمي**، هنري فورد.
- **هذه هي الصهيونية**، إسرائيل كوهين.
- **إسرائيل الزائفة**، فريد عبد الله جورجي.
- **أحجار على رقعة الشطرنج**، وليم غاي كار.
- **الصهيونية بين تاريخين**، عبد الله النجار ـ كمال الحاج.
- **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**، عبد الوهاب المسيري.
- **سياسة الاستعمار الصهيوني تجاه فلسطين**، حسن صبري الخولي.
- **الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية**، عبد المنعم الحفني.
- **إسرائيليات**، أحمد بهاء الدين.
- **الأيديولوجية الصهيونية**، عبد الوهاب المسيري.

- **الصهيونية**، زينب عصمت وآخرون.
- **خطر اليهودية العالمية**، عبد الله التل.
- **اليهودية دين لا قومية**، المر برجر.
- **الصهيونية بين الدين والسياسة**، عبد السميع الهراوي.
- **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، إسماعيل راجي الفاروقي.
- **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، إسماعيل راجي الفاروقي.
- **الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه**، حسن ظاظا.
- **الصهيونية العالمية وإسرائيل**، حسن ظاظا وآخرون.
- **من يجرؤ على الكلام**، بول فندلي.
- **مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني**، محمد حرب عبد الحميد.
- **حكومة العالم الخفية**، شيريب سيريد وفيتش.
- **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، رفيق شاكر النتشة.
- **هذه هي الصهيونية**، إسرائيل كوهين.
- **تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة**، محمد عبد الرؤوف سليم.
- **الصهيونية والعنف**، حسين الطنطاوي.
- **الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر**، محمود دياب.
- **أمريكا مستعمرة صهيونية**، صلاح دسوقي.
- **الصهيونية العالمية وأرض الميعاد**، علي إمام عطية.
- **لهذا أكره إسرائيل**، أمين سامي الغمراوي.
- **أساليب الفرد الفكري**، على جريشة ـ محمد شريف.
- **الإسلام والمستعمرات الصهيونية**، جمال الدين اليرماوي.
- **حقائق عن قضية فلسطين**، محمد أمين الحسيني.

٦٧ـ أبناء العهد (بناي برث)

التعريف:

بناي برث جمعية(*) من أقدم الجمعيات والمحافل الماسونية المعاصرة، وذراع من أذرعتها الهدَّامة، ولا تختلف عنها كثيراً من حيث المبادىء والغايات، إلا أن عضويتها مقصورة على أبناء اليهود، وخدمتها موجهة أساساً لدعم الصهيونية في العالم، والتقاط الأخبار واحتلال مراكز حساسة في الدول. ولهذه الجمعية فروع منتشرة في جميع أنحاء العالم، وهي مكلفة بدراسة نفسية كل قائد أو سياسي أو زعيم أو أي شخصية عامة للاستفادة من جوانب الضعف فيها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسست هذه الجمعية في الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة نيويورك في ١٣/ ١٠/ ١٨٤٣م بصفة رسمية بعد أن حصل اثنا عشر يهوديًّا هاجروا من ألمانيا برئاسة هنري جونيس (جونز) على رخصة رسمية بذلك. وقد اتخذت الجمعية من مدينة نيويورك مقرًّا لها ومنها انتشرت وتأسست فروع لها في جميع أنحاء الكرة الأرضية. وشعارها الشمعدان وهو شعار يهودي ديني قديم.

● منذ سنة ١٨٦٥م والجمعية تسعى لأن يكون لها وجود في فلسطين، وفي سنة ١٨٨٨م تأسس أول محفل لها، ولغة العمل الرسمية فيه هي اللغة العبرية، ومن أبرز شخصياته: ناحوم سوكولوف، دزنكوف، حاييم نخمان، دافيد يلين، مائير برلين، حاييم وايزمن وجاد فرامكين.

● لقد عملوا على تأسيس مستعمرات يهودية صغيرة في فلسطين، وكانت موتسا أول قرية يؤسسونها عام ١٨٩٤م بالقرب من القدس مشكلين بذلك نواة الكيان الإسرائيلي الحالي.

● اليهودي سيجموند فرويد عالم النفس الشهير ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م: انضم عام ١٨٩٥م إلى هذه الجمعية وكان مواظباً على حضور اجتماعاتها.

● في عام ١٩١٣م أسسوا جمعية لمكافحة التشهير والإهانة وتشويه السمعة التي يتعرض لها اليهود في العالم.

● فيليب كلوزنيك Philip Kluznick كان رئيساً لهذه الجمعية عندما عُيِّن في عهد الرئيس أيزنهاور رئيساً للوفد الأمريكي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة(*).

● جون فوستر دالاس: وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٨م، وهو نصراني بروتستانتي، شارك في الحفل الذي أقامته الجمعية في ٨/ ٥/ ١٩٥٦م، إذ قال في هذه المناسبة: «إن مدنية الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للإنسانية، ولذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدنية التي معقلها إسرائيل».

● إن رؤساء الولايات المتحدة يثنون دائماً على الأعمال التي تقوم بها هذه الجمعية.

● قامت المنظمة بعد إعلان قيام إسرائيل بتقديم إمدادات طبية وملابس ومعدات لها وساهمت في إنشاء المكتبات وتشجير الغابات، وتقوم بتصريف سندات إسرائيل وتجنيد العمال الفنيين في الولايات المتحدة وكندا لإسرائيل.

● يتقلد زمام المنظمة رئيس ينتخب كل ٣ سنوات من قبل المحفل الأعلى الذي يتألف من ممثلي المحافل المحلية. وهناك لجنة إدارية ومديرون يشاركون في إدارة المنظمة، أيضاً.

الأفكار والمعتقدات:

● **الشعارات الظاهرية المعلنة:**

- حب الخير للإنسانية والعمل على تحقيق الرفاهية لها.
- مساعدة الضعفاء والعجزة وذوي العاهات وتقديم الدعم للمستشفيات الخيرية.
- افتتاح بيوت الشباب في جميع أنحاء العالم.
- الدفاع عن حقوق الإنسان.
- منع إهانة الجنس اليهودي.
- العطف على المضطهدين من اليهود.
- تطوير التبادل الثقافي والاهتمام بالاحتياجات الثقافية والدينية للطلاب اليهود، وذلك عن طريق مؤسسة The Hillel Foundation.
- التوجيه في مجال التدريب المهني.
- مساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية.
- فتح حوار مع مسؤولي الحكومات حول موضوعات الحقوق المدنية والهجرة والاضطهاد.

● **الأهداف الحقيقية:**

ـ ضم شباب الإسرائيليين بعضهم إلى بعض للنظر في مصالحهم العمومية والمحافظة عليها وإعدادهم لأخذ فلسطين وطناً لهم وبث الحماس في نفوسهم لتحقيق ذلك.

ـ التصدي لمن يتعرض لليهود أو يحاول عرقلة جهودهم الرامية إلى تحقيق أطماعهم واتخاذ السبل كافة لمواجهته.

ـ تمويل عمليات الهجرة إلى إسرائيل، وبيع سنداتها وتجميع الأموال اللازمة، والمساعدات التي تساعد على إدخال المهاجرين، وزيادة طاقة إسرائيل العدوانية، وإنشاء الشركات ـ لا سيما الأمريكية ـ في إسرائيل في شتى المجالات، وتسويق منتجاتها في مختلف بلدان العالم.

ـ الدعم العسكري لإسرائيل بصفة مستمرة وبصورة تدعو للدهشة والاستغراب في معرفة ما يلزم اليهود من المعدات العسكرية كمًّا وكيفًا. ولتلك الجمعية دور بارز في إنشاء المستوطنات العسكرية قبل قيام إسرائيل.

ـ تبرئة اليهود من دم المسيح(*) حتى يتيسر لليهود تحقيق أهدافهم بعيداً عن مناوأة المسيحية لهم.

ـ التغلل في الأجهزة الحكومية والتحكم في سياسات الحكومات وخصوصاً في أمريكا وبريطانيا، إذ تغلغلت في صميم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية... الخ.

ـ أن يكون الولاء أولاً وأخيراً لإسرائيل بحيث يتجاوز الوطن الذي يعيش فيه اليهودي.

● **أفكار ومعتقدات أخرى:**

ـ إنهم يهود ولا يهمهم إلا إعلاء هذا العنصر ليسود العالم.

ـ دعم الماسونية العالمية في خططها وبرامجها الهدامة.

ـ دعم الوجود الإسرائيلي في فلسطين وتشجيع اليهود ليهاجروا إليها.

ـ العمل على تدمير الأخلاق(*) والحكومات الوطنية والأديان(*) عدا اليهودية.

ـ التعاون مع الماسونية والصهيونية لإشعال الحروب والفتن، وقد كان لهم دور بارز في الحرب العالمية الأولى.

ـ قاموا بشن هجوم على هتلر وحكمه حينما جاء إلى الحكم سنة ١٩٣٣م.

ـ كان لهم دور خطير في التمهيد للحرب العالمية الثانية.

ـ التقاط الأخبار واحتلال المراكز الحساسة في الدول المختلفة، كما أن لهم أنظمة

داخلية سرية وشبكة من العملاء السريين.

- تغلغلت هذه الجمعية(*) في صميم الحياة الأمريكية والإنجليزية، وتحكمت في شؤون الاجتماع والسياسة والاقتصاد لهذين البلدين بخاصة.

- إنهم يستخدمون المال والجنس والدعاية المركزة من أجل تحقيق الأهداف اليهودية المدمرة.

- لقد عملوا على خطف أدولف إيخمان النازي الشهير في عام ١٩٦٠م من الأرجنتين إلى إسرائيل حيث أعدم هناك في ٣١/ ٥/ ١٩٦٢م.

- التصدي لكل من يحاول النَّيل من اليهود، واغتيال الأقلام التي تتعرض لهم حتى يخضع الجميع لهيبتهم.

- إنها جمعية لا تقدم خدماتها إلا لأبناء الجالية اليهودية، ولا تعمل إلا من أجل دعم تفوقهم وسيطرتهم.

- في الاجتماع الذي عقد في مدينة بال بسويسرا ١٨٩٧م قال رئيس الوفد الأمريكي لجمعية بناي برث: «ولسوف يأتي الوقت الذي يسارع فيه المسيحيون أنفسهم طالبين من اليهود أن يتسلموا زمام السلطة».

- حظيت بناي برث بتمثيل في الأمم المتحدة(*)، وذلك من خلال عضويتها في المجلس التنسيقي للمنظمات اليهودية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- إنها منظمة يهودية وبالتالي فإن التلمود هو محور عقيدتها وتفكيرها.
- بروتوكولات حكماء صهيون(*) ركن أساسي في خططها وأهدافها.
- طموحات الماسونية الهدامة أمر مهم تعمل على تحقيقه وإنجازه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تأسست بناي برث في نيويورك وانتشرت محافلها في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، وصارت لها في هذه الدول مواقع نفوذ قوية.

● امتدت فروعها إلى أستراليا وأفريقيا وبعض دول آسيا، كما أن لها نوادي عدة في بعض البلدان الإسلامية: الأردن، سوريا، لبنان، البحرين، المغرب، تونس، العراق، مصر، السودان.

- في مصر تأسس لها محفلان أحدهما محفل ماغين دافيد رقم ٤٣٦ وقانونه مطبوع

باللغة العربية، والآخر محفل ميمونت رقم ٣٦٥ وقانونه مطبوع بالألمانية، وقد تم حظر نشاطهما في الستينات، ولكن حدث أن التقى الرئيس المصري أنور السادات بوفد من المنظمة يضم ٢٤ عضواً باستراحة الرئيس بالمعمورة، كما استقبل الوفد د. مصطفى خليل رئيس وزراء مصر آنذاك (مايو عام ١٩٧٩م) وهكذا تلقى وفودها ترحيباً في بعض الدول الإسلامية.

ويتضح مما سبق:

أنه بعد انكشاف أهداف الصهيونية ونشر بروتوكولاتهم(*) وإغلاق الكثير من محافل الماسونية، لجأ اليهود إلى تغيير الأسماء ووضعوا لافتات جديدة لنشاطاتهم مثل الروتاري والليونز وبناي برث، وهي جميعها حرب على الأديان(*) وتخريب للمبادىء الإنسانية السامية.

مراجع للتوسع:

- **الماسونية ما هي حقيقتها، أسرارها، أهدافها**، رابطة العالم الإسلامي ـ الأمانة العامة للمجلس الأعلى للمساجد ـ الدورة الثالثة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبدالله التل ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ـ ط٣ ـ ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.
- **حقيقة نوادي الروتاري**، من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ الكويت ـ ط٢ ـ ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م.
- **الإسلام والحركات الهدامة**، معالي عبد الحميد حمودة ـ سلسلة دعوة الحق ـ العدد ٢٥ ـ صادر عن رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.
- **جذور البلاء**، عبدالله التل ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ـ ط٢ ـ ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.
- **الصهيونية ودورها في السياسة العالمية**، هايمان لوفر ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة.
- **شهادات ماسونية**، حسين عمر حمادة ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.
- **التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي**، د. صبري جرجس ـ عالم الكتب ـ طبعة ١٩٧٠م.
- **الموسوعة البريطانية** Encyclopedia Britannica, Vol. II (1976) (B'nai B'rith)

٦٨ـ الروتاري

التعريف:

الروتاري جمعية(*) ماسونية يهودية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة، تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر، وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المهنية، وتعزيز النية الصادقة والسلام في العالم. وكلمة روتاري كلمة إنجليزية معناها دوران أو مناوبة. وقد جاء هذا الاسم لأن الاجتماعات كانت تعقد في منازل أو مكاتب الأعضاء بالتناوب، وما زالت تدور الرئاسة بين الأعضاء بالتناوب. وقد اختارت النوادي شارة مميزة لها هي «العجلة المسننة» على شكل ترس ذي أربع وعشرين سنًّا باللونين الذهبي والأزرق وداخل محيط العجلة المسننة تتحدد ست نقاط ذهبية، كل نقطتين متقابلتين تشكلان قطراً داخل دائرة الترس بما يساوي ثلاثة أقطار متقاطعة في المركز وبتوصيل نقطة البدء لكل قطر من الأقطار الثلاثة بنهاية القطرين الآخرين تتشكل النجمة السداسية تحتضنها كلمتي «روتاري» و«عالمي» باللغة الإنجليزية.

أما اللونان الذهبي والأزرق فهما من ألوان اليهود المقدسة التي يزينون بها أسقف أديرتهم وهياكلهم ومحافلهم الماسونية وهما اليوم لونا علم «دول السوق الأوربية المشتركة».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في ٢٣ من فبراير عام ١٩٠٥م أسس المحامي بول هاريس أول ناد للروتاري في مدينة شيكاغو بولاية ألينوي وذلك بعد ثلاث سنوات من نشر بول هاريس لفكرته التي اقتنع بها البعض، ويعد سليفر شيلر (تاجر الفحم) وغوستاف ايه لوهر (مهندس المعادن) وسيرام إي شورى (التاجر الخياط) بالإضافة إلى بول هاريس (المحامي) مؤسسي الحركة الروتارية وواضعي أسسها الفكرية بعد اجتماعات متكررة دورية. وقد عقد اجتماعهم الأول في المكان نفسه الذي بني عليه فيما بعد مقر النادي الروتاري الذي يحمل اسم شيكاغو ١٧٧ اليوم. لم يقبل بول هاريس أن يرأس النادي في أول عهده بل ترك رئاسته لأحد زملائه وهو سليفر ولم يقبل بول رئاسة النادي إلا في عام ١٩٠٨م.

ـ بعد ثلاث سنوات انضم إليه رجل يدعى شيرلي د. بري الذي وسع الحركة بسرعة هائلة، وظل سكرتيراً للمنظمة إلى أن استقال منها في سنة ١٩٤٢م.

ـ توفي بول هاريس (المؤسس) سنة ١٩٤٧م بعد أن امتدت الحركة إلى ٨٠ دولة، وأصبح لها ٦٨٠٠ ناد تضم ٣٢٧٠٠٠ عضو.

● انتقلت الحركة(*) إلى دبلن بإيرلندا سنة ١٩١١م، ثم انتشرت في بريطانيا بفضل نشاط شخص اسمه مستر مورو الذي كان يتقاضى عمولة عن كل عضو جديد.

● تأسس نادي الروتاري في مدريد سنة ١٩٢١م، ثم أغلق ولم يسمح له بمعاودة النشاط في كل إسبانيا والسويد.

● لا يدون الروتاري الدولي اسم فلسطين في سجلاته بل يذكر صراحة اسم إسرائيل، ومن المعلوم أن مصر وفلسطين الدولتان الأوليان في العالم العربي والإسلامي اللتان تأسس فيهما أول نادي للروتاري وذلك في عام ١٩٢٩م (نادي روتاري القاهرة ٢/ ١/ ١٩٢٩م) نادي أورشليم (القدس) ١٩٢٩م أيضاً، كما أنهما أكثر عدداً (مصر أكثر من عشرين نادياً، فلسطين أكثر من أربعين نادياً).

وقد ارتبط تاريخ الروتاري في الوطن العربي بثلاث ظواهر:

ـ بالاستعمار الغربي في نشأته وغالبية أعضائه.

ـ بالطبقات الاستقراطية وذوي النفوذ والمال.

ـ بنشاط شامل عام لجميع العالم العربي بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

● في الثلاثينات تم تأسيس فروع للروتاري في الجزائر ومراكش برعاية الاستعمار الفرنسي.

● يوجد في طرابلس الغرب فرع للروتاري، ومن أعضاء مجلس الإدارة فيه المستر جون روبنسون والمستر فونت كريج.

● يعقوب بارزيف رئيس نادي الروتاري في إسرائيل عام ١٩٧٤م غادر إسرائيل في ١٤/ ٣/ ١٩٧٤م إلى مدينة تاور مينا بصقلية لحضور المؤتمر الذي ينظمه النادي الروتاري الإيطالي، وادعى أنه سيكون مؤتمراً عربيًّا إسرائيليًّا لاشتراك وفود عدد من الدول العربية مع وفد إسرائيلي.

ـ كان أول المتحدثين مختار عزيز ممثل النادي الروتاري التونسي، ثم تكلم بعده يعقوب بارزيف اليهودي.

الأفكار والمعتقدات:

● عدم اعتبار «الدين(*)» مسألة ذات قيمة لا في اختيار العضو، ولا في العلاقة بين الأعضاء، ولا يوجد أي اعتبار لمسألة الوطن: يزعم الروتاري أنه لا يشتغل بالمسائل الدينية أو السياسية، وليس له أن يبدي رأياً في أي مسألة عامة قائمة يدور حولها جدال(*).

● تلقِّن نوادي الروتاري أفرادها قائمة بالأديان المعترف بها لديها على قدم المساواة مرتبة حسب الترتيب الأبجدي: البوذية، النصرانية(*)، الكونفشيوسية، الهندوكية، اليهودية، المحمَّدية... وفي آخر القائمة التأويزم «الطاوية».

● إسقاط اعتبار الدين يوفر الحماية لليهود، ويسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية كافة، وهذا يتضح من ضرورة وجود يهودي واحد أو اثنين على الأقل في كل ناد.

● عمل الخير لديهم يجب أن يتم دون انتظار أي جزاء مادي أو معنوي، وهذا مصادم للتصور الديني الذي يربط العمل التطوعي بالجزاء المضاعف عند الله.

● لهم اجتماع أسبوعي، وعلى العضو أن يحرز ٦٠٪ من نسبة الحضور سنويًا على الأقل.

● باب العضوية غير مفتوح لكل الناس، ولكن على الشخص أن ينتظر دعوة النادي للانضمام إليه على حسب مبدأ الاختيار.

● التصنيف يقوم على أساس المهنة الرئيسية، وتصنيفهم يضم ٧٧ مهنة.

● العمال محرومون من عضوية النادي، ولا يختار إلا من يكون ذا مكانة عالية.

● يحافظون على مستوى أعمار الأعضاء ويعملون على تغذية المنظمة بدم جديد وذلك باجتلاب رجال في مقتبل العمر.

● يشترط أن يكون هناك ممثل واحد عن كل مهنة، وقد تخْرق هذه القاعدة بغية ضمّ عضو مرغوب فيه، أو إقصاء عضو غير مرغوب فيه، وقد نصت الفقرة الثالثة من المادة الرابعة من القانون الأساسي للروتاري الدولي على ما يلي:

ـ لا يجوز قبول أكثر من عضو عامل واحد في تصنيف من تصنيفات الأعمال والمهن باستثناء تصنيفات الأديان ووسائل الإعلام والسلك الدبلوماسي، ومع مراعاة أحكام اللائحة الداخلية الخاصة بالأعضاء العاملين الإضافيين.

● يشترط أن يكون في المجلس الإداري لكل ناد شخص أو شخصان من رؤساء النادي السابقين أي من ورثة السر الروتاري المنحدر من (بول هاريس).

● تشارلز ماردن الذي كان عضواً لمدة ثلاث سنوات في أحد نوادي الروتاري قام بدراسة عن الروتاري وخرج بعدد من الحقائق.

● بين كل ٤٢١ عضواً في نوادي الروتاري ينتمي ١٥٩ عضواً منهم للماسونية مع الاستنتاجات جعل الولاء للماسونية قبل النادي.

● في بعض الحالات اقتصرت عضوية الروتاري على الماسون فقط، كما حدث في أدنبره - بريطانيا سنة ١٩٢١م.

● ورد في محافل نانس بفرنسا سنة ١٨٨١م ما يلي: «إذا كون الماسونيون جمعية بالاشتراك مع غيرهم فعليهم ألا يدعوا أمرها بيد غيرهم، ويجب أن يكون رجال الإدارة في مراكزها بأيد ماسونية وأن تسير بوحي من مبادئها».

● نوادي الروتاري تحصل على شعبية كبيرة، ويقوى نشاطها حينما تضعف الحركة الماسونية أو تخمد، ذلك لأن الماسون ينقلون نشاطهم إليها حتى تزول تلك الضغوط فتعود إلى حالتها الأولى.

● تأسست الروتاري عام ١٩٠٥م وذلك إبان فترة نشاط الماسونية في أمريكا.

● هناك عدد من الأندية تماثل الروتاري فكراً وطريقة وهي: الليونز، الكيواني، الاكستشانج، المائدة المستديرة، القلم، بناي برث (أبناء العهد)، فهي تعمل بالصورة نفسها وللغرض نفسه مع تعديل بسيط، وذلك لإكثار الأساليب التي يتم بواسطتها بثُّ الأفكار واجتلاب المؤيدين والأنصار.

بين هذه النوادي زيارات متبادلة، وفي بعض المدن يوجد مجلس لرؤساء النوادي من أجل التنسيق فيما بينها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يوجد توافق كامل كبير بين الماسونية والروتاري في مسألة (الدين(*) والوطن والسياسة)، وفي اعتمادهم على مبدأ (الاختيار)، فالعضو لا يمكنه أن يتقدم بنفسه للانتساب ولكن ينتظر حتى ترسل إليه بطاقة دعوة للعضوية.

● القيم والروح التي يُصْبغُ بها الفرد واحدةٌ في الماسونية والروتاري، مثل فكرة المساواة والإخاء والروح الإنسانية والتعاون العالمي. وهذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم، وتفتيت جميع أنواع الولاءات، حتى يصبح الناس أفراداً ضائعين تائهين، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم.

● الروتاري وما يماثله من النوادي تعمل في نطاق المخططات اليهودية من خلال سيطرة الماسون عليها، الذين هم بدورهم مرتبطون باليهودية العالمية نظريًّا وعمليًّا، ورصيد هذه المنظمات ونشاطاتها يعود على اليهود أولاً وآخراً.

● تختلف الماسونية عن الروتاري في أن قيادة الماسونية ورأسها مجهولان على عكس الروتاري الذي يمكن معرفة أصوله ومؤسسيه، ولكن لا يجوز تأسيس أي فرع للروتاري إلا بتوثيق من رئاسة المنظمة الدولية وتحت إشراف مكتب سابق.

● تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف، وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية، وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان وإلغاء الخلافات الدينية.

● أما الغرض الحقيقي فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء، وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع معلومات تساعدهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والسياسية، وتساعدهم على نشر عادات معينة تعين على التفسخ الاجتماعي، ويتأكد هذا إذا علمنا بأن العضوية لا تمنح إلا للشخصيات البارزة والمهمة في المجتمع.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت أندية الروتاري في أمريكا سنة ١٩٠٥م وانتقلت بعدها إلى بريطانيا وإلى عدد من الدول الأوربية، وفروعها الرئيسية في لندن وزيورخ وباريس، وترتبط رئاسة كل منطقة روتارية على مستوى العالم ارتباطاً مباشراً بالمركز العام في إيفانستون عن طريق ممثلها العالمي في الأفرع الرئيسة، وقد غطت أندية الروتاري ١٥٧ دولة في العالم.

● المنطقة ٢٤٥ تضم مصر، السودان، لبنان، الأردن، البحرين، قبرص، كما أن لهذه المنظمة أكثر من أربعين فرعاً في إسرائيل، ولها نواد في عدد من الدول العربية كمصر أكثر من ٢٣ نادياً والأردن ناديان وتونس والجزائر وليبيا والمغرب ١٣ ناديًا ولبنان ٥ أندية، وتعدّ بيروت مركز جمعيات الشرق الأوسط.

ويتضح مما سبق:

أن الروتاريين يستهدفون القضاء على المعالم الثقافية والدينية المتميزة، لإيجاد بيئة واحدة تعمها الأفكار والمبادىء الروتارية التي تستمد مفاهيمها من الحركة(*) الماسونية العالمية، وتتخذ الناقوس والمطرقة شعاراً لها وتتخذ هذه المنظمة أسماء أخرى تعمل في ظلها مثل: لجنة الإنرهويل التي تختص بالسيدات، وتضم مصر والأردن منطقة إنرهويل واحدة تحمل رقم ٩٥، ولجنة الروتاراكت ولجنة الإنتراكت.

وتعد هذه النوادي خطراً داهماً على الإسلام والمسلمين لتظاهرها بالعمل الإنساني

في حين أنها معاول هدم للروح الإسلامية، وتعمل في نطاق المخططات اليهودية العالمية.
وقد أصدر المؤتمر الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية الذي انعقد بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م قراره الحادي عشر والخاص بالماسونية وأندية الروتاري وأندية الليونز وحركات التسلح الخلقي وإخوان الحرية بأن:

- على كل مسلم أن يخرج منها فوراً، وعلى الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها، وأن تغلق محافلها وأوكارها.
- عدم توظيف أي شخص ينتسب إليها ومقاطعته كلية.
- يحرم انتخاب أي مسلم ينتسب إليها لأي عمل إسلامي.
- فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة.
- كما أعلن المجمع الفقهي في دورته الأولى أن الماسونية وما يتفرع عنها من منظمات أخرى كالليونز والروتاري تتنافى كلية مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

مراجع للتوسع:

- **الماسونية في العراء**، الدكتور الشيخ محمد علي الزعبي.
- **أسرار الماسونية**، جواد رفعت أتلخان.
- **الماسونية** دراسة نقدية باللغة الإنجليزية، مصباح الإسلام فاروقي.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبدالله التل.
- **جذور البلاء**، عبدالله التل.
- **مقال في مجلة أنوار الأحد**، عدد ٤٦٢٧ في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٣م.
- **مقال في مجلة الفكر الإسلامي**، (بيروت) العدد الأول ذي الحجة ١٣٩٣ هـ/ كانون الثاني ١٩٧٤م.
- **جريدة القبس الكويتية**، في ١٤/ ٣/ ١٩٧٤م.
- **ملحق جريدة العلم الليبية**، أغسطس ١٩٦٩م.
- **مجلة فلسطين**، أكتوبر ١٩٦٩م.
- **حقيقة أندية الروتاري**، من رسائل جميعة الإصلاح الاجتماعي بالكويت.
- **دراسة عن أندية الروتاري الماسونية**، بقلم أبي إسلام أحمد عبدالله.
- **الطابور الخامس**، بقلم أبي إسلام أحمد عبدالله.
- **الماسونية في المنطقة (٢٤٥)**، بقلم أبي إسلام أحمد عبد الله.
- **شرخ في جدار الروتاري** -أبو إسلام أحمد عبدالله.

- لا ياشيخ الأزهر ـ الفتاوى الشرعية في أندية روتاري وليونز الماسونية ـ أبو إسلام أحمد عبدالله.
- الماسونية العالمية في ميزان الإسلام، د. عبدالله سمك.
- مجلات الروتاري (المنطقة ٢٤٥) ونشرات الأندية في مصر والسودان وغيرهما.
- اليهودية، د. أحمد شلبي.
- صحيفة الأهرام ٦/ ٢/ ١٩٨٠م، ٢٧/ ٤/ ١٩٨٠م.
- مجلة الجيل ١٠/ ٦/ ١٩٦٣م.
- قوانين الروتاري الدولية ولوائحه الداخلية والإقليمية والمحلية.
- القانون الأساسي للماسونية.
- الدستور الماسوني.
- الروتاري في قفص الاتهام، أبو إسلام أحمد عبد الله.
- الموسوعة البريطانية المجلد ١٩.
- قاموس الأندية الروتارية.
- موسوعة المورد، منير البعلبكي.
- حقيقة الروتاري في مصر، أبو إسلام أحد عبد الله.
- شهادات روتارية، حسين عمر حماده.
- روز اليوسف عدد ١٩٢١م.

المراجع الأجنبية

ROTARY AND ITS BROTHERS, Charles F. Marden (Princeton University Press-1963).

TO WARDS MY NEIGHBOUR., G.R.H Nitt.

MY RODE TO ROTOTARY RAVL. P. HARRIS.

ROTARY SERVICE

SERVICE IN LIFE AND WORK.

٦٩ـ الليونز

التعريف:

الليونز مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر، لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في صيف ١٩١٥م دعا مؤسس هذه النوادي ملفن جونس إلى فكرة إنشاء نواد تضم رجال الأعمال من مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وكان أول نادٍ تأسس من هذا النوع في مدينة سانت أنطونيو ـ تكساس.

● في مايو ١٩١٧م ظهرت المنظمة العالمية لنوادي الليونز إلى الوجود، وقد عقدت اجتماعها الأول في شيكاغو حيث أقدم نوادي الروتاري.

● يعتقد بعض الدارسين أن هذا النادي تابع لنوادي بناي برث أي (أبناء العهد) الذي تأسس في ١٣/ ١٠/ ١٨٣٤م في مدينة نيويورك.

● بصورة عامة فإن هذه النوادي جميعاً تتبع بشكل أو بآخر منظمة البنائين الأحرار (الماسون).

● لقد أنشىء نادي الليونز ليكون بديلاً عن النوادي السابقة في حالات انكشافها أو اضطهادها لما يتمتع به من مظهر اجتماعي إصلاحي خيري.

الأفكار والمعتقدات:

● إن اسمهم (الليونز) أي (الأسود) إنما يرمز إلى القوة والجرأة وحروف الكلمة بالإنجليزية (Lions) كل منها يرمز لمعنى عندهم.

● تنهى كسائر النوادي الماسونية عن المجادلة في الأمور السياسية والعقائدية الدينية.

● تتظاهر بالعمل في الميادين التالية:

ـ الدعوة إلى الإخاء والحرية(*) والمساواة.

- الخدمات العلمية والثقافية.
- تشجيع تبادل الزيارات والرحلات واللقاءات.
- نشر معاني الخير والتعاون بين الشعوب.
- تنمية روح الصداقة بين الأفراد بعيداً عن الروابط العقدية.
- الاهتمام بالرفاهية الاجتماعية.
- العمل على نشر المعرفة بكل الوسائل الممكنة.
- مساعدة المكفوفين والخدمات الاجتماعية الأخرى.
- تخفيف متاعب الحياة اليومية عن المواطنين.
- تقديم الخدمات إلى البيئة المحلية.
- إقامة المسابقات الترفيهية وتشجيع اللقاءات وتبادل الزيارات والرحلات.
- دعم المشروعات الخيرية.
- دعم مشروعات الأمم المتحدة(*).

● **العضوية**:

- شروط العضوية في هذه النوادي لا تختلف كثيراً عن شروط العضوية في نوادي الماسونية والروتاري.
- لكنها تمتاز عن النوادي الماسونية بأنه يجوز لديهم أن يمثل المهنة الواحدة أكثر من عضوين.
- لا يستطيع أي شخص أن يقدم طلب انتساب إليها، إنما هم الذين يرشحونه ويعرضون عليه ذلك إذا رأوا مصلحة لهم فيه.
- يشترط أن يكون العضو من رجال الأعمال الناجحين.
- يشترط أن يكون مكان عمل العضو في المنطقة ذاتها التي فيها النادي.
- يفرض على كل عضو أن يحقق نسبة حضور في الاجتماعات الأسبوعية لا تقل عن ٦٠٪ سنوياً.
- يمنعون منعاً باتًّا دخول العقائديين وذوي الغيرة الوطنية الشديدة.
- يجتذبون الشباب والشابات بغية المحافظة على أدنى مستوى ممكن من الأعمار الشابة للمحافظة على حيوية النادي الدائمة فضلاً عن سهولة التأثير.
- يجتذبون السيدات من زوجات كبار المسؤولين، كما يسند إليهن مهمة الاتصال بالشخصيات الكبيرة، ولهن نوادٍ خاصة بهنَّ تسمى نوادي سيدات الليونز.

الهيكل التنظيمي:

● تتشابه أندية الليونز مع أندية الروتاري في وضع نظام شبه جغرافي، يقسم العالم إلى عدد من التكتلات حسب كثافة انتشار الأندية، ولكل تكتل رقم خاص ويتكون التكتل الواحد من دولة أو عدد من الدول، ويسمى بالمنطقة أو المحافظة رقم، وترتبط رئاسة كل منطقة من المناطق على مستوى العالم مباشرة بالمركز العام، وتقع مجموعة الدول العربية في المنطقة ٣٥٢.

● **يتكون كل نادٍ من:**

- رئيس.
- نائب رئيس أو أكثر.
- سكرتير - وأمين صندوق.
- مجلس إدارة مؤلف من (١٢) عضواً على أن يكون بينهم شخص أو اثنان من رؤساء النادي السابقين، بهدف إحكام القبضة على المجلس كي لا ينحرف في أي مسار لا يريدونه لناديهم.
- لجان متنوعة تشكل من قبل المجلس لتشمل الأنظمة المختلفة.

خطورة هذه النوادي:

● نشاطاتها الخيرية الظاهرية مصيدة تخفي وراءها أهدافها الحقيقة.

● يتسمون بالتخطيط الدقيق، ويعملون على أساس من السرية في جمع المعلومات.

● يتعرفون على أسرار المهن من خلال لقاءاتهم، مما يعطيهم قدرة على التحكم في السوق المحلية كما يعينهم على التدخل في الشؤون الاقتصادية للبلد.

● يجمعون المعلومات المتعلقة بالشؤون السياسية والدينية للبلد الذي يعملون فوق أرضه، ويرسلونها إلى مركز المنظمة العالمي التي تقوم بتحليلها ووضع الخطط اللازمة والمناسبة حيالها.

● إنهم يُقَسِّمون المنطقة التي يعملون فيها، ومن ثم يجب أن يغطي كل قسم بنشاطه القطاع المتعلق به.

● هناك غموض شديد يكتنف أسرارهم ومواردهم ووسائلهم.

● تضرب مجالس إدارات مناطق الليونز إجراءات أمن مشددة حولها.

● يرددون دائماً شعار (الدين(*) لله والوطن للجميع).

● الإسلام لديهم يقف على قدم المساواة مع الديانات الأخرى سماوية كانت أم بشرية، هذا من حيث الظاهر، أما الحقيقة فإنهم يكيدون له أكثر مما يكيدون لسواه.

● يركزون في دعواتهم ومحاضراتهم على إبراز مكانة معينة لإسرائيل وشعبها، كما يقومون بزراعة أفكار صهيونية في عقول أعضائها.

● لقد عقدوا دورة في نوادي ليونز مصر الجديدة بالقاهرة للحديث عن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

● إنهم يقيمون حفلات مختلطة ماجنة راقصة تحت شعار (الحفلات الخيرية).

● لقد أصدر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة في مكة المكرمة بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٩٨هـ قراراً بَيَّنَ فيه أن مبادىء حركات(*) الماسونية والليونز والروتاري تتناقض كليًّا مع مبادىء وقواعد الإسلام.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن نوادي الليونز لا تخرج عن الدائرة الماسونية التي تتبع لها، فالجذور إذن واحدة.

● إنها تدعو إلى فكرة الرابطة الإنسانية وإزالة العوائق بين البشر.

● إنها تستمد جوهرها الحقيقي من الفكر الصهيوني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لهذه المنظمة نوادٍ في أمريكا وأوربا وفي كثير من بلدان العالم.

● ادعت نوادي الليونز في أوائل عام ١٩٧٠م بأن عدد أعضائها يزيد على (٩٣٤,٠٠٠) عضو موزعين في (١٤٦) بلداً.

● مركزها الرئيسي الحالي هو في أوك بروك بولاية الينوي في الولايات المتحدة الأمريكية.

● نوادي الليونز والروتاري نشطت في مصر بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل.

● إنها تتخذ من الفنادق الضخمة مراكز لها كفندق السلام بمصر الجديدة وفندق هيلتون وشبرد وشيراتون.

● إنها ترصد مبالغ ضخمة كجوائز تقدم خلال حفلات تنمية الصداقة وحفلات الاهتمام ببعض المشروعات مما يضع إشارة استفهامْ حول طبيعة الموارد المالية.

ويتضح مما سبق:

أن الليونز لافتة جديدة للماسونية لجأ اليهود إليها عندما أغلقت المحافل الماسونية. والحقيقة أن ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ومع الأسف فإنها تباشر نشاطها في كثير من البلاد الإسلامية، مثل مصر والأردن وسوريا ولبنان والبحرين والمغرب وتونس والعراق، وهم يعرضون أحياناً بعض ما يسمونه نشاطاً اجتماعيًا ويدَّعون أنهم يريدون به للمجتمع أن ينمو وفق نظام هندسي دقيق تذوب فيه النعرات القومية والعصبيات الجنسية والاختلافات الدينية، والحقيقة التي يجب ألا تخفى على مسلم هي أنهم جماعة مشبوهة وتكتنفها الرِّيَب والشكوك، ويكفي أنها مدعومة من جهات خارجية غير معلومة.

مراجع للتوسع:

- **شهادات ماسونية**، حسين عمر حماده - دار قتيبة بدمشق - ط١ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **حقيقة نوادي الروتاري**، جمعية الإصلاح الاجتماعي - ط٢ - ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **الماسونية في العراء**، الشيخ محمد علي الزعبي.
- **أسرار الماسونية**، جواد رفعت أتلخان.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبدالله التل.
- **جذور البلاء**، عبدالله التل.
- **الماسونية**، محمد صفوت السقا وسعدي أوجيب - إصدار رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ط٢ - ١٤٠٢هـ.
- **الماسونية والصهيونية والشيوعية**، د. صابر عبد الرحمن طعيمه - دار الفكر العربي بالقاهرة - ط١ - ١٩٧٨م.
- **المثلث ٣٥٢ - أندية ليونز الماسونية في مصر** - أبو إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة - القاهرة.
- **مجلة الجندي المسلم**، السنة الحادية عشرة - العدد ٣٤ - ذو الحجة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **جريدة الأخبار القاهرية**، بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٨٤م.
- **لائحة النظام الأساسي للجمعية العالمية لأندية الليونز.**
- **انظر الموسوعة البريطانية**، طبعة ١٩٧٤م - مجلد ٤ - صفحة ٣٠٢ - في الحديث عن الماسونية (البناؤون الأحرار).

المراجع الأجنبية:

Encyclopaedia Britannica, Vol. V,p.385,1974.

٧٠ـ حيروت (الحرية)

التعريف:

حيروت حزب(*) سياسي صهيوني أسسه مناحم بيجن في فلسطين المحتلة بعد قيام الدولة اليهودية المسماة إسرائيل عام ١٩٤٨م، ويعد حزب حيروت وريث منظمة الأراجون الإرهابية قبل عام ١٩٤٨م.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بعد عام ١٩٤٨م: ـ انصهرت منظمة الأراجون زفائي لؤمي في جيش الدفاع الإسرائيلي (تسهال)، وأما من رفضوا الارتباط بالجيش الإسرائيلي فقد شكلوا حزباً سياسيًّا سموه حزب حيروت أو الحرية الذي يحمل لواء الإرهاب. وكان على رأس الحزب مناحم بيجن..

● وفي سنة ١٩٦٥م تحالف حزب حيروت مع حزب الأحرار وكونوا معاً تشكيلاً حزبيًّا تحت اسم جحل، وهو الاختصار العبري لأسماء أحزاب (جوش حيروت ليبراليم) أو(كتلة حيروت والأحرار). واتبعت خطًّا فكريًّا وعقديًّا لا يخرج في قليل أو كثير عن خط حيروت العقدي.

● وفي نهاية سنة ١٩٧٣م كونت جحل وعدة أحزاب يمينية هي: المركز الحر (ورئيسه شامير رئيس الوزراء السابق) والقائمة الرسمية وحركة أرض إسرائيل الكاملة، تكتلاً عرف باسم الليكود لمواجهة حزب العمل الحاكم، وظهرت في هذه التكتلات شخصيات إرهابية، منها أرييل شارون وعزراوايزمان والدكتور بنيامين هيلفي.

ـ أعلنت (الليكود) برنامجها أمام الكنيست، وهو يبرز نفس السياسة الإرهابية، ويغصُّ بمفاهيم العنف والتأكيد على حقوق الاستيطان حتى في الأراضي المحتلة.

وأهم الشخصيات في هذا التكتل:

● مناحم بيجن: ولد سنة ١٩١٣م في بولندة، والتقى بالزعيم الصهيوني جابوتنسكي سنة ١٩٣٨م الذي عينه ممثلاً للحركة(*) الصهيونية، ودخل بيجن فلسطين سنة ١٩٤٢م والتحق بالمنظمة الإرهابية الأراجون، إذ تولى قيادتها في العام نفسه.

وأسس حزب(*) حيروت سنة ١٩٤٨م بعد حل منظمة الأراجون. وفي سنة ١٩٧٣م قاد تكتل الليكود، وتولى رئاسة الحكومة اليهودية في فلسطين المحتلة سنة ١٩٧٧م. وفي سنة ١٩٧٧م وقع اتفاقية كامب ديفيد مع الرئيس المصري أنور السادات.

- يعد مناحم بيجن من أشد الإرهابيين المتبعين سياسة جابوتنسكي ويلخص سياسته بقوله: «أنا أحارب فأنا موجود». «القوة هي لغة التفاهم مع العرب».

● عزرا وايزمان ولد في تل أبيب سنة ١٩٢٤م، عمل في سلاح الجو البريطاني.. واشترك في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، وعين قائداً لسلاح الطيران الإسرائيلي من سنة ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦م واشترك في حرب سنة ١٩٦٧م ثم عين وزيراً للمواصلات، ثم وزيراً للدفاع سنة ١٩٧٥م.

● يوحنا بيدر: من منظمة الأراجون الإرهابية وهو محرك الحزب وواضع نظرياته الفلسفية الإرهابية، ورئيس تحرير جريدة **حيروت**.

● يعقوب ميريدور مدير عمليات الأراجون السابق.

● يوحنا بارو ـ ناحوم يثعن.. والجميع تجمعهم صفة الإرهاب والتطرف.

● أرييل شارون: ولد في فلسطين سنة ١٩٢٨م وانضم إلى المنظمة الإرهابية الهاجاناه في سنة ١٩٤٤م واشترك في حرب ١٩٤٨م واشترك في حرب ١٩٥٦م بين إنجلترا وفرنسا وإسرائيل من جهة، ومصر من جهة أخرى.. واشترك في حرب ١٩٦٧م وأحيل إلى التقاعد بعد الحرب مباشرة، واستعد للحرب في سنة ١٩٧٣م وقام بعملية الثغرة (الدفرسوار) في الضفة الغربية لقناة السويس. والتحق بتكتل الليكود الذي يعد حزب حيروت أكبر حزب فيه.. وأصبح من أبرز الزعماء اليهود.. فضلاً عن أنه قائد القوات اليهودية التي اجتاحت لبنان، وهو المخطط لمذبحة صبرا وشاتيلا في لبنان.

الأفكار والمعتقدات:

● أهم المبادىء الرئيسة ـ في التعريف بالحزب(*) ـ منذ تأسيسه كحزب مستقل، وحتى انضمامه إلى تكتل (الليكود) الذي ضم عدة أحزاب، كلها ذات مبادىء واحدة، أبرزها:

- المطالبة بحدود إسرائيل الكبرى، وعدم التخلي عن أي أرض احتلت عام ١٩٦٧م، وأن للشعب اليهودي حقاً تاريخياً وغير قابل للتنازل عنه في أرض إسرائل.. أرض الأجداد.

ـ مباركة الأعمال العدوانية ضد الدول العربية.. والحرب هي الوسيلة الوحيدة التي يفهمها العرب.

ـ العمل على تشجيع الاستيطان الديني والريفي في فلسطين، واعتبار أن تشجيع الهجرة يقع على رأس مهام الدولة، بما يستلزمه ذلك من ضرورة تخصيص الأموال اللازمة للاستيطان.

ـ إدراك وحدة المصير والنضال المشترك من أجل وجود الشعب اليهودي في أرض فلسطين والدياسبورا (أرض الشتات).

ـ التجنيد الإجباري واجب على كل مواطن، ولذا يلزم إعداد الجنود إعداداً فنيًّا حديثاً مع الاهتمام بالقوات الاحتياطية.

ـ التعاون مع المعسكر الغربي والدخول في أحلاف عسكرية معه، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا.

ـ يعد الحزب فرعاً لاتحاد الصهيونيين وأفرعه المنتشرة في أوربا وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا.

ـ التضييق على الأقلية العربية في الدولة، والعمل على تصفية معسكرات اللاجئين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن ادعاء الصهيونية بالحق التاريخي لليهود في فلسطين، وأنها أرض الميعاد وأن اليهودي فوق الجميع، وأن اليهود شعب الله المختار. وكذلك أسلوب الإرهاب والعنف والقتل الجماعي الذي اتبعه اليهود في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٤٨م وبعده.. إن ذلك كله يرجع أولاً وقبل كل شيء إلى التعاليم التلمودية اليهودية التي يعدونها مقدمة على التوراة(*) نفسها.

ـ فالعنصرية اليهودية الغالبة نجدها في قول التلمود: «إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة» و«إن اليهود وحدهم هم البشر أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات».

ـ وسياسة العنف والقتل لدى الصهاينة الجدد.. نجد سندها في قول التلمود: «ليس من العدل استعمال الرحمة مع الأعداء» و«ممنوع العطف على الإنسان الأبله» و«من الواجب على اليهودي أن يبذل جهده كاملاً في استئصال شأفة النصارى والمسلمين عن وجه الأرض..».

ـ وقد وعى مفكرو اليهود دروس التلمود، ونظَّروه في مبادىء وأفكار، حتى أصبحت هذه المبادىء فلسفة خاصة بهم، ومن هذا المنطلق نجد أن جذور الفكر الإرهابي لحزب حيروت ولأحزاب إسرائيل الأخرى، تمتد إلى المفكر اليهودي زئيف جابوتنسكي ١٨٨٠ ـ ١٩٤٠م الذي ولد في روسيا وزار فلسطين سنة ١٩٠٨م وأسس منظمة الهاجاناه الإرهابية ووضع للمنظمات اليهودية المبادىء التي يجب السير عليها لتحقيق حلمهم في أرض فلسطين ومن هذه المبادىء:

١ ـ العنف هو الطريق الوحيد لإقامة دولة إسرائيل واستمرارها.

٢ ـ إن عصر الحريات والإنسانيات الذي يعترف بحقوق الآخرين قد ولّى، وحل مكانه عالم جديد يرفض النزعة الإنسانية ولا يلتفت إطلاقاً لحقوق الآخرين، ويستند على الأنانية القومية لتأكيد وجوده الذي لا ينتعش في ظل العقل(*) والأخلاق(*) بل في ظل الحيوية الجسدية.

٣ ـ عدم التقرُّب إلى العرب أو الثقافة العربية (عارض جابوتنسكي أي محاولة من قبل اليهود للتقرب إلى الثقافة العربية سنة ١٩٢٤م، وعندما قالوا له إن العرب أبناء عم لنا فهم من نسل إسماعيل، ردّ قائلاً: إن إسماعيل ليس بعمنا، فنحن ـ وهذا بفضل الله!! ـ ننتمي إلى أوربا، وعلى مدى ألفي عام ساعدنا في خلق ثقافة الغرب).

٤ ـ الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، وثقافته فوق كل الثقافات. هذه هي المبادىء التي وضعها الإرهابي الأول جابوتنسكي.

وأخذت هذه المبادىء سبيلها إلى التطبيق العملي على مستوى منظمات الدفاع اليهودية الرسمية قبل وبعد إنشاء إسرائيل، ويعدُّ مناحم بيجن التلميذ الأول الذي استوعب أفكار وآراء أستاذه جابوتنسكي وترسخت في مفهومه ومفهوم كل المنظمات الإرهابية، الأراجون والهاجاناه وغيرها..

ـ إن الاتجاهات الصهيونية بمختلف انتماءاتها تسير على نهج جابوتنسكي وتشعر بشعوره المفعم بالكراهية للعرب والمسلمين، مهما حاولت الصهيونية الحالية أن تصفه بأنه لا يمثل إلا نفسه ولكن الواقع يثبت غير ذلك.

ـ وهناك من مفكري الحركة(*) الصهيونية من تأثر بفلسفة نيتشه الفيلسوف الألماني عن الإنسان الأعلى (السوبرمان)، وأن القوة هي الأساس في الكون، ومنهم جوزيف بيرويشفكي (١٨٦٥ ـ ١٩٢١م) الذي يرى أن التوتر، والثورة(*) العنيفة هي الطريق الوحيد لقيام إسرائيل.

ـ ومن هذا الفكر أصَّل بن جوريون ـ أول رئيس لدويلة اليهود ـ السياسة اليهودية تجاه المسلمين والعرب في كتابه **إسرائيل**: «**سنوات التحدي**» إذ يقول: «إن هذه الدولة المسماة بإسرائيل لا يمكنها أن تعيش إلا بالقوة والسلاح» «القوة هي لغة التفاهم مع العرب».

ـ وكذلك مناحيم بيجن في كتابه «**التمرد**» فقد أعطى الأبعاد الكاملة لفلسفة التمرد والإرهاب قائلاً: «أنا أحارب فأنا موجود». «إذا لم نحارب فإننا سوف نفنى، والحرب هي الطريق الوحيد للخلاص».

ويتضح مما سبق:

أن حيروت حزب(*) سياسي صهيوني أسسه مناحم بيجن في فلسطين المحتلة بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، وهو يطالب بحدود إسرائيل الكبرى، مع عدم التخلي عن أي أرض احتلت عام ١٩٦٧م، ويبارك الأعمال العدوانية ضد الدول العربية، ويعتبر الحرب هي الوسيلة الوحيدة التي يفهمها العرب، ويشجع الاستيطان الديني والريفي في فلسطين، والتضييق على الأقلية العربية، وجعل إسرائيل تدور دائماً في فلك المعسكر الغربي، حتى تتحقق الأهداف الإسرائيلية من حيث تكريس العنف ووأد حقوق الإنسان العربي والحيلولة دون شيوع الثقافة العربية في إسرائيل.

مراجع للتوسع:

ـ **الصهيونية وسياسة العنف**، محمود سعيد عبدالظاهر، الهيئة العامة المصرية للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٩م.
ـ **العنف والسلام**، دراسة في الاستراتيجية الصهيونية ـ إبراهيم العابد ـ منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٧م.
ـ **نظرة في أحزاب إسرائيل**، أسعد رزوق منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦م.
ـ **إسرائيل الكبرى**، دراسة في الفكر الصهيوني التوسعي.
ـ **الجذور الإرهابية لحزب حيروت الإسرائيلي**، بسام أبو غزالة منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦م.
ـ **المطامع الصهيونية التوسعية**، عبدالوهاب كيالي ـ منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦م.
ـ **التمرد**، قصة الأراجون، مناحم بيجن ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م القاهرة.

- **إني أتهم**، روجيه ديلورم - دار الجرمق للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٠م.
- **همجية التعاليم الصهيونية**، بولس حنا مسعد، المكتب الإسلامي - بيروت.
- **حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره**، د. محمد شتا أبو سعد، بحث مقدم لمؤتمر حقوق الشعوب العالمي، الذي نظمته جامعة الزقازيق ١٩٨٤م بالقاهرة ص١ - ٠٦.

المراجع الأجنبية :

Lenczowski, G: The Middle East in the World Affairs. New York 1956.
Glubb, J.B.: Soldier with the Arabs, London 1948.
Herzle, Theodar: The Jewish State. New York 1972.
Menuhin Mashe: The Decadance of Judaism in our Time.
Begin. Menachem: The Revolt. Story of the Irgunn, New York 1951.
Herzle, Theodor: The Complete Diaries Vol.4. 1616.
Ben Gurion. David: Rebirth and Destiny of Israel. New York 1964.

٧١ـ الأنتراكت

التعريف:

هي نواد اجتماعية وثقافية مرتبطة بمنظمة الروتاري الدولية، التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية، وتضم هذه النوادي طلبة المدارس الإعدادية والثانوية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بتوجيه من مؤتمر الروتاري الدولي عام ١٩٦١/١٩٦٢م أنشئت أندية الأنتراكت من طلبة المدارس الإعدادية والثانوية، وتسمى: بأندية الطلائع.. وتتراوح أعمار الأطفال بين ١٤ و١٨ سنة. وقد دلت إحصائية خاصة عن أندية الأنتراكت عن العام ١٩٨٣/ ١٩٨٤م بأنه تم إنشاء ١٢١ ناديًا للأنتراكت بلغ عدد أعضائها من تلاميذ المدارس ٩٥١٥٠ عضواً. ويشرف على هذا العدد من أندية الأنتراكت: ٣٤٥٩ نادياً للروتاري في ٧٩ دولة من مجموع الدول الروتارية.

● وفي سنة ١٩٨٦م صدرت عن المركز الرئيسي للروتاري بالولايات المتحدة الأمريكية نشرة خاصة بعنوان: **هذا الروتاري** جاء فيها عن الأنتراكت والروتراكت أنه أصبح لها أكثر من عشرة آلاف نادٍ في مائة دولة.

● وقد أنشئت نوادي الأنتراكت في بعض البلاد العربية منها: مصر.. وقد نشرت مجلة: **أكتوبر**.. في تاريخ ١٦/ ١١/ ١٩٨٠م الحفل السنوي لنادي الأنتراكت، الذي أقيم في نادي سبورتنج بالإسكندرية، وأحيت الحفلة فرقة البتي شاه الغنائية الراقصة. ولا توجد تحت أيدينا إحصائيات عن نوادي الأنتراكت في البلاد العربية والإسلامية الأخرى.

الأفكار والمعتقدات:

● إن تخصيص هذه النوادي لرعاية الأطفال من ١٤ ـ ١٨ سنة يكشف المخطط الخطير الذي تسعى إليه منظمة الروتاري العالمية، للتأثير على الأطفال وصياغة تفكيرهم وسلوكهم وفق أهدافها الخبيثة، بعد أن تمت السيطرة على الكبار من الرجال والنساء.

● ترفع هذه النوادي شعارات خادعة تلبس ثوباً براقاً مثل التربية الحديثة، والرياضة، والثقافة. وقضاء أوقات الفراغ.. وإعداد الطفل للمجتمع... الخ. وتخفي الهدف الحقيقي، وهو إخضاع وتلقين الصغار مفاهيم روتارية لاستخدامهم في المستقبل في تنفيذ المآرب الصهيونية الخبيثة.

● تنشأ هذه النوادي في حدود منطقة الروتاري، حيث توجد نوادي الكبار، كي يسهل السيطرة عليها ضمن خطط الروتاري للرجال، والأنرهويل للنساء.

● تنشأ هذه النوادي ـ على الأرجح ـ في المعاهد الخاصة التي تديرها الأقليات النصرانية واليهودية في البلاد العربية والإسلامية.

● تقيم هذه النوادي حفلات غنائية ومسرحية خاصة بالصغار؛ لما لهذه الوسائل من تأثير قوي وفعال في الصغار.

● من أنشطة هذه النوادي إقامة الرحلات والمخيمات الخلوية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● باعتبار أن الأنتراكت تأسست من قبل نادي الروتاري، فإن غرضها هو غرض نادي الروتاري العالمي، ذي الخلفية اليهودية الماسونية. وإن جميع الأنشطة التي تقوم بها هذه الأندية تخدم في النهاية اليهودية العالمية، باسم الإنسانية، والثقافة، والإخاء بين الشعوب..

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تأسست هذه النوادي في الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه من مؤتمر الروتاري الدولي سنة ١٩٦١م، وانتشرت في أوربا، وصار لها فروع في معظم أنحاء العالم، ولها فرع في إسرائيل وفي بعض الدول العربية مثل مصر والأردن ولبنان ودول المغرب العربي.

ويتضح مما سبق:

أن الأنتراكت أندية مشبوهة مرتبطة بمنظمة الروتاري الدولية التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية، ولها غايات وأهداف خفية وتعمد إلى تثبيت انتماءات الشباب الغض للأفكار الماسونية عن طريق منح السلام الدراسية وتبادل الشبيبة، وقد أفتى المجمع الفقهي في دورته الأولى بمكة المكرمة في ١٠ شعبان سنة

١٣٩٨هـ بتحريم الانتساب إلى هذه الأندية.

مراجع للتوسع:

- **الروتاري في قفص الاتهام**، أبو إسلام أحمد عبد الله ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ط١٩٨٧م.
- **شرخ في جدار الروتاري**، أبو إسلام أحمد عبد الله ـ دار الاعتصام. القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **شهادات روتارية**، حسين عمر حمادة ـ دمشق ـ دار قتيبة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **مجلة أكتوبر**، القاهرة ـ في ١٦/ ١٢/ ١٩٨٠م.
- **مجلة الجندي المسلم**، الرياض ـ العدد ٥٥ ربيع الأول ١٤١٠هـ ـ أكتوبر ١٩٨٩م.
- **حقيقة أندية الروتاري**، من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ الكويت.

المراجع الأجنبية:

- Rotary and its Brothers, Charles. F. Marden. 1963 1.
- My Road to Rotary Ranl. P. Harris
- Rotary Service.

٧٢ـ الروتراكت (شباب الروتاري)

التعريف:

هي أندية اجتماعية ثقافية ترويحية، مرتبطة بمنظمة الروتاري الدولية التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية. وتضم هذه النوادي طلبة الجامعات وخريجيها ممن لا يقل عمرهم عن ١٨ سنة، ولا يزيد على ٢٨ سنة من الذكور أو الإناث أو من الجنسين حسب ما يقرره النادي الراعي. ونادي شباب الروتاري منظمة يرعاها نادي الروتاري، وتهدف ـ كما يزعمون ـ إلى تشجيع التمسك بالمستويات الخلقية العليا في جميع الأعمال، وتنمية القيادة والشعور بالمسؤولية عن طريق خدمة المجتمع وتعزيز التفاهم الدولي والسلام.

التأسيس:

● في عام ١٩١٧م بدأ الروتاري يعنى بشؤون الشباب فأنشأ صندوقاً خاصًا لذلك الغرض، وأصبح هذا الصندوق فيما بعد نواة لهذه المؤسسة.

● أوصى مؤتمر الروتاري الدولي عام ١٩٦٧/ ١٩٦٨م بإنشاء أندية للشباب من طلبة الجامعات وخريجيها، ويسمح لأندية الروتاري بإنشاء أندية الروتراكت في حدود منطقتها لإتاحة الفرصة أمام الشباب للدراسة في بلد غير بلده.

● وقد دلت إحصائية خاصة عن أندية الروتراكت عن العام الروتاري ١٩٨٣/ ١٩٨٤م على أنه تم إنشاء ١٣٤ نادياً في شتى أنحاء العالم هذا العام وحده، وقد وصل عدد الأندية في العالم إلى ٤٣٠٥ أندية تتبع ٤٠١١ نادياً من أندية الروتاري المنتشرة في ٩٠ دولة من دول الروتاري، ووصل عدد أعضاء الروتراكت إلى ٨٦٠٠٠ ستة وثمانين ألف عضو.

● أنشئت نوادي الروتراكت في بعض البلاد العربية والإسلامية.

الأفكار والمعتقدات:

● من الأهداف المعلنة لنوادي الروتراكت إتاحة الفرصة للشباب للدراسة في بلد

غير بلده، أي إعطاء منح دراسية على هيئة بعثات من المنطقة الروتارية ٢٤٥ التي تضم جمهورية مصر العربية والسودان ولبنان ودولة البحرين والأردن وقبرص. وهذه المنح خاصة بأبناء أعضاء الروتاري، وتخضع لتنظيم الروتاري العالمي.. وللخداع.. يشترط في الشباب المتقدم للحصول على المنحة أن يكون متمسكاً بدينه الإسلامي! وأن يكون متسامحاً!

● ومن نشاط هذه النوادي مشروع تبادل الشباب المريب، الذي يتم فيه اختلاط الشباب من الجنسين.. ومن شروط المشروع:

- تفضيل من كان عضواً في أحد أندية شباب الروتاريين أو أن يكون والده روتاريا.

- السفر في الإجازة الصيفية، ومدة الإقامة ثلاثة أسابيع، ويتكفل الطالب بمصاريف سفره في الذهاب والعودة، ومصاريف الإقامة يتحملها النادي المضيف.

- أن يتراوح سن الطالب أو الطالبة بين ١٨ سنة و٢٢ سنة.

- أن يكون حاصلاً على الشهادة الثانوية على الأقل وأن يكون ملمًّا بلغة البلد المسافر إليه.

- يشترط أن يكون ولي الأمر مستعدًّا لاستضافة طالب أو طالبة في منزله لمدة مماثلة للمدة التي يقضيها ابنه أو ابنته في الخارج.

● ومن تطبيقات هذا المشروع:

سفر وفد صهيوني من الكيان اليهودي في فلسطين المحتلة يوم ١٩٨١/١/٢٤م برئاسة دافيد روزلين مدير العلاقات التربوية والعلمية في وزارة خارجية الكيان الصهيوني إلى مصر العربية المسلمة لبلورة تفاصيل تبادل الشباب، وتألفت المجموعة الأولى من ٥٠ طالباً إسرائيليًّا لقضاء العطلة الصيفية بين الأسر العربية المسلمة في مصر، واستضاف الكيان الصهيوني مجموعة مماثلة من الشباب المسلم لقضاء الإجازة الصيفية بين الأسر اليهودية، وقد تم الاتفاق على ذلك سابقاً أثناء محادثات إسحاق نافون في أواخر عام ١٩٨٠م بهدف تطبيع العلاقات!

● ومن الأهداف المعلنة، أيضاً: خلق روح القيادة الاجتماعية في الشباب والشعور بالمسؤولية لدى المواطنين، وغرس المثل العليا للأخلاقيات، وبحث مشكلات المجتمع الصحية والتعليمية.. ويظهر أن هذه الأهداف المخادعة تعلن للسذَّج من أفراد المجتمع.. أو للحصول على الترخيص من الدولة.

● أما الهدف الحقيقي لهذه النوادي فهو إفساد الجيل المسلم أخلاقيًّا، وإبعاده عن قيم دينه وتعاليمه.. وتستخدم في ذلك الحفلات الموسيقية الراقصة (التي تسميها الخيرية) والسهر إلى ما بعد منتصف الليل مع الاختلاط بكل أشكاله، وشرب الخمر المسموح به في هذه الحفلات، وقضاء الإجازات مع عائلات لا تتقيد بالأخلاق(*) الإسلامية.. والاتصالات الفاجرة بين الجنسين أثناء الرحلات والأسفار الترويحية أو الدراسية.

ومن هذه الحفلات الفاسدة، ما أقامه شباب نادي روتراكت بالإسكندرية في نادي سبورتنج وحضره مجموعة من الضيوف البريطانيين من أصدقاء وشباب الروتراكت وعدد كبير من سيدات ورجال المجتمع المسلم! وأحيا الحفل الفنان عمر خورشيد وفرقة الجاز، رقص على أنغامها الشباب والزهرات واستمر الحفل إلى ما بعد منتصف الليل.. وقد نشرت إحدى المجلات صوراً خليعة لعضوات النادي بأوضاع غير أخلاقية وشبه عارية..!

- إلهاء الشباب في أنشطة سياحية وترفيهية منحرفة تشغلهم عن القضايا المصيرية التي تهم أمتهم، وأهمها قضية فلسطين واحتلال اليهود لها..

- إنشاء جيل روتاري يصل إلى درجة المسؤولية في بلده، لتنفيذ المخططات الروتارية الصهيونية الصليبية الخطيرة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- نوادي الروتراكت تتبع نادي الروتاري الدولي.. ذي الخلفية الماسونية اليهودية.

- وبالتالي فإن جميع أنشطة النادي مخططة من قبل الماسونية العالمية وتخدم اليهودية العالمية.

الانتشار وأماكن النفوذ:

تأسست نوادي الروتراكت في الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه من الروتاري الدولي سنة ١٩٦١م. وانتشرت بعد ذلك في أوربا وصار لها فروع في نواح كثيرة من العالم، ولها فرع في فلسطين المحتلة وبعض البلاد العربية.

ويتضح مما سبق:

أن أندية الروتراكت ترتبط بمنظمة الروتاري الدولية التي تسيطر عليها اليهودية العالمية، كما أن هذه الأندية تعد وكراً للماسونية، ويسيطر عليها اليهود وهدفهم من ذلك السيطرة على العالم عن طريق القضاء على الأديان(*) ، وإشاعة الفوضى الأخلاقية، وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية. ولذلك يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، كما نصت عليه الفتوى التي أصدرها الأزهر في ٢٥ شعبان ١٤٠٥هـ. وتعد أندية الأنتراكت والروتراكت وجهين لعملة واحدة، فعلى الشباب المسلم الحذر من ألاعيب التضليل الصهيوني والانخداع بالشعارات البراقة التي تضع السم في الدسم وتنشر الفساد وخراب الذمم.

مراجع للتوسع:

- **الروتاري في قفص الاتهام**، أحمد عبد الله ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ط١٩٨٧م.
- **شرخ في جدار الروتاري**، أحمد عبد الله ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **شهادات روتارية**، حسين عمر حمادة ـ دمشق ـ دار قتيبة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **مجلة أكتوبر**، القاهرة ـ في ١٦/ ١٢/ ١٩٨٠م.
- **مجلة الجندي المسلم**، الرياض ـ العدد ٥٥ ربيع الأول ١٤١٠هـ أكتوبر ١٩٨٩م.
- **حقيقة أندية الروتاري**، من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ الكويت.

المراجع الأجنبية :

- Rotary and its Brothers, Charles. F. Marden. 1963 1.
- My Road to Rotary. Ranl. P. Harris.
- Rotary Service.